TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

الجزء الاول

﴿ من ﴾

انسان العيون فى سيره الامين المامون

المعروفة بالسيره الحلبية

﴿ تأليف ﴾

الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامه

على بن برهان الدين الحلبى الشافعي

نفع الله بعلومه

آمين

م

﴿ وبهامشها ﴾

السيرة النبوية والآثار المحمدية

لمفتي الساده الشافعيـة بمكة المشرفة

السيد أحمد زيني المشهور بدحلان

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الازهر الشريف بمصر

على نفقه أصحابها

ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

﴿ الطبعة الثالثه ﴾

﴿ سنة ١٣٥١ هـ — سنة ١٩٣٢ م ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن نصر وجوه أهل الحديث * وصلاة وسلاما على من نزل عليه أحسن الحديث * وعلى آله وأصحابه أهل التقدم في القديم والحديث * صلاة وسلاما دائمين ما سارت الأئمة في جمع سير المصطفى السير الحثيث ﴿وبعد﴾ فيقول أفقر المحتاجين وأحوج المفتقرين لعفو ذي الفضل والطول المتين علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ان سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من أهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التحلي بالاخلاق العظام وقد قال الزهري رحمه الله في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير قال بعضهم أول سيرة ألفت في الاسلام سيرة الزهري وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه فيقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وأحسن ما ألف في ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ أبي الفتح بن سيد الناس لما جمعت من تلك الدراري والدرر ومن ثم سماها عيون الأثر غير أنه أطال بذكر الاسناد الذي كان للمحدثين به مزيد الاعتداد وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصائص هذه الامة ومفتخر الأئمة لكنه صار الآن لقصور الهمم لا تقبله الطباع ولا تمتد اليه الاطماع وأما سيرة الشمس الشامي فهو وان أتى فيها بما يعد في صفائح وجوه الصحائف حسنات لكنه أتى فيها بما هو في أسماع ذوي الافهام كالمعادات ولا يخفى ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله

وليعلم الطالب ان السيرا * تجمع ما صح وما قد أنكرا

وقد قال الامام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا في الفضائل

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني ابن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولاشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما من الله تعالى على بقراءة الشفا في حقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة في العام الثامن والسبعين بعد المائتين والالف يسر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشان فاحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لاني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث لها تعلق بها الا انها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الازمان ونحوها

ان يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون في العلم مع ان الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من اعظم الاسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي صلى الله عليه وسلم واحواله كانها مشاهدة للنظار * قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من الف في السير وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يا بني هذه شرف آبائكم (٣) فلا تنسوا ذكرها وفي ذكر السير ايضا معرفة فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته واصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة * فمن ذلك ماروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خاصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله وعن أم هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على اصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع

ونحوها تساهلنا وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من اهل العلم الترخص في الرقائق ومالا حكم فيه من اخبار المغازي ومايجري مجرى ذلك وانه يقبل منها مالا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها * فلما رأيت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي ان ألخص من تينك السيرتين انموذجا لطيفا يروق للاحداق ويحلو للاذواق يقرأ مع ماضممته اليه بين يدي المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولا زلت في ذلك اقدم رجلا وأؤخر أخرى لكوني لست من اهل هذا الشان ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل الرهان حتى اشار علي بذلك وسلوك تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة امره لا تستطاع ذو البديهة المطاوعة والفضائل البارعة والفواضل الكثيرة النافعة من اذا سئل عن أي معضلة اشكلت على ذوي المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا تأخر في كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد ان يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ أبو عبد الله وابو المواهب محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من شرد كره ملأ المشارق والمغارب وسرى سره في سائر المساري والمسارب ولي الله والقائم بخدمته في الاسرار والاعلان والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع اثنان مولانا الاستاذ ابو عبد الله وابو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد أبو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي اعاد الله تعالى علي وعلى احبابي من بركاتهم وجعلنا في الآخرة من حملة اتباعهم * فلما اشار علي بذلك الاستاذ تلك الاشارة ورأيتها منه اعظم بشارة شرعت معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل أمله ولم يخيب من قصده وأمله وقد يسر الله تعالى ذلك على اسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع ولا تنفر منه الطباع والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة ابي الفتح بن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في أولها قال وفي آخرها انتهى وان قلت اتيت بلفظة أي وجعلت في آخر القولة دائرة هكذا () بالحمرة وربما أقول وفي السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة قال وعن الكثيرة باي وماليس بعده تلك الدائرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولي في أولها اقول وفي آخرها والله اعلم وقد يكون من الزيادة مااقول وفي السيرة الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث اقول قال في الاصل او ذكر في الاصل او نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين البوصيري ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ماتضمنته تلك الابيات واشارت اليه من ذلك السياق فانه احلى في الاذواق

سنين في رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنون التي كانت في أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضى الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن أبي هريرة رضى الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش وقال أيضا الائمة في قريش وقال أيضا لا تسبوا قريشا (٤) فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضي الله عنه هذا العالم هو الشافعي رضى الله عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفي رواية ولا تعالموها أي لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفي روايه ولا تعلوها أى لا تعلو عليها بمعنى لا تجعلوها في المقام الادنى الذى هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغالها العواثر أى من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أى كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي روايه وشرار قريش شرار الناس سبحانه والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضي أبغضهم * وروى الترمذي عن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضني وروى الطبرانى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا

وربما أحل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما أذكر أيضا من أبيات تائية الامام السبكي ما يناسب المقام وربما أذكر أيضا بعض أبيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية المجموعة بديوانه المسمي ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب * وقد سميت مجموع ذلك ﴿ انسان العيون في سيره الامين المامون ﴾ وأسال من لا مسئول الا إياه ان يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

باب نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم

هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ابن عبد الله ﴾ ومعنى عبد الله الخاضع الذليل له تعالي وقد جاء أحب أسمائكم وفي رواية أحب الاسماء الي عبد الله وعبد الرحمن وجاء أحب الاسماء الى الله ما تعبد به وقد سمي صلي الله عليه وسلم بعبد الله في القرآن قال الله تعالي وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو ﴿ ابن عبد المطلب ﴾ ويدعي شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له أي لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجاهم في الامور فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة الحمد لانه ولد وفي رأسه شيبة أى وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض أو سمي بذلك تفاؤلا بانه سيبلغ سن الشيب () * قيل اسمه عامر وعاش مائه واربعين سنه أى وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية () * وكان مجاب الدعوه وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رءوس الجبال قال وكان من حلماء قريش وحكمائها وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودى فاغلظ ذلك اليهودى القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقه دفعها لابن عم اليهودى حفظا لجواره ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهي ملخصا * وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جاء به صغيرا من المدينة أردفه خلفه أي وكان بهيئة رثة أى ثياب خلقة فصار كل من يسال عنه ويقول من هذا يقول عبدى أى حياء ان يقول ابن أخي فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر انه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبه ابن أخي هاشم () لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب أى وقيل لانه تربي في حجر عمه المطلب وكان عاده العرب ان تقول لليتيم الذى يتربي في حجر أحد هو عبده وكان عبد المطلب يامر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيئات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أى فالظلوم شانه في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له فى الآخره ورفض في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله

منافق وروى الترمذى عن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل فى شفاعتي ولم تنله مودتي وقال صلى الله عليه أحبوا العرب لثلاث لاني عربى والقرآن عربى وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدي يوم القيامة وان اقرب الخلائق من لوائى يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما وافق

سبحانه وتعالى وتؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزى ﴿ ابن هاشم ﴾ وهاشم هو عمرو العلا أى لعلو مرتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توءمين وكانت رجل هاشم أى أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا سيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أى بين بني العباس وبين بنى أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن اخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده امية بن أخيه فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا هاشما للمنافرة فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضى امية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنصر هاشم على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج أمية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم وأخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أى الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة أى كما سياتى وعبد شمس مات بمكة وقبره باجياد ونوفل مات بالعراق والمطلب مات بردماء من أرض اليمن أى وقيل له هاشم لانه اول من هشم الثريد بعد جده ابراهيم فان ابراهيم اول من فعل ذلك أى ثرد الثريد واطعمه المساكين () وفيه ان اول من ثرد الثريد واطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصي في الامتناع وقصي أول من ثرد الثريد واطعمه بمكة وفيه ايضا هاشم عمرو العلا أول من اطعم الثريد بمكة وسياتي ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحى فليتامل وقد يقال لا منافاة لان الاولية في ذلك اضافية فاولية قصي لكونه من قريش وأولية عمرو بن لحي لكونه من خزاعة وأولية هاشم باعتبار شدة مجاعة حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

واطعم فى المحل عمرو العلا * فللمسنتين به خصب عام

﴿ وقال أيضا ﴾

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابى للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه

بعض العلماء يقتل من سب العرب وفي الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبراني حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من من الكفر ومن احب العرب فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى وروي ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من احب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل احد ان يحب اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج في بغض اهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب اهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

﴿ باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشانه صلى الله عليه وسلم مع ماورد من ذلك على لسان آبائه ﴾ روي من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الهمه الله ان قال يارب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه

فرأي نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا النور نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد لولاه ماخلقتك ولاخلقت سماء ولا أرضا وروي الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه مرفوعا ان آدم عليه السلام رأي اسم محمد صلي الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالي قال لآدم عليه السلام لولا محمد ماخلقتك * وفي المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجر طوبي وورق سدرة المنتهي وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالي وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم يارب هذا محمد

أو احلوا اخصبوا منها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذى طلب السماحة والندي * هلا مررت بآل عبد مناف

الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله تعالى عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

ياأيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك امك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضى الله عنه فقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق ولكنه قال

ياأيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك امك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن أقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتي يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة واتفق أنه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال ابن الصلاح روينا عن الامام سهل الصعلوكى رضي الله عنه انه قال في قوله صلي الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اراد فضل ثريد عمرو العلا الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقد أبعد سهل في تاويل الحديث والذي أراه أن معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى أى فالمراد أى ثريد لاخصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون أفضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف قال وقد ذكر أنه كان اذا هل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الي الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أي عقولا وأوسط العرب أى أشرفها أنسابا وأقرب العرب بالعرب ارحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم بجواره دون بنى اسمعيل وانه يأتيكم

من هو فقال الله له هذا ولدك الذى لولاه ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسالك حق محمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لى فقال الله تعالي يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتني بيدك أى من غير واسطة أم وأب ونفخت في من روحك أى من الروح المبتدأة منك المشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لااله إلا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الي اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالي صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك

رواه البيهقي في دلائله * وروى ابو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أوحى الله تعالى الى عيسي عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب وكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أتاني جبريل فقال ان الله تعالي يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ماخلقت النار * وروي ابن سبع عن علي رضي الله عنه ان الله

تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من اجلك اسطح البطحاء وأموج الموج وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقاني وهذا ليس لغيره من نبي ولا ملك ولله در من قال ومن عجب اكرام الف لواحد * لعين تفدى الف عين وتكرم * وقال آخر وكان لدي الفردوس في زمن الصبا * واثواب شمل الانس محكمة السدي يشاهد في عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار في الضوء والهدى فقال الهى ما الضياء الذى ارى * جنود السما تعشو اليه ترددا فقال نبي خير من وطئ الثري * وافضل من في الخير راح واغتدى تخيرته من قبل خلقك سيدا * والبسته قبل النبيين سوددا واعددته يوم القيامة شافعا (٧) * مطاعا اذا ما العير جاد وحيدا

زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه وأحق من أكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه وانا مخرج من طيب مالي وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من اموالهم فيضعونه في دار الندوة انتهى * وقيل في تسميه شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل انما سمي شيبة الحمد عبد المطلب لان اباها شم قال للمطلب الذى هو اخو هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب كذا في المواهب وقدمه على ما تقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الي الشام فنزل على شخص من بني النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في اهلها أى ثم مضي لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما اثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضي الى الشام فمات بغزة قيل وعمره حينئذ عشرون سنة وقيل أربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون أى ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال انا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن انت يا غلام فقال انا شيبة بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب الى المدينة فلما رآه عرف شبه ابيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وفي لفظ انه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه أهذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد اخذه فالساعة قبل ان تعلم به أمه فانها ان علمت بك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن اخي أنا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك وأناخ ناقته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم به أمه حتي كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب أى فان هذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة لا ينافى ما سبق أنه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون هذه الحلة البسته له عند اخذه ثم نزعت عنه في السفر أى أو ان هذه الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوى على انه يجوز ان يكون اشترى له حلتين واحده البسها له بالمدينة وأخرى اشتراها بمكة والبسها له () وفى السيره الهشامية ان أم عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشرطوا لها ان أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته أي وأنها لا تلد ولدا الا في أهلها كما تقدم وأن عمه المطلب لما جاءه لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها

فيشفع في اتقاد كل موحد
ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له اسماء سميته بها
واكسني احببت منها محمدا
فقال الهى امن على بتوبة
تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التى
خصصت بها دون الخليقة احمدا
أقلني عثارى يا الهى فان لى
عدوا العينا جار في القصد واعتدي
فتاب عليه ربه وحماه من
جنايه ما اخطاه لا متعمدا
* وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تريد بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال

وما مهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات * وفي رواية ان آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما اعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة * وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم على منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ماخلقت الدنيا * وما أحسن قول العارف بالله سيدي على وفا رضى الله عنه سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد

عش في أمان الله تحت لوائه * لاخوف في هذا الجناب ولا نكد لاتختشي فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى على صار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ماتم الوجود لمن وجد عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد أو لو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد فاشرب من سكن الجوانح منك يا * (٨)

أنا ود ملاك من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى
نور الهدى روح النهى حد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى
الخاتم المخصوص مادام الابد

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما امر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدي الذي في جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور في جبهته وكان هو وصي آدم عليه السلام على ذريته واوصاه آدم ان لا يضع ذلك النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى ان وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى امه آمنة وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية * روى البيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني من سفاح الجاهلية شيء ماولدني الا نكاح الاسلام اى نكاح كنكاح الاسلام يعني بعقد صحيح * وروى ابو نعيم في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى

المطلب اني غير منصرف حتى أخرج به معي ان ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه اني لست بمفارقها الا أن تأذن لي فاذنت له ودفعته اليه فاردفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه أي ظنا منهم أنه اشتراه من المدينة فان الشمس أثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن أخي هاشم ولا يخالف هذا ماسبق من أنه صار يقول لمن يسأله عنه من هذا فيقول عبدي لانه يجوز أن يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم سأله فاجابه بقوله هذا عبدي كما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الي آخره * وهاشم ﴿ابن عبد مناف﴾ وعبد مناف اسمه المغيرة أي وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنهما ووجد كتاب في حجر أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف أصله مناة اسم صنم كان أعظم أصنامهم وكانت أمه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان أول ولد لقصي على ماقيل لان عبد مناف ﴿ابن قصي﴾ أي ويسمي قصي زيدا وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان اسمه يزيد ويدعي مجمعا ايضا وقيل له قصي لانه قصي أي بعد عن عشيرته الى اخواله بني كلب في باديتهم وقيل بعد الى قضاعة مع أمه لانها كانت منهم * أقول لامنافاة لجواز ان تكون أم قصي من بني كلب وأبوها من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف الي بني كلب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة كانت جهة الشام فلا يخالف ماقيل * وقيل له قصي لانه بعد أمه الي الشام لان امه تزوجت بعد موت ابيه وهو فطيم شخص يقال له ربيعة بن حرام وقيل حرام بن ربيعة العذري فرحل بها الي الشام وكان قصي لا يعرف له ابا الا زوج أمه المذكور فلما كبر وقع بينه وبين آل زوج امه شر أي فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصي أي غلبه فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة وقال له ألا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفي لفظ لما قيل له ذلك قال ممن أنا قيل له سل امك فشكا ذلك الي امه فقالت له بلادك خير من بلادهم وقومك خير من قومهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد اليه العرب وقد قالت لي كاهنة رأتك صغيرا انك تلي امرا جليلا فلما أراد الخروج الى مكة قالت له امه لا تعجل حتي يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فاني اخاف عليك فشخص مع الحجاج فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا له فضله وشرفه فاكرموه وقدموه عليهم فساد فيهم ثم تزوج بنت حليل بالحاء المهملة المضمومة الخزاعي وكان أمر مكة والبيت اليه وهو آخر من ولي امر البيت والحكم بمكة من خزاعة فجاء منها باولاده الآتي ذكرهم فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه

مات حليل فرأى قصي انه أولى بامر مكة من خزاعة لان قريشا اقرب الى اسمعيل من خزاعة فدعا قريشا وبني كنانة الى اخراج خزاعة من مكة فاجابوه الى ذلك وانضم له قضاعة جاء بهم اخو قصي لامه فازاح قصي يد خزاعة وولى امر مكة وقيل ان حليلا جعل أمر البيت لقصي ولا منافاة لجواز ان تكون خزاعة لم ترض بما فعله حليل من أن يكون امر البيت لقصي فحاربهم واخرجهم من مكة وقيل ان حليلا اوصي بذلك لابي غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان اوصى بذلك لابنته زوج قصي وقالت له لا قدرة لي على فتح البيت واغلاقه وان قصيا اخذ ذلك منه بزق خمر فقالت العرب اخسر صفقة من أبي غبشان وقيل ان اباغبشان اعطى ذلك لبنت حليل زوج قصي واعطاه قصي اثوابا وابعره فكان ابو غبشان آخر من ملك امر مكة والبيت من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا آخر من ولي امر البيت والحكم بمكة لجواز أن يكون المراد آخر من ولي ذلك واستمر كذلك الى ان مات قال بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصي وكان في عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه امر مكة والبيت باذواد من الابل والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا اخذه من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك باثواب وابعره وبين انه اخذ ذلك باذواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع بين الخمر والاثواب والابل فوقع والاقتصار على بعضها من بعض الرواة تامل ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثنى عشرة قبيلة كما سياتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم مجمعا والى ذلك قول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة بن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فلقوا حذافة فاخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف معه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال هذا حذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال الحقهم واسالهم ما شانهم فلحقهم فاخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال ما معك قال والله ما معي شيء قال الحقهم لا أم لك واعطهم ما بيدك واطلق الرجل فلحقهم ابو لهب فقال قد عرفتم تجارتي ومالي وأنا احلف لكم لاعطينكم عشرين أوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوه منه واطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال وابي انك لعاص ارجع لا ام لك قال يا أبتاه هذا الرجل معي فناداه يا حذافة اسمعني صوتك فقال ها أنا ذا بابي انت يا ساقي الحجيج أردفني فاردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وفي الشفاء أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي فتاب الله عليه وغفر له وهذا تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هي ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسي فاغفرلي فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب (٩) الرحيم * قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان في صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفي صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به في النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام وأما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشانه فكثير فمن ذلك ما روي عن جده كعب بن لؤى فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى يوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه فمما كان يقوله

لهم سياتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتا آخرها على غفلة ياتي النبي محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها وينشد أيضا ياليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا ومن خطبه التي كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار ضاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم اعلام والاولون كالآخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فارخوا

به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة ومن ذلك ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أول (١٠) من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لا تسبوا إلياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وجاء في الحديث أيضا لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء ان خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك وكان أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بختنصر على العرب امر الله ارمياء عليه السلام ان يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة وقال فاني ساخرج من صلبه نبيا كريما اختم به الرسل ففعل ارمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشا مع بني اسرائيل ثم عاد بعد ان هدأت الفتن بموت بختنصر * وحكى الزبير بن بكار غير ان اول من وضع انصاب الحرم عدنان قيل وهو اول من كسا الكعبة او كسيت في زمنه وجاء انه انما سمي عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك ان اعين الجن والانس كانت اليه وارادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه روى ابو جعفر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة واسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء ايضا ان مضرا انما سمي بذلك لانه كان يمضر

هي قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من ابي لهب رهن ردائه على ما ذكره لهم في أن يخلوا عن الرجل مع ان رداءه لا يقع موقعا من ذلك * أجيب بان سنة العرب وطريقتهم أن الواحد منهم اذا رهن غيره ولو شيئا حقيرا على أمر جليل لا يغدر بل يحرص على وفاء ما رهن عليه ومن ثم لما أجدبت أرض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله تعالى عنه الى كسرى ليأخذ منه امانا لقومه ليرعوا بريف العراق لاجل المرعى فقال له كسرى أنتم قوم غدر وأخاف على الرعايا منكم فقال له حاجب أنا ضامن ان لا تفعل قومي شيئا من ذلك فقال له كسرى ومن لي بوفائك قال هذه قوسي رهينة فحمقه كسري وجلساؤه وضحكوا منه فقيل له العرب لو رهن أحدهم شيئا لا بد أن يفي به فلما أخصبت أرض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم ولما وفد اليه جماعة منهم وأسلموا ومات حاجب أمر عطارد رضي الله عنه قومه بالذهاب الى بلادهم وجاء عطارد رضي الله عنه الى كسرى فطلب قوس أبيه فقال انك لم تسلم الي شيئا فقال أيها الملك أنا وارث أبي ووفوفينا بالضمان فان لم تدفع الي قوس أبي صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم دفعها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم والى هذا أشار بعض الشعراء وقد أحسن وأجاد وتلطف بقوله

تزهو علينا بقوس حاجبها * تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين أزاح بني خزاعة عن البيت وأجلاهم عن مكة بعد ان لم يسلموا لقصي في ولاية أمر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل وأبو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا آخر أيام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة أكثر ثم تداعوا للصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد على أحد في دم وقيل قضي بان كل دم أصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما أصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضي لقصي بانه أولى بولاية مكة فتولاها قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير أهلها أي تجاره وكانت خزاعة قد أزالت بني جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي أمر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جد الثابت وغيره من أولاد اسمعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل في ذلك لخئولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من

القلوب أى يأخذها لحسنه وجماله ولم يره أحد الا احبه لما كان يشاهد في وجهه من نور النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلامه خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا للابل وذلك أنه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يايداه يايداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة (١١) مال والدهما نزار أخذ مضر الذهب

غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها حتى ان الرجل منهم كان اذا أراد ان يزنى ولم يجد مكانا دخل البيت فزنى فيه فاجمعت أي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله تعالى على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوي الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف وفي عالمهم أى وجاز ان يكون ذلك الدم ناشئا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقي الي اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو أبياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اكتب بين يدي الوزير يحيي بن خالد البرمكى أيام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت أيام دولتنا قلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا أنشدني كان لم يكن بين الحجون البيت وأجبته من غير روية بلى نحن كنا أهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتي اذ جاءه انسان وأكب عليه وأخبره ان الرشيد قتل جعفرا الساعة قال أوقد فعل قال نعم فما زاد ان رمي القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة * ومما يؤثر عن يحيي هذا ينبغي للانسان ان يكتب احسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدث باحسن ما يحفظ وقال من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت خزاعة بعد جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحى وهو ابن بنت عمرو بن الحرث الجرهمى آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو بن لحى في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية وهو أول من اطعم الحج بمكة سدائف الابل ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو شحم السنام وذهب شرفه فى العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفى كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة وهو أول من غير دين ابراهيم أى فقد قال بعضهم تظاهرت نصوص العلماء على أن العرب من عهد ابراهيم استمرت على دينه أى من رفض عبادة الاصنام الي زمن عمرو بن لحى فهو أول من غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة وبحر البحيرة وقيل أول من بحر البحيرة

وقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء ان معدا سمى بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الارجع بالنصر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى في جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمى بذلك لانه خزم أى جمع فيه نور النبى صلى الله عليه وسلم الذي كان في آبائه ومدركة سمي بذلك لانه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بينا فيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبي صلي الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أدبن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه اهل الجاهلية اذا مات

رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالي ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الاما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال أبو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثيرا لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله ان يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلي الله عليه وسلم مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا قال الدميرى

وهذا أرجو به الفوز للجاحط فى متقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره فى كتبه قال الحافظ الشامى وهو من النفائس التى يرحل اليها وهو الذى ينثلح له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى * وقد أجمع العلماء على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهى الي عدىان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدىان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير فى عدد الآباء وفى ضبط بعض الأسماء وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدىان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة بن الزبير ماوجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدىان * وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الي آدم فكره دلك وقال على سبيل الانكار من اخبره بدلك فينبغى لمن أراد أن يذكر نسب النبى صلي الله عليه وسلم ان يوصله الي عدىان ابن اد ويقف اقتداء به صلي الله عليه وسلم وأجمعوا على ان عدىان ينتهي نسبه الى اسمعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدىان ولله در القائل

وسنة عزها شم من أصولها
ومحتدها المرضي أكرم محتد
سمت رتبة علياء أعظم بقدرها
ولم تسم الا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذوي شرف * كما علا برسول الله عدىان

فاعطوه قال الماوردى في اعلام كتاب النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة * وفهر اسمه قريش واليه تنتهى وتجتمع قبائل قريش ومافوقه كنانى وسمي قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم هم وكلاب * اسمه حكيم سمى بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب

رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنيهما وحرم ألبانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بافواههما وعمرو أول من وصل الوصيلة وحمى الحامي ونصب الاصنام حول الكعبة وأتي بهبل من أرض الجزيرة ونصبه فى بطن الكعبة وكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على مايأتي وأول من أدخل الشرك فى التلبية فانه كان يلبي بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهي لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك فعند دلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبى معه فلما قال عمرو لبيك لاشريك لك قال له دلك الشيخ الاشريكا هو لك فانكر عمرو دلك فقال له دلك الشيخ تملكه وماملك وهذا لاباس به فقال ذلك عمرو فتبعته العرب على دلك أي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالي توبيخا لهم ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون وهو أول من أحل أيضا أكل الميتة فان كل القبائل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحى فزعم أن الله تعالي لايرضي تحريم أكل الميتة قال كيف لاتاكلون ماقتل الله وتاكلون ماقتلتم * وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه في النار وفي رواية امعاءه أي وهى المراده بالقصب بضم القاف وفى رواية رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناة الفوقية آخره باء موحدة ومن دلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقي فى النار فتندلق أقتابه في النار والاندلاق الخروج بسرعة * وقال صلي الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة وهو فى اللغة واسع البطن يا أكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل منك به ولا بك منه فقال أكثم فعسي ان يضرني شبهه يارسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان أى ودين اسمعيل هو دين ابراهيم عليهما الصلاه والسلام فان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام استمرت على دينه لم يغيره أحد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفي كلام بعضهم ان أكثم هذا هو أبو معبد زوج أم معبد التي مربها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة وأكثم هذا هو الذى قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم رأيت الدجال فاذا أشبه الناس به أكثم بن عبد العزى فقام أكثم وقال أيضرنى شبهى اياه فقال لا أنت مؤمن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذى فيه دكر الدجال لايصح انما يصح ماقاله فى دكر عمرو بن لحى وانما كان عمرو بن لحي أول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام فى بعض اموره فرأى بارض البلقاء العماليق ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ماهذه قالوا هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونى منها صنما فاسير به الى أرض العرب

وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة * وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم باحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء * وقصي اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة وقعت له

فوجده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب وقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصي من أكرم لئيما شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامه أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصي من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعي فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعي فأوصى بها لابنته زوج قصي فقالت لا قدرة لي على فتح البيت واغلاقه فجعل أبو هادلك لابي غبشان الخزاعي فاشترى منه قصي أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أزوادا من الابل واثوابا فنازعته خزاعه فدعا قريشا وبني كنانة لاعانته فاعانوه حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد أن اقتتلوا أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ماصارت اليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل والجرح في الفريقين الا انه في خزاعة أكثر ثم تداعوا للصلح واتفقوا على انهم يحكمون بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا عريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا

فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على بئرها وأمر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح مكتوب فيه لا وذلك للامر الذي يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا في ولد هل هو منهم أولا وقدح فيه بها وقدح فيه مابها اذا أرادوا أرضا يحفرونها للماء وكان هبل من العقيق على صورة انسان * وعاش عمرو بن لحي هذا ثلثمائة سنة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل أي ومكث هو وولده من بعده في ولاية البيت خمسمائة سنة وكان آخرهم حليل الذي تزوج قصي ابنته كما تقدم وقيل وكان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس عليهما السلام وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب وأتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة على وزن مسجد أ وقبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير أي وكانوا هؤلاء على صور عباد ماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين أمثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك أهل ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجها اللعين * وفي كلام بعضهم ان آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن عليه الناس حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بارض بابل فلما رأى ابليس ذلك من فعلهم جاء اليهم في صورة انسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورته اذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك الصور باسمائهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فارسل الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق باول ماحدثت عبادة الاصنام في قوم نوح فارسله الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في تفسيره لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض ان أصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله تعالى عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا

فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد على احد وقضى لقصي انه اولي بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي أمر البيت بعد ثابت بن اسمعيل عليه الصلاه والسلام لانه كان جد الثابت وغيره من أولاد اسمعيل لامهم لان اسمعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم فاخذ ولاية البيت بعد ثابت بن اسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمي واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخئولتهم (١٤) واعظاما لان يكون بمكة بغى ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فاجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمه والفاء وهو دود يكون فى انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم وذهب من بقي الي اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من امر مكه وملكها حزنا شديدا وقال عمرو بن الحرث ابياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا اهله فابادنا
صروف الليالي والدهور البواتر

ثم استمر الامر فى خزاعة الى ان تزوج قصي منهم وحصل ما تقدم ذكره فازاح يد خزاعة وولى امر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي واحبهم اليه وكان عبد مناف اشرفهم لانه شرف في زمن ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه فاعطي قصي تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال اما والله يا بني لالحقنك بالقوم يعني بقية اخوته وبني عمه وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتي تكون انت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء للحرب الا ان تعقده انت ولا يشرب رجل بمكة

عبدالله

بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه وكان في زمان جرهم رجل فاجر يقال له اساف فجر بامرأة يقال لها نائلة في جوف الكعبة أي فعلها فيها كما في تاريخ الازرقي وقيل زنى بها فمسخا حجرين فاخرجا منها ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان زمن عمرو بن لحى أخذهما ونصبهما حول الكعبة أي على زمزم وجعلا في وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ باساف ويختم بنائلة وذلك قبل ان يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبائحها عندهما وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نائلة عند فتح مكة خرجت منها امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها وهي تنادي بالويل والثبور وكان عمرو يخبر قومه ان الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى العزي كما يهدون الى الكعبة وقصى هو الذى أمر قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا ابواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبني قصي دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة واستمر الامر على انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من اهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله تعالي عنه اشترى دورا أخر وغالي فى ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ثم ان ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئا ثم ان الوليد بن عبد المطلب وسع المسجد وحمل اليه أعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر بناؤه على ذلك الي الآن * وكانت قريش قبل ذلك أي قبل بناء منازلهم في الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون فيه ليلا واذا أراد أحدهم قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا أراد حاجة الانسان خرج الي المغمس بكسر الميم أفصح من فتحها وهو على ثلثي فرسخ من مكة وهابت قريش قطع شجر الحرم التي في منازلهم التي بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاه والسلم وشكوا ذلك الي قصي فامرهم بقطعها فهابوا ذلك فقالوا نكره ان ترى العرب انا استخففنا بحرمنا فقال قصي انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا فبهلة الله أي لعنته على من اراد فسادا فقطعها قصي بيده وبيد أعوانه وفي كلام السهيلي عن الواقدي الاصح ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان أحدهم يحدق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله قال واول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان

الامن سقايتك ولا يأكل احد من اهل الموسم الامن طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا في دارك يعني دار الندوة ولا يكون أحد قائد القوم في قتال الا أنت فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف احتلف ابناؤهم فاراد بنو عبد مناف وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل ان ياخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لمن أراد ان يحالفهم ويكون معهم في المسجد عند باب الكعبه فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشاره الي انهم معهم وتحالفوا بعد ان تطيبوا منها معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهره وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مره وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون قبائل خمسه وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا لتحالفهم بعد أن اخرجوا جفنة مملوءه دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا لعقة الدم ثم اصطلحوا على ان تكون الرفاده والقياده والسقاية لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوه بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوه بقيت في يد بني عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن اسد بن عبد العزى ابن قصي فاشتراها بزق خمر ثم باعها في الاسلام بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فاينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحجب وكانوا لا يعقدون عقد نكاح الا في دار قصي اعني دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها * واما القياده وهي امارة الركب فقام بها من ابناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه امية ثم ابنه حرب ثم ابنه ابو سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب واما يوم بدر فقاد الناس

عبد الله بن الزبير حين انشى دورا بقعيقعان لكنه جعل فداء كل شجره بقره فليتأمل الجمع وانزل قصي القبائل من قريش أي فانه جعلها اثنتي عشرة قبيلة كما تقدم في نواحي مكة بطاحها وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والاولى أشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

من بني هاشم بن عبد مناف * وبنو هاشم بحار الحياء
من قريش البطاح من عرف النا * س لهم فضلهم بغير امتراء

قال بعضهم كان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا اعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما جاء اوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر * ومما يؤثر عن قصي من أكرم لئيما أشركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمره فانها لا تصلح الابدان وتفسد الاذهان وحاز قصي شرف مكة كله فكان بيده السقاية والرفاده والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر اولاد قصي وعبد مناف أشرفهم اي لانه شرف في زمان ابيه قصي وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه في الشرف أخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمى عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظائف التي هي السقاية والرفاده والحجابة والندوة واللواء والقياده أي فانه قال له اما والله يا بني لالحقنك بالقوم يعني أخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له أي سبب الحجابة للبيت ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا انت بيدك أي وهذا هو المراد باللواء ولا يشرب رجل بمكة الامن سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا يأكل احد من اهل الموسم الامن طعامك أي وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوة اي ولا يكون احد قائد القوم الا انت وذلك سبب القيادة فلما مات عبد الدار واخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهؤلاء اخوه لاب وأم امهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم امه واقدة بنت حرمل ان ياخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة اي واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة ثم غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على انفسهم فسموا المطيبين

عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من أبي سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج الناس

وأما الرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر * وأما السقاية

فقام بها أيضا عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما مات

المطلب وثب أخوه نوفل ابن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي النجاري على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل ياخال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال ياأباسعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن اختي اركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب وقالوا ان أم عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساه ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام

أي أخرجتها لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتوءمة أبيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبائل * وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون أيديهم فيهم ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذين لعقوا الدم وسموا لعقة الدم بنو عدي خاصة ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذي رأيته في الشرق فيما يحاضر به من آداب المشرق ولما شرف عبد مناف بن قصي في حياة أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار اراد أن يبقي له ذكرا فاعطاه الحجابة ودار الندوه واللواء وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوه لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده * والسقاية كانت حياضا من أدم توضع بفناء الكعبة وينقل اليها الماء العذب من الآبار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال لسقي الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا وكانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه أمر السقاية والرفادة فلما مات المطلب وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه أركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي بن النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل ياخال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال ياأباسعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي اركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب أمه حبي بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب هلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة

الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد قيل ان السقاية انتقلت من أبي طالب الى أخيه العباس في حياة أبى طالب وسبب ذلك أن أبا طالب كان يقذف فى الماء التمر والزبيب تبعا لابيه عبد المطلب فاتفق انه أملق أى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الي الموسم الآخر فصرفها ابو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابى طالب شئ فقال لاخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبى طالب ما يعطيه (١٧) لاخيه العباس فترك له السقاية

وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد * وعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء منها لتلك الاحواض ويقذف التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده أبو طالب ثم اتفق ان أبا طالب أملق أى افتقر فى بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب فى الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شئ فقال لاخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا أيضا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لى كلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع ابى طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت للعباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك فى بنى العباس الى زمن السفاح ثم ترك بنو العباس ذلك * والرفادة اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا وان قريشا كانت على زمن قصي تخرجه من أموالها فى كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكل منه من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده أبو طالب وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر ذلك فى الخلفاء الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها بعد عبد مناف ولده عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبى سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست فى العير ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتي أى وعائي لان العيبة ما يجعل فيه الثياب جدى أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير * ودار الندوة كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة فى أمورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصى فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش الا في دار قصى التي هى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا في تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت قريش بعد موت قصى يتبعون ما كان عليه فى حياته كالدين المتبع ولازالت هذه الدار فى يد بنى عبد الدار الى ان صارت الى حكيم بن حزام فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم رضى الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله تعالى فأينا المغبون

فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا واما الحجابة فكانت فى بنى عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبى صلى الله عليه وسلم فاراد ان يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فانزل الله تعالى ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها فرده صلي الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار الحجبى ثم صارت بعده لاخيه شيبة ثم بقيت فى بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم احد كلما قتل واحد اخذ اللواء بعده واحد آخر منهم * وأما عبد مناف بن قصي فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار

كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوي الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضئ في وجهه وكان في يده لواء نزار وقوس اسمعيل واياه عني القائل بقوله كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف وابنه هاشم اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو اخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أى أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الي ان اشتد الامر بين بني العباس وبنى أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس

لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبي هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية

الي المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الي الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم وأخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتي أشبعهم وسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكي في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد

قيل وقصي هو جماع قريش فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشي وسبب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه توصل به الى ان لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافة لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش أنتم أولي الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا ان تعدلوا عنه لانهما لم يلتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان أبا بكر رضي الله تعالي عنه يجتمع معه فى مرة كما سيأتى لان تيم بن مرة بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه خمسة آباء وعمر رضى الله عنه يجتمع معه في كعب كما سيأتى وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة آباء () ﴿وقصى بن كلاب﴾ أي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم فى كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه ﴿ابن مرة﴾ وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله تعالى عنه والامام مالك رضى الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذى هو مرة أيضا ﴿ابن كعب﴾ أي وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالي عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة أي يوم الرحمة الذى هو يوم الجمعة ويقال انه أول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث كان اهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالي يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام وسيأتى في ذلك كلام فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه ويقول سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا يا ليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هى بين موت كعب والفيل الذى هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره أبو نعيم فى الدلائل النبويه وقيل ان كعبا أول من قال اما بعد فكان يقول اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون أي وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شأنه أرخوا بموته حتي كان عام الفيل أرخوا به ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب ﴿وكعب بن لؤى﴾ أى بالهمزة أكثر من عدمها أى وفي سبب تصغيره

فضل ثريد هاشم الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح خلاف الاولى حمل الحديث على العموم وان المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لان سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد وهذا لا ينافي بقاء المزيه لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه أجفانه كالجوابي للوفود اذا * لبوا بمكة نادى هم مناديه

وأمحلوا أخصبوا امنها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه ولآخر قل للذى طلب السماحة والندي * هلا مررت بآل عبد مناف

خلاف ﴿بن غالب بن فهر﴾ سماه أبوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب أن يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لأنه كان يقرش أي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار أجمع النسابون من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ أحجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد ان جمع قبائل العرب فقاتله وأسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وان صار اليك () ﴿وفهر هو ابن مالك﴾ قيل له ذلك لانه ملك العرب ﴿بن النضر﴾ أي ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاحد من أولاد من فوقه قرشي () ويقال لكل من أولاده الذين منهم مالك وأولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال من ولد النضر أي وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك وأولاده والنضر جده وأولاده ليسوا من قريش () والنضر ﴿بن كنانة﴾ قيل له كنانة لانه لم يزل في كن من قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا أي تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال ابن دحية رحمه الله كان كنانة يأنف أن يأكل وحده فاذا لم يجد أحدا أكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينصبها بين يديه أنفة من أن يأكل وحده ومما يؤثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر وكنانة ﴿بن خزيمة بن مدركة﴾ ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولعل المراد ظهوره فيه ومدركة ﴿بن الياس﴾ بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة أيضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور قيل سمي بذلك لان أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وأول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان فليتامل وجاء في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش أي فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي وكان الياس

الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف   وعن بعض الصحابة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول   يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار   هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار   فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال   يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف   هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف   الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي (١٩) فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفي المواهب وشروحها ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه لا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر شيء الا خضع له تفد اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم في الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدي الحق ويؤمن الخائف وكان اذا اهل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أي عقولا وأوسط العرب أي أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوار بيته وورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم

يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو أول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم قيل احزن من خندف ﴿ والياس بن مضر ﴾ قيل هو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوق مضر قرشي وفي جماع قريش خمسة أقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعني نزارا أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجاء في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين أي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على ملة ابراهيم وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة * أقول سيأتي في بنيان قريش الكعبة انهم وجدوا فيها كتابا بالسريانية من جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى آخر ما يأتي وعن أبي عبيدة البكري أن قبر مضر بالروحاء بزاي والروحاء على ليلتين من المدينة والله أعلم وكان مضر من أحسن الناس صوتا وهو أول من حدا للابل فانه وقع فانكسرت يده فصار يقول يايداه يايداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وقيل أول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول يايداه يايداه فجاءت اليه الابل من مرعاها أي لان الحداء مما ينشط الابل لاسيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد أعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما أخذت ثلاثة أيام في يوم واحد وفي ذلك حكاية مشهورة ولأجل ما ذكر ذكر أئمتنا انه مستحب * وفي الاذكار للامام النووي رضي الله تعالى عنه باب استحباب الحداء للسرعة في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها فيه أحاديث كثيرة مشهورة ﴿ ومضر بن نزار ﴾ بكسر النون كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح والامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو نزار بن ﴿ معد بن عدنان ﴾ هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلماء بالانساب ومن ثم لما قال فقهاؤنا شرط الامام الاعظم ان يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامعا للشروط التي ذكروها فكناني قال بعضهم وقياس ذلك أن يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فالياسي فان لم يوجد الياسي فمضري فان لم يوجد مضري فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسمعيل لان من فوق عدنان لا يصح فيه شيء ولا يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسمعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع

يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة ومما نقل من شعر أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

* وأما عبد المطلب بن هاشم فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفي رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة واربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بني عدي ابن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقي عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون أي ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت يا غلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بالنصر فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له يا ابن أخي انا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت ان عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن امه وقال لها ان ابن أخي غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فاذنت له فاردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا

عبد المطلب وقيل ان الشمس أثرت فى شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن أخي هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربي يتيما في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبد المن تربى في حجره فنشا عبد المطلب على اكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يامر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتي ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من ارض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن (٢١) باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أى فالظلوم شانه أن تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض عبد المطلب فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبي فى السيرة عن ابن الجوزى وزاد فى المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وفيه يقول القائل

على شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش اذا اصابها قحط شديد تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقى الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبى صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسال الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبى صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه في الاستسقاء فيسقون به وامر اباطالب ان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم معه في الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه فى ذلك اليوم

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك ... وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال يامعشر قريش لا يصل الي هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين اراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب

بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج عربي فى الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بختنصر على العرب امر الله تعالي ارمياء أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فانى ساخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل ارمياء ذلك واحتمله معه الى ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل ثم عاد بعد ان هدأت الفتن أى بموت بختنصر وكان عدنان في زمن عيسي عليه السلام وقيل فى زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو أولى أى ومما يضعف الاول ما في الطبرانى عن ابي امامة الباهلى رضى الله تعالي عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد بن عدنان اربعين رجلا وقعوا فى عسكر موسي عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسي عليه الصلاة والسلام فاوحى الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم النبى الامي البشير النذير الحديث اذ يبعد بقاء معد الي زمن عيسي عليه الصلاة والسلام ومعلوم أنه لا خلاف في ان عدنان من ولد اسمعيل نبى الله تعالى أى أرسله الله تعالي الي جرهم والي العماليق والى قبائل اليمن فى زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الي الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم ان من العماليق فرعون موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم الريان ابن الوليد فرعون يوسف عليه الصلاة والسلام وكان اسمعيل بكر أبيه جاء له وقد بلغ أبوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة وولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسمعيل اربعون ابا وقيل سبعة وثلاثون * وفي النهر لابي حيان رحمه الله ان ابراهيم هو الجد الحادى والثلاثون لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل اول من تسمي بهذا الاسم من بني آدم ومعناه بالعبرانية مطيع الله وأول من تكلم بالعربية أى البينة الفصيحة والا فقد تعلم اصل العربية من جرهم ثم ألهمه الله تعالي العربية الفصيحة البينة فنطق بها * وفي الحديث أول من فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة وفي كلام بعضهم لما اخرج ابراهيم هاجر وولدها اسمعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزودا فيه تمر فلما أنزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهى تقول آلله أمرك ان تدعنى وهذا الصبي في هذا المحل الموحش الذى ليس به انيس قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تاكل من التمر وتشرب من الماء الى ان نفد الماء الحديث وكان انزاله لهما بموضع الحجر وذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافى ما قيل اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له انعم صباحا ويعرب هذا قيل له أيمن لان هودا نبي الله عليه السلام قال له انت أيمن ولدي وسمى اليمن يمنا لنزوله فيه وهو أول من قال القريض والرجز وقيل سمي اليمن يمنا لانه على يمين الكعبة وقيل أن أول من

بالقداح عليه قوله   يارب انت الملك المحمود   وأنت ربي الملك المعبود   من عندك الطارف والتليد   وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش اوغيرهم في عقبة أو مضيق الا تاخروا وتقدم هو ولا (٢٢) يستطيع أحد ان يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التميمي ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقي التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فاتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير او طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فانشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا   والصبح أبلج ضوؤه للسارى
فدعا بصوت واكتنى ليروعني   ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده   وأتيت أهل معالم وفخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه   رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم   والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فاكفا عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب اخرج فقال كيف اخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا سيوفهم على الباب فالقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا أنه أجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته

كتب الكتاب العربي اسماعيل والصحيح أن أول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسمعيل أول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل أول من تكلم بالعربية آدم في الجنة فلما أهبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها آدم سرا من الملائكة وأنطقه بها قيل وأول من كتب الكتاب العربي والفارسي والسرياني والعبراني وغيرها من بقية الاثني عشر كتابا وهي الحميرى واليوناني والرومي والقبطي والبربرى والاندلسي والهندى والصيني آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل الكتاب العربي أي وأما ما جاء أول من خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل * وفي كلام بعضهم أول من تكلم بالعربية المحضة وهي عربية قريش التى نزل بها القرآن اسمعيل وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة وهي لغة الحجاز وما والاها * وجاء من أحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم ان أهل الكهف كلهم أعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وأنهم يكونون وزراء المهدى واشتهر على ألسنة الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال انا أفصح من نطق بالضاد قال جمع لا أصل له ومعناه صحيح لان المعنى أنا أفصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم * واسمعيل عليه السلام أول من ركب الخيل وكانت وحوشا أى ومن ثم قيل لها العراب أولما سيأتي وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسمعيل عليه السلام وفي رواية أوحى الله تعالى الي اسمعيل ان اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمي بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع يأتيك الكنز فخرج الي أجياد فالهمه الله تعالى دعاء فدعا به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب الا جاءته وامكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث أبيكم اسمعيل * وذكر الحافظ السيوطى رحمه الله ان له كتابا في الخيل سماه جر الذيل في علم الخيل وفي العرائس أن الله تعالى لما أراد ان يخلق الخيل قال لريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة على اعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيرين بلا اجناح فانت للطلب وانت للهرب * وعن وهب انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه عليه ان خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين على بها فصبوا في العين التى تردها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تانست * قيل ويجوز أن يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام

وجاء

وجاء ان الله تعالى لما عرض على آدم عليه السلام كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا ما بقوا أبد الآبدين ودهر الداهرين وهذا صريح في أن الخيل خلقت قبل آدم وقد سئل الامام السبكي هل خلقت الخيل قبل آدم أو بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث والاناث قبل الذكور فاجاب بأنا نختار ان خلق الخيل قبل آدم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين أحدهما ان الذكر أشرف من الانثى والثاني حرارة الذكر أقوى من الانثى ولذلك كان خلق آدم قبل خلق حواء فليتامل وقد ذكر الامام السهيلي ان في الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر والنعامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفي الحيوان أعضاء باردة يابسة كالعظام بطبع السوداء وأعضاء باردة رطبة كالدماغ بطبع البلغم وأعضاء حارة يابسة كالقلب بطبع الصفراء وأعضاء حارة رطبة كالكبد بطبع الدم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء أحب اليه بعد النساء من الخيل وجاء ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني أحب اليه من أهله وولده وقيل لبعض الحكماء أي المال أشرف قال فرس يتبعها فرس وفي بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطنها كنز وفي الحديث لما أراد ذو القرنين ان يسلك في الظلمة الي عين الحياة سأل أي الدواب في الليل أبصر فقالوا الخيل فقال أي الخيل أبصر فقالوا الاناث قال فأي الاناث أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك وأعطى الله اسمعيل القوس العربية وكان لا يرمي شيئا الا أصابه وفي الحديث ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا أي قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون فقال حسن هذا اللهو مرتين أو ثلاثا زاد في بعض الروايات ارموا وأنا مع بني فلان فامسك الفريق الآخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم اذا ينضلونا قال ارموا وانا معكم كلكم أخرجه البخاري في صحيحه زاد البيهقي في دلائل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا وقد جاء أحب اللهو الي اجراء الخيل والرمي ارموا واركبوا وان ترموا أحب الي من ان تركبوا وقد جاء أحب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمي وجاء كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه أو تاديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فانهن من الحق وجاء علموا أولادكم السباحة والرمي وفي رواية الرماية وفي رواية علموا بنيكم الرمي فانه نكاية العدو وقد جاء تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وروي مرفوعا حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وجاء من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا وفي رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطي رضي الله عنه والاحاديث المتعلقة بالرمي كثيرة قال وقد ألفت كتابا في

وعنده وفود العرب فذكره كلاما فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فمن أكفا عليه اناء وأجاره بردائه فسكت معاوية رضى الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هـذا لشانا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع احد ان يجلس على فراشه ولا ان يطاه تقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فيجلس على فراشه فاذا أراد أحد من أعمامه ان يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشانا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه شيء أي شرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي رواية ردوا ابني الي مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه شرفا وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبـله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ومما أكرم الله به عبد المطلب وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة ان عمرو بن الحرث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم

بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وادراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها روى ابن اسحق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب انى لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال أحفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال أحفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال أحفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال أحفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قرية النمل بين اساف ونائلة أعني الصنمين اللذين يذبحون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفي الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون ان يتضلعوا منها رواه الدارقطني وروى الزبير بن بكار ان عبد المطلب قيل له أحفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بانه الذي احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبي شيبة فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها وعرف انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له

الرمي سميته غرس الاشاب في الرمي بالنشاب وفي العرائس كان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع والرمي سنة اذا نوى به التأهب للجهاد لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي على حد قوله الحج عرفة والا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمي والسيوف والسلاح وسئل الحافظ السيوطي رضي الله عنه هل (٢) ما ذكره الطبري والمسعودي في تاريخيهما أن أول من رمي بالقوس العربية آدم عليه الصلاة والسلام وذلك لما أمره الله تعالى بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع أرسل الله تعالى له طائرين يخرجان ما بذره ويأكلانه فشكى الى الله تعالى ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال آدم ما هذا يا جبريل فاعطاه القوس وقال هذه قوة الله تعالى وأعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالى وأعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله تعالى وعلمه الرمي بهما فرمى الطائرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته وأنسا عند وحشته ثم صار القوس العربية الى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم الى ولده اسمعيل وهو يدل على ان قوس ابراهيم هي القوس التي هبطت على آدم عليه السلام من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم عليه السلام من الجنة فاجاب الحافظ السيوطي رضي الله عنه بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ آدم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم أجده فيه ولا تبعد صحته فان الله تعالى علم آدم علم كل شئ وذكر ان ابن أبي الدنيا ذكر في كتاب الرمي من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أول من عمل القسي ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم ان اسحق جاء لابراهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة وقيل باربع عشرة سنة أي حملت به أمه سارة في الليلة التي خسف الله تعالى بقوم لوط فيها ولهما من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط في قوم لوط في النساء قبل الرجال باربعين سنة ثم استغني النساء بالنساء والرجال بالرجال فخسف الله تعالى بهم قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان أول من اتخذ القسي الفارسية نمرود فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابراهيم عليه السلام أول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام أي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم وأما خالد بن سنان وان كان من ولد اسمعيل على ما قيل فقال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام أي وكان بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد هذا هو الذي أطفأ النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب ان تعبدها كالمجوس كان يري ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج

(٢) قوله ما ذكره الخ هكذا في النسخ التي بايدينا بلا خبر ولعل الخبر صحيح اونحوه بدليل الجواب اه مصححه

الطى كبر وقال هذا طى اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم واعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فامرهم فحفروا قبورهم وقال من مات وارواه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان لقاءنا بايدينا للموت عجز لنضرب فى الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرني فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد ذكورا لانحرن احدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر عبد المطلب زمزم فى عامه ذلك هو وابنه الحرث قال ابن اسحق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التى كانت قريش تنحر عندها

منها العنق فيذهب فى الارض فلا يجد شيئا الا أكله فامر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا بدا كل هدى وهى تتاخر حتى نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى أطفاها ويذكر أنه كان هو السبب فى خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه وقالوا له انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضا ثم قال اللهم ان قومى كذبونى ولم يؤمنوا بى الا أن تسيل عليهم هذه الحرة نارا فاسلها عليهم نارا فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد ابن سنان اذا استسقى يدخل رأسه فى جيبه فيجىء المطر ولا يقلع الا ان رفع رأسه قيل وقدمت ابنته وهى عجوز على النبى صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها وبسط لها رداءه وقال لها مرحبا بابنة اخى مرحبا بابنة نبى ضيعه قومه فاسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي البخارى انا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى يأتى بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يات بشريعة مستقلة ولا ما جاء فى رواية أخرى ليس بينى وبينه نبى ولا رسول ولا ما فى كلام البيضاوى تبعا للكشاف من أن بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان عليهما السلام أرسله الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز أن يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقرر الشريعة عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا كخالد بن سنان والرس البئر الغير المطوية أى الغير المبنية كذا فى الكشاف والذى فى القاموس كالصحاح المطويه باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها أى وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد أن كان ماؤها يرويهم ويكفى أرضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام أى وكان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذى عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا أعوزه الصيد وكان اذا خطف أحدا منهم اغرب به أى ذهب به الى جهة المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقاء مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة عليه السلام فدعا على تلك العنقاء فارسل الله تعالى عليها صاعقة فاهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم أن حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسمعيل أيضا عليه الصلاة والسلام ثم رأيت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام وانه لما ذكر ان فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفي لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول أنفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند رأسه مصحفا فيه

دماتحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردعني حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تاركه خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرفوا انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك في هذا شركاء فقال لا ولكن هلم الى امر نصف بيني وبينك نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف (٢٦) قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهري انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له في النوم قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحق ففاقت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسمعيل وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب بين

فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلي الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو عبد المطلب عشره بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبولهب والعباس وحمزة

ما يحدث الي يوم القيامة وان من وفاته الي ذلك اليوم ثلثمائة سنة وقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس نبي بل هو رجل صالح لان عيسي ابن مريم عليه السلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص الحديث في البخاري * أقول قد علمت الجواب عن ذلك بان المراد بالنبي الرسول وفيه ان هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض الروايات الا ان يجعل من عطف التفسير والله أعلم والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنه وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا أى كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل * أقول لعل المراد بالكذب الغير المقطوع بصحته لان الخرص حقيقة الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا خرصا اى حزرا وتخمينا وعلى هذا كان الصديقة رضى الله عنها أرادت المبالغة للتنفير عن الخوض في ذلك والله أعلم وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك أى ما زاد على ذلك فقد كذب أقول اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من أن المجمع عليه الي عدنان الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذى سمعه غيره وفى اطلاقه الكذب على ذلك التاويل السابق وأخرج الجلال السيوطى في الجامع الصغير عن البيهقى انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الي ان قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المالوف وهو الابتداء بالاب ثم بالجد ثم بابي الجد وهكذا وقد جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه الصلاه والسلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة في ذلك أنه لم يرد مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فاولا على الترتيب والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبى صلي الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا قال البيهقى والاصح ان ذلك أى قوله كذب النسابون من قول ابن مسعود رضي الله عنه أى لا من قوله صلى الله عليه وسلم * أقول والدليل على ذلك ما جاء كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعنى الذين يدعون علم الانساب ونفي الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع أن يكون هذا القول صدر منه صلي الله عليه وسلم أولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضى إما الزيادة على المجمع عليه وإما النقص عنه أي زياده أدد ونقص عدنان فهى مخالفة لما قبلها وفي كلام بعضهم ان

وأبو طالب وعبدالله وأقرالله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول ياعبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي أن قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وماهو أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الي الوفاء بالنـذر فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل ان يراش ويوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له فيضربها فدفع عبدالمطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فاصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبدالله وكان أحبهم اليه فقبض عبدالمطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم اقبل الى إساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر عندها النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له اساف بن يعلي والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضا وكان أساف يتعشقها في أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فاصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعـوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبدالمطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ماتريد ان تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكان عبدالله بن اخت القوم والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه باموالنا فديناه وقالوا انطلق الى فلانة الكاهنة فلعلها أن تامرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر وقص عليها عبدالمطلب القصة

بين عدنان وأدد أد فيقال عدنان بن أد بن أدد قيل له أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو أول من تعلم الكتابة أى العربية من ولد اسمعيل وتقدم أن الصحيح ان أول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك مارواه الهيثم بن عدي ان الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الي الحجاز حرب بن أمية بن عبدشمس وقد يقال الاولية اضافية أي من قريش وعدنان سمى بذلك قيل لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل من الآباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر وقيل أربعون والله أعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا أى لا يكاد يحاط بها فقد جاء كان ما بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة قرون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الدنيا أى من آدم عليه السلام سبعة آلاف سنة أى وقد مضى منها قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة وعن ابن خيثمة وثمانمائة سنة قلت وفي كلام بعضهم من خلق آدم الي بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث والآثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة أصلا وانما تزيد نحو أربعمائة سنة تقريبا وما اشتهر على ألسنة الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره أكثر من ألف سنة باطل لا أصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالفه ماأخرجه أبو داود لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة وفي كلام بعضهم قد أكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة أى وهى سبعة وبعضهم اثناعشر الف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة ألف وستون ألفا بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربى أكمل الله خلق الموجودات من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين الف سنة ثم خلق الله الدنيـا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي أربع وخمسون ألف سنة ثم خلق الله تعالى الآخرة يعنى الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعـالى للجنة والنار أمدا ينتهى اليـه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد ان مضي من عمر الدنيا تسع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التى لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالي الجان في الارض قبل آدم بستين الف سنة أى ولعل هذا هو المعني بقول بعضهم خلق الله قبل آدم خلقا في صورة البهائم ثم أماتهم قيل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سيأتى قال الشيخ محي الدين وقد

فقالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فاساله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أي احضروه الي موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا حتى يرضى ربكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهي تخرج على عبد الله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهي رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روي انه صلي الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم في المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسة وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضي الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفي هذا الحديث دلالة على ان الذبيح هو اسمعيل لا اسحق وفي ذلك خلاف مشهور ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل عليه السلام ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكارا لشأن اسمعيل وأمه ومعلوم أنهما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح

طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فقال لي واحد منهم أما تعرفني فقلت لا قال أنا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع وأربعون الف سنة فقلت ليس لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلي الله عليه وسلم ان الله خلق مائة الف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سال بنو اسرائيل المسيح عليه الصلاة والسلام ان يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال أروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى فقام وادار رأسه ولحيته بيضاء فقال انك مت وشعرك أسود فقال لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب رأسي ولحيتي الآن فقال له عيسي عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم ان قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من أن أول من كتب معد او نزار وفي كلام سبط ابن الجوزي ان سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين آدم ونوح وفيما بين الانبياء من السنين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شاء رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه أي لو أراد ان يعلم ذلك للناس لعلمه لهم وهذا أولي من يعلمه بفتح الياء وسكون العين وذكر ابن الجوزي ان بين آدم ونوح شيثا وادريس وبين نوح وابراهيم هود وصالح وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسمعيل واسحق ولوط وهو ابن أخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدى وتسعون سنة وكان فراقه له وليوسف من العمر ثماني عشرة سنة وبقيا مفترقين احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفي الاتقان ألقي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد ثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام أن سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي أمه فلم يرض الله تعالي له ذلك فاراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى بن عمران بن منشا وبين موسي بن عمران وهو أول انبياء بني اسرائيل وداود يوشع وكان يوشع كهرون يكتب لموسي ويذكر أن مما أوصي به داود ولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان أي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فيجترئ عليك ولكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل آكد أسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد

حليما في قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما في قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد أن قص في كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسمعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية ان أكبر الاولاد أحب الي الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سال الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فامر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة (٢٩) حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسمعيل
نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا
وأبان به التفسير والتاويل

وروى فيما ذكره المعافي ابن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سال رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق واعلم أن بعض العلماء ذكر أن أعمام النبي صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تاخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة * ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزي وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت الي وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه *

حقد عليه وأقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر فيه من القول أو الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء واذا غضبت فالصق نفسك بالارض أى وقد جاء في الحديث اذا جهل على أحدكم جاهل فان كان قائما جلس وان كان جالسا فليضطجع وممن مات من الانبياء لحياة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل عليهم أفضل الصلاة والسلام ثم بعد يوشع كالب بن يوقنا وهو خليفة يوشع بن حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان أمه سالت الله تعالى أن يرزقها ولدا بعد ما كبرت وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل والياس ثم طالوت الملك أى فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة ساله بنو اسرائيل أن يقيم فيهم ملكا فاقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من أعيانهم بل كان راعيا وقيل سقاء وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى عليهم السلام وهو آخر أنبياء بني اسرائيل أيوب ثم يونس ثم شعياء ثم أحصياء ثم زكرياء ويحيي عليهم السلام وفي النهر لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد آتينا موسي الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسي من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير أي وهو من أولاد هرون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكرياء ويحيي وكان بين موسي وعيسي ألف نبي هذا كلامه وكان يحيي يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسي ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته وعلو مكانه ماجاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الابهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة قال وعن سعد بن أبي وقاص أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله تعالى اهـ أى وأشد الاهانة ما كان في الآخرة وحينئذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم أو المراد المبالغة ويكون ذلك من خصائص قريش فلا ينافي ان حكم الله المطرد في عدله ان لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازى على الافعال والاقوال الواقعة أو ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصائص هذه الامة عدم مؤاخذتها بما تحدث به نفسها وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا أى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل أى على أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معني عبادتهم الله تعالى دون

والحل لاحل فاستبينه يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه وفي السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكم البادون في كل بلدة * بان لنا فضلا على سادة الارض وان أبي ذو المجد والسودد الذى * يشار به ما بين شرالى خفض أى ارتفاع وانخفاض وروي ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة في وجه (٣٠) عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبي قالت اني رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحاتم القطر فسما لها نور يضيء به ما حوله كاضاءة الفجر ورأيت سقياها حيا بلد وقعت به وعماره القفر ورأيتها شرفا ينوء به ما كل قادح زنده يورى لله مازهرية سلبت منك الذى سلبت وما تدري وقد روي عن العباس رضى الله عنه انه لما بني عبد الله بآمنة رضى الله عنهما احصوا مائتى امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على مافاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة في قريش الامرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة

﴿ ومن الارهاصات ﴾ التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة اصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيدا لمولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر ابرهة سائس الفيل ان يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب اطلاق ابله التى أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه الى اهل مكة ليدخل الرعب في قلوبهم فلما دخل مكة ورأي عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له ابرهة اسأل عن سيد اهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد

غيرهم في تلك المدة وعن أنس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش أي وقال الائمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش وفي الحديث عالم قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة من الائمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضى الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وفي كلام بعضهم ليس في الائمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه أن الامام مالك بن أنس من قريش ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من ان جماع قريش قصي وقد ذكر السبكي انهم ذكروا ان من خواص الشافعي رضى الله تعالى عنه من بين الائمة ان من تعرض اليه أو الى مذهبه بسوء أو نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا اهانه الله تعالى هذا كلامه قال الحافظ العراقي اسناد هذا الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما لا يخلو عن ضعف وبه يرد ما زعمه الصغاني من أنه موضوع وحاشا الامام احمد أن يحتج بحديث موضوع أو يستأنس به على فضل الشافعي وقال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل ذلك أي في المناقب وزعم وضعه حسد أو غلط فاحش أي وعن الربيع قال رأيت في المنام كان آدم مات وسألت عن ذلك فقيل لى هذا موت اعلم اهل الارض لان الله علم آدم الاسماء كلها فما كان الا يسير حتى مات الشافعي رضى الله تعالى عنه ورضي عنا به ومما يؤثر عن امامنا الشافعي رضى الله تعالى عنه من اطراك في وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم عليك ومن اذا أرضيته قال فيك ماليس فيك اذا أسخطته قال فيك ماليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها أي لا تتقدموها وفي رواية ولا تعالموها أي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها أي لا تجعلوها في المقام الادني الذى هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي السنن المأثورة عن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رواية المزني عنه قال الطحاوى حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي رضى الله تعالى عنه ان قتادة بن النعمان وقع بقريش وكأنه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رأيتهم عجبت بهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذى لها عند الله تعالى أي لولا انها اذا علمت مالها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل وربما ارتكبت مالا يحل

حربا فأتني به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد ان أفاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى ابرهة واستاذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستاذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس في السهل والجبل والوحوش والطير في رؤوس الجبال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم في عين ابرهة فاجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل (٣١) عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه الي جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتي أن يرد الملك على مائتي بعير اصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه فقال عبد المطلب اني انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال قال ما كان يمتنع مني قال أنت وذاك فرد عليه ابله فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاء هو الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فارسل الله عليهم طير الابابيل وأهلكهم كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح ان قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت في عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء في بعض الروايات ان نور النبي صلى الله عليه وسلم استدار في وجه عبد المطلب لما اقبل على ابرهة مع أن النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لانها في ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت الا انه كان يستدير في وجهه مثل ذلك النور الذي كان قبل انتقاله ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة وذلك من جملة

يحل اتكالا على ذلك لأ علامتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أي من طلب لها المكايد أكبه الله تعالى لمنخريه أي أكبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له والله يا ابن اخي ما قتلت أباك يوم بدر وما لي ان أكون اعتذر من قتل مشرك فقال له سعيد ابن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر من قوله وقال قريش أفضل الناس أحلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا كلامه والذي قتل العاص والد سعيد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه فعن سعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر العاص وأخذت سيفه ذا الكثيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفي رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس أي ولعله سقط من هذه الرواية لفظ شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضي لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانه ممن يقتدى به فكانوا أشر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار شرار الناس ثم رأيت في كتاب السنن المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ما رواه المزني عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش أهل أمانة هكذا قرأه علينا المزني اهل امانة أي بالنون وانما هو اهل امامة أي بالميم وفي كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة * ومما يدل على شرف هذا النسب أيضا ما جاء عن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارني على من انا منه من أولئك العرب وما جاء عن واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم أقول وجاء بلفظ آخر عن واثلة ابن الاسقع وهو ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم عليهما السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزارا ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب والله أعلم قال وفي رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وما جاء عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال لي يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الارض ومغربها وسهلها وجبلها فلم اجد حيا خيرا

الارهاصات أيضا ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينا أنا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا التي ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها اني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها (٣٢) وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فقال عبد المطلب لأبي طالب لعلك ان تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج أي بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أي أخشى أو يمنعني وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان ان عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا لا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض وقد صح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه وفي السيرة الحلبية قال

من مضر ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حيا خيرا من كنانة ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حيا خيرا من قريش ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حيا خيرا من بني هاشم ثم أمرني أن اختار في أنفسهم أي اختار نفسا من أنفسهم فلم أجد نفسا خيرا من نفسك انتهى وفي الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانيها وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فأنا خيار من خيار الى خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت أولاده كلها قريشا وعن أبي هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقي ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم أخرجني من خيار من أنا منه قال بعضهم وما جاء في فصل قريش فهو ثابت لبني هاشم والمطلب لانهم أخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفي الشفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أبر ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية هذا كلام الشفاء فليتامل والى شرف هذا النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

أي ظهر لهذا العالم منك كريم أي جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لي من فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من أب كريم سالم من نقص الجاهلية آباؤه الشامل للامهات جميعهم كرماء أي سالمون من نقائص الجاهلية أي مابعد في الاسلام نقصا من أوصاف الجاهلية وهذا نسب

الحافظ السيوطي الذي تلخص ان اجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم اى في الاحاديث واقوال السلف وبقي مره وعبد المطلب أربعة اجداد لم اظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام اى لم يعبد الاصنام وقيل ان الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وقد اشار الي

ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا
رلك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهره وفي رواية خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الي ان ولدني أبي وامي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح اهل الاسلام * ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل اول زوجة تزوجها قيله بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي ام ولده الحرث وان سبب تزوجه انه بعد ان بلغ الحلم نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل ذلك به فاخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الي كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيله بنت جندب فولدت له الحرث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في قريش خلقا وخلقا وفي رواية كان أكمل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم الى قريش وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي روايه يرى في وجهه كالكوكب

لا اجل منه ولجلالته اذا تأملته تظن بسبب ما تحلى به من الكمالات أي معاليها جعلت الحوراء نجومها التي يقال لها نطاق الحوراء قلادة لتلك المعالي وهذه القلادة نعم هي قلادة سياده وتمدح موصوفة بانك في تلك القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها لا يقال شمول الآباء للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعي في الآباء خاصة لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوى او قد يقال سلامة آبائه من النقائص انما هو من حيث أبوته اى كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم ان تكون امهاته كذلك وسيأتي لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى وقد قال الماوردي في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه ابي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أنساب عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف القوم قومه واشرف القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي أبغضهم وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يارسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضني وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم ألا من احب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد يوم القيامه بيدي وان اقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وفي كلام فقهائنا العرب اولى الامم لانهم المخاطبون اولا والدين عربي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله تعالى آدم الا كنت في خيرهما * اهـ وفي لفظ آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم حين خلق القبائل

الدرى وفى شرح المواهب كان يتلألأ نورا فى قريش وكان اجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن ان تذهل عقولهن قال أهل السير فلقي عبدالله فى زمنه من النساء من العناء مثل مالقى يوسف في زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه باحب الاسماء الى الله ففي الحديث أحب الاسماء الي الله عبدالله وعبدالرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان داعة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يابى لديانته وعفته فاتى عبدالمطلب عم آمنة وهو وهب ابن عبد مناف بن زهره بن قصي وقيل ان وهبا المذكور ابوها الاعمها فزوج آمنة لعبدالله وهي يومئذ افضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله صلي الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم أجرى فرسه مع ابى ايوب الانصارى رضي الله عنه فسبقته فرس المصطفي صلي الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه وقال في بعض غزواته

أنا النبي لا كذب

انا ابن عبدالمطلب

أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب او الطاهره وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم أحد انا ابن الفواطم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم اربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولهن أم لؤى بن غالب واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال ام ابي امه صلي الله عليه وسلم وهب وقيل اراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم ابكارا ارضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة * وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبدالله وفاطمة ام قصي وقيل لم يرد خصوص الامهات التي فى عمود نسبه بل اراد الاعم حتي يشمل فاطمة ام اسد بن هاشم وفاطمة بنت اسد

جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وأنا خيرهم نسبا وفي لفظ آخر عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل الثلاث قبائل فجعلني فى خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا وتقدم عن الشفاء مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالآيات وتقدم الامر بالتامل في ذلك والله أعلم وفيه أنه ورد النهى فى الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الآباء في الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فو الذى نفسي بيده مايدحرج الجعل بانفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية أى والذى يدحرجه الجعل هو النتن وجاء في الحديث ليدعن الناس فخرهم فى الجاهلية أو ليكونن أبغض الى الله تعالى من الخنافس وجاء آفة الحسب الفخر أي عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك وأجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم أى ومن ثم جاء فى بعض الروايات قوله ولا فخر أى فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر وهو اشاره الى نعمة الله تعالي عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر أيضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الي نبي حتى أخرجت نبيا أى وجدت الانبياء فى آبائه وسيأتى انه قذف بي في صلب آدم ثم فى صلب نوح ثم في صلب ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بدليل مايأتي فيه وفي لفظ آخر عنه مازال النبى صلي الله عليه وسلم يتقلب في أصلاب الانبياء أى المذكورين اوغيرهم حتي ولدته أمه اي وهذا كما لايخفي لاينافي وقوع من ليس نبيا فى آبائه فالمراد وقوع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة ان آباءه كلهم ليسوا أنبياء لكن قال غيره لازال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الي ساجد قال أبو حيان واستدل بذلك اى بما ذكر من الآية المذكورة اى المفسرة بما ذكر الرافضة على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين اي لان الساجد لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسياتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال ظاهري والا فالآية قيل معناها وتصفحك أحوال المتهجدين من اصحابك لانه نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بناء على انه كان واجبا عليه وعلى أمته وهو الاصح وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان واجبا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر حالهم اى هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير أي لان الله عزوجل افترض عليه صلى الله عليه وسلم اي وعلى أمته قيام الليل أو نصفه او اقل او أكثر فى أول سورة المزمل ثم نسخ ذلك فى آخر السورة بما تيسر أي وكان نزول ذلك بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس

التى هى أم على بن ابي طالب رضى الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتى قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد دفع اليه ثوبا حريرا أقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن ررام وأمها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم * والسبب الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بني هاشم قال أتاذن لى أن أنظر بعضك قلت نعم مالم يكن عورة ففتح احدى منخرى فنظر فيها ثم نظر في الاخرى فقال أشهد ان فى احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة في بنى زهرة وكيف ذلك قلت لا أدري قال هل لك من شاعة أى زوجة من بني زهرة قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما اخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهره لولده عبد الله ان سوده بنت زهرة الكاهنه عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فامر ابوها بوادها وارسلها الي الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع سجع آخر في ذلك المعني فرجع الي أبيها واخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبني زهرة فيكم نذيره او تلد نذيرا له شان وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة * ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم * منها انها لم تشك لحمله ثقلا وأتاها آت في المنام وقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها

الخمس ليلة المعراج كما سياتى وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت أن آخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بان الاخبار دالة على أن قوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله لان القتال في سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر اختيار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك فى الساجدين وتقلبك في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا فى الساجدين أى المصلين ففي الساجدين ليس متعلقا بتقلبك بل ساجدا المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين ان من جملة آبائه صلى الله عليه وسلم آزر والد ابراهيم الخليل صلي الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا نقول أجمع اهل الكتابين على ان آزر كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة اما فقد حكى الله عن يعقوب عليه السلام انه قال آبائى ابراهيم واسمعيل ومعلوم ان اسمعيل انما هو عمه اي ويدل لذلك ان أبا ابراهيم كان اسمه تارح بالمثناة فوق والمعجمة كما عليه جمهور اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ فى الفتح لا آزر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لان آزر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارح كيعقوب واسرائيل قال بعضهم وقد تساهل من اخذ بظاهر الآية كالقاضي البيضاوى وغيره فقال ان ابا ابراهيم مات على الكفر وما قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما في النهر نقلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آزر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطي رحمه الله يستنبط من قول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمده طويلة ان المذكور في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له اى في قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه هو عمه لا أبوه الحقيقي قال ولله الحمد على ما ألهم اى ولا يخفي ان هذا لا يتم الا اذا كان ابوه الحقيقى حيا وقت التبري منه وان التبرى سببه الموت أي موت عمه على الكفر لا الوحى بانه يموت كافرا فليتامل وحينئذ يكون ابوه الحقيقي هو المعنى بقول ابى هريره أحسن كلمة قالها ابو ابراهيم ان قال لما رأى ولده وقد ألقي في النار على تلك الحال اى في روضة خضراء وحوله النار لم تحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم وكان سنه حين ألقى فى النار ست عشرة سنة كما فى الكشاف وفى كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما سجن ثلاث عشره سنة وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالي آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه قال صلي الله عليه وسلم فاهبطنى الله تعالي الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني فى صلب ابراهيم عليهم الصلاة والسلام

وتوفى أبوه وأمه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بني عدى بن النجار وهم أخوال أبيه عبد المطلب لان أمه منهم فاقام عندهم مريضا شهرا ولما قدم اصحابه مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند اخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا فى الغمائم دعته المنايا دعوة فاجابها * وما تركت في الناس مثل ابن هاشم عشية راحوا يحملون سريره (٣٦) * تعاوره أصحابه في التزاحم فان تك غالته المنون وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما لا اب له فقال الله تعالى لهم أنا له حافظ ونصير وفي رواية انا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم أى ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين وليعلم ان العزيز من أعزه الله وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالي وأيضا ليرحم الفقير واليتيم * ولما دنت ولادتها اتاها آت في المنام فقال لها قولى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي اهـ * ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها * وعن كعب الاحبار ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة ووقع لها ايضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم * وروى الحاكم باسناد صحيح ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابى ابراهيم وبشري

ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط * اقول قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطني ينبغي ان لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى الخ فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش وانه صلى الله عليه وسلم انفرد عن نور قريش وأودع في صلب نوح عليه السلام الخ بل على ما يأتى من قوله كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام اللازم لذلك أن يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره صلى الله عليه وسلم وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء عليهم السلام لا تخفي وهى انهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذريته نوح هود وصالح عليهما السلام ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وهرون بناء على انه شقيق موسي أولابيه والاوصياتي ان نوره انتقل الى شيث وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما عن ابيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربي قبل خلق آدم عليه السلام باربعة عشر ألف عام ورأيت فى كتاب التشريفات فى الخصائص والمعجزات لم أقف على اسم مؤلفه عن أبي هريرة رضى الله تعالي عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست أعلم غير ان في الحجاب الرابع نجما يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب رواه البخارى هذا كلامه فلما خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور فى ظهره أي فهو حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونها نورا بل سيأتى ما يدل على ان نوره صلى الله عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور آدم وذريته وحينئذ يحتاج الي بيان وجه كون آدم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم وجعل نوره صلى الله عليه وسلم في ظهر آدم عليه السلام فقد تقدم في الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره أي فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره الخ ما يأتى ثم انتقل الى ولده شيث الذى هو وصيه وكان من جملة ما اوصاه به انه يوصي من انتقل اليه ذلك النور من ولده انه لا يضع ذلك النور الذى انتقل اليه الا فى المطهرة من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الماضية الى ان وصل ذلك النور الى عبد المطلب أي وهذا السياق يدل على ان ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من آبائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص بعض آبائه بذلك ولم تلد حواء ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور قيل مكث في بطنها حتي نبتت أسنانه وكان ينظر الى وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد آدم عليه السلام وكانت تلد ذكرا وانثى معا أى فقد قيل انها ولدت لآدم أربعين ولدا في عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان آدم عليه السلام لما

مات

مات بكى عليه من ولده وولد ولده اربعون ألفا ولم يحفظ من نسل آدم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته أي فانهم لم يعقبوا أصلا فهو أبو البشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قلت يا رسول الله بابي انت وأمي اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث وفيه انه اصل لكل موجود والله سبحانه وتعالى أعلم * واختلف الناس في عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذي في الاصل عن الزبير بن بكار انها ست طبقات وان أولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقي في قوله

للعرب العرباء طباق عدة * فصلها الزبير وهي ستة
اعمها الشعب فالقبيلة * عمارة بطن فخذ فصيلة

أي فالشعب اصل القبائل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطون والبطن اصل الفخذ والفخذ اصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلى الله عليه وسلم وقريش عمارته صلى الله عليه وسلم وقصي بطنه صلى الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلى الله عليه وسلم وبنو العباس فصيلته صلى الله عليه وسلم وقيل بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء وقيل بعدها الفصيلة قال ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها محمد بن سعد اثنى عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفي كلام بعضهم الاسباط بطون بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتأمل

باب تزويج عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة أمه صلى الله عليه وسلم وحفر زمزم وما يتعلق بذلك

قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان احسن رجل في قريش خلقا وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية انه كان أحسن رجل رئي بكسر الراء وبضمها ثم همزة مفتوحة منظرا في قريش وفي رواية انه كان اكمل بني ابيه وأحسنهم واعفهم واحبهم الى قريش وقد هدى الله تعالى والده فسماه باحب الاسماء الى الله تعالى ففي الحديث أحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك لان اباه عبد المطلب حين امر في النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه السلام أي لان الله تعالى اخرج زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل كما يأتي ان شاء الله تعالى في بناء الكعبة أخرج زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكانت جرهم قد دفنتها اى فان حرهما

أخي عيسى ورأت امي حين حملت بي كأنه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وصح أيضا انها رأت ذلك عند الولادة قيل ان الذي عند الحمل كان مناما والذي عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرغد والمطر من كل جانب في تلك السنة واذن الله تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا أي على صورة المختون مكحولا نظيفا ما به قذر ولبعضهم

وفي الرسل مختون لعمرك خلقه * ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بانه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفي رواية عن أمه انها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية شاخصا ببصره الى السماء وفي رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الارض أي لانه قبض عليها وصارت في يده * وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني انه سطع منها نور اضاء له قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضى الله عنه في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وأنت لما ولدت أشرقت الـ * ـارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو * ر وسبل الرشاد نخترق

* وقال البوصيري في الهمزية

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

* قال في المواهب وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من

النور الذى اهتدى به اهل الارض زالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الي النور باذنه ويهديهم الي صراط مستقيم * روي السهيلي انه صلي الله عليه وسلم لما ولد تكلم وقال جلال ربى الرفيع وروى أيضا انه قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وعن عثمان بن ابي العاص عن أمه رضى الله عنها انها قالت اشهدت ولادة النبي صلي الله عليه وسلم ليلا قالت فلم انظر من البيت الا نورا وانى لا نظر الي النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن على وقولها ليلا (٣٨) أى قرب الفجر جمعا بين الروايات قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التي ولد فيها

لما استحقت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم مضاض بكسر الميم وحكي ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما رأى ذلك منهم عمد الى غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وماوجد فيها من الاموال أي السيوف والدروع على ماسياتى التى كانت تهدى الي الكعبة ودفنها في بئر زمزم وفي مرآة الزمان ان هاتين الغزالتين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان أول ملوك الفرس الثانية ورد بان الفرس لم يحكموا على البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافي ذلك وليتامل وكانت بئر زمزم نضب ماؤها أى ذهب فحفرها مضاض بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي ودفن الحجر الاسود أيضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله تعالي عليهم خزاعة فاخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصي ومن بعده الي زمن عبد المطلب ورؤياه التي أمر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسمائة سنة أى وكان قصي احتفر بئرا في الدار التي سكنتها أم هانئ أخت على رضي الله تعالى عنهما وهى أول سقاية احتفرت بمكة فعن على بن ابي طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشى فمات بها وانتفخ فنزحت من أجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة اعين اقواها واكثرها التي من ناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال المعجمة اى لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة اى قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها احد لان خالد بن عبد الله القسرى امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك ذمها وسماها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها وفيه ان هذا اجتراءة منه على الله تعالي وقلة حياء منه وهو الذي كان يعلن ويفصح بلعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه على المنبر فلا عبرة بذمه وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وقد جاء في رواية يقول الله تعالى ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد الا على اتباعك فيكون بمعنى ماقبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الي قومه وقال لهم اني قد أمرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك أين هى قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذى رأيت فيه مارأيت فان يكن حقا من الله تعالى بين لك وان يكن من

في قوله تعالى والضحي والليل وقيل المراد الاسراء * وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيرى فى الهمزيه شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذى فيه انه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا * وعن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قالت لما اخذنى مايأخذ النساء اى عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى مارأيت اضوأ منهن وجوها وكان واحده من النساء تقدمت الي فاستندت اليها واخذنى المخاض واشتد على الطلق وكان واحده منهن تقدمت الي وناولتنى شربة من الماء اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لى اشربى فشربت ثم قالت الثانيه ازدادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لى اى تلك النسوه نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وام عثمان عندها ولعل الحكمة في شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلي الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم اخت موسي عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوه ان يطاهن احد فقد روي ان آسيه لما زفت الي فرعون اخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضى عنها بالنظر

الشيطان

اليها قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الاناء لاينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه وفي رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب اى يسيل لبنا * ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال ليس بشرا سويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فاخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فحملته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة فوقع بعدن * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وازداد ذلك عند البعث * وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال أني لغلام يفعة أي غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة أي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة * وعن كعب الاحبار قال رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى من بطن أمه وموسى

الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فاتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهى ميراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب أين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا أى والاعصم قيل أحمر المنقار والرجلين وقيل أبيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالى حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المرأة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم ابيض الجناحين وقيل أبيض احدى الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أى في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم أن قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها أى التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية انه لما قام يحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لايبعد لانه يجوز أن يكون فهم ان يكون الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه في ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فارسل الله له تلك البقرة ليرى الامر عيانا وذكر السهيلي رحمه الله لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا بأس بها ولعل اسافا ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحى من جوف الكعبة الي المحل المذكور فلا يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اسافا كان على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما أي ومن ثم لما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف أى السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب أعصم فوقع في الفرث فليتأمل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الاولى فندت بقرة من ذابحها أى ممن شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها أى تمم ذبحها فقد نحرت بالحزورة وبالمسجد او يراد نحرها في الحزورة ذبحها ونحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد رأينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع آخر ثم يقع به وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحرث ذدعني اى امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما رأوه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى أى البناء فكبر وقال هذا طى اسمعيل عليه السلام اى بناؤه فعرفت قريش انه اصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله يا عبد

اخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وصار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها ترويه عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات اى متتابعات (٤٠) كانهن عرف فرس اى وتلك العلامة هي خاتم النبوة أى علامتها والدليل عليها

لا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودي فاخبروه الخبر اى قالوا له اعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معي حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على أمه فقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل افرحتم به يامعشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب * وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اى الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يامعشر رضى قريش قد ولد نبي هذه الامة هذه الليلة في بحرتكم اي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الي مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اى يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع ويملك العجم اى ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اى ادرك بعثته واتبعه اصاب حاجته اى ما يؤمله

المطلب انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا انا مخاصمك فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت باعالي الشام أى ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فمهما وذكرت ان سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح ستاتى ترجمته وأما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحده وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه وماء اصحابه فظمئوا ظمأ شديدا حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا ممن معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا نخشى على أنفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ما ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فقال اني أري ان يحفر كل احد منكم حفيرة يكون فيها الى ان يموت فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أى تركه بلا مواراة أيسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما أمرت به فحفر كل حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا الى الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسى الله ان يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ماهم فاعلون فتقدم عبد المطلب الي راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى لك علينا ياعبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الي سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الي الكاهنة فلما جاء وأخذ في الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب التي دفنتهما جرهم ووجد فيها أسيافا وادراعا فقالت له قريش ياعبد المطلب لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم اعطوها لصاحب القداح الذى يضرب بها عند هبل أي وجعلوا الغزالتين قسما والاسياف والادراع قسما آخر وقام عبد المطلب يدعو ربه بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالتين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليت به الكعبة ذلك * ومن ثم جاء عن ابن عباس

من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته وكان لا يولد مولود بمكة الا ويسئل عنه فيقول ماجاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم أي الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا انه وجع فيشتكي أي لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها وذلك جل اعمار أمته وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبه فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذى تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام وفي السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة وقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أي مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض الشرق والغرب

قال في الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف ان قد * ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس اي اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء في غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤوس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل في بنائه

رضي الله عنهما والله ان اول من جعل باب الكعبه ذهبا لعبد المطلب * وفي شفاء الغرام أن عبد المطلب علق الغزالتين في الكعبه فكان أول من علق المعاليق بالكعبه وسياتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حليا لباب الكعبة وقد كان بالكعبه بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله تعالى عنه لما فتحت مدائن كسرى كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبه وعلق بها عبد الملك ابن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صحفة خضراء وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية وبعث المأمون بياقوته كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن الموسم في سلسله من ذهب ولما أسلم بعض الملوك في زمنه أرسل اليها بصنمه الذى كان يعبده وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبه ثم ان الغزالين سرقتا وأبيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها فاشتروا بثمنهما خمرا وقد ذكر أن ابا لهب مع جماعه نفدت خمرهم في بعض الايام واقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمرا وطلبتها قريش وكان أشدهم طلبا لها عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان ممن هرب أبو لهب هرب الى اخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزالة الكعبة وقد قيل منافع الخمر المذكوره فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من النواحي لكثرة ما يربحون فيها لانه كان المشتري اذا ترك المماكسه في شرائها عدوه فضيله له ومكرمه فكانت أرباحهم تتكاثر بسبب ذلك وماقيل في منافعها انها تقوى الضعيف وتهضم الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحراره الغريزية وتزيد في الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع وصارت ضررا صرفا ينشأ عنها الصداع والرعشة في الدنيا لشاربها وفي الآخره يسقى عصاره أهل النار وفي كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجاءة ومميتة للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جاء انها أي الخمرة ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر أى كان مغلقا وجاء الخمر أم الفواحش وفي رواية أم الخبائث وجاء في الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى الله من استشفى بها وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالين علقتا في الكعبة وسرقتا أو سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حليا للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب استخلص الغزالتين أو الغزالة من التجار ثم جعلهما حليا للباب بعد ان كان علقها وفي الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من آبار حفرت بمكة واول من حفر بها بئرا قصي كما تقدم وكان الماء العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وولده يملآنه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين

وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض يروي أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيي ابن خالد البرمكي ياامير المؤمنين لاتهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوه بحيث صارت يابسة كان لم يكن بها شئ من الماء مع شده اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعي ايوان كسرى ولولا * (٤٢) آية منك ماتداعي البناء
وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسري قد رأي ماهاله وافزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما اصبح تصبر ولم يظهر الا ارتياح لهذا الامر الذى رآه تشجعا ثم رأي انه لايدخر هذا الامر عن مرازبته اى فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال اتدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينماهم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادى سماوة انقطع تلك الليلة ويكون وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيره طبرية فازداد غما الي غمه ثم اخبرهم بما رأي وماهاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان وانا اصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الليل فقال أى شئ هذا ياموبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الي عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسري ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما بعد فوجه الي رجلا عالما بما اريد ان اساله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغسانى

يصبح فلما اكثروا من ذلك وجاء شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا فاري في المنام ان قل اللهم انى لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل أى حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادي بذلك فلم يكن يفسد حوضه أحد واغتسل الارمى في جسده بداء ثم ان عبد المطلب لما قال لولده الحرث دعني أى امنع عني حتي احفر وعلم انه لاقدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى عليه ليذبحن احدهم عند الكعبة أي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف أبا المطعم قال له ياعبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذلا ولد لك أى متعدد بل لك ولد واحد ولا مال لك وما انت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب أتقول هذا وانما كان نوفل أبوك في حجر هاشم أى لان هاشما كان خلف على أم نوفل وهو صغير فقال له عدى وأنت أيضا قد كنت في يثرب عند غير أبيك كنت عند أخوالك من بنى النجار حتى ردك عمك المطلب فقال له عبد المطلب أو بالقلة تعيرني فلله على النذر لئن آتاني الله عشرة من الاولاد الذكور لانحرن أحدهم عند الكعبة وفي لفظ ان اجعل احدهم لله ذبيحة قيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله حفر زمزم وعن معاوية رضي الله عنه ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر فيها ان ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة أي وحفر زمزم أمر في النوم بالوفاء بنذره أى قيل له قرب احد اولادك اى بعد ان نسي ذلك وقد قيل له قبل ذلك اوف بنذرك فذبح كبشا واطعمه الفقراء ثم قيل له في النوم قرب ماهوا كبر من ذلك فذبح ثورا ثم قيل له في النوم قرب ماهوا كبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له في النوم قرب ماهوا كبر من ذلك فقال وماهوا كبر من ذلك فقيل له قرب احد اولادك الذى نذرت ذبحه فضرب القداح على اولاده بعد ان جمعهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء وأطاعوه ويقال ان اول من اطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله أى وكان اصغر ولده واحبهم اليه مع ما تقدم من اوصافه فاخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف ونائلة والقاه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى ان مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها ومنه رضي الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة أعوام اونحوها فجيء به حتي نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لى قبل اخاك فقبلته وقيل منعه اخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا له ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة وفي رواية واعظمت قريش ذلك أى وقامت سادة قريش من انديتها اليه ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لا تفعل حتي تستفتي فيه فلانة الكاهنة اى لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لايزال الرجل ياتي بابنه حتى يذبحه أى

وهو معدود من المعمر بن عاش مائة وخمسين فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد ان اسالك عنه قال ليسالني الملك بما أحب فان كان عندى علم منه اعلمته والا اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذى وجهه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام أى اعاليها وهى الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ائتنى بتفسيره فخرج عبدالمسيح حتى انتهى الي سطيح وقد أشفى على الضريح أي الموت وعمره اذذاك ثلثمائه سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لاجوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوي الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الي حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذى يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عما يسال عنه وكانت جمجمته اذا لمست اثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشا يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التي أولها

* أصم أم يسمع غطريف اليمن *

فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبدالمسيح على جمل مشيح أى سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبدالمسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهوآت آت ثم مات سطيح من ساعته * وذكر الطبري ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء فى المنام فقيل له سلم مافي يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض

ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ماوقع لك من النذر وقال له بعض عظماء قريش لا تفعل ان كان فداؤه باموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر فاتها فاسالها فان امرتك بذبحه ذبحته وان امرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فاتاها أى مع بعض قومه وفيهم جماعة من اخوال عبدالله بن مخزوم فسالها وقص عليها القصة فقالت ارجعوا عني اليوم حتي ياتي تابعي فاساله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءنى الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتي تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة عشرة حتي بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضى ربك فقال عبد المطلب لا والله حتي اضرب عليها ثلاث مرات أي ففعل ذلك ودع الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد اى من آدمي ووحش وطير قال الزهرى فكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل أى بعد ان كانت عشرة كما تقدم وقيل اول من سن ذلك ابو سيارة العدوانى وقيل عامر بن الظرب فجرت في قريش اى وعلى ذلك فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من ودى بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله اخوه أي واما ماقيل ان القدح بعد المائة خرج على عبد الله ايضا ولا زال يخرج عليه حتي جعلوا الابل ثلثمائة فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ بن كثير ان ابن عباس رضي الله عنهما سالته امرأة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة من الابل اخذا من هذه القصة ثم سالت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن ذلك فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم وكان اميرا على المدينة فامر المرأة ان تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا نذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شيء وعند ابى حنيفة ومحمد يلزمها ذبح شاة فى ايام النحر في الحرم اخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال القاضي البيضاوى وليس فيه مايدل عليه وفى الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين أى عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضى الله تعالى عنه فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسمعيل او اسحق فقال معاوية على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي أى يشكو جدب ارضه فقال يارسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد على مما افاء الله عليك ياابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان ياأمير المؤمنين قال عبدالله واسمعيل قال الحافظ السيوطى هذا حديث غريب وفى اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما احب ابراهيم ولده اسمعيل بطبع البشرية أي لا سيما وهو بكره ووحيده اذذاك وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الاولاد احب الي الوالد أى وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره امره الله

عبد المسيح الى رحله وهو يقول أبيات منها   شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير   والخير والشر مقرونان في قرن * والخير متبع والشر محذور   ولما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم فر منه ومن حيثه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا سيصير اليهم على يدي نبي يبعث في آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويحفظونك بها في دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة أي علامة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما أشرت اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته أي سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم ان امرأة من يقول لها أي سميه اذا ولدتيه محمدا * وعن ابي جعفر محمد الباقر رضي الله عنه قال أمرت أمه آمنة في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد ولا مانع من رؤية الامرين فاخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع منهما ولما سماه بمحمد قيل له ما حملك على ان تسميه بمحمد وليس من اسماء آبائك ولا قومك فقال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله رجاءه ﴿فائدة﴾ جرت العادة ان الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك

بذبحه ليخلص سره من حب غيره فلما لم الاسباب الذي هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدى هذا وجاء مما يدل على ان الذبيح اسحق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي النسب أشرف وفي روايه من أكرم الناس فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله عليهم السلام كذا روى قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوي * وما ذكر أن يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين أحد بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فربطت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت وفي كلام القاضي البيضاوي وما روي ان يعقوب كتب ليوسف من يعقوب بن اسحق ذبيح الله لم يثبت أي ولعله لم يثبت أيضا ومافي أنس الجليل ان موسى لما أراد مفارقة شعيب وذهابه الى وطنه بمملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يارب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفي واسحق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد على قوتي وبصري فامن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر أن يعقوب رأى ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي وعلمه ما يدعو به وهو يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا يحصيه غيره فرج عني * وذكر ان سبب ذبح اسحق أي على القول بانه الذبيح ان الخليل قال لسارة ان جاءني منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة واسحق اسمه بالعبرانية الضحاك وجاء في حديث رواية ضعيف الذبيح اسحق وان داود سأل ربه فقال أي رب اجعلني مثل آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب فاوحى الله اليه اني ابتليت ابراهيم بالنار وصبر وابتليت اسحق بالذبح وصبر وابتليت يعقوب أي بفقد ولده يوسف وصبر الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده أي لما صبر الاب على ما أمر به وسلم الولد لامر الله تعالى جعلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطي وجزم بهذا القول عياض في الشفاء والسهيلي في التعريف والاعلام وكنت ملت اليه في علم التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك

كثير من علماء الامة الذين يقتدى بهم قال الحلبي في السيرة فقد حكي بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصرى في مدحه صلى الله عليه وسلم قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله رحمة للعالمين قال السخاوى ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزى من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل وألف له الحافظ ابن دحية تاليفا سماه التنوير في مولد البشير النذير فاجازه الملك المظفر بالف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله في ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الي ان مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد فذكر انه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد

أى كون اسحق هو الذبيح هذا كلامه وقد تنبأ كل من اسمعيل واسحق ويعقوب في حياة ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فبعث الله اسمعيل لجرهم واسحق الى أرض الشام ويعقوب الي أرض كنعان ولا ينافى ذلك أى كون اسحق هو الذبيح تبسمه صلى الله عليه وسلم من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمي العم أبا * وفي الهدى اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بانه اسحق فمردود باكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذى هو التوراة فان فيه ان الله أمر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده وقد حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحق أى ومن ثم ذكر المعافي بن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود يعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون أباكم للفضل الذي ذكره الله تعالي عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح رجحت فيها القول بان الذبيح اسمعيل جوابا عن سؤال رفعه الي بعض الفضلاء وعلى ان الذبيح اسمعيل فمحل الذبح بمنى وعلى انه اسحق فمحله معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس وفي كلام ابن القيم تاكيد كون الذبيح اسمعيل لا اسحق ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة واستشكل كون أولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وابو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله هذا كلامه وأجيب عن الاول بانه يجوز أن يكون له حينئذ أى عند ارادة الذبح ولد ولد أى فقد ذكر أن لولده الحرث ولدين ابو سفيان ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم أن اعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثنى عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وكلاهما أصغر من عبد الله على ما تقدم من أن عبد الله كان أصغر بنى ابيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد انه كان اصغرهم حين أراد ذبحه اي لا بقيد كونهم عشرة او بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر وكان عبد الله كما تقدم أحسن فتى يرى في قريش وأجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري اى المضيء المنسوب الى الدر حتى شغفت به نساء قريش ولقي منهن عناء ولينظر ما هذا العناء الذى لقيه منهن * قيل انه لما تزوج آمنة لم تبق امرأة من قريش من بنى مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت اى اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع ابيه ليزوجه آمنة بنت

اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وانه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشرب به كما أخبر بذلك العباس في منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى انه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

﴿ باب في ذكر شيء من الخوارق التي ظهرت في زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم ﴾

أول من ارضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبي لهب التي اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم * واختلفوا في انها ادركت البعثة واسلمت أم لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وافصح له فجاء نسوة من بني سعد الى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة اخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما اجمعنا الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي تعني زوجها والله اني لأكره ان ارجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك فلآخذنه فقال لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل الله لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته وفي رواية قالت فاستقبلني عبد المطلب فقال من انت فقلت امرأة من بني سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فابين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك ان ترضعيه فعسى ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى اشاور صاحبي قال بلى فانصرفت الى صاحبي فاخبرته فكأن الله قذف في قلبه فرحا

وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء وأما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في الاصل هي البياض أي وأم وهب اسمها قيلة بنت أبي كبشة أي وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمان عشرة سنة () فمر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى أي يقال لها قتيلة وقيل رقية وهي اخت ورقة بن نوفل وهي عند الكعبة وكانت تسمع من أخيها ورقة انه كائن في هذه الأمة نبي أي وان من دلائله أن يكون نورا في وجه أبيه وانها ألهمت ذلك فقالت لعبد الله أي وقد رأت نور النبوة في غرته () أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن قال أنا مع أبي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وأنشد

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه

قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي

لقد حكم البادون في كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض
وان أبي ذو المجد والسودد الذي * يشار به ما بين نشز الى خفض

اي ارتفاع وانخفاض * وعن أبي يزيد المديني ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله ليزوجه مر به على امرأة كاهنة من أهل تبالة بضم التاء المثناة فوق بلدة باليمن قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له يا فتى هل لك ان تقع علي الآن وأعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم اهـ * أقول قال الكلبي كانت أي تلك الكاهنة من أجمل النساء وأعفهن فدعته الى نكاحها فأبى ولا منافاة لانه جاز ان تكون ارادت بقولها وقع علي الآن أي بعد النكاح وفهم عبد الله انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة في هاتين الواقعتين واحدة وانه اختلف في اسمها وانه مر على تلك المرأة في ذهابه مع أبيه ليزوجه آمنة ويدل لذلك فاتي المرأة التي عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضي انهما قصتان وان الاولى عند انصرافه مع أبيه ليزوجه آمنة وقوله قد قرأت الكتب أي فجاز انها رأت في تلك الكتب ان النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا في وجه أبيه وانه يكون من اولاد عبد المطلب أو انها ألهمت ذلك فطمعت ان يكون ذلك النبي منها ويؤيد الثاني ما سيأتي عنها والله اعلم * فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا وكانت في حجره لموت أبيها وهب بن عبد مناف وقيل أتى عبد المطلب الى وهب ابن عبد مناف فزوجها ابنته آمنة وقدم هذا في الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين املك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى

وسرورا فقال لي ياحليمة خذيه فرجعت الي عبدالمطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني وادخلني بيت آمنة فقالت لي اهلا وسهلا وادخلتني البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فاشفقت اي خفت أن اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج منهما نور حتي دخل عنان السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه وحملته وماحملني على اخذه أي في ابتداء الامر الا اني لم اجد غيره والافما ذكرته من اوصافه مقتض لاخذه وفي شرح الزرقاني على المواهب انها لما دخلت عليه صلي الله عليه وسلم سمع جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا ... خير الانام وخيرة الاخيار
ماان له غير الحليمة مرضع ... نعم الامينة هي على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش ... ونقية الاثواب والاوزار
لا تسلمنه الى سواها انه ... أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم اعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الي الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم الهمه الله ان له شريكا فعدل وفي رواية ان احد ثديي حليمة كان لايدر اللبن فلما وضعته في فم رسول الله صلي الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب اخوه معه حتي روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجي الى شارفنا فاذا هي حافل أي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا والله ياحليمة لقد اخذت نسمة مباركة فقلت والله انى لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب مايقدر على مرافقتها شيء من حمرهم حتي ان صواحبي يقلن لي يابنت ابي ذؤيب ويحك اربعي علينا اي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه اتانك التي كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشأنا قالت حليمة وكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يانساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من

الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها * قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى * أقول فيه إنه سيأتي في فتح مكة أنه نزل بالحجون بفتح الحاء المهملة عند شعب أبي طالب بالمكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن أن يقال ذلك الشعب الذي كان في الحجون كان محلا لسكنى أبي طالب في غير أيام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة الوسطى كان ينزل فيه أبو طالب أيام منى ولا مخالفة والله اعلم ثم أقام عندها ثلاثة أيام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته أي عند أهلها أي فهي واهلها كانوا بشعب أبي طالب ثم خرج من عندها فاتى المرأة التي عرضت عليه ماعرضت فقال لها مالك لاتعرضين على اليوم ماعرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة * قال وفي رواية أنه لما مر عليها بعد ان وقع على آمنة قال لها مالك لاتعرضين على ماعرضت بالامس قالت من أنت قال انا فلان قالت له ما أنت هو لقد رأيت بين عينيك نورا ما أراه الآن ماصنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما أنا بصاحبة ريبة ولكن رأيت في وجهك نورا فاردت أن يكون في وابى الله الا ان يجعله حيث اراد اذهب فاخبرها انها حملت بخير أهل الارض اه * أقول وفي رواية ان المرأة التي عرضت نفسها عليه هي ليلة العدوية وان عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار وانه قال حتي اغسل ماعلي وارجع اليك وانه رجع اليها بعد ان وقع على آمنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وماخرجت به * أي وفي سيرة ابن هشام مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على آمنة فذهبت بها ولئن كنت أي وحيث كنت الممت بآمنة لتلدن ملكا ولايخفي ان تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المرأة كان عندها علم بان عبد الله تزوج آمنة وانه يريد الدخول بها وانها علمت انه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذي دعاها الى بذل القدر الكثير من الابل في مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال ولايخالف ذلك بل يؤكده مافي الوفاء من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فاقبل اليها الحديث والله اعلم * وعن الكلبي انه قال كتبت للنبي صلي الله عليه وسلم خمسمائة أم أي من قبل أمه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا أي فان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد () ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية اي من نكاح الام اي زوجة الاب لانه كان في الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلفه على زوجته اكبر اولاده من غيرها وفي كلام بعضهم كان اقبح مايصنعه اهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذي يزاحم اباه في امرأته ويقال له نكاح المقت وهو العقد على الرابة وهي امرأة الاب والراب زوج الام وماقيل ان هذا اي نكاح امرأة الاب وقع في نسبه صلى الله عليه

على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت وراق مكة رأت تلك الاتان سجدت اوخفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بني سعد ولا اعلم ارضا من اراضي الله اجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا شباعا لبنا أي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي رواية نحلب ماشاء الله ومايحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت (٤٨) ابي ذؤيب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يفطم سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن حليمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبو الى كل جانب وفي ثلاثة اشهر كان يقوم على قدميه وفي اربعة كان يمسك الجدار ويمشي وفي خمسة حصلت له القدرة على المشي ولما بلغ ثمانية اشهر كان يتكلم بحيث يفهم كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة اشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان وعن حليمة ايضا رضي الله عنها قالت انه لفي حجري اذ مرت بنا غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضي الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول يقول

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات * قلن ما في اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة * قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها * وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست * ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجـــر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا * لسعيد فانهم سعداء

وسلم لان خزيمة أحد آبائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على زوجته ابنه كنانة بن خزيمة وهو بكر اولاده وهو كنانة فجاء منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذى خلف عليها كنانة بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه ومنشأ الغلط انه تزوج بعدها بنت اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجاء منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام السهيلي نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها لانه أمر كان في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة ابيه خزيمة وهي برة بنت مرة فولدت له النضر بن كنانة وهاشم ايضا قد تزوج امرأة ابيه واقده فولدت له ضعيفة ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها أي واقده لم تلد جداله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف اى الا ماقد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن في اجداده صلى الله عليه وسلم من كان من بغية ولا من سفاح الا ترى انه لم يقل في شيء نهي عنه في القرآن أى مما لم يبح لهم الا ماقد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ماقد سلف ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يقل الا ماقد سلف ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا في شرع من كان قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل وأختها ليا فقوله الا ماقد سلف التفات الى هذا المعنى هذا كلامه ولا التفات اليه ولا معول عليه على ان قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضي البيضاوى ان يعقوب عليه السلام انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل * وفى اسباب النزول للواحدي ان في البخارى عن اسباط قال المفسرون كان اهل المدينة فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المرأه وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيئا وان شاء عضلها وضارها لتفتدى منه فمات بعض الانصار فجاء ولده من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدى منه فاتت تلك المرأة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى الآية ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية * وقيل توفي ابو قيس فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت اني اعدك ولدا ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فاتته فاخبرته فانزل الله تعالى الآية * وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال لقيت خالي يعني ابا الدرداء رضي الله تعالى عنه ومعه الراية فقلت اين تريد قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة ابيه ان اضرب عنقه زاد في رواية احمد وآخذ ماله * وذكر بعضهم ان في الجاهلية كان اذا اراد الشخص ان يتزوج

يقول خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول * ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا عندهم أي مع استقباحهم له كما تقدم * وذكر بعضهم ان قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين أي ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجداته أي تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه على شرف هؤلاء النسوة وفضلهن على غيرهن فقال أنا ابن العواتك والفواطم * فعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبي أيوب الانصاري فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه * وقال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي في غزوة حنين وفي غزوة احد أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * أنا ابن العواتك * وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم احد انا ابن الفواطم أي ولا ينافيه ما سبق انه قال في ذلك اليوم أنا ابن العواتك لانه يجوز ان يكون قال كلا من الكلمتين في ذلك اليوم * واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم اربع عشرة وقيل احدى عشرة أي وأولهن أم لؤي بن غالب واللواتي من بني سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي امه وهب أي وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكارا ارضعنه كما سيأتي في قصة الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة * قال وعن سعد ان الفواطم من جداته عشرة اه * اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم أقف على من اسمه فاطمة من جداته من جهة أبيه الا على اثنتين فاطمة ام عبد الله وفاطمة أم قصي الا ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم بل اراد الاعم حتى يشمل فاطمة ام اسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي ام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة امها وهؤلاء الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت اسد ثم رأيت بعضهم عد فيهن أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله ابن رزام وامها فاطمة بنت الحرث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله اعلم * وعن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت من نكاح غير سفاح أي زنا فقد تقدم ان المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد وكانت العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض افراد منهم حرمه على نفسه في الجاهلية * أي وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني أبي وامي ولم يصبني من

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفي رواية أول كلام تكلم به في بعض الليالي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضي الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضي الله عنها فقدمنا مكة على أمه أي بعد ان بلغ سنتين ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابني عندي حتى يغلظ وفي رواية فلما رجعنا به هذه السنة الاخرى فاني اخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضي الله عنها قالت لحليمة رضي الله عنها ارجعي بابني على الفور فاني اخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين أنت أيضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه يعني من الرضاع لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد اخذه رجلان

عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه أي متغير اللون لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشيء من الجن فالحقيه بأهله قبل ان يظهر ذلك به واخرجي من أمانتك وفي رواية قالت قال زوجي أرى ان ترده

على أمه لتعالجه والله ان اصابه ما أصابه الاحسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن اربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج وينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يا أماه مالي لا أرى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاع وهم اخوه عبد الله وأختاه انيسة والشيماء اولادا لحرث قالت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار وأتاني أخوه وفي رواية ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادي يا أمه ويا أبت الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خير يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء فاخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة وفي رواية انها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته في اعالي مكة فقالت اني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت باعالي مكة أضلني فوالله ما ادري أين هو فقام عبد المطلب يدعو الله ان يرده عليه وأنشد يارب رد ولدي محمدا * أردده ربي واصطنع عندي يدا فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولن يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة ابن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من أنت ياغلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد

سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام * قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهره اه * أقول والبغايا كن في الجاهلية ينتصبن على ابوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتاط أي تعلق والتحق به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك والله اعلم * قال وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كنكاح الاسلام أي يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها ثم يعقد عليها اه * وعن الامام السبكي الانكحة التي في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة الاسلام ولم يقع في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى آدم الا نكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والآخرة * قال بعضهم وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم أن أجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه من آدم الى أن أخرجه من بين ابويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا أراد الرجل ان يتزوج قال خطب وتقول أهل الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قائما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل حتى يشمل التسري بناء على أن أم اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حين حملت باسمعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كما في البخاري أن النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء نكاح كنكاح الناس اليوم أي بايجاب وقبول شرعيين دون ان يقول الزوج خطب ويقول أهل الزوجة نكح وحينئذ يزيد على ذلك النكاح الذي كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع أي ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب لاكبر أولاده والجمع بين الاختين على ما تقدم وحينئذ يكون المراد ليس في نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلي ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المرأة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلي الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب وليس فيه نكاح الجمع وهو ان تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد ان تضع حملها

المطلب قال وأنا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مره أخرى فوجده ابوجهل فاركبه بين يديه على ناقته وجاء به الى جده وقال ماتدرى ماوقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فابى ان تقوم فاركبته امامي فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما أقدمك به ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث فاديته عليك كما تحبين قالت ماشانك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتي اخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ماللشيطان عليه سبيل وان لابني هذا شأنا ألا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به ان خرج مني نور اضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله مارأيت أي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الي السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة وعن حليمة رضي الله عنها انه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ماسمعته من أمه وكل مارأته هي بعد ان اخذته واسندت الجميع الى نفسها كانها هي التي حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أويتيم هو فقالت لاهذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان يتيما قتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة ايضا رضي الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم سوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمي عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فراغت أي مالت به وحادت عن الطريق

حملها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه ونكاح البغايا قسمان وحينئذ يحتمل ان يكون أم عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه يقال انه وطئها أربعة وهم العاص وأبو لهب وأمية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرا فالحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل ان يكون من القسم الاول ويدل عليه ماقيل أنه ألحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وسياتي ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة * قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات أي وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسنة الى الارحام الطاهرة * وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه اه * وقد تقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى ساجد وتقدم مافيه ومن جملته قول ابي حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين اي متمسكين بشرائع انبيائهم ثم رأيت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص ان أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث واقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب اربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سياتي الكلام فيه وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة أي لانه سياتي انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اي لم يعبد الاصنام والثالث ان الله تعالى احياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات وهذا أضعف الاقوال وأوهاها لم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به احد من ائمة السنة وانما حكي عن بعض الشيعة * قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الي آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز ان يكون المراد بها ماقابل انكحة الجاهلية المتقدمة وقد أشار الي اسلام آبائه وأمهاته صاحب الهمزية بقوله

لم تزل في ضمائر الكون تختا * رلك الامهات والآباء

أي لان الكافر لا يقال انه مختار لله * والسبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة ماحدث به ولده العباس رضي الله تعالي عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتاء فنزلنا على حبر من اليهود يقرأ الزبور اي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال ممن الرجل قلت من قريش قال من ايهم قلت

فانجاه الله وفي الوفاء للسيد السمهودي لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يامعشر هذيل يامعشر العرب فاجتمع الناس من اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أي صبي هذا فقال هذا الصبي فلا يرون احدا فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله تعالى عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انفضاضهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم ياتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يامعشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رآه مع أمه السعدية حين رجعت به الى امه عند فطامه فنظروا اليه وقلبوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شان نحن نعرف امره فاتت واتت به الى ومعرفة أمه وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة وفي بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذ بالحي قد اقبلوا بحذافيرهم أي بأجمعهم واذا بظئري أي مرضعتي امام الحي تهتف أي تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من ضعيف ثم قالت ظئري واوحيداه فاكبوا علي فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من

من بني هاشم قال أتاذن لي أن انظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخرى فقال انا اشهد ان في احدى يديك وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذاك قلت لا أدري قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة أي لانها تشايع أي تتابع وتناصر زوجها قلت اما اليوم فلا أي ليست لي زوجة من بني زهرة ان كان معه غيرها أو مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم أي وهذا الذي ينظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه فتحكم على صاحبها بطريق الفراسة يقال له حزاء بالمهملة وتشديد الزاي آخره همزة منونة * وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني عن شيخه سيدي علي الخواص نفعنا الله تعالى ببركاتهما أنه كان اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى ان يموت على التعيين من صحة فراسته هذا كلامه * أي ومن ذلك ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما تزوج امرأة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون أم ابنه يزيد اذهبي فانظري اليها فاتتها فنظرت اليها ثم رجعت اليه وقالت هي بديعة الحسن والجمال ما رأيت مثلها لكن رأيت خالا اسود تحت سرتها وذلك يدل على ان رأس زوجها يقطع ويوضع في حجرها فطلقها معاوية رضي الله تعالى عنه ثم تزوجها النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه وكان واليا على حمص فدعا لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من أهل حمص لما تبعوا مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا رأسه ووضعوها في حجر تلك المرأة ثم بعثوا بتلك الرأس الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان امه لما ولدته وكان اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ما سياتي حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بتمرة فمضغها ثم وضعها في فيه فحنكه بها فقالت يارسول الله ادع الله تعالى ان يكثر ماله وولده فقال أما ترضين أن يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذي أشار على يزيد بن معاوية باكرام آل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من اولاده واولاد اخيه واقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم ورده معهم وامره باكرامهم على ما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى * ومما يروى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان مصالي وفخوخا وان مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله * وقد ذكر ان حمص نزل بها تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا * وفي حياة الحيوان ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قيل لطلسم بها * وفي حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو الذي يحزر الاشياء ويقدرها بظنه ويقال للذي ينظر في النجوم فانه ينظر فيها بظنه وربما أخطأ أي لان من علوم العرب الكهانة والعيافة والقيافة والزجر والخط أي الرمل والطب

أهل الارض ثم قالت ظئرى وايتماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا على وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا بي الى الحى الى شفير الوادى فلما أبصرتني أمي وهى ظئرى قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت على وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده انى في حجرها قد ضمتني اليها ويدى في أيديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم أى لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أى طرف من الجنون أو طائف من الجن وهى اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه وقالت يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شيء ان آرائى اي اعضائى سليمة وفؤادى صحيح وليس بي قلبة أى علة فقال أبي وهو زوج ظئرى ألا ترون كلامه صحيحا اني لارجو ان لا يكون بابنى باس واتفقوا على ان ذهبوا بى الى الكاهن فلما انصرفوا بى اليه قصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه أعلم بامره منكم فسالنى فقصصت عليه أمرى من اوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى باعلى صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئرى فنزعتني من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى اهلهم ثم اصبحت وقد عاد وعلوا بي الملائكة وأصبح اثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى ولعل الحكمة في بقاء اثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله * فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به من الوجـ * ـد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عنـد غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم يدع له انباء

ومعرفة الانواء ومهاب الرياح * فلما رجع عبد المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب أخى وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه اى فاز وظفر لان الفلج بالفاء واللام المفتوحتين والجيم الفوز والظفر أي فاز وظفر بما لم ينله أبوه من وجود هذا المولود العظيم الذي وجد عند ولادته مالم يوجد عند ولادة غيره * أى وفى كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم آمنة في مجلس خطبة عبد الله لآمنة وتزوجا وأولما ثم ابتنيا بهما ثم رأيت في أسد الغابة مايوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوه موجوده فيه وكيف تكون موجوده فيه مع انتقالها لعبد الله وقد يقال من اين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز ان يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه ان هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بنى زهرة الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله وجد من بنى زهرة لجواز ان يكون عبد المطلب تزوج من بني زهره غير هالة فاولدها عبد الله * ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد فى احدى يديه الملك وانه يكون فى بنى زهره مشكل أيضا لان الملك لم يكن الا في اولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت أم العباس من بنى زهره اما هالة التي هى ام حمزه او غيرها وأم العباس ليست من بني زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزه لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون الملك والنبوه اللذان عناهما الحبر هما نبوته وملكه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما اى كلا من الملك والنبوه المنتقلين اليه من أبيه عبد الله بناء على ان ام عبد الله من بني زهرة ولعله لا ينافيه قول بعضهم تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت له اباطالب وعبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان تكون فاطمة هذه من بنى زهره وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم اي من بني زهره بعد قوله الا ان شاعة وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنه من بنى زهره لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهى عمة وهب والد آمنة امه صلى الله عليه وسلم كان من امرها انها لما ولدت رآها ابوها زرقاء شيماء اى سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اى يدفنونها حية ويمسكون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة اي لانه سيأتى ان الجاهليه كانوا يدفنون البنات وهن احياء خصوصا كندة قبيلة من العرب خوف العار او خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيي الموءودة لاجل الاملاق يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك لا تفعل انا اكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها

صان أسراره الختام فلا الفصـــض ملم به ولا الافضاء   وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الاولى ليشا على اكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام احمد عن ابي بن كعب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما اول مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة اني لفي صحراء وانا ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على احد قط فاقبلا

الي يمشيان حتي أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني بلا قصر ولا هصر أي من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له ادخل الرأفة والرحمة فاذا الذي أدخله يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت وعندي رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحي والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة في الشق الثاني الذي كان وعمره عشر سنين قال في السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتي لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير   التامة
والحكمة في الرابع الزيادة في الكرامة ليتاهب للمناجاة وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول

هذا اخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي * فانمه اللهم فيمن تنمي

ومما كانت ترقصه به أخته الشيماء

يا ربنا ابق لنا محمدا * حتي أراه يافعا وامردا

وكان صعصعة جدا للفرزدق يفعل مثل ذلك فامرأ بوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها في البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها وكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبني زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكم فعرض عليها فقالت في كل واحــده منهن قولا ظهر بعد حين حتي عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا له شان وبرهان منير أي فاختيار عبد المطلب لآمنة من بني زهرة عبد الله واضح من سياق قصة هذه الكاهنة وأما اختياره لتزوجه بعض نساء بني زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر بناء على ان أم عبد الله كانت من بني زهرة وأما جعل الشمس الشامي ما تقدم عن الحبر سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بني زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف يتاتى ذلك مع قـوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله ألك شاعة أي زوجة ثم رأيت ابن دحية رحمه الله تعالى ذكر في التنوير عن البرقي ان سبب تزويج عبد الله آمنة ان عبد المطلب كان ياتي اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم ونزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لي ان افتش منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبـد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا واضح لانه أسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الي آخره فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بني زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للبرقي رحمه الله تعالى ان يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله آمنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

باب ذكر حمل أمه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين

عن الزهري رحمه الله تعالى قال قالت آمنة لقد علقت به صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتي وضعته وعنها انها كانت تقول ماشعرت بفتح اوله وثانيه أي ماعلمت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي بكسر الحاء الهيئة التي تلزمها الحائض من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض أي والذي ينبغي ان يكون الثاني هو المراد واستعملت المرة في مطلق الدم الذي تراه الحائض وربما يؤيد أن هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض قالت وربما ترفعني وتعود أي فلم يكن رفعها دليلا على الحمل أي وهذا ربما يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم أقف على مقدار تكرره وقد ذكر أن مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين قالت آمنة وأتاني آت أي من الملائكة وانا بين

النائمة واليقظانة وفي رواية بين النائم اي الشخص النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك قد حملت سيد هذه الامة ونبيها أي وفي رواية سيد الانام اي اعلمي ذلك وأمهلي حتي دنت ولادتي أتاني فقال قولي أي اذا ولدتيه أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد اى ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض وفي القرآن محمد أى والقرآن كتابه وسياتى عن محمد الباقر رضى الله تعالي عنه ان تسميه احمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت ابيات لا أصل لها واذا ثبت انها قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان آمنة رقت النبى صلي الله عليه وسلم من العين * أقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان حيضها ربما عاد بعد عدم وجوده في زمنه المعتاد لها أي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور الي وجهها على ما ذكر بعضهم ففي كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله انتقل الى وجه آمنة ولا على خروج النور منها مناما أو يقظة بناء على انه غير الحمل على ما ياتي لخفاء دلالة ما ذكر على ذلك ولعل أباه صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها قول المرأة التى عرضت نفسها عليه اذهب فاخبرها انها حملت بخير أهل الارض والثقل في ابتداء الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سياتي يجوز ان يكون بعد اخبار الملك لها لكن في المواهب في رواية عن كعب رضى الله تعالي عنه ان مجيء الملك لها كان بعد ان مضى من حملها ستة أشهر فليتامل فان الستة اشهر لا يقال انها ابتداء الحمل ونص الرواية كانت آمنة تحدث وتقول أتاني آت حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك الا ان يقال يجوز تعدد الملك أو تكرر مجيء الملك لها فليتامل والله اعلم * وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلي الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اى التى حمل فيها اي في اليوم قبلها برسول الله صلي الله عليه وسلم أى بناء على ما هو الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله صلي الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا أى ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى * أقول دلالة الاول على مطلق الحمل به صلي الله عليه وسلم لا على خصوص حمل آمنة به صلي الله عليه وسلم حينئذ واضحة وأما دلالة الثاني عليه فقد يتوقف فيها الا ان يقال ان ذلك كان من علامة الحمل به في الكتب القديمة مع ان المدعي في كلام ابن عباس رضي الله تعالي عنهما انما هو خصوص حمل آمنة به على ان السياق يدل على ان المراد علم أمه بحملها به والله اعلم * وعن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة اى ولعل ذلك كان من علامة حمل أمه به في الكتب القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسياتى ان عند ولادته ايضا تنكست الاصنام ولا مانع من التعدد قال وروى الحاكم وصححه ان أصحاب رسول

ثم أراه سيدا مسودا واكبت اعاديه معا والحسدا * واعطه عزا يدوم أبدا قال الازدي ما أحسن ما اجاب الله به دعاءها فقالت حليمة في هذا الحراي ما ينبغي ان يكون الخروج والوقوف في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجدأ خي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتي اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت إي والله فجعلت تقول اعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني وفي كلام بعضهم ان حليمة رضي الله عنها في بعض الاوقات رأت الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ووفدت عليه حليمة رضي الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضي الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة رضي الله عنها فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفي رواية اربعين شاه وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفي رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفي رواية وأجلسهم على ثوبه وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك * قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التي ارضعته وفي رواية استاذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال امي امي وعمد الي ردائه فبسطه لها فقعدت عليه * قال ابن حجر في شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وغلط من انكر اسلامها بل اسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضي الله عنها * وفي السيرة الحلبية ان بنتها الشيماء أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت في السبي يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله انا اختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام

المواهب يقتضي انهما قضيتان في كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجيء أخته وواحدة عند مجيء امه خلافا لمن وهم في ذلك وانكر مجيء الام وقال بل هي الاخت فقط * قال ابن عبد البر في الاستيعاب حليمة السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها فيمن اخذوا من النبي الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاى تأليفا في (٥٦) اسلام حليمة رضي الله عنها ردا على من انكر ﴿ باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم ﴾

وفاة أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة ايام وقيل قبل ذلك توفيت امه روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخوال جده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها ام ايمن بركة الحبشية فاقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي واحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت أم ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به امه الى مكة وفي رواية اني لانظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الي فقال يا غلام ما اسمك قلت احمد ونظر الى ظهري فسمعته يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فاخبرهم فاخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت اولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من اعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة * وروى ابو نعيم في دلائل النبوة من طريق الزهري عن اسماء بنت رهم عن امها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أي

الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى اخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور وفي لفظ سراج وفي لفظ شهاب أضاءت له قصور بصري من أرض الشام قال الحافظ العراقي وسياتي انها رأت النور خرج منها عند الولادة وهو أولى لكون طرقه متصلة ويجوز ان يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به ومرة حين وضعته أي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك أو هذه أي رؤية النور حين حملت به كانت مناما كما تصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين اهـ * اقول الرواية الآتية هي رواية شداد بن أوس ولفظها انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا أي وهي تفيد ان ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد ان النور غيره وانه كان وقت ابتداء وجود الحمل فلا يصح حمل احداهما على الاخرى الا ان يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك الحمل لكن الذي ينبغي ان تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصلة قبيل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة تأنيسا لها على انه يجوز ابقاء الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتداء الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند وضعه خروج النور وسياتي في رواية عن امه انها قالت لما وضعته خرج معه نور وهي لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتى تكون رابعة فبصرى أول بقعة من الشام خلص اليها نور النبوة وعلى انه مرتين ناسب قدومه صلى الله عليه وسلم لها مرتين مرة مع عمه أبي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها كما سياتي وبها مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل مسجد ولهذا كانت أول مدينة فتحت من ارض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه على يد خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد بن عبادة وهي من ارض حوران والله اعلم ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عائذ أي بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور وكانت امه صلى الله عليه وسلم تقول ما رأيت من حمل هو اخف منه ولا أعظم بركة منه وروى ابن حبان رحمه الله عن حليمة رضي الله تعالى عنها عن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني هذا شأنا اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف علي ولا اعظم منه بركة وقيل بقي عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر أي ويكون ذلك آية كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء والمنجمين على ان من يولد في الشهر

مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام * فودي غداة الضرب بالسهام بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام فانت مبعوث الى الانام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث في التحقيق والاسلام * دين أبيك البر ابراهام فالله أنهاك عن الاصنام * ان لا توالیها مع الاقوام
ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكري باق وولدت طهرا قالت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا
من ذلك نبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه زوجة عبد الله والقرينه * أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه
صارت لدى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه
وللمنايا شفرة سنينه *
لا تبق ظعانا ولا ظعينه
الا أتت وقطعت وتينه
اما هلكت أيها الحزينه
عن الذي ذو العرش يعلي دينه
وكلنا والهة حزينه
نبكيك للعطلة او للزينه
أو للضعيفات و المسكينه
قال الزرقاني في شرح
المواهب نقلا عن الجلال
السيوطي بعد ذكر أبياتها
السابقة وهذا القول منها
صريح في انها موحدة اذ
ذكرت دين ابراهيم وبعث
ابنها صلى الله عليه وسلم
بالاسلام من عند الله ونهيه
عن الاصنام وموالاتها
وهل التوحيد شيء غير هذا
فان التوحيد هو الاعتراف
بالله والهيته وانه لا شريك
له والبراءة من عبادة
الاصنام ونحوها وهذا
القدر كاف في التبري من
الكفر وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد
البعثة ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع ان تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف
واكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب بعث نبي من
الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك اكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على
التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها اضاءت له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما

الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو اول مدة الحمل أي فقد قال الحكماء
في بيان سبب ذلك ان الولد عند استكماله سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته
في الشهر السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا
يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد
ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفي كلام الشيخ محيي الدين بن
العربي رحمه الله تعالى لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت
ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على
الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت أي وقيل بل كان حمله ووضعه في ساعة واحدة وقيل في ثلاث
ساعات أي وقيل بذلك في عيسى عليه السلام أي وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله
عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت
الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد من كل جانب في تلك السنة وفي حديث مطعون فيه قد أذن الله
تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولم أقف على ما يجري
على ألسنة المداح من انه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في بطن أمه كما نقل عن عيسى عليه السلام
انه كان يكلم أمه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي تسمع وعن
شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ
كبير من بني عامر هو مدره قومه أي المقدم فيهم يتوكأ على عصا فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب انى أنبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس أرسلك
بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبياء
والخلفاء أي معظمهم في بيتين من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فما لك وللنبوة
ولكن لكل حق حقيقة فانبئني بحقيقة قولك وبدء شأنك قال فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسئلته
ثم قال يا أخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك
البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا أخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شأني اني
دعوة أبي ابراهيم عليه السلام أي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم أي وعند ذلك قيل له قد استجيب لك وهو
كائن في آخر الزمان كذا في تفسير ابن جرير قال في ينبوع الحياة أجمعوا على ان الرسول المذكور ههنا
هو محمد صلى الله عليه وسلم * اقول وفيه ان جبريل عليه السلام اعلم ابراهيم عليه السلام قبل ذلك بانه
يوجد نبي من العرب من ذرية ولده اسمعيل فقد جاء ان ابراهيم لما أمر باخراج هاجر أم ولده اسمعيل

عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان في كلمات اخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد ايمانها في حياتها * وأما ابوه رضي الله عنه فنقل عنه كلمات واشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيئا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه كالكوكب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين

عليه السلام حمل هو وهي وولدها على البراق فلما أتى مكة قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبي الامي من ذريته ولذلك يعني اسمعيل عليه السلام الذي تتم به الكلمة العليا الا ان يقال الغرض من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم أن أم اسمعيل قالت لابراهيم ما قاله لجبريل والله أعلم ثم قال وبشرى أخي عيسى وفي رواية ان آخر من بشر بي عيسى عليه السلام أي آخر من بشر بي من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان آخر من بشر بي عيسى لان الانبياء بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد أي والمبشر بهم من الانبياء قبل وجودهم أيضا أربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال الله تعالى في حق سارة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بان تبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحق وقال في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم قال واني كنت بكر أبي وأمي وانها حملتني كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت أتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى أضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وستأتي تتمته في الرضاع أي وقال ابن الجوزي ممن روى عن أمه صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يارسول الله ما كان بدء أمرك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي قالت خرج مني نور أضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتداء الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال * أقول قد قدمنا انه يجوز أن يكون هذا الثقل الواقع في ابتداء الحمل كان بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهري قال قالت آمنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن ان يكون المراد بالمشقة ما تقدم في بعض الروايات لم تشك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء أي فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي ذلك شكواها ما تجده من ثقله والله تعالى أعلم

باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به اي كما عليه اكثر العلماء () أي وصححه الحافظ الدمياطي وسيأتي في بعض الروايات ما يدل على ان ذلك

الى ارحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بانه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قاله في المواهب وقد روي ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبراني وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفي رواية وهو باك حزين فقام به ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال خاطب عائشة رضي الله عنها سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلي من حديث عائشة رضي الله عنها ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيي ابويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم اهل ان يخصه من بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي مال الى ان الله احياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم انه موضوع وهذا مردود والحق انه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رءوفا

فاحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا منيفا   وسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا   وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتي خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهره قال الزرقانى في شرح المواهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الوارده بما يخالفه ونصوا على انه متاخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر فى مولده وفي شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا (٥٩) للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت ان ابا النبى وأمه
احياهما الرب الكريم البارى
حتي له شهدا بصدق رسالة
سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه
فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني الذي يظهر لي ان المراد صححوا العمل به فى الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه فى مرتبته فيرجع لكلام السيوطي وقال التلمسانى روى اسلام أمه بسند صحيح وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر في المواهب فى المعجزات ان الله أحيا على يده صلي الله عليه وسلم خمسة منهم الا وان قال القرطبى فى التذكره ان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالي وتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله كما قص الله ذلك في سورة البقرة وكان عيسي عليه السلام يحيي الموتي وكذلك نبينا صلي الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى قال الزرقانى فاحيا ابنة الرجل الذى قال لا أومن بك حتى تحيي لى ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفى شاب من الانصار فتوسلت امه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فاحياه الله رواه البيهقى وابن عدى وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه وسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله

من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد أن تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان في المهد حين توفى ابوه ابن شهرين وذكر السهيلى ان عليه اكثر العلماء فليتامل مع ماقبله وقيل كان ابن سبعة اشهر أى وقيل ابن تسعة أشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين لا الاكثرين () وقيل ابن ثمانيه عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا أي ومايأتى في الرضاع من ان المراضع اتته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذى قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الاشهران * وكانت وفاته بالمدينه خرج اليها ليمتار تمرا اولزياره أخواله بها أى أخوال ابيه عبد المطلب () بني عدي بن النجار أى ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج الى غزه فى عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير وهى التى تحمل الميره خرجوا للتجاره ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال انا أتخلف عند اخوالي بني عدى بن النجار والنجار هذا اسمه تيم وقيل له النجار لانه اختتن بقدوم اى وهو آلة النجار وقيل لانه نحر وجه رجل بقدوم فاقام عندهم مريضا شهرا أى وهذا اثبت من الاول () ومضي اصحابه فقدموا مكة فسالهم ابوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند احواله بني عدى بن النجار وهو مريض فبعث اليه أخاه الحرث وهو أكبر أولاد عبد المطلب كما تقدم أي ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفي أى وفي أسد الغابة ان عبد المطلب ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن في دار التابعة بالتاء المثناه فوق والباء الموحده والعين المهملة أى وهو رجل من بني عدي بن النجار اى فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الي المدينة ونظر الي تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بى أمي وفى هذه الدار قبر ابي عبد الله واحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم انه صلى الله عليه وسلم كان هو واصحابه يسبحون في غدير أي فى الجحفة فقال النبى عليه السلام لاصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقى النبى عليه السلام وابو بكر فسبح النبى عليه السلام الى أبى بكر رضي الله تعالى عنه حتى اعتنقه وقال أنا وصاحبي أنا وصاحبي وفي رواية انا الي صاحبي انا الى صاحبي يعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لأنه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر في بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفي ودفن ابوه بالابواء محل بين مكة والمدينة اه * أقول سياتي ان الذى بالابواء قبر أمه صلي الله عليه وسلم على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز ان يكون سمعه صلي الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر أحد أبوى * وقد ذكر بعضهم في حكمة تربيته صلي الله عليه وسلم يتيما مالا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا وقد جاء ان الله لينظر كل يوم الى الغريب ألف نظره والله

عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت واخرج ابن الضحاك أن انصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشر سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب ولم يشذ احد منهم بخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية اصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فاحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كاهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما

اعلم واورد الخطيب عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أحيا له أباه وآمن به وفي المواهب أحيا الله له أبويه حتى آمنا به قال السهيلي وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع قال ويرده القرآن والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا أي معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل أين أبي فقال في النار فلما قفا أي ولى دعاه وقال له ان أبي وأباك في النار وفيه ان هذا رواه مسلم ولا يكون ذلك الحديث ناسخا أي معارضا له * اقول هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على ان حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان أبي وأباك في النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فروى بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا أثبت من حماد فان حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها ووهم فيها وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه فرواية معمر أثبت وورد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه فقد أخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبي فقال في النار قال فاين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوي رواه بالمعنى بحسب ما فهم فاخطأ وذكر الحافظ السيوطي أن مثل هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة والثابت من طرق أخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فاخطأ كذا اجاب امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن حديث نفي قراءة البسملة والذي ينبغي ان يقال يجوز أن يكون هذا أي ما في الصحيح كان قبل أن يسأل الله تعالى أن يحييه له فاحياه وآمن به كما أشار اليه الاصل أو انه قال ذلك لمصلحة إيمان ذلك السائل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد ما قفا وظهر له صلى الله عليه وسلم من حاله أنه تعرض له فتنة أي يرتد عن الاسلام فاتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريدا بأبيه عمه أبا طالب لا عبد الله لانه كان يقال لابي طالب قل لابن اخيك يرجع عن شتم آلهتنا وقالوا له اعطنا ابن اخيك هذا مكانه وقال اعطيكم ابني تقتلونه الى غير ذلك مما يدل على انه تقدم أن العرب تسمي العم أبا ولا يدل على ثبوت هذا الحديث وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت * لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه الدليل أي لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفي كلام القرطبي قد أحيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في

كرامته

قال وقـد ورد فى أهل الفترة أحاديث انهم موقوفون الى ان يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهى كثيرة ومعانيهـا متقاربه والمصحح منها ثلاثة * الاول حديث الاسود بن سريع وأبي هريرة مع مرفوعا أربعة يمتحنون يوم القيامة رجـل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقى وصححه وفيه وأما الذى مات فى الفترة فيقـول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليـه بردا وسـلاما ومن لم يدخلها سحب اليها * والثانى حديث أبى هريرة رضي الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين * والثالث حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين واقره الذهبى قال الحافظ ابن حجر والظن بآله صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم ثم [illegible] الناصى عن [illegible] الاحاديث التى فيها انه صلى الله عليه وسلم [illegible] غير أمه [illegible] هائلا [illegible] صلى الله عليه وسلم ليس [illegible] هو أسعف [illegible] ادراك [illegible] والايمان به قال الزرقانى وقد رحم الله بكاءه فاحياها له حتى آمنت به ثم [illegible] هذه العبارة من القاضي عياض فانها صريحة في ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازى فى تفسيره ان أبوي النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه بل ان آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك في الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون أحد من اجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق

كرامته وفضيلته صلي الله عليه وسلم ولو لم يكن احياء ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما أحييا كما أن رد الشمس لو لم يكن نافعا في بقاء الوقت لم ترد والله أعلم * قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط ابن الجوزي ان عبد الله لم يتزوج قط غير آمنه ولم تتزوج آمنه قط غيره ونقل اجماع علماء النقل على ان آمنة لم تحمل غير النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم أحمل حملا أخف منه التأكيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم انه خرج على وجه المبالغه اه * أقول هذه الروايه لم أقف عليها والذى تقدم مرارا ثم من حمل هو أخف منه * وفى روايه أخرى حملت به فلم اجد حملا قط أخف منه على ونحمل الرؤيه والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك أنها حملت بغيره ولا ينافيه قولها أخف على لان المراد على فيما علمت والله اعلم قال والحافظ ابن حجر نسب سبط ابن الجوزى في نقل الاجماع الى المجازفة وقال وجازف سبط ابن الجوزى كعادته في نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون آمنه أسقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها المذكور اليه اه * اقول وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على ان والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها وجدت المشقه في حمل ذلك السقط وان اخبارها بذلك تاخر عن حملها بذلك السقط وانها رأت في حملها بذلك السقط من الشدة ما لم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم واما حملها بذلك السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا يتاتى لما تقدم من ان عبد الله دخل بها حين أملك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولانه يخرج ذلك عن كونه بكرا بيه وامه وأما روايه حملت الاولاد فما وجدت حملا وقال فيها الواقدى لا تعرف عند اهل العلم كما بينا ذلك في الكوكب المنير على ان امكان حملها بسقط لا يقدح فى نقل الاجماع على انها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان ان مراده حملا تاما وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي ولم يلدا ابواه غيره صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال وترك عبد الله جاريته أم أيمن بركة الحبشية أسلمت قديما هى وولدها أيمن وكان من عبد حبشي يقال له عبيد اه * اقول في كلام ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم أعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيدا الحبشى ابن زيد من بني الحرث فولدت له أيمن ولا ينافيه ما في الاصابه كانت أم أيمن تزوجت فى الجاهلية بمكة عبيدا الحبشي ابن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل أم أيمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذرى والله اعلم قال وقد زوجها صلي الله عليه وسلم أى بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلي الله عليه وسلم يقول من سره ان يتزوج امرأة من اهل الجنة فليتزوج بام أيمن فجاءت منه باسامة وكان يقال له الحب ابن الحب * وقيل اعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك اى عبد الله

السنوسى والتلمسانى محشي الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم في جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطى كلام الفخر الرازى بادلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه مع ما ثبت ان الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض واخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضي الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها واخرج الامام احمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن اهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعنى بعثت من خير قرون بني آدم الخ وان الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ نتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من اجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم فقيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما ان يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما ان يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما ان يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما ان يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت انهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض فى زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة في ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث فى البخارى وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم احد الى ان جاء عمرو بن عامر الخزاعى الذى يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بان عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على

وكساه

خمسة أجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه اهـ أي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتى متن فى حياته فعلى تقدير صحته جاز أن يكون صلى الله عليه وسلم ترك أحد ميراثه تعففا وسيأتي وقال ابن الجوزى وأصاب أم أيمن هذه عطش فى طريقها لما هاجرت أي الى المدينة على قدميها وليس معها أحد وذلك في حر شديد فسمعت شيئا فوق رأسها فتدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما أصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر ما عطشت أى وفى مزيل الخفاء قال الواقدى كانت أم أيمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم أى بدل سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم هذا كلامه فليتأمل فان هذا يقتضى ان الصيغة الاصلية فى السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة فى السلام اما السلام عليكم أو سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر أئمتنا تلك الصيغة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأم أيمن عنده فقالت يا رسول الله اسقنى فقلت لها ألرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما خدمته أكثر فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وذكر بعض المؤرخين ان بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء أى لونها أسود ولهذا خرج ابنها اسامة في السواد أى وكان ابوه زيد أبيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل على النبى صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال ألم ترى ان مجززا المدلجى قد دخل على فرأي اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد جعل أئمتنا ذلك أصلا لوجوب الاخذ بقول القائف في الحاق النسب قال الابى رحمه الله والمعروف ان الحبشية انما هي بركة أخري جارية أم حبيبة قدمت معها من الحبشة وكانت تكنى أم يوسف كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم أى وهى التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى * قيل وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم

باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا أى مقطوع السرة وجاء ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته وأذن فى اذنه

وكساه ثوبا ابيض وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا أي على صورة المختون اي ومكحولا ونظيفا ما به قذر * اقول أي لم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافي جواز وجود البلل والقذر بعده أي في زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على ان امه صلى الله عليه وسلم لم تر نفاسا فان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة في زمن امكانه وهو قبل مضي خمسة عشر يوما لا الحاصل مع الولد والله اعلم قال وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي أي لئلا يرى احد سوأتي عند الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا وأجيب بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان أي وقد يدعي انه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز ان يكون من قال صحيحة أراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة أراد في حد ذاتها وفي الهدي ان الشيخ كمال الدين بن طلحة صنف في انه ولد مختونا مصنفا أجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد عليه في ذلك الشيخ كمال الدين بن العديم وذكر انه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب * وولد من الانبياء على صورة المختون ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وليس هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ومن خرافات العامة أن يقولوا من يولد كذلك ختنه القمر أي لان العرب تزعم ان المولود في القمر تنفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملائكة وهذا يرد على ما ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا وقيل ختن صلى الله عليه وسلم أي ختنه الملك الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظئره أي مرضعته حليمة قال الذهبي انه خبر منكر وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم قال العراقي وسنده غير صحيح اه أي لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سياتي * اقول وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي أي لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمنا وفي كلام بعضهم ان عيسى عليه السلام حين بآلة وعلى صحته

مسلما براهيم ثم قال فتلخص من مجموع ماسقناه ان اجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والدا براهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو احد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى ان جاء خير المرسلينا

قال السهيلي ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالا كثرون على انه لم تبلغه الدعوة وانه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ذكره في السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده أيضا ما اتضح له من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والاشارات حتى تبين له ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن السكن لما جاء عنه انه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وانتظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روي عن عبد المطلب اخبار كثيرة تقتضي انه عرف بها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ان قوما من بني مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبي صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فاتى برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ما هذا منك قال هذا ابني قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات أبوه وامه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا

ران أحيكم ألا تسمعون ما قال فيه وعن أم أيمن رضي الله عنها قالت كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أي اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركه قلت لبيك قال اتدرين أين وجدت ابني قلت لا أدري قال وجدته مع [illegible] من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامه وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل [illegible] الا يقول علي بابني أي احضروه ويجلسه جنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره باطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم [illegible] عبد مناف قيل ادركت الاسلام (٦٤) ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون اي ازمنه قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين اي اشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول [illegible] يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان [illegible] خروجه [illegible] الحيا والخصب [illegible] الا [illegible] اي [illegible] معروف [illegible] الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين اي لا شعر بهما رقيق العرنين اي الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس ابي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتهم

يجمع بنحو ما تقدم * والظاهر أن المراد بالآلة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى الله عليه وسلم بناء على ان جده ختنه كانت بالآلة المعروفة التي هي الموسى والا لنقل لان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله لا يقال عدم وجود القلفة نقص من أصل الخلقة الانسانية فقد قالوا في حكمة وجود العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانساني * لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل أحد مع ما لزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السوداء وكره الحسن أن يختن الولد يوم السابع لان فيه تشبيها باليهود أي لان ابراهيم عليه السلام لما ختن ولده اسحق عليه السلام يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل عليه السلام لثلاث عشرة سنة قال ابو العباس بن تيمية فصار ختان اسمعيل عليه السلام أي في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب ويؤيده قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك أي لان الثلاث عشر هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ مختون أي في اوائل زمن الختان والله أعلم * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يديه يشير بالسبابة كالمسبح بها * أقول وفي رواية عن امه أنها قالت لما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه السبابتان من اليدين والله أعلم وفي سجوده اشاره الى ان مبدأ أمره على القرب من الحضرة الالهية قال وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا رأسه الي السماء وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الي السماء اه * أقول وفي روايه ووقع جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من انها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز ان يكون سجوده بعد رفع رأسه وشخوص بصره الى السماء ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة أصابع يديه ووقوعه على كفيه لجواز ان يكون قبض أصابعه ماعدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنها من الوقوع على الارض والاقتصار على الركبتين لا ينافي الجمع بينهما وبين الكفين ورأيت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم ولد واضعا احدي يديه على عينيه والاخرى على سوأتيه فليتامل والله أعلم والى رفع رأسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الي السماء يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـــع الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السماء ومرمى * عين من شانه العلو والعلاء

أي وضعه حالة كونه رافعا رأسه الى السماء وفي ذلك الرفع الذي هو أول فعل وقع منه بعد بروزه

ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أي البقر والابل والخيل والبغال والحمير فشفت على الانفس أي اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء وفي هذه القصة تقول رقيقة شعرا بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر فجاء بالماء جوني له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر

صلى

منا من الله بالميمون طائره * وخير امن بشرت حقا به مضر   مبارك الاسم يستسقي الغمام به * مافي الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الي بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقي الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسال الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم اصبح غاديا اليها وخرج معه الناس واولاده ومعه رسول الله صلى عليه (٦٥) وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يده وقال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب ومليّ الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوى وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج

الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف ان يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب أن هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم أخرج اليك لخرب ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه واعطاه مايعالج به وفي رواية ان الراهب اخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هذا ارمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا الذي اقسم على الله به فابرئ المرضى واشفي الاعين من الرمد وتقدم

صلى الله عليه وسلم الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووصفته حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه ادمرمى عين الذى قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض قبضة من تراب واهوى ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفال ليغلبن هذا المولود اهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت في يده والفال بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفال ضد الطيرة بكسر الطاء وقد جاء اني أتفاءل ولا أتطير وقيل له صلى الله عليه وسلم ماالفال قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفي رواية وأحب الفال الصالح وفرق بعضهم بين الفال والتفاؤل بان الاول يكون في سماع الآدميين والثاني يكون في الطير باسمائها وأصواتها ومرها وقوله لا عدوى معارض لما جاء انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع فرجع ولم يصافحه وجاء لا تديموا النظر الى المجذومين وسياتى الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ماجاء انه أخذ يد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حي من الازد اعلم الناس بالزجر أي زجر الطير والتفاؤل بها وبغيرها فقد كان في الجاهلية اذا اراد الشخص ان يخرج لحاجة جاء الى الطير وازعجها عن أوكارها فان مر الطائر على اليمين سمى سانحا واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمي بارحا بالموحدة والراء والحاء المهملة وقعد مريد الحاجة عنها تفاؤلا بعدم قضائها أى وهذا مافسر به امامنا الشافعي الحديث الآتى أقروا الطير في مكناتها فعن سفيان بن عيينة قال قلت للشافعي رضي الله تعالى عنه ياأبا عبد الله مامعني هذا الحديث فقال علم العرب كان في زجر الطير كان الرجل منهم اذا اراد سفرا جاء الي الطير في مكناتها فطيرها الحديث وحكى عن وائل بن حجر وكان زاجرا حسن الزجر انه خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذى ألحقه معاوية بأبيه أبي سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذى قاتل الحسين وكان أميرها المغيرة بن شعبة فرأى غرابا ينعق بالغين المعجمة أي يصيح فرجع الى زياد وقال له هذا غراب يرحلك من ههنا الي خير فقدم رسول معاويه الى زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان اباذؤيب الهذلى الشاعر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بي هاتف وانا نائم وهو يقول

قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومى فزعا فنظرت في السماء فلم أر الاسعد الذابح فتفاءلت به وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وجئتها حتي اذا كنت بالغابة زجرت الطير فاخبرني بوفاته صلى الله

جملة من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتحنثه بغار حراء واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش في رءوس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموءودة وان لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزي فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لاهل مكة عند مجيء اصحاب الفيل لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك (٦٦) ومن ذلك قوله حين اراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب القداح ويقول يارب انت الملك المحمود* وانت ربي الملك المعبود* من عندك الطارف والتليد * فهل التوحيد شيء غير هذا كلا والله واما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف احد بها قبل ذلك وتقدم انه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد غيره ويحدق به اشراف قريش فيجيء النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فاراد بعض اعمامه ان يمنعه فقال عبد المطلب ردوا ابني الي مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وارجو ان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكي خلف سريره * وروى ابو نعيم في الحلية والبيهقي ان سيف ابن ذي يزن الحميري لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار فاخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن

عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج فسالت فقيل لي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلا به أهله* وأبو هذيل هذا هو القائل

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

واذا المنية أنشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي أبي الحسين الازدي المالكي فجاء غراب فقعد على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف ففي سابع يوم مات هذا القاضي وقد جاء النهي عن ذلك اي عن الزجر والطيرة في قوله صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكانها أي لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء من ارجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك أي حيث اعتقد أنها تؤثر وجاء اذا رأى أحدكم من الطيرة ما يكره فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك وفي رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضي لحاجته وقد جاء لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر والهامة هو انه كان أهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يؤخذ ثاره يخرج له طائر يقول عند قبره اسقوني من دم قاتلي اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك حتى يؤخذ ثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف وأما الهامة بالتشديد فواحدة الهوام وهي الحيات والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في تعويذه للحسن والحسين أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسمعيل واسحق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد به حية صفراء تكون في جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر راوي الحديث فتعين اعتماده * وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور أضاءت له قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى وفي الخصائص الصغرى ورأت أمه عند ولادته نورا خرج منها أضاء له قصور الشام وكذلك أمهات الانبياء عليهم السلام يرين اه ولعل المراد يرين مطلق النور لا الذي تضيء منه قصور الشام وقوله قصور الشام الخ ظاهر في ان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصري ولعل الاقتصار على بصري في

الروايات

لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب * وفي الوفاء للسيد السمهودي وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا وأنبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد وكهفها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف فلن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة (٦٧) بيته أشخصنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أي التعزية فعند ذلك قال الملك من انت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال أدن ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا سجلا أي كثيرا لعطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أي العطاء اذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فاقاموا لذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال ياعبد المطلب اني مفض اليك من سر علم لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه اي عليه فليكن عندك مخبا حتى ياذن الله عز وجل فيه اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب ايها الملك أبت بخير آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مساره اياي أي مسارته اياي بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد

الروايات لكون النور كان بها أتم ومن ثم قالت حتى رأيت اعناق الابل ببصري اورأت مرة وصول النور الى بصري خاصة ومرة جاوزها تامل والى هذا النور يشير عمه العباس رضي الله تعالى عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له في مرجعه من تلك الغزوة يارسول الله اني أريد ان امتدحك فقال له رسول الله قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت لما ولدت أشرقت الا رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـور وسبـل الرشاد نخترق

والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

أي رؤيت قصور ملك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة قال وهذا ظاهر في أنها رأت ذلك النور يقظة وتقدم في حديث شداد انها رأته مناما وقد تقدم الجمع * أي وتقدم ما في ذلك الجمع * وذكر ابن ام [illegible] رضي الله تعالي عنه رأت وهي حامل به ان النجم المسمي بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتاول ذلك أصحاب تاويل الرؤيا بانها تلد عالما يكون علمه بمصر أولا ثم ينتشر الى سائر البلدان * وروى السهيلي عن الواقدي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى أن اول ما تكلم به لما ولدته أمه حين خروجه من بطنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم تكلم بكل ذلك والاولية في الرواية الثانية اضافية لما لا يخفي * وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته صلي الله عليه وسلم أي هل كان ليلا أو نهارا وعلى الثاني في أي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله فقيل ولد يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله ل أخطا من قال ولد يوم الجمعة أي فعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار أي وسطه وكان ذلك اليوم لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول أي وكان ذلك في فصل الربيع وقد أشار الى ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي * ربيع في ربيع في ربيع

قال وحكي الاجماع عليه وعليه العمل الآن أي في الامصار خصوصا أهل مكة في زيارتهم موضع

فيه أوقد ولداسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قدولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعزبهم اولياءه ويذل اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان أي يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك ساري بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب انك لجده ياعبد المطلب غير كذب فثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست شيء مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهره فجاءت غلام فسميته محمدا مات أبوه وامه وكفلته أنا وعمه يعني أبا طالب فقال له الملك ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أي فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ماذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة في ان تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وابناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي أي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتي أصير بيثرب دار ملكه فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب احكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا اني أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن ساصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرسيا مملوأ عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فاتني بخبره ومايكون من امره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا مايقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن

مولده صلي الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح اه أي صححه الحافظ الدمياطي أي لان الاول قال فيه ابن دحيه ذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح أصلا ولو أسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح أهل العلم له فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك رضي الله تعالى عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه أنه قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحق انما هو رجل من الدجاجلة أخرجناه من المدينة قال بعضهم وابن اسحق من حملة من يروى عنه شيخ مالك يحيي بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحق فقيه ثقة لكنه مدلس * وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار اكثر أهل الحديث أي كالحميدي وشيخه ابن حزم * وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشره ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبه وهو حديث معلول وقيل لاثنتي عشره بقين منه وقيل لاثنتي عشره وقيل لثمان ليال خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من ان امه صلي الله عليه وسلم حملت به في أيام التشريق أو في يوم عاشوراء وانه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قائله انه أوحى اليه صلي الله عليه وسلم في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم مافي بقية الاقوال قال وقيل ولد في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في محرم وقيل في عاشوراء أي كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه اه * أي وذكر الذهبي ان القول بانه ولد صلى الله عليه وسلم في عاشوراء من الافك أي الكذب وفيه ان كان ذلك لانه لايجامع انها حملت به صلى الله عليه وسلم في أيام التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لايختص الافك بهذا القول بل ياتي فيما عدا القول بانه ولد في رمضان ثم رأيت بعضهم حكى انه حمل به في شهر رجب وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الاول * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الي المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفى يوم الاثنين في ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا * وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا وعن عثمان بن أبي العاص عن أمه رضى الله تعالي عنهما انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء أنظر اليه من البيت الا نورا واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي قال ابن دحية وهو حديث مقطوع * قال بعضهم ولايصح عندي بوجه انه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القرآن

يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ماهو قال سيعلم مااقول ولو بعد حين قال الزرقاني في شرح المواهب وماذكره الفخر الرازي من تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين بتنقيله في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه في تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد اخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في اصلاب الانبياء ولومع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه انها لا اله الا الله باقية في عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة في الآية قال هي شهادة ان لا اله الا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ان أهل الكتابين والتاريخ اجمعوا على أن آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى وإله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف وقد روى بالاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارح ووقفت على أثر في تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه قال الزرقاني وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتاخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف في اسمه وأطال في بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هي الخطا وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازي ونقله حافظ السنة في عصره وامره وايده بما لا محيص عنه ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار فقد وافق الرازي

وأيضا الصوم لا يكون الا نهارا وأفاد البدر الزركشي ان هذا الحديث أي المتقدم عن أم عثمان بن أبي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا أي فصلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم هل هو في الليل أو النهار اشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذى كان للديـــن سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضـــل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحمـــد أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار مالم تنله النساء

أي ليلة المولد الذى وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد أضاف كلا من الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيئا لآمنة الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم أى لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذى شرفت بذلك الفضل حواء التي هى أم البشر ومن يشفع لحواء في انها حملت به وانه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يتمدح به من الخصال العلية والشيم المرضية مالم يعطها غيرها من النساء * أى وقد اقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى والضحى والليل وقيل أراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع ان يكون الاقسام وقع بهما أي استعمل الليل فيهما * ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة الى آخر ما ياتى وسياتى ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة * وولادته صلى الله عليه وسلم قيل كانت في عام الفيل قيل في يومه فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل ضحا فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام أى بدل لفظ اليوم وقد يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان معناه متقاربان في السن بالموحدة وعلى ان المراد باليوم حقيقته يكون بالنون * وفي تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل في اليوم الذى بعث الله تعالى الطير الابابيل فيه على اصحاب الفيل * وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعني عام الفيل اه أى لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن حبان في اليوم تفسيرا للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام * وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلي قال بعضهم وهو المشهور وقال وقيل بخمسة وخمسين يوما وقيل باربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل

الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة فى تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد اجاب العلماء عنها باجوبة كثيرة منها انها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتاويل اوانها منسوخة بما ورد في الابوين مما يخالفها * فمن الاحاديث المعارضة ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي كان يصل الرحم وكان وكان فاين هو قال في النار فكانه وجد من ذلك فقال اين أبوك انت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فاسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا ساله اعرابي وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وايهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة ابيه لابيه في المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستنقار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يارسول الله أين أبي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان أبي وأباك في النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقاني في شرح المواهب واحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وان الصواب هي الرواية الاولى فهى في غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابي بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة في أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته ادلة أخرى وجب تاويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر في الاصول * فان قيل حيث قررت ان اهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على ابى السائل بانه في

بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل باربعين سنة وقيل بسبعين سنة اه أى وعلى انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله وعبارة المواهب حكاه الدمياطى في آخرين وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ البخاري رحمه الله لا يشك فيه أحد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل قول يخالفه وهم * أى وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا غريب منكر وضعيف أيضا * أقول والقول بانه ولد قبل عام الفيل أو فيه او بعده بعشر سنين يقتضى تضعيف ما ذكره الحافظ أبو سعيد النيسابوري ان نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يضئ فى غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التى بناها ويقال انها القليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها في أعلى الرؤوس مكان الكعبة في الحج اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ العامل فى عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه فى ان لا يقطع يد ولدها فابى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها فعفا عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال وألقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا أن يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الي وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه اى فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب أى فان صاحب الفيل أمره ان يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم تحولوا بينه وبينه لم يزد على هدمه وان أحلتم بينه وبينه أتى عليكم فقال له عبد المطلب ما عندنا منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه أى وفى لفظ قال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وأمر ابرهة رسوله أيضا أن ياتي له بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد أمرني ان آتيه بك فقال عبد المطلب افعل فجاءه راعي ابله وخيله وأخبره ان الحبشة أخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذى المجاز * وفي سيرة ابن هشام بل وفى

غالب

النار أجاب السيوطي بجوازانه يعصى عند الامتحان وأوحي اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بانه من أهل النار وبان حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجوازانه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة قال الزرقاني وفي الثالث نظر لانه لوكان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اد الفرق لائح لان اباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا ان يجاب بان الاعرابى توهم انه لا يكفى بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ تفقه فى الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به في حديث سعد وابن عمر رضي الله عنهما وبعضهم روى (٧١) هذه القصة بان السؤال عن الام

غالب السير الاقتصار على الابل وانها كانت مائتي بعير وقيل أربعمائة ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحرث فاستؤذن له على ابرهة أى قيل له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال فادن له فلما دخل ورآه ابرهة اجله واكرمه عن أن يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اساله عن حاجته فذكرا له وخيله فذكرا الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت اعجبتني اذرأيتك ثم قد زهدت فيك اذ سالتني ابلا وخيلا وتركت أن تسال عن البيت الذى هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب أنا رب الابل والخيل التي سالتها الملك وأما البيت فله رب ان شاء أن يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان اخذه له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه * ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذى فى ظهرك ياعبد المطلب * وفي كلام بعضهم أن ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب اليه أمر ان عبد المطلب قبل دخوله عليه أن يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان أبيض اللون * أقول رأيت ان ملك الصين كان فى مربطه ألف فيل أبيض وكان مع الفرس في قتال أبي عبيد بن مسعود الثقفي أمير الجيش فى خلافة الصديق أفيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين أيديهم فيلا عظيما أبيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فامر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة فقتلوها عن آخرها وتقدم أبو عبيد لهذا الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة وحمل على أبي عبيد فتخبطه برجله ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان ابو عبيد اوصي ان يكون اميرا بعده فقتله ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من أعرب الاتفاقيات والله اعلم وانما أرى عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ماعدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة * وأما الفيل الاعظم فلم يسجد الا للنجاشي فلما رأت الفيلة عبد المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم أمر بادخال عبد المطلب عليه فلما رآه ألقيت له الهيبة فى قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رأيت العلامة ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري من ان النور استدار في وجه عبد المطلب الى آخره أى وقول الفيل السلام على النور الذى فى ظهرك ياعبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها أن يكون النور انتقل من عبد المطلب الي عبد الله ثم انتقل من عبد الله الي آمنة بان النور وان

وجمع بانه سال مرة عن ابيه ومرة عن أمه * ومن الاحاديث المعارضة للنجاة حديث مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه مرفوعا استاذنت ربى ان استغفر لامي فلم ياذن لى واستاذنته أن أزور قبرها فادن لى فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة واجيب كما في الزرقاني بان حديث عدم الاذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلي الله عليه وسلم كان ممنوعا في أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له مع انه من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الي منزله فى الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضى دينه فقد تكون امه مع كونها متحنفة محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور أخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها الي أن أذن الله فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمي مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار لجوازانه أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وابهاما تطيبا لقلوبهما قال وأحسن منه أنه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه أنها من أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعا أ لعينا كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبى هريرة رضي الله عنه وقال بعد أن أوحي اليه فى شانه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضى الله عنهما فكانه أولا لم يوح اليه في شانها بشيء ولم يبلغه القول الذى قالته عند موتها ولا تذكره فاطلق القول بانهما مع أمهما جريا على قاعدة

أهل الجاهلية ثم اوحى اليه امرها بعد قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شان البعث والنشور وذلك أصل كبير فاحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ماني شريعته ولذا تاخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فاحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضي عياض ان الاحاديث التي فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على ان بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان اسفا على مافاتها من ادراك ايامه اى بعثته والايمان به وقدرحم الله بكاءه فاحياها حتى آمنت * ومن الاحاديث المعارضة للنجاة مارواه الحاكم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم أوما الى المقابر أي اشار الى انه يريد الذهاب اليها فتبعناه فجاء حتى جلس الى ورمنها فما جاءطولا ثم بكى وبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لى واني استاذنته في الدعاء وفي رواية في الاستغفار لها فلم يادن لى وانزل على ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى فاخذني ماياخذ الولد للوالد أي من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه ابوأيوب ابن هانيء ضعيف قال السيوطى فهذه علة تقدح فى صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التى فيها ان الآية نزلت في ابي طالب واما مايذكره بعض المفسرين من ان قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم نزلت فى الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت في اليهود والنصارى قال ابوحيان في البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في ابي طالب وسياتي الكلام عليه فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن فى النار وهو الذى يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به احد

انتقل من عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى أكرم عبد المطلب فاحدث ذلك النور في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتامل وذكر بعضهم ان الفيل مع عظم خلقته صوته ضئيل أى ضعيف ويفرق أي يخاف من السنور الذى هو القط ويفرع منه * وفي المواهب والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذى هو دعواه الرسالة لاقبل وجوده بالكلية الذى هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات اذ روى انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد وجوده ومن ثم قال ابن القيم في الهدي ان مما جرت به عادة الله تعالى ان يقدم بين يدى الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه صلى الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة فى الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى أول الحرم والمواهب أسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتامل وعند وصوله الى أول الحرم برك فصاروا يضربون رأسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك مرارا فامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره ويقال انما برك لان نفيل ابن حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام * ثم أرسل اذنه فبرك قال السهيلي رحمه الله الفيل لايبرك فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله سبحانه ويحتمل ان يكون فعل البرك وهو الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر أمثال الخطاطيف وقيل ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فاهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذى قيل انه من نسل الابابيل انما هو شيء يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والاوسيأتى أن حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار على ماسيأتي فيه وفى حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش وتفرخ بين السماء والارض * ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم قالوا أهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله سبحانه وتعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذى لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أصحاب الفيل أي ومن حينئذ مزق الحبشة كل ممزق وخرب ماحول تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل من أراد ان يأخذ منها شيئا أصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو أول خلفاء بنى العباس فذكر له أمرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفصصة

قال انما تعلق بمحجتي وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك باجوبة أحدها انها اخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بانهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثاني قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع والله اعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحي فانهم فعلوا من الضلال والاضلال مالا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة اقسام ﴿ القسم (٧٣) الاول ﴾ من ادرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أي بعلمه وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الايادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وفي كلام آخر روى اليعمري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا اني ارجو ان يبعثه الله أمة وحده وسيأتي شيء من اخباره وكزيد ابن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر ابن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول اني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وانا انتظر نبيا من بني اسمعيل يبعث ولا اراني ادركه وانا أومن به واصدقه واشهد انه نبي وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فاقره مني السلام قال عامر فلما اعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه

المقصصة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون في رؤوس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو واياهم الى ذلك بعد ان اخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال

لاهم ان العبد يحـمي رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

أي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما يبقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي انت فيه ويقال ان عبد المطلب جمع قومه وعقد رايه وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر بينه وبين ماتقدم من أنه خرج مع قومه الى رؤس الجبال بانه يحتمل انه امر ان تكون الذرية في رؤوس الجبال أي وخرج معهم تأنيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة أي ويؤيد ذلك قول المواهب ثم ان ابرهة امر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى آخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لايحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ماشاء من صفراء وبيضاء ثم آذن أي اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا * وفي كلام سبط ابن الجوزي فسمى عثمان بن عفان ان أباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود الثقفي لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا من اموال ابرهة واصحابه شيئا كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا أغنى قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله تعالى عنه أي ومن حملة من سلم من قومه ابرهة ولم يذهب بل بقي بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أدركت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * وأورد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شيء ويجاب بان الحجاج لم يجيء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ليسلم نفسه وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله اعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج اي وكانت قبل ذلك لعقيل بن ابي طالب ولم تزل بيد اولاده بعد وفاته الى ان باعوها لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بمائة الف دينار قاله الفاكهي اي فادخلها في داره وسماها البيضاء أي لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن

كرم الله وجهه لكن اشتهر الصدق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي رضي الله تعالى عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل حران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقاني ولا بدع ان يكون الابوان الشريفان كالقسم الاول اعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان اولى بذلك كما تقدم * القسم الثاني من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر أول (٧٤) من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجده قمعة بن خندف ابو خزاعة وخندف زوج الياس ابن مضر وقد ذكر ابن اسحق في سبب تغيير عمرو ابن لحي وتبديله واشراكه انه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الي مكة ونصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له ابو ثمامة جاءه ليلة فقال أجب ابا ثمامة فقال لبيك من تهامة ادخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التي كانت تعبد زمن نوح فحملها الي مكة ودعا الي عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام في العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لاشريك لك فقال الشيخ الاشريكا هو لك تملكه فانكر ذلك عمرو وقال ماهذا فقال قل تملكه وماملك فانه لاباس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمي الحامي فكانوا اذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضي او قدمت من سفري فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم واذ ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها

يوسف لكن سيأتي في فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم يارسول الله تنزل في الدور قال هل ترك لنا عقيل من رباع أو دور فان هذا السياق يدل على ان عقيلا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده الا أن يقال المراد باع ماعدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم أي لانه كما سيأتي في الفتح باع دار أبيه أبي طالب لانه وطالبا أخاه ورثا أباطالب لانهما كانا كافرين عند موت أبي طالب دون جعفر وعلي رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دار خديجة أي التي يقال لها مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي الآن مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضي الله تعالى عنه أيام خلافته قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام أي واشتهر بمولد فاطمة رضي الله تعالى عنها لشرفها والا فهو مولد بقية اخوتها من خديجة ولعل معاوية رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التي أعني التي بيد عقيل أي التي هي دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فاخذها عقيل * وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ضرب خيمته بالحجون وقيل له الاتنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بني هاشم وفي كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم في الاسلام والهجرة فانه أسلم عام الحديبية التي هي السنة السادسة وباع دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شئ منها * وهي أي تلك الدار التي ولد بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا فقد ابتاعتها زبيدة زوجة الرشيد أم الامين مسجدا لما حجت * وفي كلام ابن دحية ان الخيزران ام هرون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسيأتي ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا أيضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم * أقول قد يقال لامخالفة لانه يجوز ان تكون تلك الدار من شعب بني هاشم ثم رأيت التصريح بذلك ولا ينافيه ماتقدم في الكلام على الحمل من أن شعب ابي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز أن يكونا وطالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم أي ردم بني جمح وهم بطن من قريش ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحرث وقد وقع بين بني جمح وبين بني الحرث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحرث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى * أقول ممايرد القول

فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة بطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الاقسام يجعلونها لطواغيتهم وتبعته العرب في غير ذلك أيضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا للهاسدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة * القسم الثالث وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثاني لاجل كفرهم بما تعدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى في مقام الرد والانكار لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شان اكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الاول * واما القسم الثالث فهم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم ان والدي النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكونا من أهل القسم الاول كما دلت على ذلك اشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم فيما تقدم واما ان يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوه لتاخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما في زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوه على وجهها الا نفرا يسيرا من احبار اهل الكتاب مفرقين في أقطار الارض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب في الاسفار سوى المدينه ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زياده ان امه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لوشاء ربنا

بكونه ولد عسفان ما ذكره بعض فقهائنا ان من جملة ما يجب على الولي ان يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينه الا ان يقال ذاك بناء على ما هو الاصح عندهم والردم هو المحل الذى كانت ترى منه الكعبه قبل الآن ويقال له الآن المدعى لانه يؤتى فيه بالدعاء الذى يقال عند رؤية الكعبة ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته لما جاء السيل العظيم الذى يقال له سيل أم نهشل وهي بنت عبيدة بن سعيد بن العاص فانه اخذها وألقاها اسفل مكة فوجدت هنالك ميتة ونقل المقام الى ان ألقاه باسفل مكة أيضا فجيء به وجعل عند الكعبه وكوتب عمر رضي الله عنه بذلك فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف فهاله ذلك ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضي الله تعالى عنه أنا يا امير المؤمنين عندى علم بذلك فقد كنت أخشي عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بخياط فقال له اجلس عندى وارسل فارسل فجيء بذلك الخياط فقيس به ووضع المقام بمحله الآن واحكم ذلك واستمر الي الآن فعند ذلك بني هذا المحل الذى يقال له الردم بالصخرات العظيمه ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبه تشاهد منه والآن قد حالت الابنيه وصارت لا ترى ومع ذلك لا باس بالوقوف عنده والدعاء فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محمل قول من قال اول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولا ينافي أن الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سياتي لكن رأيت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر اى الذى هو المقام ملصقا بباب الكعبه على ما كان عليه من قديم الزمان الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطائفون بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاه والسلام فليتامل * وعن كعب الاحبار اني أجد في التوراه عبدى أحمد المختار مولده بمكة أي وهو ظاهر في أن كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية * قال وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عن أمه الشفاء أي بكسر الشين المعجمه وتخفيف الفاء وقيل بفتحها وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى أي فهي دايته صلى الله عليه وسلم ووقع في كلام ابن دحية ان أم أيمن دايته صلى الله عليه وسلم وقد يقال اطلاق الدايه على أم أيمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفاء قابلته وقد قيل في اسم الوالده والقابلة الامن والشفاء وفي اسم الحاضنه البركة والنماء وفي اسم مرضعته أولا التي هي ثويبة الثواب وفي اسم مرضعته المستقله برضاعه التي هي حليمه السعدية الحلم والسعد قالت أم عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك

لا برل ملائكة ولو كان عنده علم من بعثه الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون ان ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها الدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة * وأما أهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام في كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بانهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام * واختلفوا (٧٦) في ثبوت الصحبة لقس بن ساعده وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لاجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاه والسلام انهم يبعثون بينه وبين عيسي عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذى دخلوا فيه مالم يلحق احدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه فيه لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أى وحد الله وصدق بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخرج ابو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطى انى لم ادع ان مسئلة الابوين اجماعية بل هي مسئله اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير اني اخترت اقوال القائلين بالنجاه لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذي ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روي ابن منده وغيره عن ابي هريره رضي الله عنه قال جاءت سبيعة بنت ابى لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون

الله تعالى أو رحمك ربك أى او يرحمك ربك ولهذا القول الذى لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذى هو في المشهور صياح المولود أول مايولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجئ في شئ من الاحاديث تصريح بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى اى وقد قال الحافظ السيوطي لم أقف فى شئ من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانها أى وعطس بفتح الطاء يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن فى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان هما مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وقد أشار الي التشميت صاحب الهمزيه رحمه الله بقوله شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

أي قال له الاملاك رحمك الله أو رحمك ربك وقت وضع أمه له وشرفتنا بقولها المذكور الشفاء التي هي أم عبد الرحمن بن عوف * أقول قال بعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما ترجاه ماتقدم انه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن أمه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزيه ويجوز ان يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلي الله عليه وسلم وقد جاء العاطس ان حمد الله تعالى فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجاء اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل من سمعه ان يشمته وفى الصحيح ان رجلا عطس عند النبى صلي الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد الله فلم يشمته * وفى حديث حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك أى بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل فيها الوجوب وبقوله حق أهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الائمة الي وجوبه على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضي الله تعالى عنه أي وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ليس على ابليس أشد من تشميت العاطس * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعي وكان من أهل الصفه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليه بقوله يغفر الله لى ولكم * ومن لطيف ما اتفق ان الخليفه المنصور وشي عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور مامنعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت فى نفسى فقال قد شمتتك فى نفسى فقال له ارجع الي عملك فانك اذا لم تحابني لا تحابي غيرى * قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ماذكرا انه ربما كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك وقال غيره لان الادمي بهي الابخره المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذى فيه قوة التذكر والتفكر أى فهو بحران الرأس

أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال مابال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله وروى الطبراني والامام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما احييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي في شرح مسلم واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد

لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيئا من ذلك وقد نقل العلامة الطحاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد ائمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فاجاب بانه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى اعظم من أن يقال ابوه في النار وأخرج ابن عساكر وابو نعيم ان رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلا كان أبوه يزن بالمانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له ما حملك على ان تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما علي من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تقل لي شيئا ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد أطنب الجلال السيوطي رضي الله عنه في الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا في نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال في مسالك الحنفا وقد سئلت ان انظم في هذه المسئلة ابياتا

الرأس كما ان العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها أي ولان الاطباء كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من انواع الصرع أعاذنا الله تعالى من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطباء ان العطاس للدماغ كالسعال للرئة قال والعطاس أنفع الاشياء لتخفيف الرأس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الرأس فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن أصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء ان روح آدم عليه السلام لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فمه ولسانه قال تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها آدم عليه السلام فقال الحق يرحمك الله يا آدم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك أي للموت وروى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان وروى ابن أبي شيبة موقوفا بسند ضعيف أيضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس في الصلاة أي مع كون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها احب الى الله تعالى من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها اكره الى الله تعالى من العطاس فيها لا ان الكراهة مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جاء اذا عطس احدكم أي هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته أي ولا ينافي وجود الشفاء ووجود أم عثمان ابن العاص عند أمه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روى عنها أنها قالت لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة واني لوحيدة في المنزل رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث ودخل على نساء طوال كأنهن من بنات عبد المطلب ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الي فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الي وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله تعالى فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين لجواز وجود الشفاء وأم عثمان عندها بعد ذلك وتأخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفاء لما تقدم من قولها وقع على يدي ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم أخت موسى ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون واخت موسى وسيأتي عند موت

اختم بها هذا التاليف فقلت | ان الذي بعث النبي محمدا * انجى به الثقلين مما يجحف | ولامه وابيه حكم شائع *
أبداه اهل العلم فيما صنفوا | وجماعة اجروهما مجرى الذى * آباؤه خير الدعاة المسعف | والحكم فيمن لم تجئه دعوة *
ان لاعذاب عليه حكم مؤلف | فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف | وبسورة الاسراء فيه حجة *
وبحوها في الذكر آي تعرف | ولبعض أهل الفقه في تعليله * معنى ارق من النسيم والطف | ونحا الامام الفخر رازى الورى*
منحى به للسامعين تشنف اذ هم على الفطر التي ولدوا ولم * يظهر عناد منهم وتخلف | قال الاولى ولدوا النبي المصطفى*

كل على التوحيد اذ يحنف
من آدم لابيه عبد الله ما
فيهم اخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم طهور يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب
في الساجدين وكلهم متحنف
هـذا كلام الشيخ فخر
الدين في
اسراره هطلت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير
جزائه
وحباه جنات النعيم
تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهليـ
ـة فرقة دين الهـدى
وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل
هكذا الصـ
ـديق ماشرك عليه يعكف
اذ فسر السبكي بذاك
مقاله
للاشعري وما سـواه
مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه
على الصـ
ـديق وهو بطول عمر احنف

خديجة انه صلى الله عليه وسلم قال لها أشعرت ان الله تعالى قد أعلمني انه سيزوجني وفي رواية أما علمت ان الله تعالى قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله أعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفاء والبنين * وقد حمى الله هؤلاء النسوة عن ان يطاهن أحد فقد ورد ان آسية لما ذكرت لفرعون أحب ان يتزوجها فتزوجها على كره منها ومن أبيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها أخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر اليها * وأما مريم فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرافقها الى مصر لما أرادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى عليه السلام وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة * وأخت موسى عليه السلام لم نذكرا انها تزوجت وهذا يفيد ان بنات عبد مناف أو بنات عبد المطلب على ماتقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء في افراط الطول * وقد رأيت ان علي بن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور أول خلفاء بني العباس أبوأبيهما محمد كان مفرطا في الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب أبيه عبد الله ابن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب أبيه العباس وكان العباس الى منكب أبيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي اقتصر في ذكر الطوال على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب ابن سلمة وعلي بن عبد الله بن العباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن أبيه العباس وعن أبيه عبد المطلب * وفي المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا ورأيت ان عليا هذا جد الخلفاء العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان أجمل شريف على وجه الارض وكان يصلي في كل ليلة ألف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هو الذي سماه عليا وكناه أبا الحسن فقد روى أن عليا رضي الله تعالى عنه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه مابال أبي العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب راد بعضهم ورزقت بره وبلغ أشده ماسميته قال أويجوز لي ان أسميه حتى تسميه فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما ولي معاوية الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه ولا كنيته يعني علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كراهة في ذلك وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ماذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك او كنيتك فلا صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك وهي ابو الحسن قال أما الاسم فلا أغيره واما الكنية فاكتني بابي محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي بن ابي طالب وكنيته وعلى هذا دخل هو وولداه ولده محمد

عادت عليـه صحبة الهادي فما * في الجاهلية للضلالة يعرف | وهما
فلامه وابوه احرى سما * ورأت من الآيات مالا يوصف | وجماعة ذهبوا الى احيائه * ابويه حتى آمنا لاتحرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * في ذاك لكن الحديث مضعف | هذى مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتالف
ونحسب من لا يرتضيها صمته * ادبا ولكن اين من هو منصف | صلى الاله على النبي محمد * ماجد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * اوفى رضاه يدوم لا يتوقف | باب وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابي طالب

كان جده عبدالمطلب هوالكافل له صلى الله عليه وسلم بعدوفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبدالمطلب حين توفي مائة وأربعين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصي ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبدالمطلب واسمه على الصحيح عبدمناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى (٧٩) آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطؤا في ذلك خطأ كثيرا ولم يتاملوا القرآن قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا وحين أوصى به جده لابي طالب احبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الي جنبه وكان يخصه باحسن الطعام وقيل اقترع ابوطالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله ابوطالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة فهي من علامات نبوته ففي خبر سيف ذي يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبدالمطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته ما بكي على عبدالمطلب وكان صلى الله عليه وسلم يسعى خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

أعيني جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر
على ماجد الجد واري الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبدالملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا الامر يعني الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق ويقال ان الوليد بن عبدالملك أي لما ولي الخلافة وبلغه عنه انه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور وأركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبدالله بن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له ما هذا الذي ينسبونه اليك من الكذب قال بلغهم عني أني أقول ان هذا الامر يعني الخلافة ستكون في ولدي والله لتكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولي السفاح الخلافة ثم المنصور * وفي دلائل النبوة للبيهقي ان عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قدم على معاوية رضي الله تعالى عنه فاجازه وأحسن جائزته ثم قال يا أبا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن أنصاركم قال اهل خراسان أي وهو أبو مسلم الخراساني يجيء بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بني أمية ويجعل الدولة لبني العباس يقال ان أبا مسلم هذا اقتتل ستمائة ألف رجل صبرا غير الذي قتله في الحروب وهذه الروايات السود غير التي عناها صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها خليفة الله المهدي فان تلك الرايات تاتي قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة في اولاد المنصور وقول علي في ولدي واضح لان ولد الولد ولد * وقد حكي في مرآة الزمان عن المأمون انه قال حدثني ابي يعني هرون الرشيد عن ابيه المهدي عن أبيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن أبيه علي عن ابيه عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم وذكر انه مما يؤثر عن المأمون انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم * وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني أخاف ان لا أوجر على العفو أي لانه صار لي طبيعة وسجية * قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله أعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة ففتح الجفنة فانفلقت عنه فلقتين قال وهذا مما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فتعجبوا من ذلك وعن أمه انها قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب أي يسيل لبنا اه * أي وفي العرائس أن فرعون لما أمر بذبح أبناء بني اسرائيل جعلت المرأة أي بعض النساء كما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الي واد أو غار فاخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملائكة

يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذى أبي السامري لما جعلته أمه في غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان أي السامري يمص من احدي ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من المص فقد جعل الله له فيه رزقا والسامرى هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام ويخفي الكفر وفي روايه ان عبد المطلب هو الذى دفعه للنسوه ليصفعوه تحت الاناء * أقول هذا هو الموافق لما سياتى عن ابن اسحق من أن أمه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت الى جده أي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها أي فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فاخرجته له فنظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر الوهم في قول ابن دريد أ كفئ عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز ان يكون جده اخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعه لهان للنسوه ليصفعوه تحت جفنة أخرى الي أن يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ماتقدم عن أمه فوجدت الاناء قد انفلق وهو يمص ابهامه * وعن اياس الذى يضرب بالمثل في الذكاء قال أذكر الليلة التي وضعت فيها وضعت أمي على رأسي جفنة وقال لامه ماشئ سمعته لما ولدت قالت يابني طست سقط من فوق الدار الى أسفل ففزعت فولدت تلك الساعة * قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء فى الحديث يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها والمراد برأسها آخرها بان يدرك أوائل المائة التي تليها بان تنقضي تلك المائة وهو حي الا انى لم أقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله أعلم * وفى تفسير ابن مخلد الذى قال في حقه ابن حزم ماصنف مثله أصلا ان ابليس رن أي صوت بحزن وكآبة أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة حين أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الاصل بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة * فسحقا له ماذا يفيد رنينه

وعن عطاء الخراسانى لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ماهذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل بي لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ماعندنا من حيلة فقال اطلبوا فانى ساطلب قال فلبثوا ماشاء الله ثم صرخ أخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ماهذه الصرخه التي لم نسمع منك مثلها الا التى قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني قد

وكان ابو طالب مقلا من المال وكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعاً أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا وكان ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب اى القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك وكان ابو طالب يقرب الى الصبيان اول بكرة النهار شيئا يأكلونه فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك ابو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافي ماقبله لانه يجوز ان يكون ذلك حين صار يحضر في البكرة الذى هو وقت الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة الوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه في انعم عيش اطعمه من الله فقالت أم ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة وربما عرضنا عليه الغداء فيقول انا شبعان وهذا في بعض الاوقات فلا ينافي ماسبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخي ليحس بنعيم اى شرف عظيم وكان ابو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب اولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج وجدت * وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي اني تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل قالوا كانك عنيت ابا طالب فقال ايها فقاموا باجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا ابا طالب

أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابوطالب ومعه غلام وهو النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة فاخذه ابوطالب فالصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أي اشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدودق الوادي أي أمطر وكثر قطره واخصب النادي والبادي وفي هذا يقول ابو طالب يذكر قريشا حين تمالئوا على أذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل يلوذ به الهلال من آل هاشم * (٨١) فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده ابو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابي حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنون جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع او قرب ثم دعا فسقوا في الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعني قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لابي طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد أخرج البيهقي عن انس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد ابياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشد نا قوله فقال علي رضي الله عنه كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بان ابا طالب منشئ البيت وأول القصيدة

ولما رأيت القوم لاود عندهم * وقد قطعوا كل العري والوسائل وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وجدت قالوا وما الذي وجدت قال أزين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها * وقد جاء في الحديث أبي الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أي لا يثيبه على عمله مادام متلبسا بتلك البدعة * وعن الحسن قال بلغني أن ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء أي البدع وقد جاء في الحديث أخاف على أمتي بعدي ثلاثا ضلالة الاهواء الحديث وأهل الاهواء هم اهل البدع * وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال أي لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا وهذا يدل على ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله ركضة فوقع بعدن * وكون تساقط النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدها في السماء لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا أمر حدث في الارض وأمرهم ان يأتوه بتربة من كل ارض فصار يشمها الى ان اتي بتربة من أرض تهامة فلما شمها قال من ههنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم لكن في اي أرض على ان بعضهم انكر كون ما ذكر كان عند الولادة وقد تقدم ان المذكور في كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم روى ان الشياطين كانت تصعد الى السماء ثم تجاوز سماء الدنيا الي غيرها فلما ولد عيسي عليه الصلاة والسلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد الى السماء الا قليلا أي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين وفي أكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا أصلا فصاروا لا يسترقون السمع الادون سماء الدنيا ثم رأيتني نقلت في الكوكب المنير في مولد البشير النذير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسي عليه الصلاة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمي بشهاب وسياتي عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال اني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رأيت اوسمعت اذ يهودي بيثرب يصيح

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالا نامل صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وابيض عضب من تراث المقاول
اعبد مناف انتم خير قومكم * فلا تشركوا في امركم كل واغل فقد خفت ان لم يصلح الله امركم * تكونوا كما كانت احاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء او ملح بباطل ومن كاشح يسعى لنا بعيبة * ومن ملحق في الدين مالم يحاول
وثور ومن ارسي ثبيرا مكانه * وراق لبر في حراء ونازل وبالبيت حق البيت في بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

قال الزرقاني وما احلي قوله في ختامها عن ابن اسحق
لعمري لقد كلفت وجدا باحمد *
وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل
اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش
يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن اجيء بسبة
تجر على اشياخنا في المحافل
لكننا اتبعناه على كل حالة
من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعني بقول الاباطل
فاصبح فينا احمد في ارومة
تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسي دونه وحميته
ودافعت عنه بالدرا والكلاكل
قال الامام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري

ذات يوم غداه على أطمة أي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا اسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان هذا سياتى انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام مثلها وكذا عاش هذا القدر وهو مائة وعشرون سنة ابوه وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم سواهم وكان حسان رضى الله عنه يضرب لسانه ارنبة أنفه وكذا ابنه وأبوه وجده وعن كعب الاحبار رضى الله عنه رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أي من بطن أمه وموسى عليه السلام أخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أي وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه قال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة أي وهو منكم معاشر قريش على كتفه أي عند كتفه علامة أي شامة فيها شعرات متواترات أي متتابعات كانهن عرف فرس أي وتلك العلامة هى خاتم النبوة أي علامتها والدليل عليها لا يرضع لليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته أي وعدم رضاعه لعله لتوعك يصيبه وفى كلام الحافظ ابن حجر واوره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده على فيه وعند قول اليهودى ماذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم آله وفي لفظ أهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاءوا اليهودي واخبروه الخبر اى قالوا أعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معي حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على امه فقال اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بنى اسرائيل أفرحتم به يامعشر قريش اما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب أى وعن الواقدى رحمه الله انه كان بمكة يهودى فقال يوسف لما كان اليوم اى الوقت الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يامعشر قريش قد ولد نبى هذه الامة الليلة في بحرتكم اى ناحيتكم هذه وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهي الي مجلس عبد المطلب فسال فقيل له قد ولد لابن عبد المطلب أي لعبد الله غلام فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعي عيص وقد كان آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اى يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اى تذل وتخضع ويملك العجم اى ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اي ادرك

ان في شعر ابي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما اخبره به بحيرا الراهب وغيره من شانه مع ماشاهده من احواله * ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة ابى طالب نبوته صلى الله عليه وسلم جاءت في كثير من الاخبار زيادة على اخذها من شعره وتمسك بها الشيعة في انه كان مسلما وألف على بن حمزة البصرى الرافضى جزءا جمع فيه شعر أبي طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن حجر قد اكثر في هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام

أبي طالب ولا يثبت شيء من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل ان مذهب اهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة وفي رواية أحاج وفي رواية اشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا اقولها الا لاسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن اسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس انه اسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن اجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بان شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل ان يسلم مع ان الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد اثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن ابيه ان اباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أباطالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال ابوطالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم ان المحققين على نجاة عبد المطلب لانه اراد حكاية ظاهر الحال لهم مع ان عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وانزل الله أيضا في ابي

ادرك بعثته واتبعه اصاب حاجته أي ما يؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطأ حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا ويسأل عنه ويقول ما جاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا فوقف على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب أي وقيل الجائي له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وأمه حامل به أي ولعل قائله اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه أي على ذلك المولود فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه وان نجمه أي الذي طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك أي ايضا انه الآن وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافى * أقول أي ولا يرضع في تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف ما سبق من قول الآخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة في قوله كن اباه على أن الجائي للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له أب والنبي صلى الله عليه وسلم ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم * انا ابن عبد المطلب * كما تقدم والله اعلم ثم قال له فاحفظ لسانك اي لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها في احدى وستين او ثلاث وستين زاد في روايه وذلك جل أعمار امته وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام اي اصنام الدنيا تقدم ايضا انها تنكست عند الحمل به وتقدم انه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته أمه خر كل شيء يعبد من دون الله في مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب بن منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم اصبحت الاصنام في جميع الارض منكسة على رؤوسها وكلما ردوها على قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس في الارض ثم عاد اليهم فقال رأيت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع ان ادنو اليه وما كان نبي قبله اشد علي وعليكم منه واني لارجو ان اضل به اكثر ممن يهتدي به * اقول قد علمت ان تنكيس الاصنام تكرر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه السلام له في ذلك وبهذا يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس في حق عيسى عليه السلام لا استطيع ان ادنو اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز ان يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا

طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وهومارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفي رواية لولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار قال الزرقاني لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسال عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن انه لا يصح وروى ابوداود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات ابوطالب اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبي الآية * وفي رواية لما مات ابوطالب قلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قدمات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان أهون اهل النار عذابا ابوطالب وروى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه ابوطالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه زاد في رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقي ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه ابي طالب ويؤخذ من الحديث انه يجوز ان الله يعفو عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال السهيلي ان اباطالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصرا له الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على تلك الملة فيكون من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القرافي في قوله السابق

الى محله الذي هو فيه لا الى جسده والدليل المنفي في حق عيسى عليه السلام دنوالى جسده فان قيل جاء في الحديث مامن مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان أي لقول أم مريم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب وهي المشيمة التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل صارخا الاعيسى ابن مريم وأمه مريم ضرب الله عليهما حجابا فاصابت الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شيء ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون غيرها * قلت وجاء عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في جسده حين يولد سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الرأي وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وأمه بالذكر كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعيسى وأمه وهذا الكلام يرد بيان القاضي عياض للضرر المنفي في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أراد ان يأتي أهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان قدر بينهما في ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا ان المراد أنه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا أي عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون في حق خصوص ابليس فلا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم في ليلتين بوضع عفريت من الجن يده في فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف أخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان في اغوائه وتبعه القاضي على ذلك وسيأتي في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اعلم انه لابد لجميع بني آدم من العقوبة والالم شيئا بعد شيء الى دخولهم الجنة لانه اذا نقل الى البرزخ فلا بد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه اوغيره وأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وقال بعد ذلك في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه السلام بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتأمل هذا مع قوله ان استهلال المولود واصراخه حين يولد لحسه ألم البرد الذي يجده بعد مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم وذكر ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا

لقد علموا ان ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعني بقول الاباطل تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن اخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره من هذا النحو كثير كقوله حين اجتمعت قريش وجاءوه بعمارة بن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك واعطنا محمدا نقتله فقال ما أنصفتموني يامعشر قريش آحد ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم قال والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا ودعوتني وعلمت انك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وروي انه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفي روايه عن ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتكي أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزه وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء يعنون القتل للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتي اذا مات عمه تناولوه فمشي اليه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب فى رجال من اشرافهم فاخبروه بما جاءوا له فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فاخبره بمرادهم وقال يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ماسألوك فقد أنصفوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان اعطيتكم ماسألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطيكها وعشر امثالها فما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم وقالوا يا محمد أتريد ان تجعل الآلهة إلها واحدا ان أمرك لعجيب فانزل الله ص والقرآن ذى الذكر الآيات وفي رواية قالوا يسعك حاجاتنا جميعا إله واحد سلنا غير هذه الكلمة وقال أبو طالب يا ابن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال ياعم ما أنا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس

منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الي حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير اى مرتفع يقول

تردى لمولود أضاءت نوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والي ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد * ولد المصطفي وحق الهناء

أى تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفي المختار على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة رأت قريش من مولد النبي صلي الله عليه وسلم وارتجس أي اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان ومعنى أنوشروان مجدد الملك أى وكان بناء محكما مبنيا بالحجارة الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة أى وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك الايوان اربع عشرة شرفة بضم الشين المعجمة وسكون الراء اي وليس ذلك لخلل في بنائه وانما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آية لنبيه صلي الله عليه وسلم باقية على وجه الارض أى وقد ذكر ان الرشيد أمر وزيره يحيي بن خالد البرمكى أى والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيي لا تهدم بناء دل على فخامة شان بانيه قال لي يا مجوسي ثم أمر بنقضه فقدر له نفقة على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيي ليس يحسن بك أن تعجز عن هدم شيء بناه غيرك هذا والذى رأيته فى بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد أحب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبنى به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن رآه علم ان من هذا بناؤه لا يزول أمره وهو مصلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والمؤنة فى نقضه اكثر من الانفاق عليه ولا مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيي بن خالد يا مجوسي لان جده والد خالد البرمكى وهو برمك كان من خراسان وكان اولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام فى دولة بنى أمية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما ان زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بنى العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بنى العباس ورأيت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهى انه سار الى زيارة ملك الهند فاكرمه وأنس به واحضر له طعاما وقال كل فاكلت حتي انتهيت فقال لى كل فقلت لا اقدر والله ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك وأمر به على صدرى فكاني لم آكل شيئا قط ثم اكلت اكلا كثيرا حتى انتهيت فقال لى كل فقلت لا والله لا اقدر أيها الملك فامر بالقضيب على صدرى فكاني لم آكل شيأ قط فاكلت حتى انتهيت فقال لى كل فقلت والله

حتى تضعوها في يدي ماسألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك وإلهك الذي يامرك بهذا وفي رواية لتكفن عن سب آلهتنا او لنسبن الذي يامرك بهذا وقال ابو طالب عند ذلك والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا أي أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السب عليك (٨٦) وعلى بني ابيك من بعدي وان يظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكني أموت على ملة الاشياخ فانزل الله تعالى انك لاتهدي من احببت الآية وفي رواية ان أبا طالب قال عند موته يامعشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله فقال يا ابن أخي قد علمت انك صادق لكن اكره ان يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة أخرى عند أبي طالب فاوصاهم ابو طالب فقال يامعشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولاشرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة أي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن

ما قدر على ذلك فاراد ان يمر بالقضيب على صدري فقلت ايها الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال صدقت وأمسك عني فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك * ومما يحفظ عن يحيى بن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه ايضا وقد قال له ولده وأظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهبه اموال البرامكة ومن يلوذ بهم ياأبت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذه الحالة فقال ياولدي دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها وماغفل الله عنها أي فقد قال ابو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام أي ولان الله تعالى يقول انا أظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسال الله حقه وان الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه وجاء اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السماء السابعة المعني بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام أي لاتقوى على حمله اذا سقط وينصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالى وان أمهل الظالم لايهمله وجاء اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة أي تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وجاء اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القائل

تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل في يحيى بن خالد هذا من المدح المليح

سألت الندى هل انت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء فقال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والده خالد التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمولود ومما يحفظ عن جعفر ولد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسيء لايظن في الناس الاسوأ لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع
وليس باوسعهم في الغنى * ولكن معروفه أوسع

وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي كتب له صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة أي بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي كتب له بذلك عامله باليمن والى هذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسرى تشققت * مبانيه وانحطت عليه شؤونه

لمولده

وأيم الله كاني أنظر الى صعاليك العرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها يامعشر قريش كونواله ولاه ولحزبه حماة وفي روايه دونكم ان أبيكم كونواله ولاة ولحزبه حماة والله لايسلك أحد سبيله الارشد ولاياخذ أحد بهديه الاسعد ولوكان لنفسى مدة ولاجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ماسمعتم من محمد وما اتبعتم أمره

لمولده خرت على شرفاته * فلاشرف للفرس يبقي حصينه
لمولده نيران فارس أخمدت * فنورهم اخماده كان حصينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة * وأعقب ذاك المدجور يشينه
كان لم يكن بالامس ريا للناهل * وورد العين المستهام معينه

والى ذلك أيضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

أي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلي الله عليه وسلم انهدام ايوان كسرى انوشروان الذي كان يجلس به مع أرباب مملكته وكان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك الي الوجود ماتهدم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك أيضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من أجل سكون لهب تلك النيران التى كانوا يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس فى الارض حتي لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره ورأى الموبذان أى القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه ياخذون مسائل شرائعهم ورأي في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا أي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة أى وهى نهر بغداد وانتشرت في بلادها أي والابل كناية عن الناس ورأي كسرى ماهاله وأفزعه اى الذى هو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فلما أصبح تصبر أى لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأي انه لايدخر ذلك أى هذا الامر الذى هاله وأفزعه عن مرازبته بضم الزاى اي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبيناهم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران أي وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره بان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله أى وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرافاته فقال الموبذان فانا أصلح الله الملك قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه فى الابل فقال اي شيء يكون هذا ياموبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الي عاملك بالحيرة

فاطيعوه ترشدوا * قال الزرقاني فانظروا واعتبر كيف وقع جميع ماقاله من باب الفراسة الصادقه وكيف هذه المعرفه التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهار ان فى ذلك لعبره لاولى الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذابا كما فى صحيح مسلم والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبويه كلها تدل على انه مات على كفره وانه كان عنده تصديق بالنبي صلي الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه وأما حديث العباس رضي الله عنه الذي فيه انه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لايعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من أشعاره لكن مذهب اهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعراني والسبكي وجماعة ان ذلك الحديث اعنى حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم اسلامه وان الله تعالي ابهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا لانه لوصرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره في حديث الذى قال أين ابى وأيضا لوظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي صلي الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وانجاه في باطن الامر لكثرة نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول أعني

القول باسلامه عند بعض اهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شانه وانما يفوض الامر فيه الى الله تعالى فانه أسلم للعبد قال في السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوى لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تاملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تاخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم أبو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الي الاسلام به لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتي ان الشخص منهم (٨٨) يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات ابو

طالب نالت قريش من النبي صلي الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتي ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلي الله عليه وسلم يقول ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتي مات ابوطالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتي أموت واتفق ان ابن العيطلة سب النبي صلي الله عليه وسلم فاقبل عليه ابولهب ونال منه فولي هو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت قال مافارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخي ان يضام حتي يمضي لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابي معيط الى ابى لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك يزعم انه في النار فقال أبو لهب يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابى جهل وعقبة فقال قد سالته فقال

يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسري عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى برجل عالم بما اريد أن اساله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني أي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما اريد ان اسالك عنه قال ليسالني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه والا اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خالي يسكن مشارف الشام بالفاء أي اعاليها أي وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتي انتهى الي سطيح وقد أشفى أي اشرف على الصريح أي الموت أي احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة أي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان جسدا ملقي لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى عظم رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امرأة لان ماء الرجل يكون منه العظم والعصب أي كما سياتي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة يخلق منها اللحم والدم قال صلي الله عليه وسلم ذلك لما ساله اليهود فقالوا له مم يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك أي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه ان عيسى عليه الصلاة والسلام على تسليم انه خلق من نطفة وهي نطفة أمه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك في صفة شاب أمرد حتي انحدرت شهوتها الي اقصي رحمها وقيل لم يخلق من نطفة أصلا وقد صرح بالاول الشيخ محي الدين بن العربى رحمه الله حيث قال أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا لشدة اللذة بالنظر اليه نزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط هذا كلامه أي وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يختص سطيح بهذا الوصف فقد رأيت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبى أمة وجوهها في صدورها فذعرت الناس منهم وعمرو هذا كان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا أريد نقله الي مكانه يطوي من رجليه الى ترقوته وفي لفظ الى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك لطلب المخيض أي سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيسئل فيخبر عما يسئل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها قيل وهو اول كاهن كان في العرب وهذا يدل على انه سابق على شق وقد تقدم في

مع قومه فقالا يزعم انه في النارفقال يامحمد أيدخل عبدالمطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي روايه من مات على عبادة غير الله فهو في النار فترك أبولهب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبدالمطلب مستوفي وانه مات فى الفترة وانه كان موحدا وانما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون أنهم على ما كان عليه عبدالمطلب ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزياده كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فاللائق بالمقام ان يجعل الكلام عاما (٨٩) وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير ان يفصل لهم و يظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لان ذلك ابلغ فى تنفيرهم ومن تامل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفي روايه من مات على عبادة غير الله فهو في النار وجاء فى رواية من مات على مثل مامات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل انها من تصرف الرواة و يحتمل انها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبدالمطلب فى النار وهكذا كانت عادته صلي الله عليه وسلم في اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به و بفهمه وعقله ويأتي بالكلام محتملا تحريا للصدق ومن تامل الحديث السابق في سؤال الرجل الذى قال له أين أبى يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شئ من أمثاله فالنبى صلي الله عليه وسلم كان أعقل العالمين وأعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبى طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على أبى طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله اعلم ﴿ ومن الارهاصات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير ﴾ انه كان مع عمه ابي طالب بذي المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكا الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى قد عطشت فاهوى بعقبه الي الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيئا قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت

حفرزمزم ان الكاهنة التي ذهب اليها عبدالمطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت في فم سطيح وفم شق وذكرت ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن احد أشرف في الكهانة ولا اعلم بها ولا ابعد فيها صيتا من سطيح وكان في غسان * وذكر بعضهم ان سطيحا كان في زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر واخوته وهو يؤيد ماتقدم من انه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبدالمسيح وهؤلاء كانوا رؤس الكهنة واهل العلم الغامض منهم بالكهانة أي والافمنهم أي من اهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب في بنى حنيفة وسجاح كانت في بني تميم وسجاح أخرى كانت في بنى سعد والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لان لها استعدادا للانسلاخ من البشرية الي الروحانية التي فوقها فسلم عبدالمسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشا عبدالمسيح يقول * أصم أم يسمع غطريف اليمن * أى سيدهم الي آخر ابيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبدالمسيح رفع رأسه * اقول قد يقال لامنافاة بين اثبات الرأس هنا ونفيه في قوله ولم يكن له رأس لانه لايجوز ان يكون المراد بالرأس المثبت الوجه لكن قد تقدم انه لم يكن له عظم سوى مافى رأسه اوالاجمجمته ففى ذلك اثبات الرأس وقد يقال لما كان رأسه وتلك الجمجمة يؤثر فيها اللمس للينهما لخفا لفتهما لرأس غيره ساغ اثبات الرأس له و نفيه عنه والله اعلم وعند رفع رأسه قال عبدالمسيح على جمل مشيح أى سريع الى سطيح وقد وافي على الضريح أي القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ياعبدالمسيح اذا كثرت التلاوة أى تلاوة القرآن وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نارفارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه أى مات من ساعته * والهراوة بكسر الهاء وهى العصا الضخمة أى وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبياء وفي الحديث من بلغ أربعين سنة ولم ياخذ العصا عد له أي عدم اخذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز ويصلي اليها في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبياء وذكر الطبرى ان ابرويز بن هرمز جاءه جاء في المنام فقيل له سلم مافى يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتي كتب اليه النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه وعند موت سطيح نهض عبدالمسيح الي راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير

حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه في ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شانا * وفى السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فاتي ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه ابو طالب الي الشام فصبت به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أي لزمه وقبض عليه وفي رواية مسك بزمام ناقة ابي طالب وقال ياعم الى من تكلني لا أب لي ولا أم فاخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وماينبغي ان يكون له أب حي لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر بدليل.

والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام اما ان رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

ولما قدم عبد المسيح على كسري وأخبره بما قاله سطيح قال له كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه أى فقد ذكر ان آخر من هلك منهم كان في أول خلافة عثمان رضي الله عنه () أى وكانت مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنه وأربعا وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا فى قفة لعدم قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه فاستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك ايها الملك لم تفعل هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث في آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويعطونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وأحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم أقف على انه ملك منهم من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحق رحمه الله ان أمه صلى الله عليه وسلم لما ولدته أرسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه ونظر اليه وحدثته بما رأته فاخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة أى وقام يدعو الله أي وأهله يؤمنون ويشكر له ما أعطاه * ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه قال وتكلم صلى الله عليه وسلم في المهد فى أوائل ولادته وأول كلام تكلم به ان قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اه * أقول وتقدم انه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما أورده السهيلي عن الواقدي وانه روى انه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين وضعه فى المهد وأنه زاد فى المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا وحينئذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن امه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سياتى بخلاف تكلمه في المهد على انه سياتى انه يجوز أن يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم فى غير أوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه * وتقدم انه قال الحمد لله للعطاس على الاحتمال الذى أبداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التى هى جلال ربي الرفيع والله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل

قوله ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة ان يموت ابوه وامه حامل به وحينئذ وان تموت امه وهو صغير قال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ اهل الارض قال ابو طالب الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أى النبي الذى يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ماذكر علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخى الا تسمع ما يقول قال

أي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس او سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن اوصياء عيسي عليه السلام وقيل كان بحيرا من احبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول ألا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يات بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأي وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يابحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في احد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر

وحينئذ تكون الاولية في الواقعة في بعض ذلك اما حقيقية او اضافية وقد منا ان الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية * قال وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيي وعيسي والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم اه

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه اي فقد روي عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسي وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافي أي ثلاثة من بني اسرائيل أو ان ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد وذكر ان عيسي عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن اربعين يوما أشار بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله لما مر بنو اسرائيل على مريم عليهما السلام وهي حاملة له صلى الله عليه وسلم وانكروا عليها ذلك وأشارت اليهم ان كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم ما قصه الله سبحانه وتعالى ثم رأيتني في الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك وان عيسي تكلم يوم ولادته قال لابن خال امه يوسف النجار وقد خرج في طلب امه وقد خرجت لما اخذها ما ياخذ النساء من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها ابشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتي بني اسرائيل وادعوهم الي طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا عليه السلام واخبر بولادة مريم وقول ولدها ما ذكر صلى الله عليه وسلم * وفي النطق المفهوم ان عيسي عليه السلام كلم يوسف المذكور وهو في بطن امه فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم عليها السلام فقال لها مقرعا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى عليه السلام وهو في بطن امه قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسي عليه السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان عادة اي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم تسمع الآذان مثله فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك * ومبرى جريج تكلم كذلك اى في بطن امه قيل له من

الزمان التي يجدها عنده ولم ير الغمامة على احد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامي فقالوا يابحيرا ما تخلف احد عن طعامك ينبغي له ان ياتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من انفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون اباطالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحرث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه اصغر من النبي

صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما اسالك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم وقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على عمه ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل ابوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم اني قد أديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفي رواية لما قال له ابن اخي قال له بحيرا أشفيق عليه انت قال نعم قال فوالله وفيه
لئن قدمت به الشام أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب التوقي فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفي رواية فخرج به عمه ابو طالب حتى أقدمه مكة وفي رواية ان بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا بعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا

أبوك فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم بعد خروجه من بطن أمه فقد تكلم مرتين مرة في بطن أمه ومرة وهو طفل كذا في النطق المفهوم ولم أقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به حينئذ * وأما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين قال لعيسى أشهد انك عبد الله ورسوله والخليل تكلم وقت ولادته وسيأتي ما تكلم به وفي كون ابن ثلاث سنين وفي كون من تكلم وقت ولادته يكون في المهد نظر الا أن يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير أوان الكلام ولم أقف على سن من تكلم في المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لذي الاخدود فانه لما جيء بامه لتلقى في نار الاخدود لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال لها يا اماه اصبري فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة أشهر * وفي النطق المفهوم ان شاهد يوسف الصديق عليه السلام كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا * وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هؤلاء الا مبارك اليمامة حسبما وقفت عليه ورأيت في الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق في المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا أنه نطق في المهد لما كان لمريم عذر وأخذت بما يؤخذ به مثلها وأنا ولدت بين أبوين هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد الا ان يقال مرادهم لم لم تنطق في المهد بمثل الذي نطق به عيسى أو ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارخاء للعنان فليتامل * ثم رأيت ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما سقط على الارض استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا قال في النطق المفهوم ولد بالغار الذي ولد به نوح وادريس عليهما الصلاة والسلام * ويقال لهذا الغار في التوراة غار النور ويضم لهؤلاء ما ذكره الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله قال قلت لبنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت لوالدتها في الحج فجاءت مع الحج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان تراني أمها هذا أبي وضحكت وأرمت نفسها الي قال وقد رأيت أني علمت من أجاب أمه بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها شهد عندي الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله علمه وهو في بطن أمه ولا يحسك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دائما * وفي النطق المفهوم ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه تكلم في بطن أمه فقال أنا المفقود والمغيب عن وجه أبي زمانا طويلا فاخبرت أمه والده بذلك فقال لها اكتمي أمرك

وفيه ان نوحا عليه السلام تكلم عقب ولادته فان أمه ولدته في غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته وارادت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها لا تخافي أحدا علي ياأماه فان الذي خلقني يحفظني وفيه ان أم موسى عليه السلام لما وضعت موسى استوى قاعدا وقال ياأماه لا تخافي أي من فرعون ان الله معنا

* ومبارك اليمامة قال بعض الصحابة دخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت فيها عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياغلام من أنا فقال الغلام بلسان طلق أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو في مهده أي يحدثه يقال ناغت المرأة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد عن عمه العباس رضي الله عنه انه قال يارسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة أي علامة نبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيثما أشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته أي سقطته حين يسجد تحت العرش أي ولم أقف على سنه صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان في مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى من خصائصه

باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد

لا يخفى ان جميع اسمائه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال وكان لله عز وجل ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو الباقر من بقر العلم أتقنه قال أمرت آمنة أي في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحق رحمه الله ان تسميه محمدا وقد تقدم * قال والثاني هو المشهور في الروايات أي وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله والمسمي له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه أي يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له ياأبا الحرث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم آبائه وفي لفظ وليس من اسماء آبائك ولا قومك قال أردت ان يحمده الله في السماء وتحمده الناس في الارض اه * اقول وهذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التي يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضي الله عنه بقوله

فشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وهذا الالهام لا ينافي ان تكون أمه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاءه بانه صلى

يسجد الا لنبي وأن الغمامة صارت تظله دونهم واني لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفي رواية ان سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه واذيته وجاء في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل ان هذه الزيادة خطا وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف في تلك العير وكذا كان في العير أبو بكر رضي الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لمقاربتهما له في السن وجاء في بعض الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصري من أرض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الذي في ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم الا محمد أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الهاشمي قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون سفر ابي أبي بكر رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم في سفرة أخرى وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة وان ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة * واختلف العلماء في بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون في الصحابة والتحقيق ان من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذي قدم من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان ذلك صحابي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا في التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واعظمهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وأفضل قومه مروءة واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واكثرهم حلما واحفظهم امانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم

والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة فمن ذلك ماذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني أى رأيت نفسي في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض مايلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وحمله على رقبته يحمل عليها الحجاره فانى لاقبل معهم كذلك وادبر اد لكمنى لاكم أى من الملائكة ماأراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمنى لكمة شديده لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته على ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين اصحابي ووقع له مثل ذلك عند اصلاح أبي طالب بئر زمزم فعن ابن اسحق وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجاره وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجاره فغشي عليه فلما أفاق سأله ابو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبه * ومن ذلك ماجاء عن على رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية حتى اكرمنى الله بالنبوه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما قلت لفتي كان معى من قريش باعلى مكة في غنم لاهله يرعاها وفي رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ابصر لى غنمى حتي اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناى فنمت فما أيقظنى الامس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخري مثل ذلك * ومن ذلك ماجاء عن أم أيمن قالت كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك قالت حتي رأيت اباطالب غضب عليه ورأيت

الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة * وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمي أحمد ولم يسم به أحد قبله ولافادته الكثرة فى معناه لانه لا يقال الالمن حمد المره بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة أى الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى المذكور استعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصره فى الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت فى يوم العقيقة وان العقيقة كانت في اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في ليلة ولادته او يومها وقد يقال لامنافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا معناه أظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ماقيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمي تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور كتسميته لابى الحكم بابى جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ادع لى انسانا يحلب ناقتي فجاءه بانسان فقال مااسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه بآخر فقال مااسمك فقال يعيش فقال احلبها ويروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بئرا فجاءه رجل فقال له مااسمك قال مره فقال اذهب * وليس هذا من الطيرة التى كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يكتب لامرائه اذا أبردتم لى بريدا فابردوه أى اذا أرسلتم لى رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر رضي الله عنه لما قال لمن أراد ان يحلب له ناقته او يحفر له البئر ماتقدم لا أدرى أقول أم أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ماتطيرت ولكن آثرت الاسم الحسن وللجلال السيوطى كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم أقف عليه ورأيت في كلام بعضهم ان حزن بن ابي وهب أسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب أراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال لا أغير اسما سمانيه أبواى قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم أى وفى حديث أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ماجاءته النبوة قال الامام أحمد هذا منكر أى حديث منكر والحديث المنكر من أقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطى لم يتعرض لذلك وجعله أصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم اظهارا للشكر على ايجاد الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان

يصلي على نفسه لذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها أي في منامه رأى كان سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق واهل المغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا أي مع ماحدثته به أمه بما رأته على ما تقدم وعن أبي نعيم عن عبد المطلب قال بينا أنا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الى عرفت في وجهي التغيير فقالت مابال سيدهم قد اتي متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت لها انى رأيت الليلة وانا نائم في الحجر كان شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا أزهر منها ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا فلم أنله فانتبهت مذعورا فزعا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ماولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي محمد صلى الله عليه وسلم وفي الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى اخبرته امه آمنة انها أمرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا اى ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز ان يكون نسي تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤاله ماحملك على ان تسميه محمدا وليس من اسماء قومك اى لم استقر امرك على ان تسميه محمدا وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب من تسمي بهذا الاسم يعني محمدا قبله الا ثلاثة طمع آباؤهم حين وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم أي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل على ان اسمه في بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفي الشفاء ان في هذين الاسمين محمدا واحمد من بدائع آياته اى المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حماهما عن ان يسمي بهما احد قبل زمانه أي قبل شيوع وجوده اما احمد الذي اتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمنع الله تعالى

عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن أ ما نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن ما دهاك فقال اني أخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهي المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها أي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الي عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم * ومن ذلك ماروته عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها الماء من السماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيئا ذبح على النصب أي الاصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي فكان ما سمعه من زيد سببا لتركه ما ذبح على الاصنام أي مؤكدا لما عنده فلا ينافي ان السبب الاصلي حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة من الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وكان يحييها أي اذا أراد أحد ذلك أخذ الموؤدة من ابيها وكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوما يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة وزيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان حتى ان قريشا كانوا يوما في عيد لصنم من اصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد اخطؤوا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية

دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان بن الحويرث فامازيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سيدنا عمر رضي الله عنه ولم يدرك البعثة وكذا ورقة ابن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة ايضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة واسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته وهو الذى كان متزوجا بام حبيبة بنت ابي سفيان فخلف عليها النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده

ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة واسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهي اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باصل جبل حراء يروى انه قال لعامر بن

بحكمته ان يتسمي به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي ولا في زمن اصحابه رضي الله تعالى عنهم حتى لا يدخل لبس أو شك على ضعيف القلب أي فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطى في الخصائص الصغرى انه من خصائصه على الانبياء فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى أفضليته على محمد وقال الصلاح الصفدى ان أحمد أبلغ من محمد كما ان احمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم أحمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله * وفى الهدى لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان يسمي الحماد كما سميت بذلك أمته وأما هذا فهو الذى يحمده أهل السماء والارض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصاله المحمودة التى تزيد على عدد العادين واحصاء المحصين أى أحق الناس وأولاهم بان يحمد فهو كمحمد في المعني فهو ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وحينئذ فالفرق بين محمد وأحمد ان محمدا من كثر حمد الناس له وأحمد من يكون حمد الناس له أفضل من حمد غيره وسياتي عن الشفاء انه احمد المحمودين وأحمد الحامدين فيجوز ان يكون احمد ماخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز ان يكون ماخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا حتى كان قبل احمد فباحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له وأطال في بيان ذلك * وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعية انه ليس في أحمد من التعظيم ما في محمد لانه أشهر اسمائه الشريفة وأفضلها فلذلك لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد وقد جاء أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن * قال بعضهم وعبد الله أحب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به على الاصح * ومن ثم سمي نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن بعبد الله في قوله تعالي وانه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ماذكرنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القرآن فى قوله تعالى وعباد الرحمن أحمد ثم محمد أى وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن وذكر بعضهم ان أول من تسمي باحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد لجعفر بن أبى طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل أي ولعل المراد به الخليل بن أحمد صاحب العروض ثم رأيت الزين العراقى صرح بذلك حيث قال وأول من تسمي فى الاسلام أحمد والد الخليل ابن احمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به أحد فى زمن الصحابة تسمية ولد لجعفر بن أبي طالب بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقى أو يقال مراد العراقى أصحابه الذين تخلفوا عنه بعد وفاته فلا يرد جعفر لانه مات فى حياته صلى الله عليه وسلم وهو خامس خمسة كل يسمي الخليل ابن أحمد وزاد بعضهم سادسا وكذلك محمد أيضا لم يتسم به أحد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم

ربيعة انا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا ارى انى ادركه وانا اؤمن به واصدقه واشهد انه نبي وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم السلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين * ومن ذلك ماروى عن على رضى الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادرى ما الكتاب ولا الايمان أى كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال

وميلاده

لما نشات بغضت الي الاصنام وبغض الى الشعر ﴿ باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم لزيادة الرحمة في قلبه ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وانت يارسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أي وهي من أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيره وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة وفي رواية بالقراريط باجياد فالاول لبيان الاجرة والثاني لبيان المكان ومن حكمه الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من (٩٧) الحده الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وانا راعي غنم أهلي باجياد وهو موضع باسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش وفي الحديث الفخر والخيلاء في أصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فاني كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها ولا ينبغي لاحد غير رعاية الغنم ان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا أدب * وحضر النبي صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما أحب اني لم أكن فعلت وقيل لم يرم

وميلاده الا بعد ان شاع ان نبينا يبعث اسمه محمد أي بالحجاز وقرب زمنه فسمي قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك وحمى الله تعالى هؤلاء ان يدعي احد منهم النبوة أو يدعيها احد له او يظهر عليه شئ من سماتها أي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفي دعوي ان الذى فى الكتب القديمة انما هو أحمد مخالفة لما سبق ومايأتى عن التوراة والانجيل أى فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي ان في بعضها اسمه محمد وفي بعضها اسمه أحمد وفي بعضها الجمع بين محمد واحمد قال بعضهم سمعت محمد بن عدى وقد قيل له كيف سماك أبوك فى الجاهلية محمدا قال سالت أبي عما سالتني عنه قال خرجت رابع اربعة من تميم نريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه للغة قوم ماهي لغة أهل هذه البلد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من أي المضاير فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا أى سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله مابقي احد منا الا ارتع قوله في قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزقه الله غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله أي فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ماسبق قال فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء أن يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته * اقول يجوز ان يكون هؤلاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لاينافي نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز أن يكونوا غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ان ظفران سفيان بن مجاشع نزل على حي من تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله ابوك فقالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا وان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان اعربى أم عجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد اكثرت ياسفيان فامسك عن سؤالها ومضى الي اهله وكانت امرأته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه ان يكون هو النبي الموصوف والله اعلم وقد عد بعضهم ممن سمي بمحمد ستة عشر ونظمهم في قوله

ان الذين سموا باسم محمد * من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن البراء مجاشع بن ربيعة * ثم ابن مسلم يحمدى حرماني
ليثى السليمي وابن أسامة * سعدي وابن سواءة همداني
وابن الجلاح مع الاسيدي يافتي * ثم الفقيمي هكذا الحراني

قال بعضهم وفاته آخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحرث ومحمد بن عمر بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في أول من سمي بذلك الاسم منهم

وانما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال انا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاسقطها وقيل جرحه فقط فاقتتلوا اربعة ايام وكان ابو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا ابا لك لا تغب عنا ففعل ذلك ويروى انه صلى الله عليه وسلم طعن في تلك الحروب ابا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل ان يكون برمح او بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها اربعة وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد امية وحرب ابنا امية ابن عبد شمس وابو سفيان بن حرب انفسهم كيلا يفروا وسموا العنابس اي الاسود وحرب والد ابي سفيان وامية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان اسلم كما سياتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان امر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمي وقيل كان الي حرب بن أمية والد ابي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره وهو ابن عمه فضن اي بخل به حرب واشفق اي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن اخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن في ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل

أقول وفي شرح الكفاية لابن الهائم ويمكن ان يكون من زاد على أولئك الاربعة أو السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته الوفاة أعلم بني اسرائيل بحضور أجله وكان أول انبيائهم فقالوا له يا نبي الله انا نحب ان تعلمنا بما يئول اليه أمرنا بعد خروجك من بين أظهرنا في أمر ديننا فقال لهم ان أموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية يذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه موسى بن عمران فينجيكم الله به من ايدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرائيل اذا جاءه ولد يسميه عمران رجاء أن يكون ذلك النبي منه ولا يخفى أن بين عمران أبي موسى وعمران أبي مريم أم عيسى وهو آخر أنبياء بني اسرائيل الف وثمانمائة سنة والله أعلم والذي أدرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه السلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحرث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم ان محمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة أي وقد ذكر ابن الجوزي ان أول من تسمى في الاسلام بمحمد محمد بن حاطب وعن ابن عباس اسمي في القرآن أي كالتوراة محمد وفي الانجيل أحمد وأما فضل التسمية بهذا الاسم أعني محمدا فقد جاء في احاديث كثيرة وأخبار شهيرة اي منها انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أعذب أحدا تسمى باسمك في النار أي باسمك المشهور وهي محمد او احمد ومنها ما من مائدة وضعت وحضر عليها من اسمه احمد أو محمد اي وفي رواية فيها اسمي الا قدس من الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال يوقف عبدان أي اسم احدهما احمد والآخر محمد بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكل ما ورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ وأصحها اي اقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة * وعن ابي رافع عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تعنفوه وشرفوه وعظموه وأكرموه وبروا قسمه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت فيه محمد وفي مجلس فيه محمد وفي رواية تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها أما يستحي احدكم ان يقول يا محمد ثم يضربه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ولد له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي وفي رواية فهو من الجفاء وفي أخرى فقد جفاني وذكر بعضهم وان لم يرد في المرفوع من اراد ان يكون حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطاء قال ما سمي مولود في بطن امه محمدا الا كان ذكرا قال ابن

الجوزي

ردت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج أبي سفيان رضي الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو اشرف حلف في العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته كاهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا يعلىن به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد ان كان مغرما بها وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على ان أنكح كريمتي من لا اريد فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان

الجوزي في الموضوعات وقد روي هذا بعضهم أي وروي ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه أي في الامر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم أي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بانه مجروح وروي ما قعد قوم قط على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيهم البركة أي اسمه المشهور وهو احمد او محمد كما تقدم وفي الشفاء ان لله ملائكة سياحين في الارض عبادتهم أي بالباء الموحدة كل دار فيها اسم محمد أي حراسة اهل كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت * وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال من كان له حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان أنثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا * وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع أن يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما * وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة بانها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك أن تسميه أي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها وعن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا ليس أحد من اهل الجنة الا يدعى باسمه أي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى أبا محمد تعظيما له وتوقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم أي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل ولده قاله الحافظ الدمياطي وفي رواية ليس أحد أي من اهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى أبا محمد أي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله عليه وسلم لا يمنعون * وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله مائة سنة أي في بني اسرائيل ثم مات فاخذوه وألقوه في مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان أخرجه فصل عليه قال يارب ان بني اسرائيل شهدوا أنه عصاك مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء * ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا اصل لها أي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة وقد قال العز ابن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر من أمثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا أي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره ما احدث وخالف كتابا اوسنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضلالة وما احدث من الخير

ولم يخالف شيا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين السبكي وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمي والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة ومن ثم قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي من احسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لازال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزى من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشري عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك صاحب أربل وصنف له ابن دحية كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فاجازه بالف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي وردا على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به

يقال انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النساء وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وأم أيمن عن برة قالت أول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة أى بعد ارضاع أمه له كما سياتى قال وثويبة هى جارية عمه أبي لهب وقد أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم أي فانها قالت له اماشعرت ان آمنة ولدت ولدا وفى لفظ غلاما لاخيك عبد الله فقال لها أنت حرة فجوزى بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقي ماء في جهنم في تلك الليلة أى ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والابهام اه أى ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة في تلك النقرة * ويذكر ان بعض اهل أبي لهب أى وهو أخوه العباس رضي الله تعالى عنه رآه في النوم في حالة سيئة فعن العباس

طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا من مسلم وكان يكني أبا زهير وقال صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر لوكان ابو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبي صلي الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي اي في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق اوقع بالعدو والقتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لايزال يجني فيعقل عنه ابوه حتي أبغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج هائما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تاخر انساب اي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتي ووجد في ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه أنا نفيلة بن جرهم ابن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس

رضى

رضي الله تعالى عنه قال مكثت حولا بعد موت أبي لهب لا أراه في نوم ثم رأيته في شر حال فقلت له ماذا
لقيت فقال له أبو لهب لم أذق بعدكم رخاء وفي لفظ فقال له شرخيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء
وهي سوء الحال غير أني سقيت في هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتي ثويبة ذكره الحافظ الدمياطي
والذي في المواهب وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا أنه يخفف عني
كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين ماء واشار برأس اصبعيه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما
بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتأمل وقيل انه انما أعتقها لما هاجر صلى الله عليه
وسلم الى المدينة أي فان خديجة رضي الله تعالى عنها كانت تكرمها وطلبت من أبي لهب ان تبتاعها
منه لتعتقها فأبى أبو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها أبو لهب * اقول
قد يقال لا منافاة لجواز أن يكون لما أعتقها لم يظهر عتقها واباؤه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم أظهر
عتقها بعد الهجرة والله اعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان أياما قلائل قبل أن تقدم حليمة
وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا
في النور وفي السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد أرضعت قبله أبا سفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم
الحرث وفي كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يألفه إلفا شديدا قبل
النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا أصحابه رضي الله تعالى عنهم فانه كان شاعرا
مجيدا وسيأتي اسلامه رضي الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وأرضعت ثويبة
رضي الله تعالى عنها قبلهما عمه صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم
بسنتين وقيل باربع سنين * اقول هذا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة هالة
وأتى منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة آمنة وذلك في مجلس واحد وان آمنة حملت برسول الله
صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وانه دخل بها حين أملك عليها فكيف يكون حمزة أسن منه
صلى الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال ليس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على
زوجتيهما في وقت واحد وعبارة السهيلي هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة بنت وهب
أم النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة فولدت هالة
لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه
وليس فيه كقول أسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد تصريح بانهما
دخلا بزوجتيهما في وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن ابن
المحدث ان عبد المطلب خطب هالة في مجلس خطبة عبد الله لآمنة والله اعلم ثم رأيت في الاستيعاب قال
كان أي حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين وهذا لا يصح عندي لان الحديث

و يفعل المعروف وفي رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما زاد بعضهم ما بل بحر صوفة ومارسا حراء وثبير مكانيهما والمراد الابد وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ما احب ان لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم أي الابل واني اغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أي لا احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل في ذلك وفي رواية لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لي حمر النعم أي بهواته ولو دعي به في الاسلام لاجبت أي لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع في بعض الروايات انه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بني عبد مناف بن قصي وهم هاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى وبني تيم وبني الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بني عمهم عبد الدار بن قصي واحلافهم بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي ويقال لهم الاحلاف وأجيب بان الذين تعاقدوا في حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول فاطلق عليه انه هو السبب في هذا الحلف اعني حلف الفضول الواقع في دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي ابن وائل السهمي وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب فابوا أن يعينوا على العاصي وانتهروه أي أظهروا له الشر فرقي على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان رتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا او وضيعا

ثم مشوا الى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه * وذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت له من اوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا اسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي فنزعها مني قسرا فساروا اليه وقالوا اردها فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة اي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال كان بين الحسين بن علي بن ابي

طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف الله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول اي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله ابن الزبير لانه كان ادرك ذلك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد ابن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله اعلم

﴿ باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها ﴾

وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه اباطالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما بلغها عنك من طهارتك وان كنت اكره ان تاتي الشام واخاف عليك من اليهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الي في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم امانته وكرم اخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف

الثابت ان حمزة ارضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تكون ارضعتهما في زمانين هذا لفظه وفيه ما علمت وفيه أيضا على تسليم انها ارضعتهما في زمانين لكن يلزم انها مسروح كما سياتي ويبعد بقاء ابن انها مسروح اربع سنين ثم أرضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياتي الجواب عنه وأرضعت ثويبة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم أبا سلمة بن عبد الأسد أي ابن عمته الذي كان زوجا لأم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم أبا سفيان ابن عمه الحرث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبا سلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبري وأرضعته ثويبة جارية أبي لهب وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان تكون لم تحمل على ولدها مسروح في المدة المذكورة فاستمر لبنها وأيضا هي أرضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه أبا سفيان الحرث كما علمت * وذكر بعضهم ان أبا سلمة اول من يدعى للحساب اليسير وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا وهو عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت أتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون ابي سلمة أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ما جاء عن ام حبيبة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك في أختي بنت ابي سفيان اي وهي عزة بعين مهملة ثم زاي اي وفي رواية هل لك في اختي حمنة بنت ابي سفيان والذي في مسلم انكح اختي عزة اي وفي البخاري انكح اختي بنت ابي سفيان قال او تحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون الخاء وكسر اللام وبالتحتية اي لست لك بتاركة عدم احدها واحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله انا انبئت اي وفي لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ تريد ان تنكح درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة وأما ضبطه بفتح الدال المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعني بدرة بنتها من ابي سلمة قال ابنة ابي سلمة قلت نعم فقال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واياه ثويبة اي وفي رواية لولا اني لم انكح ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان اباها اخي من الرضاعة اي واختلت على فرض ان لا تكون بنت اخي من الرضاعة لا يحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن على بناتكن ولا اخواتكن قيل وفي هذا اي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال له اي وقيل لها ربيبة لانها ماخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها

ماأعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها وقالت لميسرة لاتعص له أمرا ولاتخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فيكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشيء فصار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال ياميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجره فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب مانزل تحت هذه الشجره بعد عيسى عليه السلام الا نبي وفي رواية ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الداله على نبوته المذكوره في الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وانا أشهد انك الذي ذكر الله في التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفي روايه قال يامحمد قد عرفت فيك العلامات كلها الداله على نبوتك المذكورة في الكتب القديمه خلا خصله واحده فاوضح لي عن كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوه يتلألأ فاقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسى فانه لاينزل بعدي تحت هذه الشجره الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بعد في بقاء الشجره من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليهما وسلم لاحتمال ان بقاءها معجزة أو انه كانت شجره زيتون لان شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنه ولا مانع أيضا ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفي رواية قال لميسرة أفي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لاتفارقه أبدا قال هو هو وهو آخر الانبياء وياليتني ادركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل احلف

يقوم باصلاح أحوالها قال ولك ان تقول كان الظاهر والاقتصار على الاخوات لان أم حبيبة هي التي عرضت أختها ولم تعرض بنتها التي هي درة * وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب أم حبيبة خطابا لجميع زوجاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الحكم لايختص بواحده دون أخرى اه اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته صلى الله عليه وسلم من عرض عليه بنته الا أن يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغي لكن ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رأيت الامام النووي رحمه الله ذكر ان هذا من أم حبيبة أي من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم تعلم من عرض بنت أم سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس عرض عليه بنت أم سلمه واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن على بناتكن تامل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين المرأه واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول بجواز ذلك له ولا يجمع بين المرأة وبنتها حلالا فالوجه حكاه الرافعي وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لولم انكح أم سلمة لم تحل لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغري وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها في احد الوجهين وبين المرأة وابنتها في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة وجزموا بانه غلط والله اعلم * ومما يدل أيضا على ان عمه صلى الله عليه وسلم حمزه أخوه من الرضاعة ماجاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله مالك لا تتوق في قريش أي بمثناتين فوق مفتوحتين ثم واو مشدده ثم قاف أي لا تتشوق اليهم ماخوذ من التوق الذي هو الشوق وفي رواية بالتاء والنون أي لاتختار ولا تتزوج منهم قال او عندك شيء قلت نعم ابنة حمزة أي عمه وهي امامة وهي احسن فتاة في قريش قال تلك ابنة اخي من الرضاعة أي وهذا من علي رضي الله تعالى عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعه عليه صلى الله عليه وسلم أو انه لم يكن يعلم ان عمه حمزه أخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعه وفيه انه جاء في روايه أليس قد علمت انه اخي من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ماحرم من النسب الا ان يراد بقوله قد علمت أي اعلم قال ولعله لم يقل ارضعتني واياه ثويبه كما قال ذلك في ابي سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اباسلمة لان حمزه رضيعه ايضا من امرأه من بني سعد غير حليمة كان حمزة رضي الله تعالى عنه مسترضعا عندها في بني سعد أرضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهي عند حليمه أي فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المرأه السعديه ولم أقف على اسم تلك المرأه اه أي ولو اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر * اقول وتقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خوله بنت المنذر التي هي أم برده انما كانت مرضعة لولده ابراهيم وقد يجاب عنه بانه

باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده انه الذي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف اهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اي غرفة عالية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلانه رواه ابو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فاخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة اخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا (١٠٤) منذ خرجنا واخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي حالفه في البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما كانت سمته له وفي رواية باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة اربعين سنة ما رأينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك وقيل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الركب وخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغاء والقى الله محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة حتى كانه عبده ولما بلغوا مر الظهران امره النبي صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها

وفي رؤيته ميسرة الملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكيتها وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا نقله الحلبي في السيرة وذكر فيها ان خديجة رضي الله عنها استاجرت النبي صلى الله عليه وسلم ايضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح

يجوز أن تكون خولة بنت المنذر اثنتان واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة أرضعت ولده ابراهيم وان خولة التي ارضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال فيها الشمس الشامي لم أقف على اسم تلك المرأة والله أعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده به وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة الا أسلمت ولم أقف على اسلام ابنها مسروح * أقول ومما يدل على عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيامة أشفع لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني أخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من أين انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول سياتي عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله أعلم اي وقد يدل على عدم اسلامه ثويبة وابنها المذكور الذي هو مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها أي ولو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة * أقول وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا أدرك الاسلام وقد بينا في علم وفاتهما مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ما ذكر السهيلي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون سؤاله الثاني للتثبت لوصوله محل اقامتهما والقول بانهما لو كانا أسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز أن تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله أعلم قال وجاء ان أمه ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة أيام * أقول وفي عيون المعارف للقضاعي سبعة أيام وفي الامتاع انها أرضعته صلى الله عليه وسلم سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة أياما فلا يلائم هذا كلامه وقوله ثم ارضعته ثويبة يخالف ما تقدم من أن أول من ارضعه ثويبة الا أن يقال المراد أول من أرضعه غير أمه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم ذلك من قول الاصل اول من أرضعه ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقية الا ان يدعى ذلك في نقل ابن المحدث أيضا اي أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وسلم بعد لبن أمه والله اعلم قال وأرضعه صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة أي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعنها في فمه فدرت في فيه فرضع منهن وارضعته صلى الله عليه وسلم أم فروة اه أي وهؤلاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهي التي عناها صلى الله عليه وسلم بقوله أنا ابن العواتك من سليم على ما تقدم وما تقدم من أن أم ايمن ارضعته صلى الله عليه وسلم ذكره في الخصائص الصغرى رد بانها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر بابن أي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا أيمن واسامة

الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد انه صلي الله عليه وسلم سافر لها سفرات * وتزوج صلي الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما وكانت تدعي في الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمي أيضا سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكني بابي هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية وكانت ولدت له هند بن ابي هالة وهو من الصحابة رضي الله عنه كان يروي عنه الحسن بن علي رضي الله عنه ويقول حدثني خالي لانه أخو فاطمة رضي الله عنها لامها وقتل رضي الله عنه مع علي يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمي هالة فهند وهالة (١٠٥) ذكران ثم بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبي صلي الله عليه وسلم ولم تروشيا وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش وكان لها حين تزوجها بالنبي صلي الله عليه وسلم من العمر اربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك * وعن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتني دسيسا الى محمد صلي الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الي المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن اسد لزوجها فذكر صلي الله عليه وسلم ذلك لاعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وقد ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسي عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا ياخديجة فان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد

وأسامة الا ان يقال جاز ان لبنها در له صلي الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة الابكار وأرضعته صلي الله عليه وسلم حليمة بنت ابي ذؤيب وتكني أم كبشة اي باسم بنت لها اسمها كبشة ويكني بها أيضا والدها الذي هو زوج حليمة اي وكانت من هوازن أي من بني سعد بن بكر بن هوازن وسيأتي الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو الحرث بن عبد العزى ويكني أبا ذؤيب أي كما يكني ابا كبشة ادرك الاسلام وأسلم فقد روي ابو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب انه بلغه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم وأجلسه بين يديه وعن ابن اسحق بلغني ان الحرث انما أسلم بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وهو يؤيد قول بعضهم لم يذكر الحرث كثير ممن ألف في الصحابة اه * أقول يدل للاول ظاهر ماروي ان الحرث هذا قدم على رسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه صلي الله عليه وسلم فقالت له قريش الا تسمع ياحارث مايقول ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه أي يعذب في احداهما من عصاه وهي النار ويكرم في الاخري من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال اي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا أي ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الي جنة ونار فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك وفي لفظ أنا ازعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم ياأبت فلآخذن بيدك حتي أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه اي وقد كان يقول حين اسلم لو أخذ ابني بيدي فعرفني ماقال لم يرسلني حتي يدخلني الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلي الله عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه اسلم في حياته صلي الله عليه وسلم وفي شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه وفي الاصابة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان جالسا اي على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت أمه صلي الله عليه وسلم فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم أقبل اخوه صلي الله عليه وسلم من الرضاعة فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ ففاعل جلس النبي صلي الله عليه وسلم وضمير يديه راجع لاخيه اي قام صلي الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب وأجلس اخاه على الثوب مكانه وجلس صلي الله عليه وسلم قبالة أخيه فعل صلي الله عليه وسلم ذلك ليكون اخوه هو وأبواه جميعا على الثوب والله أعلم قالت وخرجت في نسوة من بني سعد اي ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعاء في سنة شهباء أي ذات جدب وقحط لم تبق شيئا على اتان قمراء بفتح القاف والمد أي

يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى فقال يامعشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فايتكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصمنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما اخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هي قالت ان كان ماقال اليهودى حقا ماذاك الا هذا فلما أخبرأ عمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو للنبي صلى الله عليه

وسلم فرضي وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتى عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على اربعمائة دينار وخطب ابو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضي الله عنه ذلك العقد فقال ابو طالب الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الارجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم ابو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم . فقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا على معاشر قريش باني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا على يامعشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبي صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذي أنكحها عمها عمرو بن أسد وان اباها خويلد امات قبل حرب الفجار قيل لما تزوجها صلى الله

شديدة البياض ومعي شارف أي ناقة مسنة ماتبض بالصاد المعجمة وربما روي بالمهملة أى ماترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع مافي ثديي وفي رواية ثديي مايغنيه ومافي شارفنا مايغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الدال المعجمة وضم الباء الموحدة أى مايكفيه بحيث يروم رأسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب أى حبسته بتأخرها عنه لشدة عائها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس أى نطلب الرضعاء جمع رضيع وأدم مأخوذ من الماء الدائم يقال أدم بالركب اذا ابطأ حتى حبسهم ويروى بالمعجمة أى جاء بما يذم عليه وهو هنا الابطاء * أقول لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة في غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وافصح له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المرأة ان ترضع ولدها انتهى أي تستقل برضاعه ويدل للاول ماجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه أنا أعربكم أي افصحكم عربية أنا قرشي واسترضعت في بني سعد وجاء ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم مارأيت أفصح منك يارسول الله فقال له ما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعاء الي المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعني ولده لانه لمحبته له ابقاه مع أمه في المصر ولم يسترضعه في البادية مع الاعراب فصار لحانا لاعربية له واخوه سليمان استرضع في البادية مع الاعراب فصار عربيا غير لحان * قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انما نرجو المعروف من ابي الصبي فكنا نقول يتيم ماعسى ان تصنع امه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة معي الا اخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الي ذلك الرضيع فلآخذنه قال لاعليك أى لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته أقول وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة ابى ذؤيب الا ان يقال جاز ان يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وابين ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم يجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفاء الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من انت فقلت انا امرأة من بني سعد قال ما اسمك قالت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد ياحليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فابين ان يقبلن وقلن ماعند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك ان ترضعيه فعسى ان تسعدى به فقلت ألا تذرني

عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهي أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفي رواية فامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك ينحر بكرا من بكراتك واطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فاطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فاقر الله عينه وفرح ابو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل ان تتزوج به فاخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بابي انت وأمي ما افعل هذا لشيء ولكن ارجوان تكون انت النبي الذي (١٠٧) سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي

حتي أشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فاخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لى يا حليمة خذيه فرجعت الي عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبى فاستهل وجهه فرحا فاخذني وادخلني بيت آمنة فقالت لى أهلا وسهلا وأدخلتني في البيت الذى فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن وتحته حريرة حضراء راقدا على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فاشفقت اى خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا انظر فقبلته بين عينيه وأخذته وماحملني على اخذه اى اكد اخذه الا انى لم أجد غيره والا فما ذكرته من اوصافه مقتض لاخذه أى وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان اباها كان قبل رؤيتها له قالت فلما اخذته رجعت به الى رحلى فلما وضعته في حجري اقبل ثدياى بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى أي من الثدى الأيمن وعرضت عليه الايسر فاباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد اي بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن وفي السبعيات للهمداني ان احد ثديى حليمة كان لا يدر اللبن منه فلما وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه اخوه حتي روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اي فعدم نومه من الجوع فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا هي لحافل اى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته صلى الله عليه وسلم معى عليها فوالله لقطعت بالركب اى صيرته خلفها ما يقدر عليها أى على مرافقتها ومصاحبتها شيء من حمرهن حتى ان صواحبي يقلن لى يا بنت ابى ذؤيب ويحك اربعي اي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليس هذا اتانك التي كنت خرجت عليها تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا اى وقالت حليمة فكنت اسمع اتانى تنطق وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لى سمنى بعد هزالي ويحك يا نساء بنى سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في النطق المفهوم * وذكرت انها لما ارادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت اي خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم ارضا من اراضي الله اجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا اى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ فنحتلب ماشئنا والله ما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر اى المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابى ذؤيب يعنوننى فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا

ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والـ
ـزهد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسر
ح اظلته منهما افياء
وأحاديث ان وعد رسول الله
بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وأما احـ
ـسن ما يبلغ المنى الاذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة * وحضر صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء سيل

ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق اصابها بسبب ان امرأة بخرتها فطارت شرارة في باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا ان يضعوا الحجر الاسود واختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم ان يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفي رواية انهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بنى شيبة فكان صلى الله عليه وسلم اول من دخل منه فاخبروه فامر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم اخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحق ان الذى اشار عليهم ان يحكموا أول داخل ابو أمية المخزومي اخو الوليد بن

المغيرة واسم ابي أمية حذيفة وكان اسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبي أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حاسد ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد وذكر السهيلي أن ابليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح باعلى صوته يامعشر قريش اقد رضيتم أن يضع (١٠٨) هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي اسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من اجياد وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ونودي يا محمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقي بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن ﴿ فائدة ﴾ لما حوصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا واخذوا الانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه الا عبد الله بن صفوان بن أمية فقاتل معه اشد القتال فاذن له عبد الله في الانصراف وان ياخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فابى وقال اني اقاتل على ديني فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضي الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضي الله عنه ﴿ باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره

فلم نزل نعرف من الله تعالى الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب أي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع من ان امه صلى الله عليه وسلم أرضعته سبعة اشهر قالت حليمة فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة اشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها رضي الله تعالى عنها انها قالت انه لفي حجري ذات يوم اذ مرت به غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها * أقول وقد سجدت له صلى الله عليه وسلم الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجال من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في أمتي ان يسجد احد لاحد ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان لها اي حقها ان تفعل وحرب جمل بكسر الراء اي اشتد غضبه فصار لا يقدر احد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه افتحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يارسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا عنه فلما رآه الجمل خر ساجدا اي فاخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله واحسن علفه فقال القوم يارسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث وفي هذا دلالة على عظيم حق الزوج على زوجته * وجاء مما يدل على ذلك ايضا ما روى ان اسماء بنت يزيد الانصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الله بعثك الى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات اولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم في الاجر يارسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه وقال هل سمعتم مقالة امرأة احسن سؤالا عن دينها من هذه قالوا بلى يارسول الله فقال انصرفي يا اسماء واعلمي بانك من النساء ان حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال أي من حضور الجماعات وشهود الجنائز والجهاد فانصرفت اسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المرأة لزوجها والله اعلم * قالت حليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافي اليتيم عنا غناء
فاتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست * مابها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء
يالها منة لقد ضوعف الاجـــر عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

أى وظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم أمور خارقة للعادة لوضوحها لاتخفى على العيون فمن ذلك ان المراضع أبت ان تاخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته أتته فتاة من أهل سعد قد أبتها اهل الرضعاء لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء ألبانها وكانت تلك الشياه لا لبن بها بل هزيلات فصارت ذات ألبان وسمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذاء النبي صلى الله عليه وسلم يالها أى لتلك الخصلة الصادرة من حليمة وهي سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كرر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر أناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء أقول لم أقف على رواية فيها ان حليمة أبتها أهل الرضعاء لفقرها وكان الناظم أخذ ذلك من قولها فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيرى وماحملني على أخذه الا انى لم أجد غيره ولا دلالة في ذلك واستفتي الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد حادثات أى وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار وهي محلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم في حيز من يرحم لا في حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرن ولم يأخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم في ذلك فاجاب بما نصه ينبغي لمن يكون فطنا ان يحذف من الخبر اي الحديث مايوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه حيث قال في بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعتها يعني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تادبا معها ان تذكر في هذا المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على ان الخلق عنده صلى الله عليه وسلم في الشرع سواء فهذا من كمال ادب الامام رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته اي فاذا جاز حذف

وصفته في الكتب القديمة وماوجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها) قال ابن اسحق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه * أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لاتحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لايزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها * وفي هذا تصريح بان الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء قبل وجوده فاما اخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ماجاء عن سلمة بن سلامة رضي الله عنه وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر عند قوم أصحاب اوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان او ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذى يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أي ويحجون من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أى ذلك اليهودى بين اظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يافلان ألست الذى قلت لنا ماقلت قال بلى ولكن ليس به * ومن ذلك ماجاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من اهل الكتاب من اهل تيماء وهي قرية بين المدينة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه إله فيخرج فيأتي باربعة احجار فيعين ثلاثة لقدره اى يستنجي بها ويجعل احسنها إلها يعبده ثم لعله يجد ماهو أحسن منه شكلا قبل ان يرتحل

بعض الحديث اليوم نقصا في بعض أهل بيته فما بالك بما يوم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ يدل على ان اباء المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث أقره ولم ينكره والله اعلم

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة رضي الله تعالى عنها الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا أي وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن أمه وفي رواية اول كلام تكلم صلى الله عليه وسلم به في بعض الليالي أي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضي الله عنها لما دخلت به صلى الله عليه وسلم الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته صلى الله عليه وسلم أي واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به أذى في جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى قالت حليمة فقدمنا مكة على امه صلى الله عليه وسلم أي بعد أن بلغ سنتين ونحن احرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته صلى الله عليه وسلم فكلمنا امه وقلت لها لو تركتي بني عندي حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته صلى الله عليه وسلم معنا وقيل ان امه صلى الله عليه وسلم آمنة قالت لحليمة ارجعي بابني فاني أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شان أي ولا مخالفة بينهما لجواز أن حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي بابني على الفور فاني أخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم فوالله انه بعد مقدمنا به صلى الله عليه وسلم باشهر عبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه يعني من الرضاعة في بهم لنا ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين لانه لغي أي ذلك الكسر فبينما هو صلى الله عليه وسلم واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم اولاد الضأن اذ أتى اخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولابيه ذاك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه وفي لفظ لونه أي متغيرا أي صار لونه كلون النقع الذي هو الغبار وهو صفة ألوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع أي من رؤية الملائكة لا من مشقة نشأت عن ذلك الشق لما يأتي في بعض الروايات فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ومن ثم قال ابن الجوزي فشمه وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التي هي الاولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صلى الله عليه وسلم صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني فقال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أي وهما جبريل وميكائيل أي وهما المراد بقوله في

رواية

فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو احسن منه تركه واخذ ذلك الاحسن فرأيت انه إله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة آتي فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شيء انت قال نبي قلت من نباك قال الله قلت وبم ارسلك قال بعبادته وحده لاشريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وامان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتامرني ان امكث معك أو انصرف فقال الا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث معي كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج الى المدينة فسرت اليه وقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم انت السلمي الذي اتيتني بمكة * ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله او هداه ما نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا نظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه لان المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فاقام عندنا

فكنا اذا قحط المطر أى حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة فنقول له كم
فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله مايبرح من محله حتى يمر السحاب ويسقى
قد فعل ذلك غير مرة اى لامرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يامعشر يهود ماترونه
أخرجنى من أهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الي أرض البؤس والجوع فقلنا أنت اعلم قال انما قدمت هذه الارض اتوكف أى
أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه اي اقبل وقرب كانه لقربه أظلهم اى التى عليهم ظله وهذه البلاد مهاجره
وكنت أرجو ان يبعث فاتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة قال لهم نفر من هذيل اخوة بنى قريظة وهم ثعلبة ابن سعيد وأسد بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بنى قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم * ومن ذلك خبر العباس رضى الله عنه قال خرجت فى تجارة الي اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبى سفيان ان محمدا قائم في ابطح يقول انا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن
فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغنى ان فيكم عم هذا الرجل الذى قال ماقال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك
صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فاردت ان أقول نعم فخشيت من ابي
سفيان ان يكذبنى ويرد على فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى
منزلنا قال ابوسفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء
أي بالفتح والمد قلت ماتقول قال كلمة جاءت على فمى الا انى أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى

رواية فاقبل الى طيران أبيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى
فاخذانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا اى طلباه فوجداه فاخذاه وطرحاه ولا أدري ماهو
أى وسياتي ان هذا الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه وما أدري ماهو انه علقة سوداء استخرجاها من
قلبه بعد شق بطنه ففي هذه الروايه طى ذكر القلب وشقه وسياتي ذكر ذلك فى بعض الروايات وفى
رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا اوبردا وقد
يقال ان الطيرين تارة تشبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفى كون مجيء جبريل وميكائيل على
صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء فى الحديث هبط على جبريل فقال يامحمد ان
لكل شيء سيدا فسيد البشر آدم وأنت سيد ولد آدم وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد
الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفى بحر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد
الشهداء هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد
السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية
وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الي
خبائنا أي محل الاقامة وقال لي ابوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه
باهله قبل ان يظهر به ذلك وفي رواية قال الناس ياحليمة رديه على جده واخرجى من امانتك وفي
رواية وقال زوجى أرى ان ترديه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسد من آل فلان
لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على أمه قال الواقدى وكان ابن عباس يقول
رجع الي أمه وهو ابن خمس سنين أي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم
وكان غيره اي غير ابن عباس يقول رجع الى أمه وهو ابن اربع سنين وذكر الاموى انه رجع
الى أمه وهو ابن ست سنين انتهى أقول سياق ماقبله يدل على ان قدوم حليمة به على أمه كان عقب
الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كانت سنتين واشهر وسياتى مافيه والله اعلم * وعن ابن
عباس ان حليمة كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الي الصبيان
يلعبون فيجتنبهم فقال لى يوما يا أماه مالى لا ارى اخوتى بالنهار يعنى اخوته من الرضاعة وهم اخوه
عبدالله وأختاه انيسة والشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية اولاد الحرث قلت فدتك نفسى
انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الي ليل قال ابعثينى معهم فكان عليه السلام يخرج
مسرورا ويعود مسرورا اى وهذا لايخالف قولها السابق كان مع اخيه في بهم لنا خلف بيوتنا
ولا قوله صلى الله عليه وسلم الآتى فبينما أنا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا ولا قوله فبينما انا
ذات يوم منتبذا من أهلي في بطن واد مع اتراب لي من الفتيان كما لايخفى قالت حليمة فلما كان يوما من

الله عليه وسلم مكة ونظر ابوسفيان الي الخيل قد طلعت من كداء قلت ياأباسفيان تذكر تلك الكلمة قال إي والله اني لاذ كرها * ومن ذلك ماجاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهرلي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد من هو متصف باخلاقه الاعتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه وعرفت انه غيره قال أبوسفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو فكيف الآن اتبع فتي من بني عبد مناف * واما أخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم أفيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر احمد بعد ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه أي يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب ولما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضي الله عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما في حبل فلذلك سميا القرينين * ومنها ماحدث به سعيد بن العاص ابن سعيد قال لما قتل أبي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الي الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شئ سأل عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني أمية أي اشرافهم فقال لهم اني كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة أي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال ممن الرجل فقلت اني من قريش وان رجلا هناك يزعم ان الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة

ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه أي وفي رواية اذ أتى ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي ياأبت ويا أمه الحقا أخي محمدا فما تلحقاه الا ميتا قلت وما قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتي شق صدره الي عانته ولا أدرى مافعل به * أقول ولعل ضمرة هذا هو أخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز أن يكون ضمرة سبقهم والله اعلم قالت حليمة فانطلقت أنا وابوه نسعي سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا كذا بالنصب ياأماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء والزمردة بالضم والزاي المعجمة الزبرجد وهو معرب فاخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعوني على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الآتي فاخذوني حتي اتوا بي شفير الوادي فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري الي عانتي وسياتي الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدري الي عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم ومايأتي قال وأنا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا ألما الحديث وفي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه أيضا * أقول ولا منافاة في تلك الرواية بين قولها فوجدناه قائما وبين قولها في هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز ان تكون أرادت بقولها قائما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ماكثا كما لا منافاة بين قولها في تلك الرواية منتقعا وبين قولها في هذه الرواية يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافي الفزع او لجواز أن يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأي من الحالة التي عليها أمه من التعب والشدة والله اعلم قال وذكر ابن اسحق ان حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم مكة لترده على امه أي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد بلغ أربع سنين اوخمسا أو ستا على ما تقدم اضلته في أعالي مكة فاتت جده عبد المطلب فقالت اني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة اضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده عليه وفي مرآة الزمان انه انشد

يارب ردلي ولدي محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

وسياتي ان هذا البيت أنشده عبد المطلب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليرد ابلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسياتي بعض ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت

فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ في صفته شيئا ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ لي عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب * ومنها ما حدث ابن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل أن اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أي العرب أنتم من هذا الذي يزعم أنه نبي قال فقلت يجمعني واياه الجد الخامس فقال هل انتم صادقي فيما سألتكم عنه فقلنا نعم فقال هل انتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلت ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فامر بكشفه فاذا صورة رجل قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عبده فاشرب غسالة قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة ابي بكر رضي الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب ابي بكر فقال هل تعرفون الذي أخذ بعقبه قلنا هو ابو بكر فقال هل تعرفون الذي اخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده هذا * ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وشد الياء وفي لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما ابي فمن اصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير اهل قريته وكنت أحب خلق الله الى ابي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية وأجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي قاطنها بمعنى خادمها الذي يوقدها

شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده من انت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال وأنا عبد المطلب جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر واطعم اهل مكة اهـ وقول جده له من انت يا غلام لعله لكونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبه الغلمان وفي السيرة الهشامية ان الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب أي ويقال ان عمرو بن نفيل رآه وهو لا يعرفه فقال له من أنت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب وفي كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة * يارب رد ولدي محمدا * البيت فجاء أبو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدي ألا تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت ان تقوم فاركبته من امامي فقامت ويحتاج الى الجمع على تقدير صحة كل مما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن حليمة مرضعته وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير قالت حليمة فقالت أمه ما اقدمك به يا ظئر أي يا مرضعة ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فاديته اليك كما تحبين فقالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني شأنا الا اخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي ما علمت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت الا تحدثوني عن ابني هذا حملته كذا ووضعته كذا ورأيت كذا كما وصفت لها امه أي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند اخذه منها انتهى * اقول ولا ينافي ذلك قول آمنة لحليمة الا اخبرك خبره وقول حليمة لها بلى لجواز ان تكون امه لم تكن متذكرة انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عما اخبرتها به اولا بناء على اتحاد ما اخبرتها به اولا وثانيا والله اعلم قالت ولما اخبرت أولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان يتيما قتلناه اقول وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة من انها حين حملت به خرج منها نور الى آخر ما تقدم وان يكون لا اب له مذكور في بعض الكتب القديمة انه من علامة نبوة النبي المنتظر والله اعلم قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ

لا يتركما تحبوا أي تطفا ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل عنها في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم فاذهب
الي الضيعة وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني فان احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شئ من
امري فخرجت أريد ضيعته التي امرني بها وبعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت
لا أدري ما امر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت
في امرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم آتها

ثم قلت لهم اين اصل هذا الدين قالوا بالشام ورجعت الي ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال اي بني اين كنت ألم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رأيته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخافني ان أهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الي النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فاخبروني بهم فاخبروني فالقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها

قلت من اهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء
وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت ان اكون معك فاخدمك في
كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزها
لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه
فقلت لهم ان هذا رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا فقالوا لي وما

أي وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت أقامت بهذا السوق
شهر شوال وكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمي عكاظا يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه
في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فرآه كاهن من الكهان فقال
يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فراعت أي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله
تعالى أي وفي الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الي عراف
من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس
من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون أي صبي فيقول هذا
الصبي فلا يرون شيئا فيقال له ماهو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم
وليظهرن أمره عليكم وطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق
للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق يقال له سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه
بعد انقضاضهم من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي
هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر
اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والي الحمرة في عينيه صاح يا معشر
العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر
أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات اه أي
وفي السيرة الهشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه صلى الله عليه وسلم مع أمه السعدية حين رجعت
به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه أي رأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل
يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه () ثم قالوا لها لتأخذن هذا الغلام فلنذهبن به
الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم
منهم وأتت به الى أمه وعمه صلى الله عليه وسلم واسترضعت في بني سعد فبينما انا مع أخ لي خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بيد احدهما طست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا
بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها أي وقيل هذا حظ الشيطان منك
يا حبيب الله وفي رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين أي ولا مخالفة لجواز أن تكون تلك العلقة
انفلقت نصفين وفي رواية فاستخرجا منه غمز الشيطان أي وهو المعبر عنه في الرواية قبلها بحظ
الشيطان ولا ينافي ذلك قوله في الرواية السابقة ولا أدري ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى الله عليه
وسلم بهذا بعد ان علمه والمراد بغمز الشيطان محل غمزه أي محل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان
تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه
مكان

أعلمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم بها نصف اردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات المكية أجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم واولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لايدخرون قوتا لغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة وقال رأيت شخصا قال لراهب

مكان لان يلقي الشيطان فيه شيئا فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هي محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضي ان يكون قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل اجاب السبكي بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء أي بالفعل وليتأمل وسئل السبكي رحمه الله تعالى فلم خلق الله ذلك القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن أن لا يخلقه الله فيها فأجاب بانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم أي وليظهر للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره أي لانه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة وأجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقدم تقدم كل ذلك وذكر السهيلي رحمه الله ما يفيد ان هذه العلقة هي محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من مني الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التي لا تنبغي وان ذلك مخلوق في كل احد من الانبياء عيسى عليه السلام وغيره ولم تنزع الا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبي بذلك الثلج أي الذي في ذلك الطست حتى انقياه أي وملآه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات أي وفي رواية ثم قال احدهما لصاحبه ائتني بالسكينة فاتي بها فذراها في قلبي وهذه السكينة يحتمل ان تكون هي الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا في الرواية الآتية وفي الرواية قبل هذه كانت من زمردة خضراء ويحتاج الى الجمع وسنذكر في هذه الرواية وكذا الرواية الآتية ان الثلج كان في الطست وفي الرواية قبل هذه كان في يد احدهما ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكره السهيلي رحمه الله وذكر في حكمة كون الطست من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وفي الرواية السابقة طي ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذي أجاب به صلى الله عليه وسلم أخا بني عامر التي وعدنا بذكرها هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا في بني سعد فبينا انا ذات يوم منتبذا أي منفردا من أهلي في بطن واد مع اتراب لي أي المقاربين بالموحدة أو النون لي في السن من الصبيان اذ أتى رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذوني من بين اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى أتوا على شفير الوادي ثم أقبلوا على الرهط

انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا نصفا مربوطا على عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاءوا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى انه افضل منه أي لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا فاحببته حبا شديدا لم احبه شيئا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يافلان اني كنت معك واحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله ماترى فالى من توصي بي قال أي بني والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت عنده خير رجل فلما احتضر قلت يافلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ماترى فالى من توصي بي وبم تامرني قال يابني والله ما اعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته

على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله مالبثت ان نزل به الموت فلما احتضر قلت له يافلان ان فلانا أوصي بي الي فلان ثم ان فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تامرني فقال يابني والله ماأعلم بقي أحد على أمرنا آمرك ان تاتيه الارجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل مانحن عليه فان أحببت فاته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى اصحابه وامرهم فاكتسبت حتى كان لى بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصي بي فلان الي فلان ثم اوصى بى فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني فقال اي بني والله ماأعلم اصبح على ما كنا عليه احد من الناس آمرك ان تاتيه ولكنه قد اظل اى أقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام اربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وقيل اربعة وعشرون قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الي ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه فقالوا نعم فاعطيتهموها فحملوني حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فمكثت عنده فرأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي اي وصف لي صاحبي ولم أتحقق ذلك فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الي المدينة فوالله ماهو الا ان رأيتها فعرفتها أي تحققتها بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ماأقام لاأسمع له بذكر مع ماأنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الي المدينة فوالله اني لفي عذق اى نخل لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة أي وهم الاوس والخزرج لان قيلة أمهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم

فقالوا ماأربكم اي ماحاجتكم الي هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مرتضع فينا يتيم ليس له أب فماذا يرد عليكم ان يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لابد قاتلوه أى ان كان لابد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم فلما رأي الصبيان ان القوم لايجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الي الحي يؤذنونهم أى يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم الي فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطني مابين مفرق صدري الى منتهى عانتي وأنا انظر اليه فلم أجد لذلك مسا أي ادنى مشقة واستخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها أى بالغ فى غسلها ثم أعادها مكانها أى وقد طوي ذكر استخراج الاحشاء وغسلها في الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشاء ظاهر القلب ثم قال الثانى منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وأنا انظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء تقدم التعبير عنها بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيئا واذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي أي بعد التئام شقه فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة وقد تقدم وملآ حكمة وايمانا وان السكينة ذرت فيه ثم اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فانا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي * أقول نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطي عن مغازى ابن عائذ في حديثه صلى الله عليه وسلم لاخي بني عامر وأقبل اي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتامل وقوله فصدعه يدل بظاهره على ان صدعه كان بيد الملك فلم يشقه بآلة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوي في هذه الرواية ذكر ملء قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم وفي الرواية قبلها انه كان بين كتفيه وفي رواية ابن عائذ وبين ثدييه ويحتاج الي الجمع والظاهر ان متعاطى الختم جبريل ويدل عليه قول صاحب الهمزية رحمه الله في هذه القصة * ختمته يمنى الامين * وسياتي التصريح بذلك لكن فى غير هذه القصة والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني فامر يده مابين مفرق صدرى الى منتهي عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفي رواية قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه * أقول وقد يقال معنى خطه ألحمه فخاطه اى ألحمه أي مر يده عليه فالتحم اى فلا يخالف ماسبق ولا ينافيه ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون المراد يرون أثرا كاثر المخيط فى صدره صلى الله عليه وسلم وهو أثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا طوى ذكره في الروايات السابقة وقوله ختم عليه يقتضي ان الختم كان في صدره صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ انه بين ثدييه لكنه زاد بين كتفيه وتقدم ان الختم كان بقلبه وقد يقال في الجمع لامانع من تعدد الختم فى المحال المذكورة

من مكة اليوم يزعمون انه نبي قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماتقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لاشئ انما أردت ان استثبته فيما قال قال سلمان وقد كان عندي شئ جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولا يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له اني قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذووحاجة وهذا شئ كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه

كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة أى من العلامات أعنى كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الفرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع أصحابه وسلمت عليه ثم ابتدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت

أى فى قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ مافيه وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه أقرب الى القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضى عياض رحمه الله بان الذي بين كتفيه هو أثر ذلك الختم الذى كان فى صدره اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفى وفيه السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر واولى من جواب الحافظ ابن حجر رحمه الله أيضا بانه يجوز ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب فى ذلك الجانب لما علمت وفيها ان الذى عند الايسر خاتم النبوة الذي هو علامة على النبوة الذى ولد صلى الله عليه وسلم به على ماهو الصحيح وفى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبياء كلهم كان الخاتم فى يمينهم أى فقد اخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم أقف على بيان تلك الشامات التي كانت للانبياء ماهي وكتب الشهاب القسطلاني على هامش الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب الانبياء غير نبينا لم يختم ولا يخفى مافيه من المحظور فما أشنعها من عبارة واخطاها من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره فى قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر في النفوس من عصمة الانبياء من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع اطماعه فليتامل لا يقال كل من جواب القاضى والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون مبنيا على ان خاتم النبوة هو أثر هذا الختم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعن أبى نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت أمه ان الملك غمسه في الماء الذى أنبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس اثرا لهذا الخاتم وكلام السهيلي يقتضي انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذى في شق صدره في الرضاعة فيه فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر أنه خلق به اووضع فيه بعد ماولد اوحين نبئ فبين في هذا الحديث متي وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله تعالى علما وأوزعنا شكر ماعلم هذا كلامه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضي الاحاديث التى فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان أول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به أوحين وضع هذا كلامه

الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وأبكى فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتي بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك أى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك

الي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها قبل والآن علمني جبريل أو كما قال فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندي انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشهد ان لا إله إلا الله واشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا الذي قدمه سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم صرح في بعض الروايات بانه سال سيده أن يهب له شيئا فوهبه له فجاء به للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بانه مملوك لا ملك له ثم اسلم سلمان وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة ودية وهي الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اى الحفر اى احفر لها واغرسها بتلك الحفر وتصير حية وأتعهدها الى ان تثمر وعلى اربعين اوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا اخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر اى احفر لها فاذا فرغت فاتني اكن انا أضعها بيدي قال ففقرت لها واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة وفي رواية فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فاطعم النخل كله بين
الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبي يحتمل ان كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة احدهما قبل الآخر او اشتركا في غرسها قال سلمان فاديت النخل وبقي علي المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة اى بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال ما فعل الفارسي فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان قلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي فقلبها على لسانه

ولا يخفى ان ماقلناه من أن هذا الخاتم غير خاتم النبوة أولى لانه يجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من أنه صلى الله عليه وسلم ولد به وعلى انه هو يلزم أن يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد أشير الي الجواب عن ذلك بان الموجود بين كتفيه انما هو أثر ما في صدره وقلبه * لانا نقول يبطله ماتقدم عن الدلائل لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه وأيضا يلزم عليه أن يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا في قصة البعث وثالثا في قصة الاسراء ففي قصة المبعث فاكفاني كما يكفا الاناء ثم ختم في ظهرى وفي قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كون ما في ظهره أو بين كتفيه أثر الذلك الختم الذى وجد في صدره أو قلبه الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة الاسراء غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاعة وانه تكرر الختم على ذلك الاثر في المبعث وفي قصة الاسراء وفيه انه لا معنى لتكرر الختم في محل واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وأيضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه في المحال الثلاثة خاتم النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول في قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع أي خاتم النبوة فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة عن بعضهم ويجوز أن يكون الباء في كلامهم بمعنى مع أي مع خاتم النبوة فتامل والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول للذى شق صدرى زنه بعشرين من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم كلهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى مايراد بك من الخير لقرت عيناك * أقول في بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي ذكر وزنه بعشرة والله أعلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم أى باجمعهم واذا ظئرى أي مرضعتي امام الحي تهتف أى تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا على يعني الملائكة الذين هم أولئك الرهط الثلاثة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئرى ياوحيداه فاكبوا على فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي ومابين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت ظئرى يايتيماه استضعفت من

صلي الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده اربعين أوقية فاوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء

كان يدعي قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل أن يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص والذي تقدم هو أصح الروايات قال الحلبي في السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا ياكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجرى عليك رزقك فقال انى أحب ان آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فاكلوا معه * وأما اخبار الكهان لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفى ايام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معدى يكرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت ان محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا فى أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج أن هذا الامر آح ولقاح ذات نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهر نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الي فلاح ويعطل القداح وينهي عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد * ومنها خبر قس بن ساعدة الايادى وهو اول من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر وأول من اتكا على عصا او قوس أو

بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا على وضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعنى الحي الى شفير الوادى فلما بصرتني أمى وهى ظئرى قالت لا أراك الاحيا بعد فجاءت حتى أكبت على ثم ضمتني الى صدرها فوالذى نفسي بيده انى لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعنى الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم أى لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أى طرف من الجنون اوطائف من الجن أى وهي اللمة فانطلقوا به الي كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت ياهذا ما بى مما تذكر ان آرابي أى اعضائي سليمة وفؤادى صحيح ليس بى قلبة أي علة يقلب بها الى من ينظر فيها فقال أبى وهو زوج ظئرى ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو ان لا يكون بابنى باس واتفقوا على ان يذهبوا بى اليه أى الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتى فقال اسكتوا حتي أسمع من الغلام فانه أعلم بامره منكم فسالنى فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب قائما الي وضمني الى صدره ثم نادى باعلى صوته ياللعرب ياللعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليا تينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن احلامكم أي عقولكم وليكذبن أوثانكم وليدعونكم الي رب لم تعرفوه ودين تنكرونه فعمدت ظئرى وانتزعتنى من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت ان هذا يكون ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الي أهلهم وأصبحت مفزعا مما فعلوا يعنى الملائكة بي أي من حملي من بين اترابي والقائي الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم وأصبح أثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى أى أثر التئام الشق الناشئ عن أمراريد الملك كانه الشراك اه * أقول الشراك أحد سيور النعل الذى هو المداس الذى يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق واعلم أنه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة واحدة يكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيها الاختصار عما وقعت به الاطالة فى بعضها وأن اخباره صلي الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافى اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن أو الصدر الى الثلاثة أو الي الاثنين لا ينافي ان متعاطي ذلك واحد منهم كما اخبر به أخوه وجاء التصريح به فى بعض الروايات وأن التعبير فى بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة في بعضها وانه ليس المراد شق البطن أو شق الصدر شق القلب لما تقدم فى الرواية واستخرج احشاء بطنى ثم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنى ثم أدخل يده في جوفى فاخرج قلبي فصدعه الحديث وأنه يجوز أن يكون الطست كان متعددا واحدا من زمردة خضراء وواحدا من ذهب وان

سيف عند الخطبة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس قسما حاتما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي انتم عليه مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي قوله فانشدوه

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس بها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وأنا اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله من وانا كنت بين يدى القوم اقفوا اثره كان من اسباط العرب عمره سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو اول من ترك عبادة الاصنام من العرب واول من قال اما بعد واول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على * الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي

الاول كان فارغا معدا الان يلقى فيه ماء يغسل به باطنه أي مع احشائه ومنها أي من جملة الاحشاء ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثاني كان مملوءا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه أي داخل قلبه وحينئذ يكون في بعض الروايات اقتصر على القلب وفي بعضها جمع بينه وبين الاحشاء في ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز أن تكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادي وانه عبر عن الذي أخرجه والقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفى أن هذه العلقة يحتمل انها غير حبة القلب التي أخذت منها المحبة وهي علقة سوداء في صميمه المسماة بسويداء القلب ويحتمل أنها هي والله أعلم وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو * دع ما لم يذع له أنباء
صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

أي وأتت حليمة به جده والحال انها فطمته والحال انه لحق بها من أجل فطامه ورده التألم الزائد وردها لأجل أنه احدقت به ملائكة الله فظنتهم شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذي بها لهب تحترق الاحشاء به وهي ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه وأخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء ختمت على ذلك القلب يمين الامين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف قد أودع من الاسرار الالهية ما لم تنشره أخبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك التختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار * أقول قد علمت ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجيء الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة أي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب وروى خامسة ولم تثبت وستأتي تلك الخامسة عن الدر المنثور وسيأتي ما فيها والله اعلم قال وفي المرة التي كان ابن عشر سنين أي واشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني لحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان احدهما يختلف بالماء في طست

صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر رضي الله عنه فاني أحفظه يا رسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات واحياء واموات وجمع وأشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وفي الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما حاتما

من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم شق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج منه العلقة والمتبادر ان أل في العلقة للعهد وهي العلقة السوداء التي تقدم أنها حظ الشيطان . أنها معمره فهي محل الغل والحسد وفيه أنه تقدم أيضا ان تلك العلقة أخرجت وألقيت فهل هذه المرة وتكرر بذها مستحيل الا ان تحمل العلقة على جزء بقي من اجزائها بناء على جواز انها خرجت اكثر من جزء بين المعبر عنهما فيما تقدم في بعض الروايات علقتين سوداوين الا أن يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة أي اخرج ما هو كالعلقة أي شيئا يشبه العلقة كما سيأتي التصريح بذلك في بعض الروايات فاذا حل شيئا كهيئة العلقة ثم أخرج درا وكان معه قدره سليه أي على شق قلبه ليلتحم به ثم نقر ابهامي ثم قال اغد واسلم * اقول لم يذكر في هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع ان ذلك كان من امرار يد الملك واستمر أثر التئام الشق يشاهد كالشراك وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام احمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة قال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة اني لفي صحراء ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا برجل يقول لرجل أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على احد قط فاقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لاخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر أي من غير اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له ادخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي اخرج أي ليدخله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت اغدو بها رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم ولكن قول الرجل للآخر أهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد وقع له ذلك في قصة الرضاع وقد يدعي ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رأيت ما يصرح بذلك وهو كان سنه عشر حجج وقد تحمل هذه المرة أي كونها ابن عشرين سنة على ان ذلك كان في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي هي عند ابتداء الوحي جاءني جبريل وميكائيل فاخذني جبريل وألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم اعاده مكانه ثم لامه أي بذلك الذرور او بامرار يده او بهما جميعا ثم أكفاني كما يكفى الاناء ثم ختم في ظهري يحتمل ان يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل ان المراد تطهير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه انه لا معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن ان تكون الحكمة في الجمع

لا حاتما فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر إياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من طغى وتمرد وبغى وجمع فأوعى وقال انا ربكم الاعلى ألم يكونوا اكثر منكم اموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفي رواية زيادة أن الصعب ذا القرنين

ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلمحة عين وفي رواية قال في خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من سعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة يقوي بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزي ببطلان هذا الحديث ثم ان بعض طرقه يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه وبعضها على انه نسي فيحتمل انه كان ناسيا

بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي هي عند المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما في بعض الآثار ان التابوت أي تابوت بني اسرائيل كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشاء التي غسلت بغسل الصدر او البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه أثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم أتي بطست ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ في صدره ومنه قول الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصائصه صلى الله عليه وسلم على الاصح من القولين أي شق قلبه وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج بما هو أبسط مما هنا وعن حليمة رضي الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا أي عنها فغفلت عنه صلى الله عليه وسلم يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته اي من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها أي ولذلك تدعى أم النبي أيضا () أي وكانت ترقصه بقولها

هذا أخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي * فانمه اللهم فيما تنمي

فقالت في هذا الحر أي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول أحقا يا بنيه قالت أي والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني أي وفي كلام بعضهم ورأيت يعني حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية في حق حليمة علمية وفي حق أخته بصرية ولا مخالفة او انها أبصرتها بعد الاخبار بها كما يدل على ذلك القول بانه أفزعها ذلك من أمره أي وفي كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شئ وقدمت به على أمه * أقول عن الواقدي ان حليمة لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده لامه رأت غمامة تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذه الرواية يقتضي انها ردته الى أمه عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره وفي القدمة الاولى كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وفي هذه القدمة كان سنه صلى الله عليه وسلم سنتين وأشهرا وتكون هذه المرة الثانية محمل قول حليمة فوالله انه بعد مقدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين او ثلاثة وأما في القدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وتركها له صلى الله عليه وسلم عند أمه

ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه أعاد ذكره فرواه بعد ذلك واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ففي كل مرة ذكر شيئا وقد جاء في الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه ادرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره الحمد لله الذي * لم يخلق الخلق عبث أرسل فينا أحمدا * خير نبي قد بعث صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث والجارود المتقدم ذكره كان متصلا في الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بان الله حق وسامحت بنات فؤادي بالشهادة والنهض فابلغ رسول الله عني رسالة بأني حنيف حيث كنت من الارض وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة * ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس قليل * وألحق بعضهم بهذا الباب ما نقل عن تبع من ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم في اشعاره يروى ان الانصار شكوا الى تبع ما يلقون من اليهود من الاذى فاراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من ان يطرقه فرق او يستخفه غضب واصره أعظم من ان يضيق حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله شهدت على أحمد انه * نبي من الله باري النسم فلومد عمري الى عمره *

كان

لكنت وزيراله وابن عم وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم له أمه سميت في الزبو * روأمته هي خير الامم * ومن ذلك قوله ايضا ويأتي بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام يسمى أحمد ايا ليت اني * أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذي منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع في رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه هجرته وان منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه اخري ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم ساله عن صفته فاخبره بها ولما قال له شامول ما ذكر وقص القصة كان معه احبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه اونناؤنا فاعطي كل واحد منهم مالا وجاريه فمكثوا بالمدينه واعد دارا للنبي صلى الله عليه وسلم قيل هي دار أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه التي نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل الا في داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبي صلي الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه ويستحفظون عليه حتي بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فاخرجوه اليه والقصة مبسوطه في الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودي رحمه الله وسياتي التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في دار أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه * وألحق بذلك بعضهم اخبار كعب بن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة اعني يوم الجمعة ويذكر في خطبته النبي صلى الله عليه وسلم وبشر به * فمن ذلك قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ونهار وهاج والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام الي ان قال حرمكم زينوه وعظموه فسياتي له نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
منوبان بالاحداث حين تاوبا * وبالنعم الضافي علينا سرورها
على غفلة ياتى النبي محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

* ومن ذلك خبر سفيان بن مجاشع

كان سنه اربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما ياتي وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون بعض الرواه اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة الثانية التي فيها شق صدره هي الثالثه التي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم فلزم الاشكال فتامل ذلك تاملا حميدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله أعلم ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة بعد تزويجه خديجة تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات جمع بكره وهي الفتية من الابل أي وفي رواية اربعين شاه وبعيرا اه ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه أي فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين احداهما بعد تزويجه خديجة اي وعليه تكون هذه المره هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها وأجلسهم على ردائه اى ثوبه الذى كان جالسا عليه كما تقدم والمره الثانية يوم حنين * وفي كلام القاضي عياض ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك أى بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك () وفي كلام ابن كثير ان حديث مجيء أمه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة أى بعد رجوعه من حنين اريد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنه وكونها وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله تعالي عنهما تريد انه على المائه وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة أى بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأه فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل أمه التي أرضعته صلى الله عليه وسلم وفي رواية استاذنت امرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد الي ردائه فبسط لها فقعدت عليه اه وتقدم عن شرح الهمزيه لابن حجر ان من سعادة حليمه توفيقها الاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها وأشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين حيث قال أى في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبه ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشئ وكان الاحسن ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشئ ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لاشك فيه عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتاخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دل على اسلامها وانكر الحافظ الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما هي أخته من الرضاعه وهي الشيماء * أقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم أمي أمي لانه كان يقال لاخته الشيماء أم النبي صلي الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول بعض الصحابة أمه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل أمه حملها على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن

التميمي جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحي من تميم فاداهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من لاحاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤس ورابض شموس وماحي نؤوس وماهد رغوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو قالت نبي مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان ولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله أبوك أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو احد من تسمى باسم النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف ابن ذي يزن احد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبد المطلب أيضا أشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة وكانت النبوة والخلافة العباسية * ومن ذلك خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه أتى راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار الرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك نبي هو خارج يدعو اليه فارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فقال يا عم مالي أرى قومك قد أبغضوك فقال أما والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به * ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكنت انزل عليه اذا جئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه

موت أمه من النسب وعلى كون الوافدة عليه في حنين أخته اقتصر في الهدي والله اعلم * اقول قال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد عدة آثار في مجيء أمه من الرضاعة اليه صلى الله عليه وسلم في حنين وفي تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها أصلا أصيلا وفي اتفاق الطرق على انها أمه رد على من زعم أن التي قدمت عليه اخته اه * اقول لا رد في ذلك لانه علم ان أخته المذكورة كان يقال لها أم النبي صلى الله عليه وسلم ووصف بعض الصحابة لها بانها أمه من الرضاعة تقدم أنه يجوز ان يكون بحسب ما فهم * ومما يعين انها أخته ما سيأتي انها لما أخذت في حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما يأتي * وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها أخته والاخرى كانت فيها أمه من الرضاعة حيث قال وقد روي ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني أخته من الرضاعة التي هي الشيماء وقالت أنا أخت صاحبكم الى أن قال وبسط لها رداءه واجلسها عليها فاسلمت ثم قال وجاءته يعني أمه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت فيها أخته لم تكن في حنين وان أمه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من أمه وأخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداءه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين وقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله ابن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يقال لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها فيما أخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله بن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع أبيه الذي هو جعفر بن أبي طالب في خيبر سنة سبع ويبعد حياتها وتأخرها الى ذلك الزمن وفيه ان حنينا بعد خيبر وأبعد من ذلك قدومها على أبي بكر وعمر وقد تقدم ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه في حنين أخته لا أمه كما يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم قال قال ابو الفرج بن الجوزي ثم قدمت أي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت أي فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه أي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها اه * أقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد

قوله

بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال أنبئك وأبشرك ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرو ولا تباله هو من بني هاشم وانتم أخواله يا عبد الرحمن احفف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
انك ذو السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته وأسلمت فقال اخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني حقا * ومن ذلك خبر مخيريق اليهودي كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه إلف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود انكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما رآه ثم اسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود * ومن ذلك ما رواه كعب الاحبار في صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من احبار اليهود فاسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه

قوله قدمت عليه بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هي دعوى تحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزي فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله أعلم وذكر الذهبي ان التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة ويطرقه بان ثويبة توفيت سنة سبع أي من الهجرة اى مرجعه من خيبر على ما تقدم * أقول ذكر في النور أن الحافظ مغلطاي له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه مرضعة الا وأسلمت لكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم أربع أمه وحليمة السعدية وثويبة وأم ايمن ايضا وهو يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة وأما اسلام أمه آمنة فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته صلى الله عليه وسلم تقدم ما فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم وحضانة أم ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه

أى اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت أمه لما تم ست سنين وقيل كان سنه اربع سنين وبه صدر في المواهب أي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الي امه كان عمره خمس أو ست سنين قال وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة وشهرا وعشرة أيام اهـ ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة أي وهو الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تتبوأه اى تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قال ان الله أذن لمحمد في زيارة قبر امه فاتاه واصلحه وبكي عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم فقيل له في ذلك فقال ادركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة أخواله اي اخوال جده عبد المطلب لان أم عبد المطلب من بني عدى بن النجار كما تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها أم ايمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب اى بعد خمسة ايام من موت أمه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه بالابواء حتى أتاه الخبر الي مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله فاحتملته وذلك الخامسة من موت امه فليتامل وكون موت امه صلى الله عليه وسلم كان في حياة عبد المطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه صلى الله عليه وسلم بسنتين اى وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت امي بعد امي ويقول ام ايمن امي بعد امي وفي القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت أي دفنت بالحجون بشعب ابي دؤيب وغلط قائله

سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر اخبارا كثيرة في صفات النبي صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وساله عمر رضي الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومدت القرظ من الوادي المقدس فيطهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة وتكون حروبه وآياته بها ثم يقبض ويدفن بها * ومن ذلك خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال

دحية لما خرج عظماء الروم من عنده هرقل أدخلني عليه وأرسل الى اسقف كان صاحب أمرهم وساله عن امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي قال دحية فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره اني اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحيه الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم مني * واخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما انكر ذلك منهم من انكره الا حسدا وبغيا والله الهادي الى سواء السبيل * واما اخبار الكهان وادا على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب رضي الله عنه وكان من دوس قوم أبي هريرة رضي الله عنه كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم ومن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذي أتاه رئيه أي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضي الله عنه بعد ان قال وهو على المنبر أي منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس فيكم سواد

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق أي شرع يقول يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت وأمي يارسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذاك قال ذهبت لقبر أمي فسألت ربي ان يحييها فاحياها فآمنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ أبو الفضل بن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان وأقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان جعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا لاحاديث النهي عن الاستغفار اي لها * منها ماجاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أي ولعله في عمرة القضاء لانه لم يقدم مكة نهارا مع أصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك أتى رسم قبر أمه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال ما أبكاكم فلما بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة الحديث وفي رواية أتى قبر امه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يارسول الله قد رأينا ماصنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما رؤي باكيا اكثر منه يومئذ وفي رواية استأذنته في الدعاء لها أي بالاستغفار فلم يأذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما يأخذ الولد للوالد قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على مافاتها من ادراك أيامه والايمان به أي النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما ونص مسلم استأذنت ربي أن استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته في ان أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة * وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث أي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها على تسليم ضعفه أي دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة * اقول ذكر الواحدي في أسباب النزول ان آيتي ما كان للنبي والذين آمنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذي قراباتنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم لابيه أي فنزلتا لما كان عقب موت أبي طالب لا يقال جاز ان تكون آية ما كان للنبي تكرر نزولها لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ولما استغفر لامه لانا نقول كونه يعود للاستغفار بعد أن نهي عنه فيه مافيه أو المراد بالنسخ المعارضة يعني قول ابن شاهين انه ناسخ أحاديث النهي عن الاستغفار أي معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهي عن الاستغفار لها كان قبل ان تؤمن

ابن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضي الله عنه هذا سواد فارسل اليه عمر رضي الله عنه فجاء فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أي ما كنا عليه من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك

وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفي كلام السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سوادا رضي الله عنه فقال ما فعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام واكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم غفرا ثم قال ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني

واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي الوفاء عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء وقد يقال على تقدير صحة الحديثين أي انها دفنت بالابواء وانها دفنت بمكة يجوز انها تكون دفنت اولا بالابواء ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يحييها الله له وتؤمن به ومن ثم قال الحافظ السيوطي ان هذا الحديث أي حديث عائشة قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله لشخصين أمي وأمكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احيائها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا أي منع الاستغفار لها انما يأتي على القول بان من بدل او غير أو عبد الاصنام من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليه أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا او بدلوا أو عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر أي من غير او بدل او عبد الاصنام مؤولة او خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رأيت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده أي بعدم عبادة الاصنام يكفي فيه وجود رسول دعا الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعا الى ذلك أو امكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله بعبادة الاصنام لانه على فرض ان لا تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة في الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيرتد بعضها الى بعض وتقول قط قط أي حسبي بعزتك

وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد جاء النهي عن ذلك على ألسنة الرسل السابقين ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرائع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرائع عليه قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الآية استواء الشرائع كلها فى اصل التوحيد أى ومن ثم قال في تمام الآية ولا تتفرقوا فيه وقال لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبياء غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم في الاستعداد والقابلية والدليل على ان الانبياء متفقون على الايمان والتوحيد ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أولاد علات اى اصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرائعهم لان العلات الضرائر فاولادهم أخوة من الاب وأمهاتهم مختلفة وقد جاء هذا التفسير فى نفس الحديث ففى بعض الروايات الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق الواضح الذى لا غبار عليه أن اهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم بالايمان بالله عز وجل فالعرب حتى في زمن أنبياء بني اسرائيل أهل فترة لان تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بانه من أهل النار فان أمكن تأويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه قال واما قول الفخر الرازى لم تزل دعوة الرسل الي التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما أرسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ما صح من تعذيب أهل الفترة انها أخبار آحاد ولا تعارض القطع او يقصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه اى حيث لا يقبل التاويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جاء انهم أي أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد أخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان امرتكم بان تطيعوني فياخذ على ذلك مواثيقهم ويرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم

فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كانجاسها
وارحل الى الصفوة من هاشم * وارم بعينيك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي ورحلت ناقتي حتى أتيت مكة وفي رواية المدينة قال البيهقي والرواية الاولى اصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله فلما رآني قال مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي فقال هات فانشأت اقول

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الدعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لارب غيره * وانك مامون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى يعني الفرح في وجوههم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت ياسواد قال البراء فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال لقد كنت اشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا الذي قد يدل على ان سؤاله لعمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وحشي سواد بن قارب الردة قام فيهم خطيبا وقال يامعشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن

شقاوتهم أن لا يتعظوا الا بانفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لاهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من اهل العافية للعافية ولست أدرى لعله يكون للناس جـولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة * ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمـدينة يقال لهـا حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما ما سمع من جـوف الاصنام فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن مرداس رضي الله عنه قال كان لابيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدي ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي

أودى ضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب الي النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلي الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد تعب حراسها وان الحرب قد جرحت أنفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا قال العباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة على النبي محمد

ان الذي ورث النبوة والهدي * بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله

يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلي الله عليه وسلم لتقر عينه ويرجوان يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طائعا الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن به أي بعد أن طلب منه الايمان * ومما استدل به الحافظ السيوطي على ان ابويه صلي الله عليه وسلم ليسا في النار قال لانهما لو كانا في النار لكانا اهون عذابا من أبي طالب لانهما أقرب منه وأبسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب وقد أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه اهون اهل النار عذابا فليسا أبواه صلي الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمي عند اهل الاصول دلالة الاشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من أهل بيته أي ولا احد من اشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر أي شديد قوي حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى أي علم ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابن عباس رضى الله تعالي عنهما دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشيء أي شرف وارجوان يبلغ من الشرف مالم يبلغه به عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي لفظ ردوا ابني الي مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعدما كف بصره مالا بني يبكي قالوا أراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف أي يتيقن في نفسه شرفا وارجوان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده أي فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب أي ولعل هذا كان في آخر الامر فلا ينافي ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل أن اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بني مدلج أي وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم التي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام * اقول أي فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أثرت قدماه في المقام وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتي وهو الذي يزار الآن بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم أي وقد أشار الي ذلك عمه ابو طالب في قصيدته بقوله مقسما

وبالحجر المسود اذ يلثمونه * اذا اكتنفوه في الضحي والاصائل

صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآني صلى الله عليه وسلم تبسم وقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال
صدقت وأسلمت انا وقومي * ومن ذلك خبر مازن بن الغضوبة قال كنت اسدن أي اخدم صنما بقرب عمان يدعي سمائل وسمال يقال
له باجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم
يقول يامازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر * بدين الله الاعر الاكبر فدع نجيا من حجر *
تسلم من حر نار سقر قال مازن ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول اقبل الي أقبل * تسمع مالا تجهل
هذا نبي مرسل
جاء بحق منزل
آمن به كي تعدل
عن حر نار تشعل
وقودها الجندل
فقلت ان هذا لعجب وانه لخير يراد بي قال مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن أتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ماسمعته فنزلت الي الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وقلت
كسرت باجر اجذاذا وكان لنا
ربا نطيف به ضلا بضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا
ولم يكن دينه شيئا على بال
يارا كبا بلغا عمرا واخوتها
اني لما قال ربي باجر قالي
قال مازن فقلت يارسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التي تمايل لذلك
وتدنى عند جماعها وألحت اي دامت علينا السنون اي اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد
فادع الله ان يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام
الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اي الزنا العفة وائته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر
القرآن وحججت حججا واخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولده

ومَوطِئُ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة * وعن أنس رضي الله تعالى عنه رأيت في المقام أثر اصابع ابراهيم وعقبيه وأخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم أذهب ذلك أي ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم تدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد بن أسامة رضي الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض وسر بذلك صلى الله عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب أسامة بن زيد كما تقدم وذكر بعضهم ان نبينا صلى الله عليه وسلم أثر قدمه في الحجر أيضا فقد أثر في صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الي الآن وذكر الجلال السيوطي أنه لم يقف لذلك أي لتأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر على اصل ولا سند قال ولا رأيت من خرجه في شئ من كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة من ان مرفقه الشريف لما ألصقه بالحائط غاص في الحجر وأثر فيه وبه يسمي ذلك المحل بمكة بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطي مع قوله المذكور قال في الخصائص الصغرى ولا وطئ على صخر الا وأثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا وأثر فيه قد يتوقف فيه ثم رأيت الامام السبكي ذكر تأثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته

وأثر في الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل او ببطحاء رطبة

قال شارحها ولعل عدم تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الغار أي وليس كان هذا شأنه في كل رمل مشي عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم أراد به اخفاء اثر سيره ليتحير المشركون في طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتض لتأثير قدمه الشريف في الرمل لا لعدم تأثيره في ذلك ويؤيد ذلك انه سيأتي انهم قصوا أثره الى ان انقطع الاثر عند الغار أي وقال لهم القائف هذا اثر قدم ابن أبي قحافة واما القدم الآخر فلا أعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ماوراء هذا شئ أي محل كما سيأتي وفيه ان هذا اي تميز قدمه الشريف من قدم سيدنا ابي بكر ربما ينافيه قوله لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قدم ابي بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يضر في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون المراد لا يظهر فيه قدمي ظهورا بينا فصح قول القائف هذا أثر قدم ابن ابي قحافة وأما القدم الآخر الى آخره ولم يعترض هذا الشارح على تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجارة بل أبدى

وأنشأت أقول اليك رسول الله حنت مطيتي * تجوب الفيافي من عمان الى العرج لتشفع لي ياخير من وطئ الحصى * فيغفر لي ذنبي وأرجع بالفلج الى معشر خالفت في الله دينهم * ولا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابي حتى آذن الجسم بالنهج فبدلني بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي فاصبحت همي في الجهاد ونيتي * فلله ماصومي ولله ماحجي قال مازن فلما رجعت الى قومي انبوني أي عنفوني وشتموني ولاموني وأمروا شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسي فتنحيت عنهم وبنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لاياتي هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه

لذلك حكما لاباس بها فلتراجع وقوله في الاحجار يدل له على انه تكرر تاثير قدمه الشريف في الاحجار ولكن لم يكن ذلك شانه صلى الله عليه وسلم في كل حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطي والله أعلم * قال وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع اى يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول له انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا وأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه وقال هو هذا ماهذا منك قال هذا ابني قال ماتجد أباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وأمه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون مايقال فيه انتهى * وعن ام أيمن كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم اى أقوم تربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابني قلت لاأدرى قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لاتغفلي عن ابني فان اهل الكتاب أي ومنهم سيف بن ذي يزن كما سياتي يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان لاياكل يعني عبد المطلب طعاما الا يقول علي بابني أي احضروه قال وكان عبد المطلب اذا أتي بطعام أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما أقعده على فخذه فيؤثره باطيب طعامه انتهى * وعن بعضهم اى وهو حيدة بن معاوية العامري كان من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم قال بعضهم مات وهو ابن الف رجل وامرأة قال حججت في الجاهلية فبينا انا أطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول * ردالى راكبي محمدا * وفي رواية

يارب ردرا كبي محمدا * ارده ربي واصطنع عندي يدا

فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في طلب ابل له ضلت وما بعثه في شئ الا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة فاذا ضل منها شئ بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة الا انجح فيها وقد بعثه في حاجة أعياعنها بنوه وقد أبطأ عليه انتهى فما برحت اى مازلت عن مكاني حتى جاء بالابل معه فقال له يابني حزنت عليك حزنا لايفارقني بعده أبدا وتقدم عن بعض المفسرين مالا يحتاج الى اعادته هنا * وعن رقيقة بنت أبي صيفي أي ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات * أقول وقال ابو نعيم لاأراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله اعلم قالت تتابعت على قريش سنون أى ازمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين أي اشرفن على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول في المنام يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا إبان اى وقت خروجه وبه ياتيكم

ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم ذكره الحلبي في السيرة * وأما ماسمع من اجواف الذبائح فمنه ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا يوما في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد ان لا إله الا الله والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر يقال أحمر ذريحي أى شديد الحمرة والذي في البخاري يقول ياجليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح جلده

اى كشف عنه جلده * وأما ماسمع من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ماحدث به بعضهم وذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت اطلب بعيرا لي حتى اذا عسعس الليل أى ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول

يا أيها الراقد في الليل الاحم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم اهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالي والبهم

فادرت طرفي فما رأيت شخصا فانشأت اقول

يا أيها الهاتف في داجي الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم * من ذا الذي تدعو اليه يغتنم

فاذا بجنحجة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور * وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم انشا يقول

الحمد الله الذي * لم يخلق الخلق عبث ارسل فينا احمدا * خير نبي قد بعث عليه صلى الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء قال فلاح الصباح واذا بالفنيق أي الفحل الكريم من الابل يشقشق أي يهدر الي النوق فامسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أي تعب

الحيا أي بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي اشرافكم سباطا والاعطاما أي طويلا عظاما أبيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أي لا نتوء بهما رقيق العرنين أي الانف وقيل أوله فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رحل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما تري وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أي الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فاشفت على الانفس أي اشرفت على دهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفي رواية أخرى عن رقيقة قالت تتابعت على قريش سنون جدبة اقحلت أي ايبست الجلد وادقت العظم فبينا أنا نائمة أو مهمومة أي بين اليقظانة والنائمة ادها تف هو الذى يسمع صوته ولا يري شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل أي فيه بحوحة وهي خشونة الصوت وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه أي قربت منكم وهذا ابان مخرجه فحيهلا بالحيا والخصب ألا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما أبيض بضا أي شديد البياض أوطف الاهداب أي كثير شعر العينين أسهل الخدين أشم العرنين أي مرتفع الانف له فخر يكظم عليه أي يسكت عليه ولا يظهره وسنن يهتدى اليها أي يرشد اليها وليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف أي يتقدم اليه من كل بطن رجل فليسنوا من الماء أي يفرغوه على اجسادهم أي يغتسلوا به وليمسوا من الطيب ثم يلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا أبا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ما شئتم أي جاءكم الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدى ووله أي ذهب عقلي واقتصيت رؤياى أي ذكرتها على وجهها فنمت أي فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقي ابطحى الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا أبا قبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدركه بعضهم مهملة وهي التؤده والتاني ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع أي ارتفع او كرب أي قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك أي أفنيته يشكون اليك سنتهم التي اقحلت أي أيبست الظلف والخف أي الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا سريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى

فنزلت في روضة خضراء فاذا انا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكث به في الارض وهو يقول

يا ناعي الموت والملحود في جدث عليهم من بقايا برهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم ورقوا
حتي يعودوا بحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ماهذان القبران قال هذان قبران اى لاخوين لى كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيئا اسم احدهما سمعون والآخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما واشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجوان يبعثه الله أمة وحده أي يقوم مقام جماعة ولمامات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من اعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدى باسناده قال كان ابو هريرة رضي الله عنه يحدث ان

قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى اصنامهم فبينا هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذو والاحكام * ومسند الحكم الى الاصنام   أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبي سيد الانام * من هاشم في ذروة السنام   مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهدم الكفر بالاسلام

قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجاءهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أي جاءهم ذلك بغتة * وأما خبر زميل بن عمر العذري فهو انه قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بني هند ابن حرام ظهر الحق وأودى حمام أي هلك ورفع منا الشرك الاسلام قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحي ناطق صدع صدعه بارض تهامه لناصريه السلامه ولخاذليه الندامه هذا الوداع مني الي يوم القيامه ووقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم و يرشد اليه قوله هذا الوداع مني الي يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته

اليك رسول الله اعملت نصها * أكلفها حزنا وقوزا من الرمل   لانصر خير الناس نصرا مؤزرا * واعقد حبلا من حبالك في حبلي
وأشهد ان الله لا شيء غيره * أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

* ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روي له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثني تميم الداري الخ القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار * ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر ان ابا بكر رضي الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه ذكر ان عيسى بن مريم

أي ضاق بثجيجه أي سيله فلسمعت شيخا من قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء انتهى أي والظاهر ان القصة واحدة فليتامل الجمع وقد يدعى ان الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى * وفي سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر

أي امتد زمن تاخره * فجاد بالماء جوني له سبل * دان أي مطرها طل كثير الهطل قريب وعاشت به الانعام والشجر * منا من الله بالميمون طائره * أي المبارك حظه * وخير من بشرت يوما به مضر *

مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

أي لا معادل ولا مماثل له * ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسال الله تعالى فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك واجري الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوي وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معاشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا * وذكر بعضهم انهم كانوا في الجاهلية يستسقون اذا أجدبوا فاذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة أشجار وهي سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور صعب واضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا أحس بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون * وفي حياة الحيوان كانت العرب اذا أرادت الاستسقاء جعلت النيران في أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء فان الله رحمها بسبب ذلك قال وذكر ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم أخرج

اليك الحر على ديرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه مايعالجه به * هذا ورأيت فى كتاب سماه مؤلفه كريم الندماء ونديم الكرماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث أياما يشكو فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة راهبا يرقى من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير فاخذه جده وذهب به الي ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هو أرمد قال نعم قال ان دواءه معه ياعبد المطلب خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا هو الذى أقسم على الله به فابرئ المرضى واشفي الاعين من الرمد فليتامل فان تعدد الواقعة لايخلو عن بعد والله أعلم

باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم

ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أى بناء على الراجح من الاقوال المتكثرة ويرجحه ما ياتي توفى عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون وقيل وأربعون أي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزى لعبد المطلب في المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون أى وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى قال وقيل مائه واربعة واربعون اه وقد قيل له صلى الله عليه وسلم يارسول الله أتذكر موت عبد المطلب قال نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين * وعن أم ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصى * وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدى عبد المطلب في زى الملوك وأبهة الاشراف * ولما حضرته الوفاة أوصي به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق ابيه ابى طالب أى وكان ابوطالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد اخطؤا فى ذلك خطأ كبيرا ولم يتاملوا القرآن قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطني محررا * وحين أوصى به جده لابي طالب أحبه حبا شديدا لايحبه لاحد من ولده فكان لاينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام أى وقيل اقترع أبوطالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابى طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أباطالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب فسياتي انه كان مشاركا له في كمالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله ابوطالب أى بعد موت الزبير وغلط

عليهما السلام كان يعلمه اصحابه ويقول لوكان على احدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت ثم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال ابو بكر رضي الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الايسيرا حتي قضيته * رجعنا الى خبر تميم الدارى قال رضى الله عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادى فلما أخذت مضجعي اذ مناد ينادى عذبالله فان الجن لاتجير أحدا على الله قال فقلت أيما أي أى شئ تقول فقال قد خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما اصبحت ذهبت الي دير ايوب فسالت راهبه واخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اى مكة ومهاجره الحرم اى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتي جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ماذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله اعلم * ومن ذلك ماحدث به سعيد بن جبير رضى الله عنه ان رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لأسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرأيت فى منامى رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيئا فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتى تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذى رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينماهما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فداء لناقة جارى الانسي فقام الفتى فاخذ

قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا في أسد الغابة مقدما للاقتراع على ماقبله وفي كون عمره صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظر لما سياتى ان عمره اذذاك كان أربع عشرة سنة وفى كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا أبيه الزبير وأبو طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ففي خبر سيف بن ذى يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه أى وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهى أم الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء أي وهي جدة عثمان بن عفان لامه وأميمة واروي فقال لهن ابكين على حتى اسمع ماتقلن قبل ان اموت فقالت كل واحدة منهن شعرا فى وصفه مذكور في تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك أشار برأسه ان هكذا فابكينني ويقال انه انما أشار بذلك لما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه وكان من قولها

أعيني جودا بدمع درر * على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل في النائبات * كثير المفاخر جم الفخر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر

قال ابن هشام رحمه الله لم أر احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه أى ابن اسحق لما رآه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك احد بعد موته ما بكي عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق أياما كثيرة * وروي ابو نعيم والبيهقي ان سيف بن ذى يزن الحميرى لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته اى بهلاك ملوك الحبشة وولايته عليهم أي لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميرى استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة آبائه وجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب وجهائهم أى كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمي وهو ابن عم عائشة رضي الله تعالى عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصى بن عبد الدار فاخبر بمكانهم أى وكان فى قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفي الوفاء وجدوه جالسا على

منها ثورا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومامحمد قال نبي عربي لاشرقي ولاغربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتي أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيئا مما وقع لي ودعاني الي الاسلام فاسلمت * ونظير هذا ماحدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي فادركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال
ومنزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالى
ما كيد ذى الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال
وفى سهول الارض والجبال
قد صار كيد الجن في سفال
الا النبي وصالح الاعمال

فقلت له

ياأيها القائل ما تقول
أرشد عندك أم تضليل

فقال

جاء رسول الله ذو الخيرات
جاء بيسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات
يامر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات
قد كن في الاسلام منكرات

فقلت أما انه لوكان لى من يؤدى ابلى هذه الي اهلى لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفى رواية فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا أنا انيخ راحلتي اذ خرج الى أبوذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال فما فعل الرجل وفي رواية مافعل الشيخ الذى ضمن لك ان يؤدي ابلك اما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله تعالي وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أى حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن * ومن ذلك ماحكاه وائل بن حجر الحضرمي يحكي

أباهنيدة كان ابوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية ابناء الملوك قال وائل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وادنانى من نفسه وقرب مجلسي وبسط لى رداءه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يارسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله على ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لى صنم من العقيق فبينا انا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر
يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجي من نحيت صخر
ليس بذى نفع ولا ذى ضر
لوكان ذا حجر اطاع امري

قال فقلت اسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تأمرني قال

ارحل الى يثرب ذات النخل
تدين دين الصائم المصلي
محمد النبي خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث * واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا راع يرعى بالحزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الى فقال الراعي واعجبا من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا أخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفى رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ماقد سبق وفي رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعي

سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه فى الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا أي مرتفعا باذخا أي عاليا منيعا وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته أي والارومة والجرثومة هما الاصل وثبت أصله وبسق أي طال فرعه في اطيب موضع واكرم معدن وأنت أبيت اللعن اى ابيت ان تاتى من الامور ما يلعن عليه ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اى احضرنا اليك الذى ابهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا أى اثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا بالتاء المثناة فوق لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا محلالا اى كثير العطاء يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أي العطاء اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجري عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال له ياعبد المطلب انى مفض اليك من سر علمي أمرا لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه اى عليه فليكن عندك محجبا حتى يأذن الله عز وجل فيه اني أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه اى كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة أي السيادة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب ايها الملك أبت اى رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من مساره أى من مساررته اياى بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي قد يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض اى يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهي عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح

فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب أى الطرق انك لجده ياعبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رقيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني أبا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذى يزن كان بعد موت امه صلي الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلي الله عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنه صلى الله عليه وسلم حين ولى سيف بن ذي يزن على الحبشة وتاخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت امه صلي الله عليه وسلم ويدل على ان اباطالب كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته صلي الله عليه وسلم في حياة عبد المطلب ثم اختص هو بذلك بعد موته أى وعبارة سيف بن ذى يزن صادقة بالحالين فقال له ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى فحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل و يبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وابناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي اي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار ملكه فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه واستحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا انى اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت عن حداثة سنه أمره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن ساصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فاتني بخبره وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول عليه الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى لى ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول ولو بعد حين اه وهذا القصر الذي كان فيه الملك سيف بن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يقول لا افلحت العرب مادام فيها غمدانها فلما ولى عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة هدمه وكان ابوطالب مقلا من المال فكان عياله اذا اكلوا جميعا اوفرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم النبى صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابوطالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول لهم كما انتم حتى ياتي ابنى فياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا كل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله

شياهه فأتي المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أى وهو أحد سيورها الذى يكون على وجهها وعذبة سوطه أى طرفه ويخبره بما فعل أهله وفى لفظ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي أخبرهم فاخبرهم وفي رواية ان راعي الغنم كان يهوديا وفى روايه ان الذئب قال له أنت اعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم ما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي من لى بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضي اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم عد الي غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة ﴿ وأما ما سمع من بعض الاشجار فكثير ﴾ فمن ذلك ما روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة فى الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبي يخرج من وقت كذا وكذا فكن انت أسعد الناس به ﴿ واما اخبار تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير ﴾ فمن ذلك خبر ابن اسحق قال لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد قال الله تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وأنا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أى ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أى صالحة للسمع لخلوها عن الحرس

صلى الله عليه وسلم اولهم ثم تتناول العيال القعب اي القدح الذي من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك * أقول وفي الامتاع وكان ابو طالب يقرب الى الصبيان يصبحهم اول البكرة ويجلسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك ابو طالب عزل له طعامه على حدة هذا كلامه ولا ينافي ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له المطرود دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا قالت أم ايمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان صلى الله عليه وسلم يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان أي في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخي ليخبر بنعيم أي شرف عظيم (١) قال واستسقى أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما السلام أي فكيف تعدلون عنه الى ما لا يجدي قالوا كأنك عنيت أبا طالب قال إيها فقاموا باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا أي قاموا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة بدال مهملة فجيم مضمومتين أي ظلمة وفي رواية كأنه شمس دجن أي ظلام تجلت عنه سحابة قتماء أي من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله غيلمة جمع غلام فاخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ أي طاف باصبعه الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله أي فتحت أعينها وما في السماء قزعة أي قطعة من سحاب فاقبل السحاب من ههنا ومن ههنا واغدودق أي كثر مطره وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب من قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم أكثر من ثمانين بيتا

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

أي ملجأ وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النساء والرجال وهو بالنساء أخص وأكثر استعمالا * أقول وأخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام أبي طالب اي لانه صنفها بعد البعثة وسيأتي الكلام في اسلامه وأما ما نقله الدميري في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد

والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي ارصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل شبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم ثم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان اول العرب فزعا من الرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا اي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم تر اي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لأمر أراده الله لهذا الخلق ونبي يبعث في العرب وقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم أي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه باكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم اي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا ان عبد ياليل بن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا هذا امر حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعى انه نبي مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التي تعرف الخ يؤيد هذا

ماجاء في الحديث مما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى اهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى اصحابي ما يوعدون واصحابي أمنة لامتي فاذا ذهب اصحابي أتى امتي ما يوعدون ولا منافاة في سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مره لعمرو بن أمية ومره لعبد ياليل وان كان كل منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذى سالوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم أي الوقت الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب * ومن ذلك خبر أبي لهب او لهيب بن مالك وكان من بني لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة وقلت بابي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسه السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك أنا اجتمعنا الي كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنه وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له ياخطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أي قبيل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر اولامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه ياخطر ياخطر فاومأ الينا ان امسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه اصابه وخامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ماحاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت احواله ثم امسك طويلا ثم قال يامعشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان لقد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذي سلطان لاجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاصل القرآن تبطل به عبادة الاوثان فقلنا له ويلك ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فماترى لقومك قال اري لقومي ما أري لنفسي ان يتبعوا خير الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث بمكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير الملبس فقلنا له ياخطر ومن هو

ان هذه القصيده التي منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما درج عليه ائمة السير ان المنشئ لها هو ابو طالب واحتمال توارد كل من ابي طالب وعبد المطلب على هذه القصيده بعيد جدا او مما يصرح بالوهم ما ياتى عن النبي صلى الله عليه وسلم من سمعه هذا البيت لابى طالب والله أعلم قال وعن أبي طالب قال كنت بذى المجاز أي وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن أخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فادركني العطش وشكوت اليه وقلت يا ابن أخي قد عطشت وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئا الا الجزع أي لم يحملني على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثني وركه أي نزل عن دابته ثم قال ياعم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض وفي رواية الى صخره فركضها برجله وقال شيئا فاذا انا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال أرويت قلت نعم فركضها ثانيه فعادت كما كانت وساوراى وقد أتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق ابيه كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك الارض بكلكله اى صدره ونزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبسه الله عز وجل الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام لشانا اه اى وفي السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى ابو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم ثم شغل عنه بشئ فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به والله اعلم

﴿ باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام ﴾

عن ابن اسحق لما تهيأ ابو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحده والصبابة رقة الشوق قاله في الاصل قال وعند بعض الرواه ضبث به اي بفتح الصاد المعجمة والباء الموحده والثاء المثلثه كضرب لزمه وقبض عليه يقال ضبثت على الشئ اذا قبضت عليه فقد جاء اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل للملأ من بني اسرائيل لا يدعوني والخطايا بين اضباثهم اى قبضاتهم اي وهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها اى وعلى ما عند بعض الرواه اقتصر الحافظ الدمياطى فلفظه لما تهيأ يعنى اباطالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا * أقول رأيت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطى وضبث بها ابو طالب ضبثا ثم لم يصحب مثلها الشئ فقط وانه ضبط ضبث بالصاد المعجمة والباء

قال والحياة والعيش انه لمن قريش مافي حكمه طيش ولا في خلقه هيش فقلنا بين لنا من أي قريش فقال والبيت ذي الدعائم والركن ذي الاحائم انه لمن نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان اخبرني به رئيس الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فما افاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أي وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهي الشدة سموا

بذلك لتشددهم في دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة * ومن ذلك مارواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرمي بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية أي قبل المبعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين رأيناه يرمى به مات ملك وولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا وسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء أي يقول اهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمي

يرى

الموحدة والثاء المثلثة قال وهو القبض على الشئ وهذا الايناسب قوله ضبابة لم يصبت مثلها لشئ قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة أي الذي هو الرفق كما لايخفى على ان مصدر ضبث انما هو الضبث ومن ثم لم أجد ذلك في السيرة المذكورة والذي رأيته فيها ماقدمته عنها وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة أبي طالب وقال ياعم الى من تكلني لا أب لي ولا أم وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام أي وهذا القيل صدر به في الامتاع وقال انه أثبت أي ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبري وذكر انه لما سار به أردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وماينبغي أن يكون له اب حي هذا نبي أي لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي أي النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة ان يموت ابوه وأمه حامل به كما تقدم وسياتي أو بعد وضعه بقليل من الزمن أي ومن علاماته ايضا في تلك الكتب موت أمه وهو صغير كما تقدم في خبر سيف بن ذي يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار من بعض أهل الكتب القديمة على الاول الذي هو موت أبيه وهو حمل قال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتي اليه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب ايضا صاحب دير فقال له ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وماينبغي ان يكون له أب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته في الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ألا تسمع مايقول قال أي عم لا تنكر لله قدرة والله اعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصوره واسمه جرجيس وقيل سرجيس وحينئذ يكون بحير القبه في صومعة له وكان انتهى اليه علم النصرانية أي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه الصلاة والسلام في تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان بحير امن احبار اليهود يهوديا () اقول لامنافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سياتي هذا وقال ابن عساكر ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل كان يسكن البلقاء من أرض الشام بقرية يقال لها ميفعة ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان في بعض الاحايين يأتي لتلك الصومعة فليتامل وقد سمع مناد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول ألا ان خير اهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا الراهب وآخر لم يات بعد وفي لفظ والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لايزال

بهافي الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسي عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ماروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه لم يرم بالنجوم بعدرفع عيسي عليه السلام حتى تنبارسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فلمارأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العديا ليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم الذى تنبافيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة أى لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما أخبروه بانهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا لحدث حدث في الارض فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنصوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بان الرمى قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر ارهاصا وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب واما كان محالفا للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب رضى الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبله هو الذى اراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجدله شهابا رصدا وصار الرمى بعد المبعث لايخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اى يصيره غولا يضل الناس فى البرارى وكان ذلك سببا لفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الي زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمي بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والي هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتي انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب

يري عندها طش وهو المطر الخفيف والله أعلم وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا فى ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت أى مالت () أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية واخضلت أى كثرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها أى وقد كان صلى الله عليه وسلم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال لهم رجل منهم لم أقف على اسم هذا الرجل يابحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وقد أحببت ان اكرمكم وأصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم أى تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة أي لم يرفى أحد منهم الصفة التى هى علامة للنبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده أى ولم ير الغمامه على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى فقالوا يابحيرا ماتخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن ياتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لاتفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم أى وقال فما أقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع انى أراه من انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أباطالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه أي وجاء به () وأجلسه مع القوم أى وذلك الرجل هو عمه الحرث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن أخى مع كونه أسن من ابى طالب لان أباطالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحرث مع كون ابي طالب هو المقدم فى الركب وقيل الذى جاء به صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقدمه ابن المحدث على ماقبله فليتامل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه صلي الله عليه وسلم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه صلي الله عليه وسلم بحيرا فقال له أسالك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما أى وفي الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيا فوالله ما أبغض شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما اسالك عنه فقال له سلني عما بدالك فجعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره

البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى اسرعوا الى اتلاف اموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كما تقدم أيها الناس أمسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في السماء أ استم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على ان الذي يرمى به شعلة نار تنقض من الكواكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء * فمحت آية الكهانة آيا ت من الوحي مالهن انمحاء (فائدة) (١٤٢) وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم تساقطت وماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق والجؤا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي في السيرة أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان امرا عجيبا لم ير مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله اعلم * وأما ما جاء من ذكره صلى الله عليه وسلم اى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام وغيرها قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وقال الامام السبكي في تائيته

وفي كل كتب الله نعتك قد اتى يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل فمن ذلك انه قد جاء ان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء على

ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته أى صفة النبي المبعوث آخر الزمان التي عنده أى ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم وقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا ولما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون ابوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل ابوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت أى ثم قال مافعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الي بلاده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم اى نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم انى قد أديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفي لفظ لما قال له ابن أخى قال له بحيرا أشفيق عليه انت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام أى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود ليقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله عز وجل وقد يقال لا مخالفة لان ماصدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي الهدى فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة وليتأمل وذكر ان نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى بحيرا وأرادوا به سوءا فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان أجمعوا لما ارادوا لا يخلصون اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما علمك فقال أنكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي أى وان الغمامة صارت تظلله دونهم واني لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة اي والغضروف تقدم انه رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان النبى صلى الله عليه وسلم فى رعيه الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظلله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الى فيء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى ارض الروم اى داخل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبى الذي هو خارج فى هذا الشهر أى مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اي بايعوا بحيرا

والارض وقد قيل فى سبب نزوله قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية واسمه في التوراة ايضا حمياطا أي يحمى الحرم من الحرام وقدوميا أى الاول السابق وأحيد وقيل اريدا أي يمنع نارجهنم عن أمته وطاب طاب اى طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن

ووصفه فيها بالضحوك أي طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابه وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية ماخوذة من التورية وهى كتمان السر بالتعريض لان اكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه الانجيل المنحمنا ومعناه بالسريانية محمد * وعن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرأته حتي مرت بي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها ووصف محمد صلي الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن * وفي الانجيل أيضا اسمه خبط

أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير وفي الانجيل ان اجتمعوني فاحفظوا وصيتي وأنا اطلب ربي فيعطيكم بارقليط والبار وليسط لايخيبكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب أى وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم * ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتي يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسالته فما أخطأ فى حرف وفى رواية عن كعب واعطي المفاتيح ليبصرن به أعينا عورا ويسمعن به آذانا صما ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما * وعن بعض أحبار اليهود انه قال وقفت على جميع ما وصف به فى التوراة الا هذين الوصفين وكنت أشتهى الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به

على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته على حسب ما ارسلوا فيه واقاموا عند ذلك الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا لقريش أنشدكم الله أى اسالكم بالله أيكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتي رده ابو طالب وبعث معه بلالا وفى لفظ وبعث معه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت أى واذا كانت القصة واحدة فلا اختلاف في ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة قدم في هذه الرواية واخر على ما في الهدى قال في كتاب الترمذى وغيره ان عمه أى وأما بكر رضى الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر في الاصل ان في هذه الروايه أمورا منكره حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك أي مع صحة سنده ففي متنه نكارة أي أمور منكرة وهي ارسال ابى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم ينتقل لابي بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولان ابا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل أى بشهر ولا ينافى ما ياتي وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح أى فيكون سن ابى بكر نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من ابى بكر رضى الله عنهما فلا يتجه هذا المحال أي لان ابا بكر حينئذ لم يكن أهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا لان يرسل وكون النبى صلى الله عليه وسلم أسن من ابي بكر هو ما عليه الجمهور من اهل العلم بالاخبار والسير والآثار وما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سال أبا بكر فقال له من الاكبر انا او أنت فقال له وبكرانت اكرم واكبر وانا اسن قيل فيه انه وهم وان ذلك انما يعرف عن عمه العباس رضي الله تعالى عنه وكون بلال اصغر من أبى بكر ينازعه قول ابن حبان بلال كان تربا لابى بكر أى قرينه فى السن ويرده قول الذهبي بلال لم يكن خلق قال وذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال أبي بكر معه بلالا وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث آخر ادرجه ذلك الراوى في هذا الحديث انتهى اقول ولاجل هذا الوهم قال الذهبى في الحديث اظنه موضوعا ببعضه باطل أى لم يوافق الواقع أى فمع كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع وحينئذ فمراد الاصل بالنكارة فى قوله في متنه نكاره البطلان كما اشرت اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذى هو من اقسام الضعيف وهو يرجع الي الفردية ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطي في هذا الحديث وهمان احدهما قوله فبايعوه وأقاموا معه والوهم الثاني قوله وبعث معه ابو بكر بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه ابو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطى فهم ان الضمير في بايعوه للنبى صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثانى بعدم وجود ابى بكر وبلال مع النبى صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفى لا يرد به

فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه ورداله ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب اهل مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن الطلب اذهب به فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته فاسلم اليهودي وذكر القصة * وفي التوراة لا يزال الملك في يهود الى ان يجيء

لدي اياه تنتظره الامم أي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجيء الذي تنتظره الامم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي التوراة أيضا سوف أقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وايما انسان لم يطع كلامه انتقم منه وفي قوله من اخوتهم رد على النصارى الزاعمين ان الرسول المذكور في التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الرد ان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود ومثل هذا يرد على بعض اليهود الزاعمين ان النبي المذكور في التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابه البول * ومن ذلك ماجاء عن النعمان السبائي رضي الله عنه وكان من احبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير

اقترانها

الاثبات وحينئذ لاحاجة معه الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن أسلم ولا ملكه أبو بكر الا أن يقال هو على تسليم وجود أبي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال أبي بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك أبي بكر له جاز ان يكون سيد بلال وهو أمية بن خلف ارسله في ذلك العير لامر فاذن أبو بكر لبلال في العود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما ويستأنس ويأمن به اعتمادا على رضا سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله ان يكون مملوكا له وكون أبي بكر لم يكن في سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله أعلم * قال وروى ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر رضى الله تعالى عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة اي والنبي صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر بعامين أي وشهر كما تقدم ولقلة هذه الزيادة على العامين التي هي الشهر الواردة مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام في تجارتهم حتى اذا نزل منزلا وهو سوق بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الرجل الذي في ظل السدرة قال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم عليه السلام الا محمد عليه الصلاة والسلام أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي الا النبي الامي الهاشمي كما سيأتي في بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون اي سفر ابي بكر معه صلى الله عليه وسلم في سفرة اخرى بعد سفرة أبي طالب انتهى * أقول وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوي وهم يريدون الشام في تجارتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا في تلك السفرة وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب نسطور الا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر الا ان يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر لكن ربما يبعده ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشرين وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا الا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز ان يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر واو من دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذي كان فيه ابو طالب نزل جهة صومعة بحيرا والعير الذي كان فيه ابو بكر وميسرة نزل جهة صومعة نسطورا وسيأتي ان بحيرا او نسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على

الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقه دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون تالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم فقال أشهد أني رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان

اقترانها بالنبوة او ان المراد بها النبوة اى لم يدرك الا وقت صلاحه للرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما أدرى ادرك البعثة أم لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو أحد الثمانية الذين وفدوا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة بعد رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكورها الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله أعلم

﴿ باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية ﴾

اى من اقذارهم ومعايبهم أي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا واعظمهم امانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكريما اي حتى كان صلى الله عليه وسلم افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله عز وجل فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة * فمن ذلك ما ذكره ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني أي رأيت نفسي في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم أي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فاخذته وشددته على ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري على من بين اصحابي اى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اى نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم فعن ابن اسحق وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق ساله ابو طالب فقال أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي الخصائص الصغرى ونهي صلى الله عليه وسلم عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اى نهيه عن التعري عند بنيان الكعبة كما سيأتي وسيأتي ما فيه * ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اى ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما أى من فعلهما قلت لفتي كان معي من قريش باعلى مكة في غنم لاهله يرعاها اى وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلنا () لم أقف على اسم هذا

محمد رسول الله وان كذاب مفتر على الله ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي احرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب او ابن وهب ولما نماه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل * وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنه واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئه فلم يعملها كتبت له حسنه وان عملها كتبت عليه سيئه واحده يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول

اى بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن * وروى الامام احمد وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام ياعيسى اني باعث بعدك أمة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الامة منه فلم

التي أبصرلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأجمل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقالوا فلان قد تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني الامس الشمس أي وفي لفظ فجلست أنظر أي أسمع وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني الاحر الشمس فرجعت الي صاحبي فقال مافعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك * اقول المناسب لقوله فعصمني الله في الرواية الثانية لاماذكر في الرواية الاولي الا ان يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على أردت ان الهو والله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ماهممت بعدهما بسوء مما تعمله أهل الجاهلية أي ماهممت بسوء مما يعمله أهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ والله ماهممت ولاعدت بعدهما لشيء من ذلك أي مما تعمله أهل الجاهلية ولاهممت به حتى أكرمني الله تعالى بنبوته * ومن ذلك ماجاء عن أم أيمن رضي الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح الواو صنما تحضره قريش تعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك حتى قالت رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن ماتريد يامحمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن مادهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها أي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل أي وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يامحمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم * اقول ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهي المس من الشيطان كما قدمناه وقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع قد اصابه لمم أي طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون وأصابه ولا لمة من الجن وهي المس أي فقد غاير بينهما والله أعلم * ومن ذلك مارويته عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ماذبح لغير الله تعالى أي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله عز وجل وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلاء ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيئا ذبح على النصب أي الاصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي وزيد بن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة على دين

تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء وعلماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدني نعتي في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد * وفي صحف شعيا اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الي جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهي بني اسرائيل عن ظلمهم وبغيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار ووضعوه على الشجرة ونشروها ونشروه معها وكان من الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يخاطب بيت المقدس ابشر بالخراب والقاء الجيف فيه ابشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب في حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافي ذلك وصفه ايضا بانه راكب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه ياعمر أتدري من أنا انا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة ياعمر أتدري من انا انا ابراهيم

اسمي في التوراة أحيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حمناط وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء في الزبور اني أنا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي ووصفه بانه يهوى الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار في الزبور تقلد أيها الجبار سيفك * فان قيل قال الله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها * أجيب بان الاول هو الذي يحسب الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفي الزبور أيضا يادوا ودسياتي من بعدك نبي اسمه احمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصيني أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة وورثهم مثل نور الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أي على

فرض ووقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم * وفي بعض ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث احوماح ومعناه صحيح الاسلام وفي بعض الكتب الالهية اني باعث رسولا من الاميين أشدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة

وأؤلف بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل أمته خير الامم * واما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف أعني لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير * ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا أي من السماء ألقي اليه فوضعه في خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر رضي الله عنه رواه بالمعنى وكان

ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل في يهوديه ولا نصرانيه واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وتقدم انه كان يحييها اذا أراد أحد ذلك أخذها ويكفيه مؤونتها حتى تكبر ويقال انه اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا حقا تعبدا وصدقا وقيل ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم يسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث أمة وحده أي قوم مقام جماعة انتهى أي فان ولده سعيدا قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وفي البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي وقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة أي فيها شاة ذبحت لغير الله عز وجل اوقدمها النبي صلى الله عليه وسلم اليه فابى ان يأكل منها وقال اني لست آكل ما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان هو السبب في ذلك قال الامام السهيلي وفيه سؤال كيف وفق الله عز وجل زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له أي وكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو وحينئذ لا يحسن الجواب الذي أشرنا اليه قولنا واجاب أي السهيلي بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم أكل من تلك السفرة اي ولا من غيرها سلمنا انه أكل قبل ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم وانما كان تحريم ذلك في الاسلام والاصل في الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم يبطل ما ذكره الشمس الشامي ذلك من امر الجاهلية التي حفظه الله تعالى منه في صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو هذا هو رابع اربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم يبحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شئ لقد اخطؤا دين ابيهم ابراهيم ما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهؤلاء الثلاثة الذين زيد بن عمرو ورابعهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث وزاد ابن الجوزي على هؤلاء الاربعة جماعة آخرين سياتي الكلام عليهم عند الكلام على اول من اسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن اخي الخطاب والد سيدنا عمر اخا لامه ما او روقة فلم يدرك البعثة على ما سياتي وكان ممن دخل في النصرانية أي بعد دخوله في اليهودية كما سياتي واما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة واسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هناك

سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه ينكر عليه امر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار اخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر الاول أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون والثاني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا إله إلا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي ولينظر الرابع ثم نقل عن بعضهم ان

في سنة اربع وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريه فاد انقلعت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عليهم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور وساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا إله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة اعرف انها من سبعة او تسعة والقيامة قد ازفت ان قربت * وجاء ان آدم عليه السلام قال طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولقد رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين اعين الملائكة * وفي ان اول شيء كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا إله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا إله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية

كما سيأتي وكان يمر على المسلمين ويقول لهم فقحتا وصاصأتم أي ابصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات على النصرانية وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل هذا كان يوبخ قريشا ويقول لهم والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم أهل النصرانية فسأله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا ما أنت واجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باسفل جبل حراء هذا وفي كلام الواقدي عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وانا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى أن أدركه وانا أؤمن به واصدقه وأشهد أنه نبي فان طالت بك مدة فرأيته فاقرئه مني السلام قال عامر فلما أسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد السلام قال فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم انه يبعث أمة وحده سعيدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث، قال وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أي شجرتين عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوي أي وقال الا انه ليس في شيء من الكتب وفي رواية رأيته في الجنة يسحب ذيولا * وعن الزهري نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم وأما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد وحلال اكله ان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناه من قوله تعالى له لا أذكر الا وتذكر معي فقد جاء أتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول لك أتدري كيف رفعت ذكرك أي على اي حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرقا المذكور ذلك في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله أعلم قال لا أذكر الا وتذكر معي اي في غالب المواطن وجوبا او ندبا ومن ذلك ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان انتهى * أقول تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه في الجاهلية جماعة كثيرون سيأتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي ان يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة في الزجر عنها والتباعد منها

لانها أم الحائث وقد كانت نفوس عالمهم ألفتها وهذا محمل ماجاء أتاني جبريل فقال بشر أمتك انه من مات لايشرك بالله شيئا أي مصدقا بما جئت به دخل الجنة أي لا بد وان يدخل الجنة وان دخل النار قلت ياجبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان سرق وان زني قال نعم قلت وان سرق وان زني قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس والا ففي الخصائص الصغرى للسيوطي وحرمت عليه الخمر من قبل مايبعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله اعلم قال وأما مارواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم وسمع ملكين خلفه واحدهما يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر أنكره الناس أي وقد قال الامام احمد كما في الشفاء انه موضوع او يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان ابن أبي شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهده باستلام الاصنام قيل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا أبدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم أي لشهوده بعض مشاهدهم التي تكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد التي شهدها أي التي كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات الآتي بيانها لا مشاهد استلام الاصنام فانه يرده ماتقدم عن أم أيمن انتهى أي من قولها انه كان صنما لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل في كل سنة الي آخره أي ويرده أيضا ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى لاتسألني بهما فاني والله ماأبغضت شيئا قط بغضهما الا بمثل اللات والعزى غيرهما من الاصنام في ذلك وماسيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط وماجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر والله سبحانه وتعالى اعلم

باب رعيته صلى الله عليه وسلم

قال رعيته بكسر الراء المراد الهيئة انتهى * اقول الذي في هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذي هو رعيه للغنم لابيان هيئة رعيه للغنم فرعيته بفتح الراء لابكسرها والله أعلم * عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الارعي الغنم قال له اصحابه وأنت يارسول الله قال وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أي وهي اجزاء من الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة قال سويد بن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة وقد قال ابراهيم الحربي قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة أي والذهب قال وأيد هذا الثاني بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل انه جاء في الصحيح ستفتحون أرضا يذكر فيها

لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان ومايكون كتب على سرادق العرش لااله الاالله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالي على العرش وفيها أيضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لااله الاالله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أي من السماء والجنان ومافيها وسائر ما في الملكوت وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال وعزتي وجلالي لولاك ماخلقت أرضا ولاسماء ولارفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولاخلقت سماء ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا ولقد در القائل

لولاه ما كان فلك ولا فلك كلا ولا كان تحريم وتحليل

* ومن ذلك ماحدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لااله الاالله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الاول لااله الاالله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لااله الاالله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد منه شيء كثير واهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم انه قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فرأينا وردا أحمر ذكي الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لااله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ماحكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لااله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا

منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر على كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلاد عباد أوثان وكانوا يقطعونها ويمحون آثارها فترجع إلى ما كانت عليه في أقرب زمن فأذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض إذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب * ومن ذلك أنه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانين وثمانمائة حب عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم أنه اصطاد سمكة مكتوبا

على جنبها الأيمن لا إله إلا الله وعلى جنبها الأيسر محمد رسول الله قال ولما رأيتها ألقيتها في البحر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فدلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر فيها مكتوب بالأسود على إحدى أذنيها لا إله إلا الله وعلى الأخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالأصفر لا إله إلا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة * ومنه أيضا ما حكاه بعضهم أنه كان بطبرستان قوم يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا يقرون أبدا بأن محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان وفي يوم شديد الحر طرأت سحابة شديدة السواد فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والأرض فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك إلى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في البلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعلي في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف

القراريط ولأنه جاء في بعض لأهلي ولا يرعى لأهله بأجرة أي كما قضت بذلك العادة وأيضا جاء في بعض الروايات بدل بالقراريط بأجياد ودل ذلك على أن القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة بأجياد ورد بأن أهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون أراد بأهله أهل مكة لا أقاربه التي تقتضي العادة بأنه لا يرعى لهم بالأجرة والإضافة تأتي لأدنى ملابسة ويدل لذلك ما جاء في رواية البخاري كنت أرعاها أي الغنم على قراريط لأهل مكة وذكره البخاري كذلك في باب الإجارة وذلك يبعد أن المراد بالقراريط المحل وحمل على نفي الباء ويرد القول بأن العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الدراهم والدنانير أي ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز أن يكون المراد يذكرون القيراط كثرة التعامل به فيها أو أن المراد بالقيراط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بأنه رعى لأهله أي أقاربه بغير أجرة ولغيرهم بأجرة والمراد بقوله أهلي أهل مكة أي الشامل لأقاربه ولغيرهم قال فيصح الخبران ويكون في أحد الحديثين بين الأجرة أي التي هي القراريط وفي الآخر بين المكان أي الذي هو أجياد فلا تنافي في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي وقوع الأمرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل في ذلك قال ابن الجوزي كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن إسحق رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم إلا رعايته لها في بني سعد مع أخيه من الرضاع أي وحينئذ يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما يأتي وفي الهدى أنه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة في رعية الغنم * ومن حكمة الله عز وجل في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم أي عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الإبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وأنا راعي غنم أهلي بأجياد أي وهو موضع بأسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همزة ولعل المراد بقوله راعي غنم أي وكذا قوله وأنا راعي غنم أي وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم إذا الأخذ بظاهر الحالية بعيد والمتبادر حكاية الاقتصار على من ذكر من الأنبياء مع قوله السابق ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم وما يأتي من قوله وما من نبي إلا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والإبل عز لأهلها وقال في الغنم سمنها معاش وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش أي وفي الحديث الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم ولعل هذا لا ينافي ما جاء في الأمثال قالوا أحمق وفي لفظ أجهل من راعي ضأن لأن الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى جمعها أي

يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا إله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي وغيره عن علي رضي الله عنه ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي * قال الحلبي أقول قد يقال يجوز ان يكون ما ذكر أولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكرنا في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعشيرته التي هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر ان هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح ابيهما احفظني منه لصلاح آبائي رضي الله عنهم * ومن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب بين كتفي آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوبا لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله * ومنه ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربع وسبعين وتسعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضا قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوب في بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني مكتوبا فيها بخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله ارسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المحارب للضلالة والغواية

وذلك سبب لحمقه وليتامل وفي رواية الفجر والخيلاء وفي لفظ والرياء في اهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من أمر السمر دليل على ذلك أي على رعايته للغنم ايضا وما رواه جابر رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة أي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فاني كنت اجتنيه اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها اه * أقول وحينئذ لا ينبغي لاحد غير رعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كما علمت كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري في ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا يؤدب والله أعلم

باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

أي بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو وفجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب المذكورة مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما أحب اني لم أكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة أي وهذا الفجار الرابع وأما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين وسببه اي هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فابدرها أي اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله فسألها ان تكشف وجهها فابت يدل على ان النساء في الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به اي مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض وعليه اقتصر في الوفاء اي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل على أعمامي أي أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لانه ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل ويجوز ان يكون اغلب احواله صلى الله عليه وسلم ذلك أي انه كان ينبل اي يرد النبل فلا ينافي انه رمى في بعض الاوقات باسهم اي وفي كلام بعضهم كان

* وعن الزهري قال شخصت الي هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبراني فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليك باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسي بن عمران ﴿ باب سلام الشجر والحجر عليه صلي الله عليه وسلم قبل البعثة ﴾ عن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث وانى لاعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل انه الذى في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر * روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته ابعد حتي ينفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل

لم يبق من حجر صلب ولا شجر
الا وسلم بل هناه ماوهبا

وقال فى الهمزية

والجمادات أفصحت بالذى أخـ
ـرس عنه لاحمد الفصحاء

* وعن على رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله والي ذلك اشار السبكى في تائيته يقول

وما جرت بالاحجار الا وسلمت
عليك بنطق شاهد قبل بعثة

* وفي كلام السبكى يحتمل ان يكون نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من اعلام النبوة وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ان اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لاتعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد ان كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال في بيان ذلك وقال وقد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لانحتاج الي دليل في ذلك لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها

ابو طالب يحضر أيام الفجار أى فجار البراض وكانت أربعة أيام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافي مايأتي من الاقتصار على هوازن واذا لم يجيء هو أي في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا أبالك لاتغب عنا ففعل ذكره في الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن أبا براء ملاعب الاسنة في تلك الحروب أى في بعض تلك الايام وأبو براء هذا كان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم فى تلك الحرب والطعن ظاهر في الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه لم يقاتل فيه بغير الرمي للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا اذ لو اصاب أحدا لنقل لانه مما توفر الدواعى على نقله الا ان يقال بجواز ان يكون أصاب ثم لم تذكر فليتامل قال وسميت الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام اه * أقول ظاهره حروب الفجار الاربعة أى التي هى فجار البراض وغيرها وظاهر كلامه صلى الله عليه وسلم انه لم يحضر الا فى الفجار الرابع الذي هو فجار البراض ثم رأيت التصريح بذلك فى الوفاء وسيذكره وسياتي فى الباب الذى يلي هذا ان حرب الفجار لم يكن في شهر حرام وسياتى في هذا الباب مايدل على ذلك أى ان القتال في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من أهل هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة أى فان المنذر كان يرسل تلك اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك أدم من أدم الطائف ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من اشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان فيهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها على بني كنانة يعني قومه فقال له النعمان ماأريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا اجيرها لك فقال له البراض أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى اهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله أى فانه شرب الخمر وغنته القينات وسكر ونام فجاءه البراض وايقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لاتقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك في الشهر الحرام فاتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفي ان في هذا تصريحا بان القتال لم يكن في الشهر الحرام لانهم اذا كانوا فى الشهر الحرام لايقاتلون مطلقا أى وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على ان قتالهم لم يكن في الشهر الحرام ومكث القتال

عيانا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن اسحق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق لله والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فهم وأممهم من أمته صلى الله عليه وسلم وأول ما بدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح أي كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح وروه وفي لفظ فكان لا يري شيئا في المنام الا كان أي وجده في اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجاه الملك الذي هو جبريل بالنبوة أى الرسالة فلا تتحملها القوي البشرية لان القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يجئ به لا سيما الرساله فكانت الرؤيا تانيساله والمراد بالملك جبريل عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن قيس قال أول ما يؤتى به الانبياء في المنام أي ما يكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي في اليقظة لان رؤيا الانبياء وحي وصدق وحق لا أضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذلا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع فى عالم مثالهم لا يكون الاحقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر ثم أوحي اليه فى اليقظة وفي البخارى الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلى الله عليه

بينهم أربعة أيام أى كما تقدم * اقول قال السهيلي الصواب ستة أيام والله اعلم قال وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام أخرجه اعمامه معهم أي ويدل له ما تقدم من انه كان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الايام وهو أشدها أى وهو اليوم الثالث قيد امية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أى الاسود اه أى وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وابو سفيان اسلم كما سياتى ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاءوا للوعد أى وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله ابن جدعان وقيل كان الى حرب بن أمية والد ابى سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن اخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره فضن أي بخل به حرب واشفق أى خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر أى يعلم به الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا أى فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا أى وذلك لا ينافى انهزامهم فى بعض الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الي ان نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن اخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلي الله عليه وسلم كما تقدم فلما رأت هوازن الرهن في ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفى رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب اوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية يوادبردت التزمت ان تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو ابو هند زوج ابى سفيان أم معاوية رضي الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق أى فقير الا عتبة بن ربيعة وابو طالب فانهما سادا بغير مال اي وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكانا افلس من ابى المزلق وهو رجل من بنى عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذى في الوفاء الاقتصار على ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الاولى سببها قضية بدر بن معشر الغفارى والمرة الثانية كان سببها قضية المرأة والثالثة سببها قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات واما المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف فى المعني

﴿ باب شهوده صلي الله عليه وسلم حلف الفضول ﴾

وهو اشرف حلف في العرب والحلف في الاصل اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لانهم يحلفون عند

وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه في المنام التي هي الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا وحينئذ يكون المعنى ورؤيتي جزء من ستة واربعين جزءا من نبوتي ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوه لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هي اصل جعل غيرها مقيسا عليها وشبيها بها والحديث فيه روايات كثيره اصحها روايه ستة واربعين جزءا وحملوا الروايات الأخر على اعتبار الاشخاص لتفاوتهم في مراتب الرؤيا في بعضها جزء من خمسين وفي بعضها تسعة واربعين اوستة وسبعين وغير

ذلك * وجاء عن عمرو ابن شرحبيل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورا اي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر وفي رواية والله ما ابغضت بغضى هذه الاصنام شيا قط ولا الكهان واني لاخشى ان اكون كاهنا ويكون الذي ينادي بي تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون اي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك لكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من الصفات العلية

عمده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان في شوال أي وقيل في شعبان لا في الشهر الحرام () أي وان كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان في الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر في انه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجيء الفريقين الموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب الا ان يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين على المحاربة وهذا الحلف كان في ذي القعدة وأول من دعى اليه الزبير بن عبد المطلب أي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه كما تقدم () فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته كاهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج فيطعمه قريشا أي وسبب ذلك انه كان اولا يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني المدان

البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

ولما بلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناد ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن ابي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي ام قد كفاني * حياؤك ان سيمتك الحياء

اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء

كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء

يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الصب أجحره الشتاء

وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية () أي بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف ان لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان ابن مظعون رضي الله تعالى عنه وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على ان انكح كريمتي من لا أريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه ما بل بحر صوفة أي الا بد وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لأنه لم يقل يوما وفي رواية انه لم يقل ساعة من ليل او نهار رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم اي لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضي

الحديث

والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا الخير الا انه من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردي عن الشعبي ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفي رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا فلا يرى شخصه ... ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوه كانت ستة اشهر من تلك المدة التي هي اثنتان وعشرون سنة

* وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيري رحمه الله في الهمزية
ألف النسك والعبادة والخلـ * ـوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله طفلا أي حين كان عند حليمة رضي الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ولما قرب الزمن الذي أراد الله ان يرسله فيه ازداد محبة في الخلوة لان الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد أي مع أيامها وغلب الليالي لانها أنسب بالخلوة وابهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهرا رمضان او غيره فالليالي ذوات العدد محمولة على القدر الذي يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها وكانت خديجة رضي الله عنها تزوده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجيء في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كان واعلى باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في الهيئة البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا انه أتم فيه من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه

الحديث انه لو قال ذلك لنفعه ماذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا لانه ممن أدرك البعثة ولم يؤمن وحينئذ يسال عن الحكمة عن عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يؤمن بي او لم يكن مسلما أي وكان يكنى أبا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر لو كان ابو زهير أو مطعم بن عدي حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير اي وسياتي في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان وانه صلى الله عليه وسلم دفع أبا جهل لعنه الله فوقع على ركبته فجرحت جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي اي في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في نحر الظهيرة من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا الاخير لفعله قول ابن عباس رضي الله عنهما يحلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى قال انه لا يبالي أية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ابغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف لا يأويه أبدا فخرج هائما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد في ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من رخام فيه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله ابن جدعان الى ابيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف قال وفي رواية تحالفوا على ان يردوا الفضول على أهلها ولا يقر ظالم على مظلوم أي وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل ان هذا أي رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم على ما بل بحر صوفة وما رسا حراء وثبير مكانهما اه أي والمراد الابد كما تقدم وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار بني جدعان حمر النعم أي الابل واني أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أي

السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الي ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أول ما يبدأ به قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذي اراد به ما اراد من كرامته وذلك الشهر رمضان وقيل ربيع الاول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حراء كما كان يخرج لجواره حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر اعني شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل نائما ليلة السبت اوليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ أى أنا أمي لا احسن القراءة وكنت نائما بنمط وهو نوع من البسط فغطني به أى غمني بذلك النمط بان جعله على فمه وانفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ وفي رواية فقلت والله ما قرأت شيئا قط وما ادري شيئا اقرؤه قال اقرأ باسم ربك وفي رواية انه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عني وقد استقر ذلك رقى
فى قلبي وفي رواية فكأنما كتب في قلبي كتابا اى حفظته فرجع الي خديجة فاخبرها وقال قد خشيت على نفسي فقالت كلا فوالله لا يخزيك ابدا قال الحافظ الشامي ومن اللطائف ان هذه الكلمة اى كلمة كلا التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكر لها عن القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور وفي بعض الروايات انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام في الافق ورآه وهو يقول له يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فاخبر

لا أحب الغدر به وان أعطيت حمر النعم فى ذلك قال وفي رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم أى فواته ولو ادعى به في الاسلام لاجبت أى لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب والتعصب وأجيب بان هذا مستثنى فالدعوى به جائزة وفي اخرى ماشهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتي وما أحب ان لي به حمر النعم واني كنت نقضته أى لا احب نقضه وان دفع لى حمر الابل في مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة أى بنو زهرة بن كلاب وأمية ومخزوم قال البيهقي كذا روي هذا التفسير أي ان المطيبين هاشم وزهرة وأمية ومخزوم مدرجا ولا أدرى من قاله وعبارته في السنن الكبرى لا أدرى هذا التفسير من قول ابى هريرة أو من دونه هذا كلامه فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين أى لانه كما تقدم وقع بين بنى عبد مناف بن قصي وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم وبنو الحرث بن فهر وهم المطيبون وبين بني عمهم عبد الدار بن قصي واحلافهم بنى مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل ان يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بما ذكر لا ان المدرج تفسيره فقط بما ذكر كما يقتضيه كلام البيهقي وحينئذ تكون الرواية ماشهدت حلفا لقريش الا حلفا مع عمومتي الي آخره ظن الراوى ان حلف الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وفسرهم وقد يقال ذكر ابن اسحق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد المطلب فى الدعوي للتحالف أجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى أن هؤلاء أجل المطيبين أطلق على هذا الحلف الذى هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم العاقدون له فليتأمل وسمي بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول على أهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعضهم لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحرث والضمير في اشرافهم يتبادر رجوعه الى قريش وهؤلاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم أى هؤلاء الذين تحالفوا كانوا أخرجوا فضول اموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هؤلاء الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء فى فضول من الامر والسبب فى هذا الحلف والحامل عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب فأبوا ان يعينوا على العاص وانتهروه أي الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر

خديجة رضي الله عنها فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الي ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت وفي رواية قال وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت ياخديجة الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة وفي روايه ان ورقة بعد أن أخبرته خديجة بذلك لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال له ياابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت

رقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * ياللرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولاحرام لثوب الفاجر الغدر

والحرام بمعنى الاحترام فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب أي مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الي العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه اهـ * أقول ذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى ياحلف الفضول فاذاهم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم أي جردوها يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي فانتزعها مني قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاهدنا عليه فقال أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة أي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي انه كان بين الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال متعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفني من حقي اولآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لانه كان اذ ذاك في المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم

باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا

وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضي الله تعالي عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اى على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك اقوال ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم وسبب ذلك ان عمه صلى الله عليه وسلم اباطالب قال له ياابن أخي انا رجل لامال لي وقد اشتد الزمان اي القحط () والحت علينا أي اقبلت ودامت () سنون منكره أي شديدة الجدب وليس لنا مادة أي مايمدنا ومايقومنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة وفي رواية عيرات جمع عير () قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في

فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك انبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى عليه السلام ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه ولئن أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه أي وسط رأسه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى منزله * وقد جاء ان أبا بكر رضي الله عنه دخل على خديجة رضي الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ياعتيق اذهب بمحمد الى ورقة أي بعد أن أخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الي ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت

وحدي سمعت نداء يامحمد فانطلق هاربا فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتي تسمع مايقول ثم ائتني أي وهذا كان قبل أن يرى جبريل ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافي بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذي على يد ابي بكر رضي الله عنه على انه كان قبل ان يرى جبريل والذي وقع في المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبي صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راو اقتصر على شيء وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهي ان يشتمل اول الكلام على مايناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ماسبق الكلام لاجله فانها

اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطى في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في اوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة واخذ منه الشاضي شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات وذكر السهيلي ان في ذلك الغط اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الي آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف وادره جمع بادرة وهي اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفي رواية يرجف بها فؤاده أي قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني أي غطوني بالثياب فزملوه حتي ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي فقالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا أى لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أي الشئ الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أى توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقرى الضعيف وتعين على نوائب الحق أى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأي فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسي أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام يا ليتني فيها جذعا أي يا ليتني اكون في زمن الدعوة الى الله اي اظهارها شابا حتي ابالغ في نصرتها يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال ورقة نعم لم يات رجل بما جئت به الا عودى أي فتكون المعاداة سببا لاخراجه وقد جاء ان كل نبي برسالته

عيراتها ويتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا كره أن تاتى الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا تجد لك من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الى في ذلك فقال أبو طالب انى اخاف أن تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا وبلغ خديجة رضي الله تعالي عنها ما كان من محاورة عمه ابى طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت اني دعاني الي البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم أخلاقك وانا اعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقى عمه اباطالب فذكر له ذلك فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة أى يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به اهل العير اى ومن حين سفره صلى الله عليه وسلم أظلته الغمامة () فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا أى بالقصر فاطلع الراهب الي ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم وقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى اى حماها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبى ثم قال له أفى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه فقال الراهب هو وهو آخر الانبياء ويا ليت انى ادركه حين يؤمر بالخروج اى يبعث فوعي ذلك ميسرة اى والحمرة كانت في بياض عينيه وهى الشكلة ومن ثم قيل في وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل العينين وهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة أى وقد تقدم ذلك قال وفي الشرف نفيسا ورى فلما رأى الراهب الغمامة تظله صلي الله عليه وسلم فزع وقال ما أنتم عليه أى أي شئ أنتم عليه قال ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها ودنا الي النبى صلى الله عليه وسلم سرا من ميسره وقبل رأسه وقدمه وقال آمنت بك وانا اشهد انك الذى ذكره الله في التوراه ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أى العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لى عن كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلالا فقبل عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسي ابن مريم فانه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامى الهاشمي العربى المكي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد انتهى * اقول قال في النور ولم اجد احدا عد هذا الراهب الذى هو نسطورا فى الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغى ان يكون هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا انه سياتى ان بحيرا او نسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه وسلم نبى هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من أقر

اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الي مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفي رواية قال ورقة وان ادركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفي رواية قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحى بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولا (١٥٩) وأولاها بالصواب واسلمها من

برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها الى آخر ما يأتي ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقولي مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كهذا الرجل يعني بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرنا ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية من النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله عز وجل هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وأمه اله والله اله هذا وفي القاموس النسطورية بالضم ويفتح أمة من النصارى تخالف بقيتهم وهم أصحاب نسطورا الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون وتصرف في الانجيل بريه وقال ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت الى قرائية وربانية وسامرية ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الي زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبياء الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسى الذي دلت عليه الرواية الاولى والرواية الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها أحد غير الانبياء لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق للعادة والانبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبي لبعد العهد بالانبياء عليهم السلام قبل ذلك وان كان في لفظ الخبر قط أي كما تقدم فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري انه لم ينزل تحتها الا عيسي او غيره من الانبياء ويبعد في العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها احد حتى يجيء نبي هذا كلامه وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة على ان في بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة بجرعودها فلما اطمان تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها وأينع ثمرها وتدلت اغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من اهل السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبياء عليهم الصلاة والسلام من المعجزات جاز للاولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي لان المعجزة يعتبر فيها التحدي وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها في الحال على انه سيأتي في الكلام على غزاة الخندق ان كرامات الاولياء معجزات لانبيائهم ولما رأى الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب

الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض اودوام المرض وقال الحافظ الاسمعيلي ان هذه الخشية كانت قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء في بعض الروايات ان خديجة رضي الله عنها قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس أذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندك علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشان جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل أوثان فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو امين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسي وعيسي

عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في الطائف وأسلم على يديه يروى ان خديجة رضي الله عنها حين جاءت عداسا قالت له انعم صباحا يا عداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم يروي انه قال لها حين اخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذي كتابي هذا وانطلقي به الي صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله

صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم ومايسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وأمي امض معي الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقوله قدوس قدوس أنت والله النبي الذي بشر بك موسي وعيسي قال بعضهم الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لان اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل ان خديجة (١٦٠) رضي الله عنها كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت في الامر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتشدتها في أمره صلي الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلي الله عليه وسلم ورضى الله عنها وذكر ابن دحية انه صلي الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسالته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أني لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي أخبرني بانه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان لايجترئ ان يتمثل به ولا أن يتسمي باسمه * وفي اسباب النزول للواحدي عن علي رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال لما سمع النداء صلي الله عليه وسلم يامحمد قال لبيك قال قل أشهد ان لااله الاالله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتي فرغ من السورة فلما بلغ ولاالضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن ابى شيبة فاتي صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر فاني اشهد أنك الذي بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسي عليه السلام وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك وائن ادركني ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على ان الفاتحة اول ما نزل قال في الكشاف وعليه اكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل ان المعنى انها من أول ما نزل لاانها أول على الاطلاق

ان انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ماأسمك فقال له اليك عني ثكلتك أمك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضي سيفه وصاح يا آل غالب يا آل غالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ماالذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك أقبل يسعي الى صومعته فدخلها وأغلق عليه بابها ثم أشرف عليهم فقال ياقوم ماالذي راعكم مني فوالذي رفع السموات بغير عمد انى لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يبعثه الله بالسيف المسلول وبالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن أطاعه نجا ومن عصاه غوي ثم حضر رسول الله صلي الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم أقف على تعيين ماباعه وما اشتراه انتهي وكان بينه صلي الله عليه وسلم وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلي الله عليه وسلم ماحلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وقد خلا به ياميسرة هذا نبي والذى نفسي بيده انه لهو الذى تجده أحبارنا منعوتا أى في الكتب فوعى ميسرة ذلك أي وقبل أن يصلوا الي بصري عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا فى أول الركب ولهما رغاء قال وفي الشرف انهم باعوا امتاعهم وربحوا ربحا مار بحوا مثله قط قال ميسرة يامحمد اتجرنا لخديجة اربعين سنة ماربحنا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك انتهى * وأقول لايخفي مافي قول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة عن سفرة أو هو على المبالغة والله أعلم ثم انصرف أهل العير جميعا راجعين مكة وكان ميسرة يرى ملكين يظللانه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعني بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له فى سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر سافره لكن لم أقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في غير هذه السفرة وقد ألقى الله تعالي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران أى وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذى تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن بوادى فاطمة قال ميسرة للنبي صلي الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الي خديجة فتخبرها بالذى جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك أى وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة فى علية أى في غرفة مع نساء فرأت رسول الله صلي الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان يظللان عليه فارته نساءها

فعجبن

واماماروى من انهـا نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة في شرفها لاان ذلك أول نزولها اد كثيرمن الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وايضا فان الصـلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه صلوا صلاه بغير الفاتحة قال الجلال السيوطى لم يحفظ انه كانت صلاة في الاسلام بغير الفاتحة فالحق انها من اول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفى الحـديث لو ان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الـكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفي حديث آخر فاتحة الكتاب

شفاء من كل داء وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن * ثم لم يلبث ان توفي ورقة قال سبط ابن الجوزى وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق نبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تاخرها والراجح عند المحققين انه لم يعد من الصحابة لعـدم ادراكه الرسالة ولما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفى رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السنـدس وفي رواية لاتسبوا ورقة فانى رأيت له جنة اوجنتين لانه آمن بى وصـدقنى وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عندجهابذة الائمة بناء على انه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هى الرساله فقد روى انه مات في السنة الرابعة من المبعث ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقني وفى فتح الباري ان في سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضى انه تاخر الى زمن الدعـوة والى ان دخل بعض الناس في الاسلام يروي ان ورقة قال لخديجة في اول ابتداء الوحي قبل نزول شيء من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبى الي المكان الذى رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لايراه فتراءى له جبريل يوما وهو فى بيت خديجة وكانت قد قالت للنبى صلى الله عليه وسلم أتستطيع ان تخبرنى بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه

فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت أين ميسرة قال خلفته في البادية قالت عجل اليـه ليعجل بالاقبال وانما أرادت ان تعلم أهو الذي رأت أم غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسره أخبـرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هـذا منذ خرجنا من الشام وإلى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله فى تائيته قوله

ومیسرة قد عاين الملكين اذ * أظلاك لما سرت ثانى سفرة

وأخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقـول الآخر الذى حالفه أى استحلفه في البيع أي وقصة البعيرين وحينئذ أعطت خـديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له أى وما سمته له ضـعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكره الى بكرتيك يدل على انها سمت له بكرتين وكانت تسمي لغيره بكرة * وفي كلام بعضهم وفى الروض الباسم استاجرته على أربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه آجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رأيت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه وأجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين وفي السفرة الاولي أرسلته مع عبدها ميسرة الي سوق حباشة أى وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يبتاعون فيه ثلاثة أيام من اول رجب في كل عام فابتاعا منه برا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية ارسلته مع عبدها ميسرة الي الشام وفيه ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة فعن مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي عن جابر ان خديجة استاجرته صلى الله عليه وسلم سفرتين الي جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والالزم ان يكون صلى الله عليه وسلم سافر لها خمس سفرات أربعة الى اليمن وواحدة الي الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استاجرته فى سفرة الى الشام باربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة * قد جاء فى بعض الروايات أن أبا طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك ان تستاجرى محمدا فقد بلغنا انك استاجرت فلانا ببكرتين وليس نرضي لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة لو سالت لبعيد بغيض فكيف وقد سالت لحبيب قريب * ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الي الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه ابى طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت انه يريد هذا وانما افلما ظاهر لانه يجوز أن يكون بعد قول أبي طالب وقولها المذكور أرسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه ثم أرسلته مع ميسرة الى الشام او كانت خديجة لا تجوز أبا طالب يرضى

وسلم ياخديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله انه لملك ماهذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمرية بقوله وأتاه في بيتها جبرئيل * ولذي اللب في الامور ارتياء

فاماطت عنها الخمار لتدري * أهو الوحي أم هو الاغماء

فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ * ـل فما عاد او اعيد الغطاء

فاستبانت خديجة انه الكنـ * ـز الذي حاولته والكيمياء

وفي السيرة الحلبية روى ابن اسحق عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن اصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على انه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تأهلا ليتحمل اعباء الوحي حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضي الله عنها تفعل هذه الاشياء لتتثبت في الامر ويصير عندها ضروريا وأما هو صلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك واما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بانه جبريل وأن الله ارسله اليه وانه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم بعد نزول اقرأ أي نزول اول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى لذروة جبل تبدي له مثل ذلك وفي فتح الباري جزم ابن اسحق بان مدة

سفره الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتامل وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من حين سيره أي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه انه لم يفطن لها مثلا ولكن سياتي في كلام صاحب الهمزية ما يدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسياتي رؤية جمع من الصحابة لجبريل وفي المنقذ من الضلال للغزالي ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي لحصول طهارة نفوسهم وتزكيتها وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله أعلم قال ولم أقف على اسم الرجل الذى حالفه أي استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على رواية صحيحة صريحة فيه بانه أي ميسرة بقي الى البعثة انتهى ثم ان خديجة ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا أي بعد ان كان يهوديا على ما ياتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا ياخديجة ان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر هذا زمانه أي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة وكان شريكا للسائب بن أبي السائب صيفي ولما قدم عليه السائب يوم فتح مكة قال له مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري أي لا يرائي ولا يماري أي يخاصم صاحبه وهذا يدل على ان قوله كان لا يداري الخ من مقوله صلى الله عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا والاصل في الشركة خبر السائب بن يزيد انه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث أي قال كان صلى الله عليه وسلم نعم الشريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة المشاحة في الامر واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك كان من مقول السائب ولا مانع ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق الآخر كان لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات في هذا الكلام الذي هو كان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في السائب ومنهم من يجعله من قول السائب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين السائب بن أبي السائب صيفي وبين السائب بن يزيد لانه لا يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد * وفي الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان أبا السائب اوولده السائب بن أبي السائب او ولد السائب وهو قيس بن السائب بن أبي السائب لا أخا السائب وهو عبد الله بن أبي السائب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا تقوم به حجة والسائب بن ابي السائب من المؤلفة اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنائم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السائب بن أبي السائب قتل يوم بدر كافرا * ومما يدل على ان الشركة كانت لقيس بن السائب قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي

فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بانها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم في مدة فترة الوحي يتردد الى غار حراء ويتحاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحي وعن يحيي بن بكير قال سألت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن ابتداء الوحي أى بعد فترته فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فنظرت عن شمالى فلم أر شيئا فنظرت من خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا مابين السماء والارض وفي رواية فاذا الملك الذى جاءني بحراء جالس على كرسي فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وفي رواية زملوني زملوني وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أي المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع انه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعني انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فبها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثير انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلي أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فانذر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي

شريكي فكان خير شريك كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي وأقره عليه وذكر في الامتاع ان حكيم بن حزام اشتري من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من بز تهامة سوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الي سوق حباشة ليشتريا لها بزا وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشتري الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه أكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات وأما شراؤه فكثير وأجر واستأجر والاستئجار أغلب ووكل وتوكل وكان توكله أكثر

﴿ باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ﴾

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من أقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا أم حبيبة هذا كلامه وعن نفيسة بنت منية رضي الله تعالى عنها أي وهي أخت يعلي ابن منية وهي في الامتاع منية اخت يعلى ابن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة أي ضابطة جلدة أى قوية شريفة أى مع ما أراد الله تعالي لها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا أى واحسنهم جمالا وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان أوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا أي خفية الي محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الي المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت علي وأنا أفعل فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت ساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه أحدهم أى وهو ابو طالب على ما يأتي وقال في خطبته وابن أخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن أسد هذا الفحل لا يقدع أنفه اي بالقاف والدال المهملة أى لا يضرب أنفه لكونه كريما لان غير الكريم اذا أراد ركوب الناقة الكريمة يضرب أنفه لئلا تدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن أسد قال بعضهم هو المجمع عليه وقيل المزوج لها أخوها عمرو بن خويلد * وعن الزهرى ان المزوج لها ابوها خويلد بن أسد وكان سكران من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهى ثوب فوق ثوب لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق أي لطخته بطيب مخلوط بزعفران () فلما صحا من سكره قال ماهذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة

الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أباتراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الي الاسفار قم يانومان

﴿ باب في مراتب الوحي واقسامه ﴾ قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحي وانواعه * فاحدى تلك المراتب الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحق ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه اول سورة اقرأ مناما ثم اتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى انه صلى الله عليه وسلم ما كان ياتيه شئ يقظة الا وقد اريه قبل ذلك في منامه وفي كلام الشيخ محيي الدين مايدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من ياتيه الوحي من الانبياء كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الي اصله وهو لصوقه بالارض * الثانية ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير ان يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به انه وحي لا مجرد الهام * الثالثة خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت انه كان ياتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان جميلا وسيما اي حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقيني يجوز أن الآتي جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز ان الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر أي ان جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمى الابدال ابدالا الا

وقد اتني بها فانكر ذلك ثم رضيه وأمضاه أي لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر أبوها قالت له إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته وألبسته لان ذلك أي الباس الحلة وجعل الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج بنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد بن عبد الله قال أنا أزوج يتيم أبي طالب لا لعمري فقالت له خديجة ألا تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكران فلم تزل به حتى رضي أي وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من ياتي وفي رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فزوجها * أقول قال في النور ولعل الثلاثة أي اباها وأخاها وعمها حضروا ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفي كون المزوج لها أبوها خويلد اوكونه حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن اهل العلم ان خويلد ابن أسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها * قال بعضهم وهو الذي نازع تبعا أي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن وقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأي تبع في منامه ماردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له عمه حمزة اقتصر ابن هشام في سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقها عشرين بكرة * وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتي دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه ففعل وحضره ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله القصة والله اعلم قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد ألا تتزوج قال ومن قالت أنا قال ومن لي بك أنت أيم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف أي الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات أبوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلي الله عليه وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلي لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد نحروا بقرة وألبسوا خديجة حلة الحديث * وفي الامتاع بعد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا * وفي الشرف ان خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول

الله

لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وا كثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة وقد يستانس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بانه كان يندمج الي أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن * الرابعة كان يأتيه مخاطبا له بصوت فى مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذى يعلقه الجهال في رؤوس الدواب والصلصلة المذكورة

قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة في تقدمه ان يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشده عليه لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحي اليه كما يوحي الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد وهذا أشد وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفي ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفي حديث لابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون اوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهي عنه فكيف يشبه الوحي به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ولما كان الوحي من المسائل العويصة التي لا يماط نقاب الثغور عن وجهها لكل احد ضرب لها مثل في الشاهد فمثلت بالصوت الذي يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن الوحي يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتاخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقي من ثقل القول مالا علم له به مع وجود ذلك فاذا سري عنه وجد القول المقول بينا ملقى في الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله في

الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا أبا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله فقال ابو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه الي عمها الحديث أي وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببني هاشم أولئك العشرة وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس وغيره ان أبا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد أي معدنه وعنصر مضر أي أصله وجعلنا حضنة بيته أي المتكفلين بشانه وسواس حرمه أي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ونشا أي وهو عشرون درهما والاوقية اربعون درهما أي وكانت الاواقي والنش من ذهب كما قال المحب الطبري أي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين بكرة أي كما تقدم * أقول لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور * وقال بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وما قيل ان عليا رضي الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين أي لانه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فاكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم أو وزيادة بشهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما ياتي وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره وأما ما روي ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال النووي وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد هو الفحل لا يقدع انفه وأنكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل أي فانه بعد ان خطب أبو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم اهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد أحببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي معاشر قريش اني قد أنكحت محمد ابن عبد الله خديجة بنت خويلد وأولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح

السماء أمراضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقد روي الامام احمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي عن عمر رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوى كدوى النحل وفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضي الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بان سماعه كدوى النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التي كان عليها حين خطابه بذلك الصوت وجاء في بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بان جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقا أي يسيل عرقا مبالغة فى كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من اعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضي الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفي لفظ كان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة اخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك على قدر لينها * الخامسة ان يرى جبريل فى صورته التي خلقها الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ماير ى فى السماء شئ فيوحى اليه ماشاء الله ان يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما في الارض حين سأله ان يريه نفسه فى الافق وكانت هذه في أوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج

أبوطالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم * اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجد بانهم قد ذبحوا بقرة ولبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافى ذلك ماتقدم من قوله وقد ابتنى بها لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافى كون المزوج له عمه أبوطالب ماتقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع أبي طالب فنسب التزويج اليه أيضا والله أعلم والسبب في ذلك أي في عرض خديجة رضى الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم أيضا مع ما أراد الله تعالى بها من الخير ماذكره ابن اسحق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودى وقال يامعشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبى قرب وجوده فايتكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه النساء أى رمينه بالحصباء وقبحنه واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقع ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بمارآه من الآيات ومارأته هي أى وما قاله لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان ماقاله اليهودى حقا ماذاك الاهذا * وذكر الفاكهى عن أنس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبى طالب فاستاذن أباطالب فى أن يتوجه الى خديجة أي ولعله بعد أن طلبت منه صلى الله عليه وسلم الحضور اليها وذلك قبل أن يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظرى ماتقول له خديجة فخرجت خلفه فلما جاء صلى الله عليه وسلم الي خديجة اخذت بيده فضمتها الي صدرها ونحرها ثم قالت بابى انت وأمي والله مااوفعل هذا لشئ ولكني أرجو ان تكون أنت النبي الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندى مالا أضيعه أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لاجله لا يضيعك أبدا فرجعت نبعة وأخبرت اباطالب بذلك وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على ماهو الصحيح الذى عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرون سنة شهرين وعشرة أيام وقد اشار الى ماتقدم صاحب الهمزية بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء
وأتاها ان الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء
وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الي الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء

أى وعلمته خديجة رضى الله تعالى عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الطاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجيه وطبيعة وأتاها الخبر بان الغمامة والشجر

أظلته

* السادسة ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلي الذي ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة * السابعة ما اوحاه الله اليه بلا واسطة أيضا بل سماع الكلام الازلي لكن لا رؤية كما وقع لموسي عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجيء جبريل عليه السلام فكان يتراءى له ثلاث سنين و يأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن و بعضهم نازع في هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلمه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لا بواسطة ملك و بذلك فارق النفث في الروع وزاد بعضهم عاشرة وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية كما في الحديث الذي فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثانية لان القصد منها التمثل في صورة رجل وان كان الغالب ان يكون بصورة دحية وهذا لا ينافي انه قد ياتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور فانه ذكر فيه انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم في تعديد انواع الوحي حتى أوصلها الى ستة واربعين نوعا والتحقيق انها تعود الي ما ذكر وقد روى ان جبريل ظهر له صلى الله عليه وسلم في اول ما أوحى اليه في أحسن صورة واطيب رائحة وهو باعلى مكة وفي رواية بجبل حراء فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله أي ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره ان يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلي مستقبلا نحو الكعبة وامره ان يصلي معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم الى اهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى اتى خديجة رضي الله عنها فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم اخذ بيدها واتي بها الي العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم امرها

أظلته افياء أي ظلال حالة كون تلك الافياء من الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين هما الغمامة * قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة وأتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الي الخلق قرب الوفاء به منه تعالي لرسوله صلى الله عليه وسلم فبسبب ذلك خطبته الي ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما أحسن قول الاذكياء ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت أربعين سنة قال وقيل خمس وأربعين سنة وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين اه أي وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم برجلين أولهما عتيق بن عائذ أي بالوحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة () وولدت له بنتا اسمها هند وهي أم محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما أبو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هندا أيضا فهو هند بن هند أي وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه زوج أمه وأمي خديجة وأخي القاسم وأختي فاطمة قتل هند هذا مع علي يوم الجمل رضى الله تعالى عنه وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت أبي هالة أولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وستاتى بقية ترجمتها رضى الله عنها في ازواجه صلى الله عليه وسلم

باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالي

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل حتى أتى من فوق الردم الذي صنعوه لمنعه السيل فاخربه أي ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذي أصابها وذلك ان امرأة بجرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول أي تذهبها بالمرة وقيل تبخير المرأة لها كان في زمن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة أذرع من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يكن لها سقف أي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب أي الذي يهدي اليها في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منه أعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سياتي ذلك فاراد شخص في ايام جرهم ان يسرق من ذلك شيا فوقع على رأسه وانهار البئر عليه فهلك * وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه في تلك البئر حتى اخرج منها وانتزع المال منه فليتامل الجمع وقد يقال على بعد جاز أن يكون هذا الرجل تكرر منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية بيضاء

فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام فكانت اول من صلى وفي رواية انها قالت حين شاهدت ذلك اشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك اول فرض الصلاة من حيث هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لاصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال

﴿ ذكر اول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال في المواهب اللدنية اول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضي الله عنها وقامت باعباء الصديقية وكانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله ابدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت ان من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضي الله عنها قال ابن اسحق وآزرته صلى الله عليه وسلم على امره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيا يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يارسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضي الله عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وابدى السهيلي لنفي النصب لطيفة هي انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان اجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل ازالت عنه كل تعب

سوداء الرأس والذنب رأسها كرأس الجدي فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالقاف أي تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فتصير رأسها عند ذنبها فلا يدنو منها أحد الا كشت اي صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت في حياة الحيوان قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها لا من فيها فحرست بئره وخزانة البيت خمسمائة عام لا يقربه أحد أي لا يقرب بئره وخزانته الا أهلكته أي ولعل المراد لو قرب منه أحد أهلكته اذ لو أهلكت احدا اقرب من تلك البئر انتقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق أرادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا ببنيانها أي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا واجتمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة وأعدوا لذلك نفقة أي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس () أي بعد ان قام ابو وهب عمرو بن عائذ فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يامعشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث أي وفي لفظ أنه قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا البيت مهر بغي أي زانية ولا بيع ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة أو ذمة بينكم وبين احد من الناس وأبو وهب هذا خال عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا في قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضي الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة أي كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازارهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء أي ونودي عورتك فقال ازاري ازاري أي شدوا على ازاري فشد عليه وفي رواية سقط فغشي عليه فضمه العباس الى نفسه وساله عن شانه فاخبره انه نودي من السماء أن شد عليك ازارك وهذا يبعد ما جاء في رواية قال له العباس أي بعد ان أمر بستر عورته وسترها يا ابن أخي اجعل ازارك على رأسك فقال ما أصابني ما أصابني الا من التعري وفي رواية بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يامحمد خمر عورتك اي غطها فلم ير عريانا اي مكشوف العورة بعد ذلك اى وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس رضي الله تعالى عنه لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس حينئذ وغايته انه سمي النمرة ازارا له قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك اي الذي تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي طالب لزمزم قبل هذا قال لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهي عن شيء مرة لا يعود

اليه

وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التى بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضى الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضا بانها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جاراها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه مالم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنها وعنهن

وأول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الي الاسلام أبو بكر رضى الله (١٦٩) عنه وكان رضي الله عنه صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الامر كفرسى رهان فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه اشارة الي ان كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا لما بعث صلي الله عليه وسلم كان أشد الناس تصديقا له ابو بكر رضى الله عنه روى الطبراني برجال ثقات ان عليا رضى الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبي صلي الله عليه وسلم الي عبد الله وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بان الله أعتقه من النار

وقيل لانه ليس في نسبه مايعاب به وقيل لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام وكني بابي بكر لابتكاره الخصال الحميدة قال الزرقاني ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفي صلى الله عليه وسلم اوغيره فلما أسلم آزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا بكر رضي الله عنه اول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضي الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا

اليه ثانيا بوجه من الوجوه اه أى وقد عاد الى ذلك * أقول يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان أمره بستر عورته أولا عزيمة بل جواز الترك وفى الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي على ربي ان أحدا لم ير عورتي وتقدم أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصائص الصغرى أنه صلى الله عليه وسلم لم تر عورته قط ولو رآها أحد طمست عيناه لانه لا يلزم من كشف عورته صلي الله عليه وسلم رؤيتها كما لم يلزم من حضانته وتربيته ومجامعة زوجاته ذلك فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت منه صلي الله عليه وسلم والظاهر ان بقية زوجاته كذلك والله أعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر اى خوف من ان يمنعهم الله تعالى ما أرادوا اى بان يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عائذ اي قال وعند ابن اسحق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اى خافوا من انه يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم أتريدون بهدمها الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين قالوا من الذى يعلوها فيهدمها قال انا اعلوها وانا ابدؤكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع اي بالراء والعين المهملتين والضمير فى ترع للكعبة اى لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير اى وفي رواية لم نزغ بالنون والزاى المعجمة اي لم نمل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء هدمناها فقد رضي الله ماصنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه حتي انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم صلي الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اي اسنمة الابل وفي لفظ كالاسنة * قال السهيلي وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنة في الخضرة وكالاسنمة في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى اخضر اخذ بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منهما ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنقضت مكة اى تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدر ماهو حتي قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا يزول اخشباها اى جبلاها وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى ابى قبيس يبارك لاهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام اى محله كتابا آخر مكتوب فيه مكة بلد الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر مكتوب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة اى ما يغبط اى يحسد حسدا محمودا عليه ومن يزرع شرا يحصد ندامة اى ما يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات اجل اى نعم كما يجني من الشوك العنب اى الثمر * اى وفي السيرة الشامية

والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدماصدق الرسلا وقوله والثاني التالي أي الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثاني اثنين اذهما في الغار وقوله التالي أي التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصي بحيث قال صلي الله عليه وسلم ان من أمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندي يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وقال ان اعظم الناس علينا أمنا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بماله قال الشعبي عاتب الله اهل الارض جميعا في هذه الآية أي آية الا تنصروه غير أبي بكر وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء وقوله المحمود مشهده اي الممدوح مكان حضوره من الناس لانه كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا وفي السيرة الحلبية كان أبو بكر رضي الله عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان اعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب وكذا عقيل بن ابي طالب الا أن ابا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعد مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف عقيل فانه كان يعد مساويهم وكان ابو بكر رضي الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فلما اسلم وتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآزره وشد عضده فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضي الله عنه وعنهم وسيأتي ذكر بعض من أسلم بدعائه وكان رضي الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن غيره من الاحبار والرهبان والكهان حتى انه يقال

ان ذلك وجد مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة أسطر الاول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الي آخره وفي الثاني أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه قال ابن المحدث رأيت في مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه أنا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعري تارك الصلاة أرخصها والاقوات فارغة واغليها والاقوات ملأى أي فارغ محلها وملآن محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع من أن يكون ذلك حجرا آخر أو يكون هو ذلك الحجر وما ذكر مكتوب في محل آخر منه أي وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن أبيه انهم وجدوا كتابا باسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه لحرفا لو حدثتكموه لقتلتموني قال وظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى سفينة الي ساحل جدة أي الذي به جدة الآن وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي يرمي به السفن يقال له الشعيبية بضم الشين فلا يخالف قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبية ساحل مكة انكسرت وفي لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التي خرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبية بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها أي كسرها فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الي السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا هدمها من أجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما أرادوا القرب منه أي البيت ليهدموه بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هي ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله طائرا أعظم من النسر فاختطفها وألقاها في الحجون فالتقمتها الارض قيل وهي الدابة التي تكلم الناس يوم القيامة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفي حديث ان موسي عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له من الارض فرأى منظرا هاله وافزعه فقال أي رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا ان يكون الله تعالى قد رضى ما أردنا أي بعد ان اجتمعوا عند المقام وعجوا الي الله تعالى ربنا لن نراع أردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدالك فافعل فسمعوا في السماء صوتا ووجبة واذا بالطائر المذكور أخذها وذهب بها الى اجياد فقالوا وما ذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا أخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة وكان بانيا كما تقدم فانهم جاؤا به معهم الي مكة أو هو باقوم مولي سعيد بن العاص وكان نجارا وتلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت * أقول مع أخذ الطائر لتلك الحية يجوز ان

يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها عند أخذ الطائر لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم أي ثم لما أرادوا بنيانها تجزأتها قريش أي بعد ان أشار عليهم بذلك أبو وهب عمرو بن عائذ فقال لهم إني أرى ان تقسموا أربعة أرباع فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم بني عمرو وكان شق الحجر أي الجانب الذي فيه الحجر الآن لبني عبد الدار ولبني أسد ولبني عدي والذي في كلام المقريزي كان لبني عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر أي وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله أي الجانب الذي فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم وسمي الركن اليماني باليماني لان رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم النجار أي الذي هو مولى سعيد بن العاص * أقول وكان المناسب ان يكون الذي بناها باقوم الرومي الذي كان صحبة السفينة التي كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسيأتي التصريح بذلك وأما باقوم مولى سعيد بن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بناء واشتهر بالوصف الاول فكان الباني لها وفيه يحتمل ان يكون باقوم الرومي البناء كان نجارا أيضا واشتهر بالوصف الاول ثم رأيت في كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم الرومي نجارا بناء فقول القائل وكان الباني لها باقوم النجار مراده باقوم الرومي لا مولى سعيد * ثم رأيت في بعض الروايات ما يؤيد ذلك وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتاخذ خشبها أي السفينة التي كسرت فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت الروايتان على انه موصوفا بالوصفين ويحتمل أن يكون احدهما بناها والآخر عمل سقفها وانهما اشتركا فيها لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رأيت عن ابن اسحق وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم أي الرومي فالقبطي هو مولى سعيد بن العاص وحينئذ ففي هذه الرواية وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا كالرواية التي قبلها وسيأتي في الرواية التي تلي هذه انه الذي بناها وهي في الاصابة اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومي أسلم ثم مات فلم يدع وارثا فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوها مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الي اعلاها وزادوا فيها تسعة أذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض وكان لا يصعد اليها الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد

اول من بادر الي التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر رضي الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له واخبره بان الله ارسله فقال صدقت بابي وأمي أنت واهل الصدق أنت أنا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة أبي بكر رضي الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به ان الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر رضى الله عنه قال ابن اسحق بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت احدا الي الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكم عنه حين ذكرته له أي انه بادر به قال السهيلي وكان من اسباب توفيق الله له انه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بان النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الي الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في اسد الغابة عن ابن مسعود رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه خرج الي اليمن قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال أحسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لي فيك واحدة قلت وما هي قال تكشف لي عن بطنك قلت لا افعل أو تخبرني لم ذاك قال أجد في العلم الصحيح الصادق ان نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة وما عليك ان تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ما خفي علي قال فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال انت هو ورب الكعبة

وانى اوصيك بما هو فى امره قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدي وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك واعطاك فقضيت باليمن اربي ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل انت مني ابياتا الي ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش فقلت نابكم اوظهر فيكم أمر قالوا اعظم الخطب يتيم ابي طالب يزعم انه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على احسن شيء وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت يامحمد قدحت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال لي رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذى افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا ياحبيبى قال الملك المعظم الذى يأتى الانبياء قبلي قلت مد يدك فانا اشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وفى رواية فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورا مني باسلامى ولا أشد سرورا باسلامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزرقاني يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم من انه بلغه امر النبي صلي الله عليه وسلم عند اجتماعه بحكيم بن حزام بان سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق الامر عندها فلقي صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية فاتي النبي صلى الله عليه وسلم واظهر اسلامه بين يديه ولما اسلم اظهر اسلامه للناس ودعا الي الله ورسوله وفى السيرة الحلبية ان أبابكر رضى الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه رضي الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا ياعمر وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم علي الملك لله وخاتم ابو عبيدة الحمد لله وفي المواهب وشرحها روي عن الحسن ان على بن ابى طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال ياأمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الي بيعة ابي بكر رضي الله عنه وانت اسبق سابقة الى الاسلام واوري منه منقبة فقال له علي رضى الله عنه ويلك ان ابابكر رضي الله عنه

فاخرجوا منها الحجر * وفي لفظ أخرجوا من عرضها أذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة * ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد أن ترفعه الي موضعه دون الاخرى حتى اعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي أي تحالفوا على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم اربع أو خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان أبو أمية بن المغيرة واسمه حذيفة أسن قريش كلها يومئذ أي وهو والد أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها وهو أحد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد أي وذكر بعضهم أن ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ومسافر بن أبي عمرو بن أمية وأبو أمية بن المغيرة وهو أشهرهم بذلك وفي كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا أبا أمية بن المغيرة وحده يحتمل ان المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وأبو أمية هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم أي وهو باب بنى شيبة وكان يقال له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذى يقال له الآن باب السلام * وفى لفظ اول من يدخل من باب الصفا أى وهو المقابل لما بين الركنين اليمانى والاسود ففعلوا أي وفي كلام البلاذرى ان الذى أشار على قريش بان يضع الركن أول من يدخل من باب بنى شيبة مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بابى حذيفة كما يكنى بابى أمية ومهشم لقبه وان الراوى عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضى بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما يأتى فكان أول داخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد أي لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يدارى ولا يمارى فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فاتي به أى وفي رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه في الارض أي ويقال انه كساء أبيض من متاع الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب أي بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان في الربع الثانى زمعة وكان في الربع الثالث ابو حذيفة بن المغيرة وكان فى الربع الرابع قيس بن عدى حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم أى ولما مات أبو أمية بن المغيرة رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة ورثاه ابو جيجة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حامد

ومن

ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن أي الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشد به الركن فغضب النجدي وقال واعجبا لقوم أهل شرف وعقول وأموال عمدوا الى رجل أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي أن ابليس تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الركن من يرفعه وصاح يا معشر قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أنسابكم انتهى وانما تصور بصورة نجدي لان في الحديث نجد طلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا فاعاد الاول والثاني قال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان * أقول سيأتي انه تصور بهذه الصورة أيضا عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسيأتي ثم في حكمة تصوره بذلك غير ما ذكر ولا مانع ان يكون حكمة لما هنا ولما يأتي واعادوا الصور التي كانت في حيطانها الا انه كان في حيطانها صور الانبياء بانواع الاصباغ ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام أي واسمعيل وفي يده الازلام وصورة الملائكة وصورة مريم كما سيأتي في فتح مكة وكساها زعماؤهم أرديتهم وكانت من الوصائل ولم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة أي من بناء الكعبة بناء على ان اول من بناها الملائكة * ففي بعض الآثار ان الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق السموات والارض كان عرشه على الماء أي العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن فلما أراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك الماء فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك الماء عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ ارسل على الماء ريحا هفافة فصفق الريح الماء أي ضرب بعضه بعضا فابرز عنه خشفة الحديث وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي اصل الارض وسرتها وقد يخالفه ما في أنس الجليل كذا روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وأرفع الارضين كلها الى السماء بيت المقدس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومعاذ بن جبل انه اقرب الى السماء باثني عشر ميلا ثم بين ذلك في أنس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال فكان أول جبل وضع عليها أبو قبيس وحينئذ كان ينبغي أن يسمي ابا الجبال وان يكون افضلها مع ان افضلها كما قال الجلال السيوطي استنباطا احد لقوله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه ولما ورد انه

سبقني الى أربع لم أوتهن ولم أعتض منهن بشيء سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرني قريش وتستوفيه والله لو أن ابا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين العبرين أي الجانبين ولكان الناس كرعة كرعة طالوت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وقوله سبقني الي افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام على رضي الله عنه وان أبا بكر رضي الله عنه انما سبقه الى (١٧٣) الافشاء والتحقيق ان كلا من ابي بكر وعلي رضي الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلى رضى الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته فيحتمل انه اسلم مع اسلام خديجة رضى الله عنها ويحتمل انه قارن اسلامه اسلام ابي بكر رضي الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضي الله عنه فانه كان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين في الاسلام وكذا بلال رضي الله عنه كان من السابقين في الاسلام ففي بعض الاحاديث ان اول الناس اسلاما خديجة رضي الله عنها وفي بعضها أبو بكر رضي الله عنه وفي بعضها علي رضي الله عنه وفي بعضها زيد بن حارثة رضي الله عنه وفي بعضها بلال رضي الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع ان لا يطلق القول في تعيين اول المسلمين بل يقال أول من اسلم من الرجال البالغين الاحرار أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبري الاولي التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من اسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين واول ذكر أسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم كان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر وأول من اسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي وروى ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابا بكر رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة فسمع أبو بكر رضي الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال

من هذا الذي تحت الشجرة فاجابوه بانه محمد بن عبد الله فقال هذا نبي الخ ماتقدم فوقع في قلب ابي بكر اليقين حينئذ وفي رواية لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ماوقر وثبت في قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلاينافي انه اول المسلمين او ثانيهم او ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبي في السيرة و بنات النبي صلى الله عليه وسلم كن موجودات عند البعثة فيبعد تاخر ايمانهن فهن من أول الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاء بذلك ولايمان أمهن ولذلك قال الحافظ بن كثير ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل احد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعلي رضي الله عنهم * وأما فاطمة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة اسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان ابو العاص زوج زينب عظيما في قريش فكلمته قريش في فراقها على ان يتزوج من احب نسائهم فابي ولا يشكل تزويجه بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدي ابي لهب مع صيانة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدي ابي لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوجتا بعثمان رضي الله عنه ولقد واحدة بعد واحدة واما ابو العاص فاسلم وهاجر وبقيت زينب رضي الله عنها عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت أحدا الا راجعني في الكلام وأبي على الا ابن ابي قحافة فاني لم اكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان اسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر أتاني جبريل فقال ان الله امرك ان تستشير ابابكر ونزل فيه وفي عمر رضي الله عنهما وشاورهم في الامر فكان ابو بكر رضي الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء ان الله ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء

على باب من ابواب الجنة قال ولانه من جملة أرض المدينة التي هي أفضل البقاع أي عنده تبعا للجمع ولانه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ اذ تصعدون ولا تلوون على أحد أي بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها سبع ارضين وقد جاء بدأ الله خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوقف في قول مغلطاي ان لفظة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير مدحوة ثم بعد خلق السماء دحى الارض ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال له ياامام اختلف علي من القرآن آيات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الاخرى أم السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض وأما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلق السماء قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتامل وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن ان يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه أي وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتامل ولما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السماء ماحاذاها الذي هو محل البيت المعمور * وعن كعب الاحبار رضي الله عنه لما أراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة لها شعاع عظيم * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما أجاب من الارض الا تلك الطينة اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله عنه أتعرف يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يارسول الله سألتني عن يوم المقادير يعني يوم ألست بربكم

جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبى بكر وعمر وفى حديث صحيح ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده فى الصحابة وجعله أول من اسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام و بعضهم جعله من أهل الفترة * واما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسيأتى ذكر اسلامه في باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتى ايضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الثانية فى السنة السادسة من المبعث * واما عثمان بن عفان رضى الله عنه فيأتى ذكر اسلامه قريبا في عداد من أسلم بدعاية أبى بكر رضي الله عنه * واما حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فسيأتى ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لان بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضي الله عنه وسيأتى ايضا ان اسلامه كان في السنة الثانية من النبوة وقيل في السادسة * ثم اسلم على بن ابى طالب رضي الله عنه وكرم وجهه وتقدم ان بعضهم جعل اسلامه اسبق من اسلام ابي بكر رضى الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بانه اول من اسلم من الصبيان وان ابا بكر اول من اسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول الناس ورودا على الحوض اولها اسلاما على بن ابي طالب رضى الله عنه ولما زوجه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لاول أصحابى اسلاما وأكثرهم علما واعظمهم حلما وكان حين اسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ انت واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لي عقيلا وطالبا فاصنعا ماشئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه

ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ على الخواص نفعنا الله تعالى ببركاته لم تتكلم الانبياء بلسان الباطن الذى تكلم به الصوفية فاجاب بانه انما لم تتكلم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الافهم العامة دون فهم الخاصة الابعض تلويحات ومنه قوله صلي الله عليه وسلم للصديق رضي الله تعالى عنه أتعرف يوم يوم فقال نعم يارسول الله الحديث وتلك الطينة لما تموج الماء رمى بها من مكة الى محل تربته صلي الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضي كون اصل طينته صلي الله عليه وسلم بمكة أن يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون فى محل دفنه ثم عجنها بطينة آدم ولعل هذه الطينة هى المعبر عنها بالنور وفى قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر يارسول الله اخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره ولم يكن فى ذلك الوقت لاسماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث * وجاء اول ماخلق الله نورى وفي رواية أول ماخلق الله العقل قال الشيخ على الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعني بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لايناسبه قوله ولم يكن فى ذلك الوقت لاسماء ولا ارض اذ كيف ياتى ذلك مع قول كعب الاحبار أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هي قلب الارض الى آخره ومع قول ابن عباس أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا أن يقال ان ذلك النور بعد ايجاده أودع تلك الطينة التي هى قلب الارض وسرتها وحينئذ لايخالف ذلك ماجاء ان الله خلق آدم من طين العزة من نور محمد صلي الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا وقد جاء في حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة وجاء خلق الله آدم من تربة دجنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودجنا محل قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الي بيان وجه كون آدم خلق من نوره وجعل نوره فى ظهر آدم ولما خلق الله آدم وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور من ظهره وأخذ عليه العهد ألست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بني آدم فان بني آدم ما أخرجوا من ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح في آدم ونقل بعضهم ان الله تعالي لما اخرج الذر وأعاده في صلب آدم أمسك روح عيسى الى أن أتى وقت خلقه ولايخفى ان هذا يفيد ان أخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح في آدم واخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ

اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسمية علي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد ام علي رضي الله عنها انها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدى احد فدعونا له محمدا فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ماشاء الله تعالى وعنها رضي الله عنها انها أرادت في الجاهلية ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي رضي الله عنه فتقوس

في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي رضي الله عنه أصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك فكل واحد اكبر من الذي بعده بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضي الله عنه أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت اعلم من حب عمي اياك * وسبب اسلام علي رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سواء فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لاشريك له والي عبادته والي الكفر باللات والعزي فقال علي رضي الله عنه هذا أمر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له ياعلي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه الاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم على يديه وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضي الله عنها وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي لان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضي الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان علي رضي الله عنه يخفي اسلامه خوفا من أبيه الى ان اطلع عليه وامره بالثبات عليه فاظهره حينئذ وفي اسد الغابة

فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله عليه وسلم أتعرف يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله أي حين أخذ العهد على بني آدم لاحين أخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر فليتامل ثم لما نفخت الروح في آدم صار ذلك النور في ظهر آدم فصارت الملائكة تقف صفوفا خلف آدم يتعجبون من ظهور ذلك النور فقال آدم يارب مابال هؤلاء ينظرون الي ظهري قال ينظرون الي نور محمد خاتم الانبياء الذي أخرجه من ظهرك فسال الله تعالى ان يجعله في مقدمه لتستقبله الملائكة فجعله الله في جبهته ثم سال الله تعالى أن يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما أهبط آدم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الى سبابته قال يارب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء قال نعم نور اخصاء اصحابه فقال يارب احمله في بقية أصابعي فكان نور ابي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام فلما أكل من الشجرة عاد ذلك النور الي ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من آدم الى ولده شيث ولما قال تعالي للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين أفسدوا فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة أي علمت ان ماقالوا ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من فوقهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة أطواف يسترضون ربهم فرضي عليهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم أي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار بدليل ماقيل وضع الله تحت العرش البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت أي لارضي عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره أي ففعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال تعالي للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله تعالي عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم ان يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل ارض بيتا قال مجاهد هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور في السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة في الارض واسم البيت الذي في السماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سماء بيت تعمره الملائكة بالعبادة كما يعمر أهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف في كل اوان ولينظر مامعني بناء الملائكة للبيوت في السموات واذا لم يصح ان الملائكة

لابن الاثير ان أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فاسلم جعفر رضى الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام أخيه على رضي الله عنه بقليل وكان اسلام على رضى الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي وجعفر الذى يضحى ويمشي * يطير مع الملائكة ابن أمي
و بنت محمد سكني وعرسي * مشوب لحمها بدمي ولحمي وسبطا احمد ابناى منها (١٧٧) * فمن منكم له سهم كسهمي

بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هي المرة الثالثة بناء على ان اول من بناها آدم صلى الله عليه وسلم أي أو ولده شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثرين الدالين على ان اول من بناها الملائكة لم يصح واحد منها وكانت قبل ذلك أي وكان محلها قبل بناء آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء نزلت لآدم من الجنة أي لها بابان باب من زمرد أخضر شرقي وباب غربي من ذهب منظومان من در الجنة فكان آدم يطوف بها و يانس اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا أربعين حجة ويجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمراء قال وذكر ان آدم لما اهبط الي الارض كان رجلاه بها و رأسه في السماء وفى لفظ كان رأسه يمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع أى بعض ولده فسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستانس بذلك فهابته الملائكة أى صارت تنفر منه وشكا الي الله تعالي فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع آدم فلما فقد أصوات الملائكة حزن وشكا الى الله تعالى فقال يا آدم اني قد اهبطت بيتا يطاف به أى تطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشي و يصلى عنده كما يصلي عند عرشي اى كان ذلك أى الطواف بالعرش والصلاة عنده شان الملائكة اولا فلا ينافى ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه أى طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التى انزلت لاجله وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وقيل اهبط آدم وطوله ستون ذراعا أى على الصفة التي خلق عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالي آدم على صورته وطوله ستون ذراعا أي اوجده الله تعالى على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل فى النشاة احوالا بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير في صورته يرجع لآدم وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالي المراد على صفته أى حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فخرج على سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضربه على وجهه فان الله تعالى خلق آدم على صورته أي صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله اوجده وهذا القيل المتقدم من انه اهبط آدم وطوله ستون ذراعا يوافقه ما جاء في الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا فى سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر انما روى ان آدم لما أهبط كانت رجلاه في الارض ورأسه فى السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا أى الذى تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق في ابتداء الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان آدم أمرد وفى الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون على صوره آدم وقد جاء فى صفة اهل الجنة جرد مرد على صورة آدم * وفي بعض الاخبار ان آدم لما كثر بكاؤه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح

سبقتكم الي الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقي هذا الشعر مما يجب على كل متوان في على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام وزعم المازنى وصوبه الزمخشرى ان عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا ورلك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم بذات ودقين لا يعفو لها اثر

ذكره فى القاموس قال الزرقانى وهو مردود بما في مسلم فى غزوة خيبر من قول على رضي الله عنه مجيبا لمرحب اليهود

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوى

 عن أم سلمة رضي الله عنها انها قالت قال على رضي الله عنه لا يستوي من يعمر المساجد يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يري عن التراب حائدا ولم يتقدم من على رضي الله عنه شرك ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد اولاده تبعه في جميع أموره وفي الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن ابي طالب وآسية امرأة فرعون وفى حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان ابابكر رضي الله عنه كذلك ولما علم

ا وطالب باسلام علي رضي الله عنه وصلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه أي بني ماهذا الذي أنت عليه فقال يا ابت آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ماجاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم ان مايقوله ابن أخي لحق ولولا اني أخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الي شعاب مكة وخرج معه علي بن ابي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان

أباطالب عثر اي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ماهذا الذي اراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الي العباد وأنت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الي الهدى وأحق من اجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال له ابو طالب اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وماكانوا عليه وفي رواية انه قال له ماهذا الذي تقول من باس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا ينبغي ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروي عن علي رضي الله عنه انه ضحك يوما وهو على المنبر وسئل عن ذلك فقال تذكرت ابا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداه والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا الفعل الذي اري فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله ابدا لاني لا أحب ان تعلوني استي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على ابي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه افردت بالتاليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل * ثم أسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لان عمته خديجة رضي الله عنها أمرته ان يبتاع لها

ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بارض الهند بجبل عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدمي آدم وذروة هذا الجبل أقرب ذرا جبال الارض الى السماء ولعل هذا وجه النظر الذي أبداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان أصل الطيب بالهند وعن عطاء بن أبي رباح ان آدم هبط بارض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب الناس بها وجاء انه نزل بنخلة العجوة ثم لما أمر آدم بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها ومد له في خطوه قيل كان خطوته مسيرة ثلاثة أيام فقد قيل لمجاهد هل كان آدم يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وفيه ان هذا يقتضي ان آدم لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبياء كانت تركبه مراده مجموعهم لاجميعهم وقبض الله تعالى له ما كان في الارض من مخاض أو بحر فلم يكن يضع قدمه في شيء من الارض الا صار عمرانا وصار بين كل خطوة مفازه حتى انتهى الي مكة فاذا خيمة في موضع الكعبة اى الموضع الذي به الكعبة الآن وتلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة أي ولها اربعة أركان بيض وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها مابين السماء والارض كذا في بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لاينافي ماتقدم انه يجوز أن تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف بانه ياقوتة حمراء لان سقفه كان ياقوتة حمراء لان التعدد بعيد فليتامل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من أرض الجنة وكان كرسيا لآدم يجلس عليه أي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة * أقول وهذا السياق يدل على ان آدم اهبط من الجنة الى ارض الهند ابتداء ويذكر في مثير الغرام عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى أهبط آدم الي موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا آدم تخط فتخطي فاذا هو بارض الهند فمكث هنالك ماشاء الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطي فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور أيضا يدل على ان الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج آدم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه مافي مثير الغرام وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلالأ كانه لؤلؤة بيضاء فاخذه آدم فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه * وفي رواية عنه أنزل الركن والمقام مع آدم ليلة نزل آدم من الجنة فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وأنس بهما فليتامل الجمع * وفي رواية ان آدم نزل بتلك الياقوتة أي فعن كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف

حول

حول عرشي ويصلي حوله كما يصلي حول عرشي أي على ما تقدم ونزل معه الملائكة ورفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت أي تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال في الجمع يجوز ان تكون المعية ليست حقيقية والمراد انه نزل عقبه قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافي ما تقدم من قوله يا آدم اني قد أهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجاء ان آدم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متأبطه أي تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوأه ما استطاع أحد أن ينظر اليه وكون آدم نزل بالحجر الاسود متأبطه يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التي هي الياقوتة بعد نزوله وحينئذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وأيضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روى عن وهب بن منبه رحمه الله ان آدم لما أمره الله تعالى بالخروج من الجنة أخذ جوهرة من الجنة أي التي هي الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت أمره جبريل عليه الصلاة والسلام ان يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل وفي بهجة الانوار ان الحجر الاسود كان في الابتداء ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى آدم أباح له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على آدم ان لا يأكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى ان آدم يأكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك الملك بالهيبة فصار جوهرا ألا ترى انه جاء في الاحاديث الحجر الاسود يأتي يوم القيامة وله يد ولسان وأذن وعين لانه كان في الابتداء ملكا * أقول ورأيت في ترجمة كلام الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما جاور بمكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان ووجه ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جاء أكثروا من استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذ أصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيئا من الجنة في الارض الا أعاده فيها قبل يوم القيامة أي فقد جاء ليس في الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وجاء استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة والله أعلم * وجاء ان آدم أتى ذلك أي تلك الخيمة أي التي هي البيت المعمور على ما تقدم ألف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثمائة حجة وسبعمائة عمرة وأول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا آدم بر نسكك أما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين ألف سنة وفي رواية لما حج آدم استقبلته الملائكة بالردم أي ردم بني جمح الذي هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألف عام * أقول وفي تاريخ مكة للازرقي ان آدم عليه السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته

غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من أخواله طيء قال السهيلي ان أمه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بار بستمائة درهم ويقال بسبعمائة درهم فلما رآته خديجة رضي الله عنها أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أي اشتراه لها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لاعتقته قالت هو لك فاعتقه قال أبو عبيدة لم يكن اسمه زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصي ثم انه خرج بابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربي أنت أم عجمي قال عربي قال ممن أهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبدود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال في أخوالي قال من أخوالك قال طيء قال ما اسم أمك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفي رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فاعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه قال الحلبي وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لما قدم أبوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن

عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وماذاك قالوا زيد بن حارثة قال اوغير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على الذي اختارني فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال أتعرف هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولم يذكر اخاه لاستصغاره ولان الخطاب كان معهما وفي رواية ذكرها السهيلي ان زيدا لما جاء قال صلي الله عليه وسلم من هذان قال هذا ابي حارثة بن شرحبيل وهذا عمي كعب بن شرحبيل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا من علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني او اخترهما فقال زيد ما أنا بالذي اختار عليك أحدا أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذي اختار عليه أحدا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى اخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت انفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين تبناه النبي صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك تطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث * وفي أسد الغابة ان حارثة اسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذري ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو رضي الله عنه في قوله تعالى فلما قضي زيد منها وطرا قال ابن الجوزي الامام وروى في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أبدي السهيلي حكمة لذكر

بالمأزمين فقالوا برحجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام والمأزمان موضع بين عرفة والمزدلفة قال الطبري ودون مني أيضا مأزمان والله أعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجاء انه وجد الملائكة بذي طوى وقالوا له يا آدم ما زلنا نتنظرك ههنا منذ ألفي سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمأزمين وكونه وجدهم بذي طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بالف عام وكونهم حجوا قبله بالفي عام وبخمسين ألف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم خلقوا جيلا بعد جيل * ومما يدل على انهم جيلا بعد جيل ما جاء من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها الى يوم القيامة وما جاء ان جبريل في كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن في سفر السعادة الحديث المنسوب الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله تعالى جبريل كل غداة ان يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شيء ولم يثبت في هذا المعنى حديث هذا لفظه والله أعلم وعند ذلك قال آدم للملائكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله اكبر قال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان آدم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار أي ولما فرغ من الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم أتى الملتزم أي محله فقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي الحديث * أقول قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لآدم قد أهبطت بيتا الى آخر ما تقدم أو كونها أهبطت مع آدم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو الخيمة قبل ان تنزل ويجوز أن يكون المراد تلك الخيمة أو نفس تلك الخيمة بناء على أنها البيت المعمور وان الملائكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض كما تقدم قال وعن وهب ابن منبه قرأت في كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض الا أمره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد * أقول يجوز ان يكون المراد باحرامه نية الطواف بالبيت لا احرامه بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى آخره ويجوز ان يكون المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك الخيمة ما يعم من وجد من الملائكة ومن بعث بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثاني يكون فيه دلالة على ان الحجر الاسود كان في تلك الخيمة يبتدأ الطواف بها منه وجاء عن عطاء وسعيد ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل أوحى الى آدم ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا ثم احفف به كما

رأيت

رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء * وفي رواية وطف به واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي اي على ما تقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هبوط آدم كان من الجنة الى موضع الكعبة ابتداء والله أعلم قال وجاء أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى الي آدم وحواء فقال لهما ابنيا أي قال لهما ان الله تعالى يقول لكما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتي اجابه الماء ونودي من تحته حسبك يا آدم * وفي رواية حتي اداه الى الارض السابعة فقذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا اه وفيه انه كان أمر آدم ببناء البيت بعد مجيئه الي تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهر ما تقدم عن عطاء وسعيد بن المسيب أوحى الله تعالى الى آدم ان اهبط الي الارض ابن لي بيتا اذ ظاهره انه أوحي اليه بذلك وهو في الجنة الا ان يقال المراد بالارض في قوله اهبط الي الارض أرض الحرم أي اذهب الى ارض الحرم ابن لي بيتا ثم لا يخفى ان قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضي أن القاء الملائكة للصخر كان بعد حفر آدم وهو لا يخالف ما تقدم عن كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال يا آدم هذا بيتي أنزلته معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القاء الملائكة للصخر بعد حفر آدم فلما تم ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق تلك الصخور ويكون المراد بقوله ونزل معه الملائكة أي صحبوه من ارض الهند الي أرض الحرم * وجاء في بعض الروايات ان آدم وحواء لما أسساه نزل البيت من السماء من ذهب احمر وكل به من الملائكة سبعون ألف ملك فوضعوه على أس آدم ونزل الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به آدم أي كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات وحينئذ لا مانع ان ينسب بناء هذا الاساس الذي وضعت الملائكة عليه تلك الخيمة لآدم وان ينسب للملائكة أما نسبته للملائكة فواضح وأما نسبته لآدم فلانه السبب فيه اولانه كان اذا ألقت الملائكة الصخر يضع آدم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك الاس للملائكة ولآدم يحتمل القول بان اول من بني الكعبة الملائكة والقول بان اول من بنى الكعبة آدم فليتامل وقد جاء ان آدم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا * وفي كلام بعضهم انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه موسى عليه الصلاة والسلام ومن الجودي وهو جبل بالجزيرة ومن حرا حتى استوى على وجه الارض * أقول وفي رواية بناه من ستة اجبل من ابي قبيس ومن رضوى ومن احد فالمتحصل من الروايتين انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذي هو الخيمة الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله تعالى سبعين ألف ملك فرفعوه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور كما في الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الماء النجس وبقيت قواعده التي هي الأس وفي العرائس ثم طافت

زيد باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم رضي الله عنها ولزيد اخ اسمه جبلة أسلم رضي الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت ام زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله أي لان زيدا أفضل منه لسبقه الى الاسلام * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة رضي الله عنها * ومن السابقات الى الاسلام اسماء بنت ابي بكر

وأم جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغي ان تكون سابقة على أم الفضل

﴿ بيان من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه ﴾

لما أسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الى الله فاسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان رضي الله عنه أخبرتني خالتي سعدي بنت كريز الصحابية العبشمية رضي الله عنها ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحثني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق رضي الله عنه فجئته فاصبته وحده وصرت متفكرا وسالني عن تفكري فاخبرته بما سمعت من خالتي فحثني ابو بكر رضي الله عنه ورغبني في الاسلام قال فما كان باسرع من ان مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه يحمل له ثوبا فقام ابو بكر رضي الله عنه فسار النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ثم اقبل علي فقال اجب الله تعالى الى جنته واني رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته ان قلت أشهد ان لا إله الا الله وأنك رسول الله ثم لم ألبث ان زوجني رقية رضي الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضي الله عنه كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل قال رضي الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فاخبرتني ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث ان تزوجت رقية اي بعد أن فارقها عتبة قبل ان يدخل بها كما يأتي

ثم بعد أن توفيت تزوج باختها أم كلثوم ولذا لقب بذي النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره رضي الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة في الوتر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك ابدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل كان عمه يعذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضي الله عنه ليرجع (١٨٢) عن الاسلام ولا مانع من تعداد ذلك * وممن اسلم بدعاية أبي بكر رضي الله

الزبير بن العوام بن خويلد ابن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن ثمان سنين او ثماني عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر ابدا * واسلم بدعايه أبي بكر رضي الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية ابن خلف صديقا لي فقال لي يوما أرغبت عن اسم سماك به ابواك فقلت نعم فقال أنا لا اعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك * وسبب اسلام عبد الرحمن ابن عوف الزهري المذكور رضي الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان ابن عواكن الحميري فكان

يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ هل ذكر هل خالف احد منكم عليكم في دينكم فأقول لا حتى كانت رواية السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لي بذلك قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها في اخبار الكهان التي ليست على السنة الجان وفي آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته واما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها حليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته واسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني

السفينة باهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور أي وكون حواء أسست البيت مع آدم يخالف ما جاء ان حواء اهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة آدم والى شيء من مكة لاجل خطيئتها وانها أرادت ان تدخل مع آدم الى مكة فقال لها اليك عني فقد خرجت من الجنة بسببك وبسبب ان احرم هذا وكان آدم اذا اراد ان يلقاها ليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله اهبط آدم على جبل سرنديب بالهند أي وتقدم ما فيه وحواء بجدة بالخاء المهملة وقيل بالجيم فجاء آدم في طلبها فتعارفا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع وزلفت اليه في المحل الذي قيل له بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الان يقال كل من المحلين من جملة البقعة واطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة وقيل سمي المحل عرفة لان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام المناسك وانتهى الى عرفة وقال له أعرفت مناسكك قال نعم فسمي عرفه أي والمراد مناسكه التي قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتامل * وفي الخصائص الصغرى عن رزين انه روي ان آدم عليه السلام قال ان الله أعطى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتي بمكة واحدهم يتوب في كل مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكر ان حواء عاشت بعد آدم سنة وجاء ان آدم لما فرغ من بناء البيت أمره الله تعالى بالمسير الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينئذ لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اى مسجد وضع في الارض اولا المسجد الحرام قيل ثم اى قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينئذ لاحاجة لجواب الامام البلقيني ان المراد ان المدة المذكورة بين ارضيهما في الدحو أي دحيت ارض المسجد الحرام ثم بعد مضي مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقيني انما اجاب بذلك بناء على ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الباني للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا الاشكال ان كان الباني للمسجد الحرام آدم والباني لمسجد بيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان سليمان انما كان مجدد البناء بيت المقدس وأما المؤسس له فسيدنا يعقوب بن اسحق بعد بناء جده ابراهيم للمسجد الحرام بالمدة المذكوره واما على ان الباني لهما آدم فلا اشكال وفي رواية ان اول من بنى الكعبه اى كانها بعد ان رفعت تلك الخيمه بعد موت آدم شيث ولد آدم بناها بالطين والحجاره اى فهي اولية اضافية ثم لما جاء الطوفان انهدم وبقي محله وقيل انه استمر ولم يبنه احد الى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام * وفي

حقا وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنت أمين في أهل الارض أمين في أهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار * وممن أسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه ايضا سعد بن ابي وقاص الزهري احد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه لقيه ابو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الاسلام ورغبه فيه وحثه عليه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن أمره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي انه

عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت ألست تزعم ان الله امرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال نعم فقالت والله لا أكل طعاما ولا اشرب شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس اساف ونائلة وكانوا يفتحون فاها اعني أم سعد في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فابى ان يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت ديني لشيء فكلي ان شئت اولا تاكلي فلما رأت ذلك اكلت وفي الانساب للبلاذري عن سعد رضي الله عنه قال أخبرت أمي اني كنت اصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على باب تصيح ألا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي او عشيرته فاحبسه واطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا اقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى ان عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على

رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أراد بناء الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن أس ثابت على الارض السابعة ثم بنا هنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس وقال له القواعد أي كما تقدم وهذا الاس كما علمت لآدم والملائكة أولها وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقصه ومما يدل للقيل المذكور ما جاء في بعض الروايات عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت اى بسبب الطوفان بدليل ما جاء في رواية اندرس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمراء وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعا عنده أحد الا استجيب له وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يحجه هود ولا صالح عليهما الصلاة والسلام لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجاء ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجاء ان حول الكعبة لقبور ثلثمائة نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من الانبياء اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم وأتى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وجاء ما بين الركن اليماني والحجر الاسود روضة من رياض الجنة وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل في تلك البقعة * أقول ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسمعيل دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لكن جاء ان قبر اسمعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة الخضراء التي بالحجر قبر اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت فحمل بهما ودفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف كونهما لم يحجا أي ويدل له انه قد جاء حجة هود وصالح ومن آمن معهما * وفي بعض الروايات لم يحجه بين نوح وابراهيم احد من الانبياء ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه الى آخره على تقدير صحتها وقد يقال لا يحتاج الى الجمع الا ان يثبت ان بين نوح وابراهيم أحدا من الانبياء كذبه قومه على انه لم يكن بين نوح وابراهيم أحد من الانبياء كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول انهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجاء في حديث رواته مدركون ان نوحا حجت به السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به أي بالحرم كما تقدم أن السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفي أنس الخليل ورد حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس أسبوعا واستوت على الجودي اى وجاء ان نوحا قال لاهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول بيته لا يمس احد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا وبين ذكران ولده حام تعدى ووطئ زوجته فدعا عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله دعاءه في اولاده فجاء ولده اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضائل

أمي وعلى أخي عامر فقلت ماشان الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا الا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صباته فقلت لها والله ياأمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تبوئي مقعدك من النار * وممن اسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا طلحة بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الي الله تعالى ورغبه في الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الي النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وله قصة كانت هي السبب الاول في اسلامه رضي الله عنه قال حضرت

سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل ثم من اهل الحرم أحد فقلت نعم أنا فقال هل ظهر أحمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ماقال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر به فاسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعي أسد قريش فشدهما في حبل يريد ان يفتننا ويرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي فالاول أحد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابدا فانه قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزوجن عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ

الحبوش والله اعلم بقبر آدم وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس أي بعد نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جاء ان الله سبحانه وتعالى أوحي الي ابراهيم ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم أي رب أين ابنيه فاوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة أي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان أي وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به أي وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت في التابوت الذي هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وعن علي رضي الله تعالى عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان ورأس في صورة حية فكشف لابراهيم واسمعيل صلى الله عليهما وسلم ماحول البيت من أساس البيت الاول * وفي رواية ارسل الله سحابة فيها رأس فقال الرأس يا ابراهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الرأس له قد فعلت قال نعم فارتفعت وليتامل الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ماتقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز عن أس الى آخره وجاء ان السكينة جعلت تسير ود ليله الصرد وهو الطائر المعروف أي وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها الا ان له صفير اختلفا يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه الي القرب منه فاذا اقترب منه قصمه من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه ورد انه أول طائر صام عاشوراء فعن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يدي صرد فقال هذا أول طير صام عاشوراء لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد بن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذي ادعي النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوى أمره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض اصحابه ممن أسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يامذنبين * وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع أن يكون ذلك صياحهما وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول لا من لا يرحم لا يرحم ويجمع بينه وبين ماتقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله يامذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله ياغافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس أنس * وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه ليس من

الطيور

الطيور انصح لبني آدم واشفق عليهم من البومة تقول اذا وقفت عند خربة أين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد تزودوا ياغافلون وتهيئوا لسفركم * وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا طيرا أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرى مايقول فقلت الله ورسوله اعلم فقال انه يقول اللهم انت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جراءة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام اتدرى مايقول قلت لاقال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد أذكر يانبي الله وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان صلوات الله وسلامه عليه ذلك ارتعد فرقا وعفا عنه أي فان الهدهد كان دليلا له على الماء فان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فلما فقد سليمان الماء تفقد الهدهد فلم يجده فارسل خلفه العقاب فرآه مقبلا من جهة اليمن فلما رآه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من اقدرك على الامارحمتني قيل لابن عباس ياسبحان الله الهدهد يري الماء تحت الارض ولايرى الفخ فقال اذا وقع القضاء عمي البصر قيل عني سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بالعذاب الشديد الذى يعذب به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل الزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل أضيق السجون عشرة الاضداد وقيل الزوجة العجوز قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر عن اصواتها بالمنطق لما يتخيل منها من المعاني التى تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه مهما سمع من صوت طائر علم بقوته القدسية الغرض الذى اراده ذلك الطائر وهذا في طائر لم يفصح بالعبارة والافقد يسمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لى انى دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم ارها فاذا هي تقول لى مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان عليه السلام يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان عليه السلام سمع النملة وقد أحست بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون فعند ذلك أمر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت اماسمعت قولى وهم لايشعرون على اني لم أرد حطم النفوس اى اهلاكها انما أردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي فيفتتن فقد جاء مرفوعا آجال البهائم كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضي تسبيحها قبض الله ارواحها وروي مامن صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفى رواية

السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة أحد العشرة أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه نقله عن الحلبي في السيرة والحاصل انه اسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس في

الاسلام ارسالا من الرجال والنساء * ومن السابقين الى الاسلام سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس رضي الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما واما عائشة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحرث ابن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم اسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله والارقم ابن أبي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الارقم * ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلي رضى الله عنه وسبب اسلامه ماحدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضى الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص وهي التي لاضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى ابا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما

كان والي دلك أشار السبكي في تائيته بقوله   ورب عناق مانزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت   فلمارأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يارسول الله علمني فمسح رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه ولدلك كان كثير الولوح عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة ايضا بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتي مارضى لها ابن ام عبد وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد

* ومن السابقين الى الاسلام ابو ذر الغفارى رضي الله عنه واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ماحدث به قال صليت قبل أن ألقي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث يوجهني ربى وبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخى أنيس انطلق الى هذا الرجل وكلمه وأتنى بخبره فلما رجع أنيس قلت له ماعندك قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهي عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يامر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى اذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى اقبلت واتيت مكة فجعلت لااعرفه واكره ان اسال عنه فمكثت فى المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وماوجدت على سخفة جوع والسخفة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع فبي ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما تمت صلاته أتيته فقلت السلام عليك يارسول الله اشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى من طعام

ان امه قالت له اما خشيت ان تنظر الى ماأنعم الله به عليك فتكفر نعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في فص خاتمك قال لا قالت أعلمك ان الدنيا لا تساوى قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تغتذى بشم الطعام لانها لا جوف لها يكون به الطعام ويذكر أن هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان أهدت له بقة ووضعتها فى كفه ويحكى عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي حاوى الحلال السيوطى قال الثعالبى في زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنؤنه الا النملة واحدة فجاءت تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت كيف أهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا أحب عبدا زوي عنه الدنيا وحبب اليه الآخرة وقد شغل سليمان بامر لا يدرى ماعاقبته فهو بالتعزيه أولى من التهنئة وجاءه في بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من البقاء فى سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب في البحر قال وصار ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت فصارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلي فابن عليه أي وفي لفظ لما أمر ابراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا فارسل اليه السكينة وهى ريح خجوج ملتوية فى هبوبها لها رأس الحديث وحفر ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فابرزأى الحفر عن أس ثابت فى الارض فبني ابراهيم واسمعيل يناول الحجارة أى التي تاتى بها الملائكة كماسياتي حتى ارتفع البناء اه * أقول يحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أوحى الله اليه بذلك كان في مكة عند اسمعيل وانهما كانا بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا غيرها ثم جاء وقد قيل في قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله الآية أى قائما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى في أرضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله أعلم قال ثم لما ارتفع البناء جاء بالمقام أى وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبنى وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وصار كلما ارتفع البناء ارتفع به المقام في الهواء فاثر قدم ابراهيم في ذلك الحجر وقيل انما أثر فى صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجة اسمعيل له رأسه لان سارة كانت أخذت عليه عهدا حين استاذنها في الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر وحلف لها انه لا ينزل عن دابته أى التي هى البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة ألين الله تعالى فيها أثر قدمه آية وفيه كيف يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود فى المقام أثر قدم لا قدميه ووقوفه عليه في حال البناء يدل على ان الموجود فيه أثر قدميه فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة أذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا اى منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها

ولم

الاماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على بطني شحنة جوع قال مبارك انها طعام طم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفي شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهي همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان اباذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تاخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ما أظلت الخضراء أي السماء والا اقلت الغبراء أى الارض أصدق من ابى ذر رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أبو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى ابن مريم عليه السلام وفي الحديث أبو ذر زاهد أمتي واصدقها وقد هاجر أبو ذر رضى الله عنه الى الشام بعد وفاة ابى بكر رضى الله عنه واستمر بها الي ان ولي عثمان رضى الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضي الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتي مات وذلك ان اباذر صار يغلظ القول لمعاوية و يكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لقيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلي الله عليه وسلم كانت بدلالة على رضي الله عنه وانه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له ابو ذر ان كتمت على اخبرتك وفى رواية ان

اعطيتنى عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل قال ابو ذر فاخبرته فارشدني واوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وفي رواية ان عليا رضي الله عنه استضافه أبو ذر رضى الله عنه ثلاثة ايام لا يساله عن شئ وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على اخبرتك قال فانى افعل قال له بلغنا انه خرج ههنا رجل يزعم انه نبى فارسلت اليه اخى ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان ألقاه فقال اما انك قد رشدت هذا وجهي أى خروجي اليه فاتبعنى ادخل حيث ادخل فان رأيت أحدا اخافه عليك قمت الي الحائط كانى اصلح نعلي وفي رواية كاني أريق الماء فامض انت قال ابو ذر فمضى ومضيت حتي دخل ودخلت معه على النبى

ولم ينصب عليه بابا أي يقفل وانما جعله تبع الحميرى بعد ذلك وحفر له بئرا داخله عند بابه أى على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما أراد ان يجعل الحجر له يجعله علما للناس أى يبتدئون الطواف منه ويختمون به ذهب اسمعيل عليه الصلاة والسلام الى الوادى يطلب حجرا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالحجر الاسود يتلألأ نورا أى فكان نوره يضئ الى منتهى ابواب الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه اسود لما مسته الحيض في الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح آدم به دموعه وجاء ان خطايا بنى آدم سودته واما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له اولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير وقد كان رفع الى السماء حين غرقت الارض زمن نوح بناء على انه كان موجودا في تلك الخيمة كما تقدم وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لاسمعيل يابنى اطلب لي حجرا حسنا اضعه ههنا قال يا أبت اني كسلان لغب أي تعب قال على بذلك فانطلق ياتيه بحجر فجاءه جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذى خرج به آدم من الجنة أى كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجاء اسمعيل بحجر من الوادى فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر أى وبنى عليه فقال من اين هذا الحجر من جاءك به قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام من لا يتكل اليك ولا الى حجرك أى وفى لفظ جاءني به من هو انشط منك وفي لفظ ان اسمعيل جاءه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما ياتيه به وجاء ان الله تعالى استودع الحجر اباقبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فاخرجه له اى فلما انتهي ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمحل الحجر نادي ابوقبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجاء فحفر عنه وجعله في البيت وقيل تمخض ابوقبيس فانشق عنه * اى وفى لفظ قال يا ابراهيم ياخليل الرحمن ان لك عندى وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان ابوقبيس يسمي فى الجاهلية الامين لحفظه ما استودع ويسمي اباقبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بني فيه يقال له ابوقبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الي الجمع بين ماذكر على تقدير صحته وماذكر في ترجمة الياس أحد اجداده صلى الله عليه وسلم انه اول من وضع الركن اى الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان اول من سقط عليه اى اول من علم به ووضعه في زاوية البيت فليتأمل ذلك والله اعلم اى وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالي عنهما انه قال عند المقام اشهد بالله يكررها اسمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضاءا ما بين المشرق والمغرب أى من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان بسبب ما تقدم فلا مخالفة وجاء انهما يقفان يوم القيامة وهما في العظم مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء وعن

صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فاعرضه على فاسلمت مكاني الحديث ثم ان أبا بكر قال يارسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال ابو ذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح ابو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته اي من الزبيب فلا ينافي اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضي الله عنه فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بان يكون أبو ذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به

ابن عباس رضى الله عنهما لولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالى وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه لما خلق الله الخلق قال لبنى آدم ألست بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم ألقم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على اقرارهم الذى كانوا أقروا به قال رضى الله تعالى عنه وكان أبو على يقول اذا استلم الحجر اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفاء وفي كلام السهيلي ان العهد الذى أخذه الله تعالى على ذرية آدم حين مسح ظهره ان لا يشركوا به شيئا كتبه في صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وقد جاء الحجر الاسود يمين الله فى الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالى بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك سألت فقيها كنت أختلف اليه عن معناه فلم يحر جوابا فقيل لى سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسألته فاجاب بجواب شاف فقلت لا بدلي من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذى قاله السهيلى يروى عن على بن ابي طالب رضي الله عنه فعن سيدنا عمر رضى الله عنه انه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له على رضى الله تعالى عنه بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذلك بكتاب الله قال وأين ذلك من كتاب الله قلت قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآيه وكتب ذلك فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر رضي الله عنه أعوذ بالله ان أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن وعن قتادة قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وحراء وذكر لنا أن قواعده من حراء التي وضعها آدم مع الملائكة * أقول تقدم ان تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سيناء ومن طور زيتا ومن الجودى ومن حراء الان يقال يجوز أن يكون معظم ذلك كان من حراء فليتامل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان أي لم يجعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته أربعة اركان وذكر الحافظ ابن حجر ان ذا القرنين الاول وهو المذكور فى القرآن فى قصة موسي عليه الصلاة والسلام وهو اسكندر الرومى قدم مكة فوجد ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش شهدت أي قلن نشهد أن ابراهيم واسمعيل عبدان مأموران بالبناء فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة وأقبل ذو القرنين عليها فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغى لى أن أركب في بلدة فيها ابراهيم خليل

في المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله في ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف في مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة في الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن انه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم بانوبي فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفي رواية رابعا أي من الاعراب فلا ينافي زيادة من أسلم غيره على خمسة قال ابو ذر ولما اجتمعت قريش في المسجد ناديت باعلى صوتى أشهد أن لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابئ فقال على اهل الوادى

بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس وقال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت انيسا فقال ما صنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالي رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فاتينا أمنا فقالت مالي رغبة عن دينكما فانى اسلمت وصدقت فاتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم نصفهم الثاني لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت الى ارض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم بك ويأجرك فيهم وقد ذكر ان أبا ذر رضي الله عنه وقف يوما عند الكعبة في حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو ان احدكم أراد سفرا أليس يتخذ زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم فقالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور * ومن السابقين للاسلام خالد بن سعيد بن العاص وهو أول من اسلم من اخوته فيحمل عليه (١٨٩) قول ابنته أم خالد أول من اسلم ابي أي من اخوته وسبب اسلامه انه رأى في النوم النار ورأى من فظاعتها واهوالها أمرا مهولا ورأي انه على شفيرها وان أباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فقال له ابو بكر رضي الله عنه اريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ماتدعو اليه قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفي الوفاء للسيد السمهودي عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد

خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشي الي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه ابراهيم واعتنقه فكان هو اول من عانق عند السلام قال الفاكهي واظن ان الاكبش المذكورة أي التي شهدت أحجارا ويحتمل ان تكون غنما ووصف ذي القرنين بالاكبر احترازا من ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني فانه كان قريبا من زمن عيسي عليه الصلاة والسلام وبين عيسي وابراهيم عليهما الصلاة والسلام اكثر من ألفي سنة وكان كافرا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يارب قد فرغت قال أذن في الناس بالحج قال أي رب ومن يبلغ صوتي قال الله جل ثناؤه أذن وعلى البلاغ قال أي رب كيف اقول قال قل يا ايها الناس كتب عليكم الحج الي البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل فوقف على المقام وارتفع به حتى كان اطول الجبال فنادى وادخل اصبعيه في أذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات اى وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وبرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدأ بشق اليمن وحينئذ يكون اول من اجاب اهل اليمن وسيأتي التصريح بذلك في بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم جاء في الحديث الايمان يمان وقال صلي الله عليه وسلم في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويأبى الله إلا ان يرفعهم وروى الطبراني باسناده عن علي رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب اهل اليمن فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومما يؤثر عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد ذكر في تفسير قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم هو نداء ابراهيم على المقام بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه اعتق من الجبابرة لم يدعه اى بحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة مع العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لانه اعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالي قال واما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر انه قال انما سميت بكة أي بالموحدة لانها كانت تبك اعناق الجبابرة ولينظر من قصده ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رأيت في المشرف ان ثلاثة غيره قصده واهدمه اثنان قاتلتهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان في اول زمان قريش اراد هدمه مسدا على شرف الذكر لقريش به وان يبني عنده بيتا يصرف حجاج العرب اليه فلما قارب مكة اظلمت الارض وايقن بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوى ان يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه ان هذا الذى حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه أرسلت عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه واصابته وقومه ظلمة شديدة وفي رواية اصابه داء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا أي يثج ثجا حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه فدعا بالاطباء فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا

ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كانه غشيت مكة ظلمة حتي لا يبصر امرؤ كفه فبينا هو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فاضاء البيت ثم اصاب مكة كلها ثم تحول الي يثرب فاصابها حتي اني لانظر الي البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد وكان جزل الرأي فقال يا أخي ان هذا الامر في بني عبد المطلب ألا تري انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد انا ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد ابو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له ومن

ثم قال فيه القائل   أبا أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد   وعند اسلام ولده خالد أرسل في طلبه فانتهره
وضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من
مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتني فالله
يرزقني ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا والا يكلمه أحد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان يلزمه ويعيش معه (١٩٠) ويغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
أرض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد أول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو ابن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت سببا لاسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانها
كانت سببا لاسلامهما واسلم من بني سعيد ابان بن سعيد والحكم بن سعيد الذي
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ومن السابقين للاسلام صهيب رضي الله عنه كان ابوه عاملا لكسرى فاغارت الروم
عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن
جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر
أين تريد يا صهيب قال أريد ان أدخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وانا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه

منه ولم يجد عندهم فرجا ومدد ذلك قال له الحبر لملك هممت بشيء في حق هذا البيت فقال نعم أردت
هدمه فقال له تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرأ من دائه وقيل
لانه أول بيت وضع في الارض وقيل لانه أعتق من الغرق بسبب الطوفان في زمن نوح عليه الصلاة
والسلام كذا في الكشاف وغيره وفيه نظر لظاهر ما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح انه
لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض وقفت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع
الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها الا ان يقال ان معنى أعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي
أثره وفي الخميس عن ابن هشام ان ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هي في هواء
السماء أي بناء على ان الكعبة هي الخيمة التي كانت على زمن آدم عليه الصلاة والسلام وتقدم عن
الكشاف انها رفعت الى السماء الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على ان المراد بالكعبة
الخيمة التي كانت لآدم وقوله قام حولها يريد انه لم يعل محل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم في قصة
نوح فليتأمل وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادى يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي
لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه فاجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب
الرجال وأرحام النساء فاجابه من كان سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس
حاج يحج الى ان تقوم الساعة الا من كان أجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج
حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ لما نادى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما خلق الله
من جبل ولا شجر ولا شيء من المطيعين له الا أجاب لبيك اللهم لبيك * أقول لا يخفى انه يحتاج الى الجمع
بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وسيأتي ومعلوم ان اجابة غير العقلاء اجابة
اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه
الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة وقيل التاسعة وقيل العاشرة كما سيأتي وأما بقية الامم من بعد
ابراهيم فلم أقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتأخرين من اصحابنا ان الصحيح انه لم يجب
الحج الا على هذه الامة واستغرب وفي الخصائص الصغرى وافترض عليهم أي على هذه الامة ما افترض
على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على
الانبياء والرسل وفيه ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في حق أمته الا ان يقوم الدليل الصحيح
على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سيأتي ما في الوضوء والله أعلم أي ثم أمر بالمقام فوضعه قبله أي ملصقا
بالبيت على يمين الداخل وكان يصلي اليه مستقبل الباب أي جهته وأول من أخره عن ذلك المحل
ووضعه موضعه الآن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير * أقول
وقيل ان أول من وضعه موضعه الآن النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وسيأتي الجمع بين هذين
القولين

وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وابيه فسألاه أين كان فاخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما فاسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا * ومن السابقين للاسلام حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحدا في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال قال الذي في السماء قال يستجيب لك وحده وتشرك معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أي عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه * ولما دخل الناس في الاسلام ارسالا أي جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله ان يصدع بالحق و يواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة وانزل عليه فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك انه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال ابطلتم دين ابيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الي الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك في

القولين ويأتي ما فيه وذكر الطبري ان محله اولا المنخفض أي الذي تسميه العامة المعجنة أي محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليومين كما سيأتي ونازع في ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك لشهر عليه بالكتابة في الحجر ورد بأن ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس وقيل صعد ثبيرا واذن وان اول من أجابه اهل اليمن أي لما تقدم انه بدأ بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك أي وقوفه على تلك الاماكن التي هي المقام والصفا وقبيس وثبير ويجوز ان يكون قال في بعض تلك الاماكن ما لم يقله في غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجاء انه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة وحدود الحرم وأمره ان ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك أي مع اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ففي العرائس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى أصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الي عرفة فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموقف الذي يقف عليه الناس الآن فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما على قزح حتى اذا أسفر أفاض بهما الى منى فأراهما كيف رمى الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وامرهما بالحلق ثم أفاض بهما الي البيت فليتأمل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر وتأخيرا بين المغرب والعشاء للنسك وهو مخالف لقول أئمتنا لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففي الخصائص الصغرى وخص بمجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالجماعة في الصلاة الا ان يدعي ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز ان يكون ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفي وفي الوفاء عن وهب قال اوحي الله تعالى الى آدم عليه السلام انا الله ذو بكة أهلها جيرتي وزوارها وفدي وفي كنفي أعمره باهل السماء واهل الارض يأتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية ترجيجا وينجون بالبكاء نجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد الى ونزل بي وحق لي ان أتحفه بكرامتي أجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه لنبي من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهي الى نبي من ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته

سنة اربع من النبوة وقيل في سنة خمس فاحموا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال أى عطف عليه عمه ابوطالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم عمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ماعدا أبالهب منهم وبني المطلب بن عبد مناف أخي هاشم وكانوا معهم طلب من أبي طالب بخلاف بني اخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف فانهم كانوا من أشد الناس عليه صلى

الله عليه وسلم * قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم اذا أراد الصلاة أى صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين فبينما سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم مايصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابى وقاص رضي الله عنه رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم أهريق في الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه مستخفين فى دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران وهي ام ولديه موسى الهادى وهرون الرشيد وفي

فمن سال عنى يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات أى دعا بذلك وهو على ثنية كداء بالمد فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك نقل له الطائف من فلسطين من أرض الشام أى وببركة دعائه عليه الصلاة والسلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ذكره فى الكشاف ثم لما فرغ أى من بناء البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام زيدوا فيها العلي العظيم فقالت الملائكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت بعدما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف في بناء العماليق له اما في الاول فلان أول من نزل مكة مع هاجر وولدها اسمعيل جرهم وانهم بعد اسمعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت وأما في الثاني فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا أن يقال لا مانع أن يكونوا حينئذ أهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رأيت عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان العماليق كانوا في عز وكانت لهم أموال كثيرة وان الله سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر في النمل كالزنبور فى النحل وفي تاريخ مكة للفاكهي ان العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقاء بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما أخرج الله تعالى زمزم لاسمعيل بواسطة جبريل فى ربيع الابرار ان جبريل أخرج ماء زمزم مرتين مرة لآدم ومرة لاسمعيل وعند ذلك تحولوا الى مكة قال المقريزي لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم ولا يصح ذلك ثم رأيت المقريزي قال وفي كتاب أخبار مكة للفاكهي مايدل على تقدم بناء جرهم على بناء العمالقة ولا يصح ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفي ان هذا صريح في ان العمالقة بنته ولا بد وان بناءهم له كان قبل بناء جرهم له والعماليق من ولد عملاق أو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو أول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بناه قصى جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما أى ويكنى أبا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وكني بابي خبيب لان خبيبا كان رجلا بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام أى وعبد الله رضي الله تعالى عنه كان مشابها له في ذلك فكني به هذا

وقفتها مسجدا وقدروت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شيء وكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا في مدة استخفائه فقيل اربع سنين وقيل أقاموا في تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا اربعين باسلام عمر وحمزة رضى الله عنهما * ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل واولاد عبد مناف اشتد

ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا فى بيته حتى ظن عماته انه شاك أي مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيئا لكن الله أمرني بقوله وانذر عشيرتك الاقربين فاريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الي الله فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كني بابي لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ماتدعو اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما اخبرهم صلي الله عليه وسلم بما أنزل الله عليه اسمعه أبو لهب مايكره فقال تبالك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال مارأيت أحدا جاء بنى ابيه وقومه باشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن فى أول الامر انه صلي الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى مايحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم أنه ليس للعرب بقولك طاقة وان أحق من اخذك وحبسك اسرتك وبنو ابيك اذ قمت على أمرك فهو أيسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخي أحدا قط جاء بني أبيه وقومه باشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبي صلى الله عليه وسلم قال تبالك ألهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا أبى لهب وتب بمعنى خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا ولما سمع أبو لهب تبت يدا أبى لهب وتب قال ان كان مايقول محمد حقا افتديت منه بمالي وولدى فنزل ما أغني عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفى رواية الصحيحين انه صلي الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابنى كعب بن لؤى أنقذوا انفسكم من النار يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يابنى زهرة انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذي نفسك من النار ياصفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا وفي لفظ فانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على الكفر اتكالا على

* وفي كلام ابن الجوزي انه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله ابن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد مائة سوط فمات لانه لما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابى العاص أربعين رجلا وفي رواية ثلاثين رجلا وفى رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله تعالي خولا أى عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث أى ذكر بنى أمية وذكر الاربعين منقطع ولما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ان يضرب خبيبا هذا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه أي في يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه اخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق أى عائق لى * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن ابى سفيان ومعه ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فانى أبو عشرة وعم عشرة واخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله تعالى عنهما اشهدك بالله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله تعالى خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الي معاوية فكلمه فيها فلما أدبر عبد الملك قال معاوية اشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة فليتامل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفي كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة * هذا وقد رأيت عن بعض حواشي الكشاف ان اعداء عبد الله ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما هم الذين كانوا يكنونه بابى خبيب لان خبيبا كان من اخس اولاده ويرده قول بعضهم يغلب للشرف كالخبيبين لخبيب بن عبد الله بن الزبير واخيه مصعب وذكر ابن الجوزى ايضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ماء فى يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك اى كما فعل بخبيب * ثم رأيت في تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد في حياته وانتهت البيعة الي المدينة امتنع سعيد بن المسيب ان يبايع فضربه نائب المدينة ستين سوطا وألبسه ثيابا من شعر

القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضي الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الاان تقولوا لا إله إلا الله وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغني عنكن من الله شيئا حثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي (١٩٤) لا إله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة أبدا ولنار أبدا يابني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبي لهب فانه قال يابني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه اي اقبضوه وامنعوه عن هذا الامر بحبس او غيره قبل ان يأخذ على يده غيركم فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها وهى ام الزبير رضي الله عنه اى اخى ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله مازال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضئ اى اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال ابو لهب هـذا والله الباطل والاماني وكلام النساء في الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها بالكلاب فما قوتنا بهم فوالله مانحن عندهم الا اكلة رأس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم أكنتم تكذبوني قالوا والله ماجربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد وفي رواية ان مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه اتيتم اتيتم انا النذير العريان اى الذى

وأركبه جملا وطاف به في المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك أرسل يعنف والى المدينة على ذلك ويأمره باخراجه من الحبس هذا كلامه * وفى كلام البلاذرى وكان جابر بن الاسود عاملا لابن الزبير على المدينة وهو الذى ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا أن يقال لامانع أن يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد ثم رأيت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب بالسياط المذكورة وفعل به ماتقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به ذلك أيضا لما امتنع من البيعة للوليد وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى في ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته وألبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليـه يقول له قم لاتجالسني فانهم قد جلدونى ومنعوا الناس عن مجالستي هذا كلامه الا أن يقال المراد امتنع من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد بن المسيب من المبايعة للوليد لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد فهو شر لأمتي من فرعون لقومه وفي رواية هو أضر على أمتي من فرعون على قومه زاد في روايه يسد به ركن من أركان جهنم وفي لفظ زاوية من زواياجهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لا الوليد بن عبد الملك الذى هو عمه وكان سعيد بن المسيب أعبر الناس للرؤيا قال له رجل رأيت كاني أبول في يدى فقال تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امرأته رضاعة وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبى بكر وهى أخذت ذلك عن والدها أبي بكر رضى الله تعالى عنهما وعن سعيد أخذ ابن سيرين ذلك وعن ابن سيرين كان أبو بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلي الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفي حضرته وعن الزهرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبى بكر فقال رأيت كاني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده صلى الله عليه وسلم سنتين وسبعة أشهر وقال له رأيتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتي ماترى السود فيها فقال أبو بكر يارسول الله أما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لاترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحيرا * وسبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان يزيد بن معاوية لما وجه الجيش عشرين ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن قتيبة لقتال أهل المدينة لما علم أنهم خرجوا عن طاعته أي واظهروا شتمه وأعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب

ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذى جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو فانه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرد فانه قد يتهم والمعني أنا النذير الذي لا أتهم وفي رواية أنه وقف على الصفا وفي أخري على أبي قبيس وفي أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف ياصباحاه قالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع ان ياتي أرسل رسولا الحديث وفي رواية صاح يا آل عبد مناف اني نذير وفي أخرى جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم اربعون وفى رواية خمسة واربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهي شاة مع مد من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة

وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أى رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس من الشراب فى مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلي الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفى رواية مارأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما كان الغد قال ياعلى عد لنا بمثل ماصنعت بالامس من الطعام والشراب قال على رضى الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فاكلوا حتي شبعوا وشربوا حتي نهلوا فقال

بالكلاب أى فقد ذكر بعض ثقات المؤرخين انه كان له فرد يحضره مجالس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له أتانا وحشية قد ربضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل في بعض الايام وكان يلبس عليه قباء وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتى الكيا الهراسي من اكابر أئمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس تلامذة امام الحرمين نظير الغزالي عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في أيام عمر بن الخطاب وللامام احمد قولان اى في لعنه تلويح وتصريح وكذلك الامام مالك وكذا الابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا كلامه وسئل الغزالى هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لا..لايجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وماصح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله ومالم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية وأما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المؤمنين في قولنا فى كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان على ماأفتي به الكيا الهراسى من جواز التصريح بلعنه أستاذنا الاعظم الشيخ محمد البكرى تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابى الحسن وقد رأيت فى كلام بعض أتباع استاذنا المذكور في حق يزيد مالفظه زاده الله خزيا وضعه وفي اسفل سجين وضعه * وفي كلام ابن الجوزى أجاز العلماء الورعون لعنه وصنف فى اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازاني انا لاشك في اسلامه بل في إيمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثني من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلعوا أي اهل المدينة بيعة يزيد ولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وأخرجوا الى يزيد من المدينة وهو مروان بن الحكم وبني أمية حتى قال بعضهم ماخرجنا عليه حتى خفنا ان نرمي بحجارة من السماء فكانت وقعة الحرة المشهورة التي كادت تبيد أهل المدينة عن آخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض فيها ألف عذراء اى ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوى مدة المقاتلة وهى ثلاثة ايام * وفي كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذى وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبى واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلثمائة وستة رجال ومن قراء القرآن نحو سبعمائة نفس وفي التنوير لابن دحية

لهم يابني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا إله الا الله وأني رسول الله فمن يجيبنى الى هذا الامر ويوازرني اي يعاوننى على القيام به قال على رضي الله عنه أنا يارسول الله وكان احدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام على وقال انا يارسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام على وقال انا يارسول الله قال اجلس فانت اخي قال الامام ابو العباس بن تيمية زاد في الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهي كذب باطل قالوا قال فمن يجيبني الى هذا الامر يكن

آخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ وزادوا في آخر الحديث قال اجلس فانت آخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على اهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء قبل علي رضي الله عنه وفي رواية عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون علي فعل ذلك عند خديجة رضي الله عنهما وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم (١٩٦) هذا كان متاخرا عن جمعهم المتقدم ذكره و يشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه

وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعاقومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتنا كروه واجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا أي عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك اشار صاحب الهمزية

وقتل من وجوه المهاجرين والانصار ألف وسبعمائة ومن حملة القرآن سبعمائة وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختلفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول أي عبيد له ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه * وروى البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لما أرجف اهل المدينة بزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله و بيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان التنصل بيني وبينه ثم لزم بيته ولزم أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه بيته أيضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته فقالوا له من أنت أيها الشيخ فقال أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم مافعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم علي وماعندي شيء فقالوا كذبت ونتفوا لحيته * واما جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه فخرج في يوم من تلك الايام وهو أعمى يمشي في بعض أزقة المدينة وصار يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من الجيش من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحمل عليه جماعة من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلي وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم ألف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكر ان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيها وقد أخذ ماوجده عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت له ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الصبي من حجرها وثديها في فمه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس قال السهيلي وأحسب هذه المرأة جدة للصبي لا أماله اذ يبعد في العادة ان تبايع امرأة وتكون يوم الحرة في سن من ترضع أي ولدا صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي * وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذ ابن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد أعذر اهل المدينة قبل هذه الوقعة فيما ذكروه وبذل لهم

بقوله ثم قام النبي يدعو الى الله * وفي الكفر نجدة واباء أمما اشربت قلوبهم الكفر * فداء الضلال فيهم عياء من

ثم كثر الشر وتزايدوا انتشر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أي أضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا أي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه

وعداوتهم ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ان قومك جاءوني فقالوا لى كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر مالا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال اقبل يا ابن أخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما احببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول (١٩٧)

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش أن ابا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أى اشد وأقوى فتى في قريش وأجمله فخذه لك ولدا بان تتبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فقال لهم ابو طالب بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد ان تقبل شيئا منهم فقال له ابو طالب والله ما أنصفوني ولكن

من العطاء اضعاف مايعطي الناس رغبة في استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يأبى الله الا ما أراد وفي التنوير ان الله ابتلى أمير هذا الجيش الذي هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة ايام من اخذه البيعة بمرض صار يذبح منه كالكلب الى ان مات وولى أمر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد فانه وصى مسلم بن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا أشرفت على الموت اى لانه كان مريضا بالاستسقاء فول أمر الجيش للحصين وهذا الذى وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه لقد رأيتني ليالي الحرة ومافي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة في تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعي رضي الله تعالى عنه روى علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امرأة منا مثل ماقضيت ففرح ابن مسعود وسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد أيضا هو والحسين رضى الله تعالى عنهما لما ارسل إليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه اى لان الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن رضى الله تعالى عنه ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم فابي الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال واحبيباه وقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن قال له اياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم أمامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنا عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه أميرها من جانب يزيد وهو عبد الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل على الخير الآجل فلما وصلوا اليه ورأى كثرة الجيش طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء او يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى يزيد يفعل فيه ماأراد فابوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابي فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا رأسه وذلك يوم عاشوراء عام احدي وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبد الله بن زياد ولما جاء خبر قتل الحسين رضى الله تعالى عنه قام ابن الزبير رضى الله

قد أجمعت أى قصدت خذلانه ومظاهرة القوم أى معاونتهم على فاصنع مابدالك وعمارة بن الوليد هذا قدمات على كفره بارض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البرارى والقفار ومات المطعم بن عدى على كفره أيضا فمن عدم قبول ابي طالب اشتد الامر ولما رأى ابوطالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم و بني المطلب الي ماهو عليه من منع رسول الله صلي الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه * فمما وقع لرسول الله صلي الله عليه وسلم من الاذية ماحدث به عمه العباس رضى الله عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل أبوجهل فقال لله على ان رأيت محمدا ساجدا أن اطأ عنقه فخرجت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول أبي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق الى ان بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لابي جهل ياابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل الا ترون ماارى وفي رواية رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي ان قوله تعالي ارأيت الذي ينهي عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في ابي جهل ومن ذلك ماحدث به بعضهم قال ذكر لنا ان اباجهل قال يوما لقريش ان محمدا قد اتى الى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم وانى اعاهد الله لاجلس له يعنى النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك اوامنعونى فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف مابدالهم فقالوا والله لا نسلمك لشئ ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلى بين الركن اليماني والحجر الاسود وقريش جلوس في انديتهم ينتظرون ما ابوجهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابوجهل

تعالي عنهما في الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوى بني أمية ويطنب في ذلك ولما بلغ يزيد ذلك اقسم ان لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من اهل الشام في خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه واقسم ان لا يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين فالصلح خير عاقبته واجمل بك وبه فقال له أنظر في أمرى ثم دخل على أمه أسماء رضي الله تعالى عنها واستشارها فقالت يا بنى عش كريما ومت كريما ولا تمكن بني أمية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا ثم أظهر المبايعة فاجتمع عليه أهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جاء الجيش الى مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق نصبه على أبي قبيس قيل وعلى الاحمر وهم أخشبا مكة فاصاب الكعبة من ناره ما حرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت فى زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما تقدم وذكر في الشرف ان الله تعالي بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من اهل الشام ثم عملوا منجنيقا آخر فنصبوه على أبي قبيس ويذكر ان النار لما أصابت الكعبة أنت بحيث يسمع انينها كانين المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء انذاره صلي الله عليه وسلم بتحريق الكعبة فعن ميمونة رضى الله عنها زوج النبي صلي الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت العتيق وفى العرائس ان اول يوم تكلم الناس فى القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينئذ قيل ابو معبد الجهنى وقيل ابو الاسود الدؤلي وقيل غير ذلك وقوله اول يوم تكلم الناس في القدر لعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس فى القدر فلا ينافى ماحكي ان شخصا قال لعلى رضى الله تعالى عنه وهو بصفين ياأمير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا أكان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضائه وقدره والتكلم في القدر ليس من خصائص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففي الحديث مابعث الله نبيا الا في أمته قدرية يشوشون عليه أمر أمته الا وان الله تعالي قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد جاء في ذم القدرية زيادة على ماتقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجاء اتقوا القدر فانه شعبة من النصرانية وجاء أخاف على أمتي التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية تقول يأتى الخير من الله والشر من العبد وهؤلاء الطائفة أشبه بالمجوس القائلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية

الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتي قذفه من يده بعد ان عالجوا فكه منها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم ان يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله وأبو جهل اذ رأي عنق الفحل اليه كانه العنقاء

وفى رواية ان اباجهل قال رأيت بيني و بينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معا ودكروا في سبب نزول قوله تعالي انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان الآية الاولى نزلت في ابي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ماوقع لابي جهل قال انا آتي هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم ابن ابي العاص وهو أبو مروان بن الحكم ان ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا اسوأ رأيا واعجز في امر رسول الله صلي الله عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا احدثك الا ما رأيت لقد اجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقى بتهامة جبل الا تفتت علينا اي ظننا انه يفتت و يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الي اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا و بينه وفي رواية كان النبي صلي الله عليه وسلم يصلي فجاءه ابوجهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره ابوجهل اى انتهره

النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد من خير او شر ناشئا عن اقدار الله تعالى له على ذلك بل هو ناشئ عن قدرة العبد واختياره فقد اثبتوا لله تعالي شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك لله تعالى فهذه الفرقة من القدرية اشبهت النصاري فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الاعتبار وقد اوضحت ذلك في تعليقي المسمي بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه اخر الكلام على القدر لشرار امتي في آخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالي عنهما للكعبة ان امرأة بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع ايضا احتراقها بتبخير المرأة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم ان من البدع تجمير المسجد وان مالكا كرهه وقد روي ان مولي عمر بن الخطاب رضى الله تعالي عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر رضي الله تعالى عنه على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذى فدى به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف * اقول ولعل تعليقهما في السقف كان بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم جاء الاسلام ورأس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ماجاء عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبي صلي الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انى رأيت قرنى الكبش في البيت فنسيت ان آمرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون فى البيت شئ يشغل مصليا * وذكر الجلال المحلى في قطعة التفسير ان الكبش المذكور هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام مكبرا اى وحينئذ تكون النار التى انزلت في زمن هابيل لم تاكله بل رفعته الي السماء وحينئذ يكون قول بعضهم فنزلت النار فاكلته على التسمح و يدل لما ذكر الجلال ماجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ماكان ذبح ابراهيم اى مذبوحه قال الذي قرب ابن آدم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه عظيم لانه رعي في الجنة اربعين عاما وقيل كان الكبش اختراعا اخترعه الله هناك في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدى من الموت بصورة الموت وهذا كله بناء على ان الذى قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضي فلينظر الجمع على تقدير صحة كل وانصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة اماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد ويقال ان ابن الزبير علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل الشام فنادى فيهم يا اهل الشام قد اهلك الله طاغيتكم يعني يزيد فمن احب منكم ان يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب ان يرجع الى شانه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله ابن الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا ويقال ان امير الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت رءوس فرسيهما وجعل فرس أمير الجيش ينفر

وقال انك لتعلم ان مابها أكثر ناديا مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وانا العزيز الكريم فانزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ماذكر توبيخا له * ومن ذلك انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة ابي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الاولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل اروى بنت حرب اخت ابي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر اي حجر بملء (٢٠٠) الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يارسول الله انها امرأة بذية اى تاتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ماشان صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله ومايقول الشعر اى ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ماهجاك والله ماصاحبي شاعر اى لايحسن انشاءه فقالت له انت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها تعني عبد مناف جد ابيها اى ومن كان عبد مناف اباه لا ينبغي لاحد ان يتجاسر على ذمه قال ابو بكر رضي الله عنه قلت يارسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها ابو بكر فقالت اتهزأ بي والله ماأري عندك احدا وفي رواية انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد حين ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله على بصرها فلم تره ورأت ابابكر وعمر رضي الله عنهما فاقبلت على ابي بكر رضي الله عنه فقالت له اين صاحبك قال وماتصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فمه فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا اكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على ابي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب اي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت

ويكفها فقال له ابن الزبير مالك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره أن أطأ حمام الحرم فقال تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين فقال له تاذن لنا أن نطوف بالكعبة ثم نرجع الي بلادنا فاذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل قد هلك فانت أحق الناس بهذا الامر يعني الخلافة فارحل معي الي الشام فوالله لايختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير وأغلظ عليه القول فكر راجعا وهو يقول أعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم قيل كان في ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية هذا مكث في الخلافة أربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولى أخاه نائبا عنه بالمدينة أمره باجلاء بني أمية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الي الشام فلما أراد مروان أن يبايع ابن الزبير بدمشق ثنى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له أنت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير مافعل فانت أحق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة أشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفاء بني أمية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو أول من سمي عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد الملك لأولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا واستعجل أمر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتي قتله وفي كلام ابن ظفر ان عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية في نقل الخلافة فلما ساروا عن دمشق أياما تمارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد الملك في العود الي دمشق فاذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس الي خلعه فاجابوه الي ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير فاشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو في صورة ظالم له وقصده لعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وأفسد رعيته فرجع الى دمشق فظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه للكعبة انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضي الله تعالى عنه يطوف سباحة أي ولا مانع من وجود الامرين الحرق والسيل فلما رأي عبد الله ماوقع في الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما في هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى أن يصلح ماوهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم أحرق لم يرض له الا بأكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد حدثته خالته عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها لم ترى قومك يعني قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام

فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم ترك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي روايه أقبلت ومعها فهران وهي تقول * مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا فقالت أين الذى هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربنه بهذين الفهرين قال أبو بكر يا أم جميل والله ماهجاك ولا هجا زوجك قالت والله ماأنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يارسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني و بينها جبريل ولعل مجيئها قد

تكرر فلا منافاة بين الروايات

حين عجزت بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية أي قرب عهدهم بها أي وفي لفظ لولا الناس حديثو عهد بالجاهلية أي قريب عهدهم بها أي وفي لفظ لولا الناس حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة مايقوى على بنائها لهدمتها وجعلت لها خلفا أي بابا من خلفها أي وفي لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه وفي لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا وألصقت بابها بالارض أي كما كان عليه في زمن ابراهيم ولادخلت الحجر فيها أي وفي رواية لادخلت نحو ستة أذرع وفي رواية ستة أذرع وشيا وفي رواية وشبرا وفي رواية قريبا من سبعة أذرع فقد اضطربت الروايات في القدر الذى أخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما أخرج منها وفي لفظ لجعلتها على أساس ابراهيم وأزيد أي بان أزيد في الكعبة من الحجر أي ذلك ما أخرجته قريش خشي صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذي يعدونه من اكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بني الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة أي الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناءها وأحجارا اسلم عليها المسلمون و بعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم أي فانه يوشك أن يأتي بعدك من يهدمها فلا يزال يهدم ويبني فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها أي رمها فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري فلما مضي الثلاث أجمع أمره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل باول الناس بقصدها أمر من السماء حتى صعدها رجل فالقي منها حجارة فلم ير الناس اصابه شئ فتتابعوه اه اى وقيل اول فاعل لذلك عبد الله ابن الزبير نفسه رضى الله تعالى عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة أن يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وأمر ابن الزبير جماعة من الحبشة بهدمها رجاء أن يكون فيهم الذى اخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر اليه أسود أفحج ينقضها حجرا حجرا وجاء في وصفه انه مع كونه أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير البطن ووصف أيضا بانه أصلع وفي لفظ أجلح وهو من ذهب شعر مقدم رأسه ووصف بانه أصعل أي صغير الرأس وبانه اصمع أي صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الي البحر أي وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف أى وورد ان أول مايرفع رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام والقرآن وأول نعمة ترفع من الارض العسل وقيل يكون

وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخري كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخري وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما و يلعنون مذمما وانا محمد * وفي الدر المنثور للجلال السيوطى انها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملاء فقالت يامحمد علام تهجوني قال والله اني ما هجوتك ماهجاك الا الله قالت أرأيتني احمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا يؤيد ماقاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغرى زوجها وغيره بعداوته صلي الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة

من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء ... يوم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من أحمد يقال الهجاء

وتولت ومارأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء ... وقيل معني كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولامانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كانها الورقاء يعني انها جاءت وهي في غاية السرعة والعجلة كانها

في شدة السرعة والعجلة الحامة الشديدة الاسراع روي انها لما بلغتها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى أخيها ابي سفيان اى بناء على ان امرأة ابي لهب هي اروى بنت حرب كما تقدم ودخلت في بيته وهي مضطرمة أي محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس اى شجاع اما تغضب ان هجا بي محمد فقال سأكفيك إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختي أيسرك ان رأس اخيك في فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب ابو سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد

اسلم عام الفتح مع اخيه معتب رضي الله عنهما رأسك من رأسي حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان اخوها عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها ايضا وكان نكاح المشرك المسلمة غير ممنوع في صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتي يؤمنوا وقوله تعالى في صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد اراد الذهاب الي الشام لآتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه وقال يا محمد هو كافر بالنجم وفي رواية برب النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلي ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته اى طلقها وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الي أبيه فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا احمالهم واناخوها واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية

هدمها في زمن عيسي عليه الصلاه والسلام وجمع بانه يهدم بعضها في زمن عيسى عليه الصلاه والسلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسي عادوا وكملوا هدمها فهدمها عبد الله الى أن انتهى الهدم الى القاعد أى التى هى الاساس قال وفي رواية كشف له عن أساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا في الحجر ستة أذرع وشيا وأحجار ذلك الاساس كانها أعناق الابل حجارة حمراء آخذ بعضها في بعض مشبكة كتشبك الاصابع وأصاب فيه قبر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسمعيل وهو يؤيد القول بان قبره في حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكره الطبري وانه تحت البلاطة الخضراء التى بالحجر كما تقدم فدعا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرافهم وأشهدهم على ذلك الاساس وأدخل عبد الله بن المطيع العدوي عتلة كانت بيده في ركن من أركان البيت وتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها ففزعوا اه * أقول تقدم في بناء قريش أنهم أفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها ببعض وان رجلا أدخل عتلة بين حجرين منها فخرج منها شعاع مثل البرق وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضراء وبين كونها حمراء لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هى قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له أخضر كما ان الاخضر غير الصافي يقال له أسود والصافي يقال له ازرق والله أعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى بني عليها وارتفع البناء وزاد في ارتفاعها على ما كانت عليه في بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا اراد بعضهم وربع ذراع وبناها على مقتضي ما حدثته به خالته عائشة رضى الله تعالي عنها فادخل فيه الحجر أى لانه يجوز أن يكون ادخال الحجر هو الذى سمعه من عائشة فعمل به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة أذرع وشبرا وقريب من سبعة اذرع وفيه ان هذا أى قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من أن قريشا أخرجت منها الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر كيف يتعداه ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته عائشه رضي الله تعالى عنها على انه سياتي عن نص حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلي الله عليه وسلم قال لها فان بدا لقومك من بعد أن يبنوا فهلمي لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع فليتامل وجعل لها خلفا أى بابا من خلفها وألصقه بالارض كالمقابل له قال ولما ارتفع البناء الي مكان الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد متصدعا بسبب الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في تابوت وأقفل عليه وادخله دار الندوة فحين وصل البناء الى محله أمر ابنه حمزة وشخصا آخر أن يحملاه ويضعاه محله وقال

اذا

فضغ رأسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا في اللغة * ومما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي وقد نحر بعض الناس جزورا وبقي فرثه أي روثه وكرشه فقال ابو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفي رواية ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم (٢٠٣) الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجئ به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين او ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ أشقى القوم وهو عقبة ابن ابي معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك قال ابن مسعود رضي الله عنه فهبنا أي خفنا أن نلقيه عنه وفي لفظ وانا قائم أنظر لو كانت في منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته اقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك أي عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف وفي رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم وفي رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابي جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود

اذا وضعتماه وفرغتما كبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتي فانه صلى بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما أحس منهم بالتناقض في ذلك أي ان كل واحد يريد ان يضعه وخاف الخلاف ولما كبر تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير شده كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من أن أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم في السنة الا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البوادي وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابي طاهر فان ولده أبا طاهر بنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت أتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العباس غير ما مرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة وتلا دربعا ألقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأخذ معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان أقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة أي والناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعون درهما ونصف قال بعضهم تاملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره أسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة تلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك وجعل طول الباب أحد عشر ذراعا والباب الآخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق أي الطيب والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر وفي كلام بعضهم أول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير * أقول وبناء عبد الله للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات ففي بعض حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير أدخل في بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم

والله لقد رأيتهم وفي رواية لقد رأيت الذين سمي صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر والمراد انه رأى اكثرهم لان عمارة ابن الوليد مات بارض الحبشة كافرا مسحورا مجنونا وعقبة بن أبي معيط أخذ اسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم يطرح في القليب بل أهالوا التراب عليه في مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والمراد بسني يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود (٤٠٢) والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أي يخلط الدم باوبار الابل ويشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت السماء عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي لا نعود لما كنا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما وقيل فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من العشاء قال البيهقي قد روى في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فقحطت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية في البخاري أيضا لما ابطؤا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شئ وفي رواية اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم

عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبرى وهذا الحديث يعني حديث عائشة رضى الله تعالى عنها يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير في البيت اذا كان لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة قال الشهاب ابن حجر الهيثمي ومن الواضح البين ان ما وهي وتشقق منها في حكم المنهدم أو المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين وألف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس لعشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامي بوجهيه وانحدر معه في الجدار الشرقي الى حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم أكثر بيوت مكة واغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد الابواب وعند مجئ الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير محمد باشاه وهو الوزير الاعظم الآن أي في سنة ثلاث واربعين وألف جمعا من العلماء كنت من جملتهم ووقعت الاشارة بالمبادرة للعمارة وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيرا واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد أعز الله أنصاره وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما ألفا سنة وسبعمائة سنة وخمس وسبعون سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير أي وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة أي وأما بناء الملائكة وبناء آدم وبناء شيث لم يصح وأما بناء جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعها الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وحينئذ يكون ما جاء في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث من الدنيا * وذكر الامام البلقيني ان كون ابن الزبير أول من كسا الكعبة الديباج أشهر من القول بان أول من كساها الديباج أم العباس بن عبد المطلب كما سيأتي وجاز ان يكون عبد الله بن الزبير كساها اولا القباطي ثم كساها الديباج والله اعلم وكان كسوتها أي في زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان أول من كساها تبع الحميرى كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبرية أي وفي رواية كساها الوصائل وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفي كلام الامام البلقيني ويروى ان تبعا اليماني لما كساها الخصف انتفضت فزال ذلك عنها فكساها المسوح والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن * وفي الكشاف كان تبع الحميرى مؤمنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري اكان تبع نبيا او غير نبي هذا وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الزهية والمباهج المرضية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان نبيا

قحط وجهد حتي أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه و بينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فاتيا وسفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الي حالهم فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن ذلك ماحدث به عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر رضى الله عنه وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط وابوجهل ابن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما حاذاهم أسمعوه بعض مايكره فعرف ذلك في وجه النبي صلي الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته أى جعلته وسطا فكان بيني و بين ابى بكر فادخل أصابعه في اصابعي وطفنا فلما حاذاهم قال ابوجهل والله لانصالحك مابل بحر صوفة وأنت تنهي ان نعبد مايعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب ابوجهل يريد أن ياخذ بمجامع ثوبه فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع ابوبكر أمية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لاتنتهون حتى يحل عليكم عقابه اى ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضي الله عنه فوالله مامنهم رجل الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الي بيته وتبعناه حتي انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على ايديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر أي بايدى الصحابة رضى الله عنهم يوم بدر بالنظر الي غالبهم فلا ينافي كون عثمان رضى الله عنه تاخر بالمدينة لاجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الي ان توفيت فهو معدود من اهل بدر لانه في حاجة الله ورسوله صلى

وقيل أول من كساها عدنان بن أدد وكانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتي نشا أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش انا اكسو الكعبة سنة وحدى وجميع قريش سنة أى وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة ففعل ذلك الي أن مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها لاتنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلي الله عليه وسلم ثم كساها النبي صلي الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفى كلام بعضهم أول من كسا الكعبة القباطى النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابوبكر وعمر وعثمان القباطي وكساها معاوية الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسي الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر رمضان والاقتصار على ذلك ربما يفيد أن عطف الحبرات على القباطي من عطف التفسير فليتامل وكساها المامون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت تكسى الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الي الآن فى كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة نيف وخمسين وسبعمائة أى والآن زادت القرى على هاتين القريتين والحاصل ان أول من كساها على الاطلاق تبع الحميرى كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعمائة سنة قيل وسبب كسوة أم عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج ان العباس ضل وهو صبى فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اي وكانت من بيت مملكة وقيل اول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان أى وهو المراد بقول ابن اسحق اول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من أمراء عبد الملك وقد سئل الامام البلقيني هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي ترجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والآخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فان في ذلك المناسبة للحال المنيف هذا كلامه أي وأول من حلى بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل في ذلك الباب الغزالتين فكان أول ذهب حليته الكعبة على ماتقدم واول من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على اساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه أرسل لعامله على مكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب وعلى الاساطين التى داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر ان الامين بن هرون الرشيد أرسل الي عامله بمكة ثمانية عشر الف دينار ليضرب بها

الله عليه وسلم ولا ينافي أيضا كون عقبة بن أبي معيط حمل اسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا ان عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفي رواية دخل عقبة بن ابي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر واخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال ما رأيت قريشا اصابت مني عداوة احد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ماصبرنا لامر قط كصبرنا لامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقي رجل الا كانما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا ناداكم بما تكرهون

صفائح الذهب على باب الكعبة وقطع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتب من الذهب وان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل * وقال عبد الله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر وأخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على بناء عبد الله بن الزبير تستلم أركانها الاربعة أي لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل أي قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لان الحجاج كان أميرا على الجيش الذي ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أن اهدم مازاده ابن الزبير فيها أي يهدم البناء الذي جعله على آخر الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت قريش أخرجتها بدليل قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح أي وان يرفع الباب الاصلي الى ما كان عليه زمن قريش واترك سائرها أي لانه اعتقد ان ابن الزبير فعل ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بان عبد الله بن الزبير وضع البناء على أس قد نظر اليه العدول من أهل مكة أي وهم خمسون رجلا من وجوه الناس واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير في شيء فنقض الحجاج ما أدخل من الحجر وسد الباب الثاني أي الذي في ظهر الكعبة عند الركن اليماني ونقص من الباب الاول خمسة أذرع أي ورفعه الى ما كان عليه في زمن قريش وهي تحته أربعة أذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم * وفي لفظ ان الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس فيها واحدث فيها بابا آخر واستأذن في رد ذلك على ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربي ويهدم مازاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسائرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف وبناؤه على بناء ابن الزبير الا الجدار الذي يلي الحجر فانه من بناء الحجاج أي والبناء الذي تحت العتبة وهو أربعة أذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد العماليق وجرهم وابراهيم عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وماسد به الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل أرض الكعبة أي التي وضعها عبد الله بن الزبير أي ولعله انما وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبناء فلا ينافي ما اخبرني به بعض الثقات أن بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي أخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت الذي كان فيه تلك الحجارة كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وبناء الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وهي سنة ثلاث وسبعين * قيل ولما دخل عبد الله بن الزبير رضي

الله

تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهـم ودينهم فقال نعم أنا الذى أقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فاطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فأتى الصريخ الى أبي بكر رضى الله عنه وقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر رضى الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر رضى الله عنه يضربونه وقالت بنته أسماء رضي الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا اجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاء انهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهـو يبكي ويقـول أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسي بيده انى بعثت اليهم بالذبح فافرجوا عنه * وعن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركوا قريش في الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فقتله فسمعتهم فدخلت على أبي وأنا أبكى فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية أسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم اصابه ذلك الا قتل ببدر * وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم ابولهب والحكم بن ابى العاص وأمية والد مروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى فى

الله تعالى عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل سبعة اشهر وسبع عشرة ليلة على أمه أسماء رضي الله تعالى عنهما قبل قتله بعشرة أيام وهي شاكية أي مريضة فقال لها كيف تجدينك يا أمه قالت ما أجدني الا شاكية فقال لها ان فى الموت لراحة فقالت لعلك تبغيه لى ما أحب ان اموت حتى يأتى على أحد طرفيك اما قتلت واما ظفرت بعدوك فقرت عيني ولما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت له يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذي تخافه القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بسوط فى ذل ويقال ان الناس لازالوا يتسللون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتي خرج اليه قريب من عشرة آلاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير واخذا لانفسهما أمانا من الحجاج فامنهما ودخل عبد الله على امه فشكا اليها خذلان الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى اولاده واهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطونني ماشئت من الدنيا فما رأيك فقالت يا بني انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فلبئس العبد انت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك كم خلودك في الدنيا فدنا منها وقبل رأسها وقال والله ما ركنت الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها وما دعاني الي الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمته وبعد ان قتل وصلب على الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت أمه اسماء رضى الله تعالى عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج اما آن لهذا الراكب ان ينزل فقال لها الحجاج المنافق رأيت كيف نصر الله الحق واظهر انا نك ألحد في هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وقد اذاقه الله ذلك العذاب الاليم * وفي كلام سبط ابن الجوزى ان ابن الزبير لما قال لعثمان رضي الله تعالى عنه وهو محاصر ان عندي نجائب اعددتها لك فهل لك ان تنجو الي مكة فانهم لا يستحلونك بها قال له عثمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل فى الحرم من قريش او بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا * وفى رواية قال له لا لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس هذا كلامه وعندى ان المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من قريش على ان الذى فى الصواعق لابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى ان القائل لعثمان ذلك المغيرة بن شعبة ولما سمعت سيدتنا اسماء رضي الله تعالى عنها الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا كان اول مولود ولد فى الاسلام بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض ان يعصي الله عز وجل قال انصرفي

داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان في اسلامه شئ ونفاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي مما تزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه وسمو كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله (٢٠٨) لا تحل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء كل أمر ناب النبيين فالشد * ة فيه محمودة والرخاء لو يمس النضار هون من النا ر لما اختير للنضار الصلاء

* ومما وقع لابي بكر رضي الله عنه من الاذية مما ذكره بعضهم كما في السيرة الحلبية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من اصحابه سرا أي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر رضي الله عنه في الظهور أي الخروج الي المسجد فقال له النبي صلي الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم وقام ابو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الي الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على ابي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ ابو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب ابا بكر رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف انفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن ابي بكر رضي الله عنه الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون في موته أي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات ابو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابي بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتي اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي الى

فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار بن أبي عبيد الثقفي والى العراق فانه لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه اتفق مع طائفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين من أهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت وأما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسماء كتب اليه يلومه على ذلك أي ومن ثم أرسل اليها الحجاج فابت ان تأتيه فاعاد اليها الرسول وقال اما ان تأتيني أولا بعثن اليك من يسحبك بقرونك فابت وقالت والله لا آتيك حتي تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك أخذ نعليه ومشى حتي دخل عليها فقال يا أمه ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بام ولكني أم المصلوب على رأس الثنية ومالي من حاجة ولكن انتظر حتي أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فانت فقال الحجاج مبير للمنافقين ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه يأتيه الوحي ويسر ذلك لاصحابه * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت أقوم بالسيف على رأس المختار بن أبي عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من على هذا الكرسي فاردت ان اضرب عنقه فذكرت حديثا حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا مستند ما نقل عن كتاب الاملاء لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من القول بان المسلم يقتل بالمستامن وقد كتب المختار للاحنف بن قيس وجماعته وقد بلغني انكم تسمونني الكذاب وقد كذب الانبياء من قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه أمور تشبه الكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد المجهز للجيش لمقاتلة الحسين رضي الله تعالى عنه كما تقدم قال لاصحابه في غد يأتيكم خبر النصر وقتل ابن زياد فكان كما أخبر وجئ برأس ابن زياد وألقيت بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء اليوم الذى قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب بن الزبير برأس المختار بين يدى مصعب لما ولى العراق من جانب أخيه لابيه عبد الله بن الزبير * ومما يؤثر عن مصعب العجب من ابن آدم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت رأسه ووضعت بين يدى عبد الملك بن مروان وعن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدى المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد

أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه أى فانهـا كانت أسلمت وهى تخفى اسلامها فسا ليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسال عن محمد بن عبدالله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضي الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وانى لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضي الله عنه مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك (٢٠٩) تسمع قال فلاعين عليك منها أى انهـا لا نفشى سرك قالت سالم قال أين هو قالت فى دار الارقم فقال والله لاأذوق طعاما ولاأشرب شرابا أوآتى رسـول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجـلُ وسكن الناس خرجنا به يتكىء على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسـلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله واكب عليه المسـلمون كذلك فقال بابي أنت وأمى يارسول الله مابي من باس الا ما نال الناس من وجهي وهـذه أمى برة بولدها فعسي الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسـلام فاسلمت * وذكر الزمخشرى فى كتاب خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابى بكر رضى الله عنه لما أسلم واخبر قريشا باسلامة فليتامل فان تعدد الواقعة بعيد ﴿ومما وقع لعبدالله ابن مسعود رضى الله عنه

﴿ ٢٧ - حل - اول ﴾ من الاذية ﴾ أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ماسمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسـلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلاله عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهـم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش فى انديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا مابال ابن أم عبد

بعد ذلك بحين فرأيت رأس المختار بين يدى مصعب بن الزبير ومصعب بن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك وانت على السرير فقال عبدالملك لا اراك الله الخامسة ثم امر بهدم ذلك ﴿ وعن امامنا الشافعى ﴾ رضى الله تعالى عنه ان اباالحجاج لـما دخل بأم الحجاج واقعها فنام فراى قائلا يقول له فى المنام مااسرع ما انجبت بالمبير ﴿ وفى كلام سبط ابن الجوزي ﴾ ان ام الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انقلبت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك القذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله مافرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا هو شيء مما ظننت ولكني استكت فاردت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فخرج فلقي يوسف بن ابى عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شيء ادعوك اليه قال وماذاك قال اني نزلت عن سيدة نساء ثقيف وهى الفارعة فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج ﴿وفى حياة الحيوان﴾ انها كانت قبل ابي الحجاج عند امية بن ابى الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها الامية كان قبل المغيرة وكونها سيدة نساء ثقيف يبعد القول بانها المتمنية التي مر بها سيدنا عمر رضي الله تعالى عنها وهى تنشد * هل من سبيل الى خمر فاشربها * الابيات وانه كان يعير بها فيقال له ابن المتمنية وفى مدة صلب عبدالله بن الزبير صارت امه تقول اللهم لا تمتني حتي تقر عيني بجثته وذهب اخوه عروة بن الزبير الى عبدالملك بن مروان يسال فى انزاله عن الخشبة فاجابه وانزله قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من اعضائه الا جاء معنا فكنا نغسل العضو ونضعه فى اكفانه وقامت فصلت عليه امه وماتت بعده بجمعة ذكر ذلك فى الاستيعاب وقيل بعده بمائة يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لهـا ولم ينكر لهـا عقل وقتل مع ابن الزبير مائتان واربعون رجلا منهم من سال دمه فى جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبدالله بن صفوان بن امية الجمحي قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع راسه وبعث الحجاج براسه وراس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون راس عبدالله بن صفوان الى راس ابن الزبير كانه يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك بن مروان ﴿ولمـا﴾ وضعت رأس عبدالله بن الزبير بين يدى عبد الملك سجد وقال والله كان احب الناس الى واشدهم إلفا ومودة ولكن الملك عقيم اى فان الرجل يقتل ابنه او اخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وستاتي مدحة عبد الملك لعبدالله بن الزبير وتوبيخ امير الجيش الذى ارسله يزيد لمقاتلته وقد كان ابن الزبير قال لعبدالله بن صفوان اني قد اقلتك بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انما اقاتل عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما آمنا ومما يدل لما تقدم من ان عبدالله بن الزبير كان عنده سوء خلق ماحكي انه جاءه اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلبون العلم وان الناس على باب اخيه عبد الله يطلبون الطعام فاحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له انطلق الى ابن العباس رضي الله تعالى عنهم وقل

يعني اباجهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان اعز فتى فى قريش واشدهم شكيمة أي أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانو ينالون منه واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اى لا ناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من اسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب (٢١٢) بالجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد منهم لا يقدر ان يستوى جالسا من شدة

البيت او ليقتلان دونه (وفى حياة الحيوان) العرب اذا ارادوا مدح الانسان قالوا كبش واذا ارادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام رأي شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رأيته قال نعم ولا اعرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون فى كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفى الله الابعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه امر لم ينقل مثله عن احد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان أكبر لذاته سفك الدماء قال بعضهم والاصل فى ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس فى صورة الحرث بن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا أسود والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدى أمه وذكر انه أتي اليه بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة فقالت اني استحي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه فامر بها فقتلت وقد احصى الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين الفا ولما عزى سيدتنا اسماء عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وامرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بني اسرائيل وقد جاء ان هذه البغى اول من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه يوم قتل يا امه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله فان ابنك لم يعمد لاتيان منكر ولا عمل فاحشة وفى كون عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما تاخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك فى الطواف فرض من ذلك اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك وقال قتلني الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل قال ولم قال لانك الذي امرته وقول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول ابيه عمر رضى الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اى رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهي في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل ان يولد الحجاج ثم رأيت فى تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه عبد الله بن عمر ويوافقه ما فى الدلائل للبيهقي ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك ابا حبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت ما علمت صواما

الضرب الذى به وكان ابو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم له شرف ومنعه جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك وليهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتي أن منهم من فتن عن دينه ورجع الى شرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وابى القيس ابن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضى الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل فى السنة السادسة وقال حمزة رضى الله عنه بعد أن أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها * بايات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
اله الناس شر جزاء قوم * ولا سقاهم صوب الخريف

وحين اسلم حمزة رضى الله عنه وأرى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وابو سفيان بن حرب ورجل من بني الدار وابو البحترى والاسود بن

المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
فانوا منزل أبي طالب وسالوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يامره ازالة شكواهم وان يجيبهم الى امر فيه الالفة
والصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هذا الملا من قومك فاشكهم اي ازل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب ادخل على
قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد
جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذى ياتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا فى طلب الطب اى العلاج لك حتى نبرئك منه او نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوا على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفى رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة ابن ربيعة وفي رواية ان عتبة
قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض
عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس الى رسول صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك
منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم
وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفى رواية لقد فضحتنا فى العرب حتى طار فيهم ان فى قريش ساحرا

قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بني العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف أربعين لغة ويمارى فيها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما فى كلام جرى بينهما لا ام لك فقال الى تقول هذا وانا ابن عجائز الجنة يعني جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وامه اسماء وقال الحجاج يوما لشخص ما تقول فى عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما أقول في رجل أنت سيئة من سيئاته وقد أطلق سليمان بن عبد الملك لما ولى الخلافة من سجن الحجاج سبعين الفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به الحبس فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء ولم يكن لحبسه بيوت أخلية فكان الرجل يبول بجانب المرأة والمرأة تبول بجانب الرجل فتبدوا العورات وكان كل عشرة سلسلة ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له أهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا أقل من جمعة وآخر من قتله الحجاج التابعين سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه ولم يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا وقال عمر ابن عبد العزيز لو جاءت كل امة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من أخصاء الحجاج بعد موت الحجاج أبلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا امير المؤمنين يجيء الحجاج يوم القيامة بين ابيك عبد الملك وبين اخيك هشام بن عبد الملك فضعه من النار حيث شئت * ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى بيده الى عينيه الحجاج وعبد الملك فى النار يسحبان بامعائهما ثم عاد ميتا كما كان والحجاج متاصل فى الظلم فقد رايت بعضهم حكى انه يقال في المثل اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداده الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا فى امر فقال لا والذى انت بين يديه غدا اذل مني بين يديك اليوم فقال والله انى يومئذ لذليل واول من ضرب الدراهم في الاسلام الحجاج بامر عبد الملك ابن مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله الصمد اي على احد وجهى الدراهم قل هو الله احد وعلى وجهه الثاني الله الصمد ولم توجد الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس ضرب دراهم وسماها البقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك فى سنة اربع وعشرون وستمائة ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سال هل بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه ساله وقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من عمران الى خراب فقال له وكيف القدوم على قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعرى ما لنا عند الله قال أعرض عملك على كتاب الله تعالى فقال في اى مكان اجده فقال في قوله

وان في قريش كاهنا ما نريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى فاسمع اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي فيصير الامر لك والنهي وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن يقرئك حتى لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت ابا الوليد فانت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا السلامة فذهبوا اليه وفي رواية رجع اليهم فقال لهم أبو جهل ارى الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا له ما وراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فاطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفي رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان في نصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفي رواية لما اكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا ابدا وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما ارى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه . فقال ابو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد

تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فاي عباد الله أكرم قال أولو المروأة * وجاء اعرابي الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال يا أمير المؤمنين اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما خرست عنه الالسن تاديه لحق الله انه قد اكتنفك رجال قد أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخانوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يبالوا بالامانة وانت مسؤول عما اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان انت ما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير المؤمنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولد عمه وولي عهده عمر بن عبد العزيز الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم الا تعالى ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله استعين وقال يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلاك وفرح لولم يعقبه ترح ولذات لولم تقترن بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان رحمه الله حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر بن عبد العزيز بشر بها جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فعنه رضى الله تعالى عنه انه قال ان من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملأ الارض عدلا فكان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الارض عدلا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان امه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ﴿ومما يؤثر عن سليمان رحمه الله تعالى﴾ انه لما ولي الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء اعطى ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال في خطبة من خطبه ايضا ايها الناس اين الوليد وابو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واستردّ العواري واضمحل ما كان لم يكن اذهب عنهم نابت الحياة وفارقوا القصور واستبدلوا بلين الوطىء خشن التراب فهم رهناء فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا امهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴿ولما ولي الخلافة﴾ ابو جعفر المنصور واراد ان يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك ابن انس انشدك الله اي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أي أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه قال وذكر الطبري في مناسكه ان الذي اراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى ﴿اقول﴾ وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونة لستة ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز ان يكون دخل المدينة قبل سيره الى مكة واستشار الناس

وانجبرك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة مافهمت شيأمما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدرى ماقال فقال والله ماهو بالشعر الخ ماتقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا مابدا لكم ولا مانع ان يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة بن ربيعة وحده وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما ان القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ماعرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا اقل ماءا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن الا ان يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل بكل ماتحتاج اليه في دنياك وآخرتك وقالوا له مرة ايضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وماهي قالوا تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبده انت كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي تعبده انت خيرا كنا قد اخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى انظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل ياأيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ماعبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين * وعن جعفر

في المدينة فقال له الامام مالك ماتقدم وان الرشيد أيضا اراد ذلك واستشار الامام مالكا فاشار عليه بما ذكر ثم رايت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالكا في ردها اي الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني اخشى ان تتخذها الملوك لعبة ورأيت في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان المنصور حج وهو خليفة اربع حجات غير الحجة التي مات فيها وكذا في القرى لقاصد ام القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وانه احرم في بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ الصفوي ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل جماعة امامه وقال حيث ماوجد تم سفيان خذوه واصلبوه فنصب الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام وراسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينه فقيل له خوفا عليه بالله لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال هذا المخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببئر ميمون لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول خيله وركبه فليتامل ثم رأيت في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفي ولعل هذا لا يخالف ماسبق لانه يجوز انه طلق مكة على المحل القريب منها وانه مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل وآخر ماتكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقائك ومما يؤثر عنه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله اعلم وتقدم ان قصيا لما امر قريشا ان تبني حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابو بكر رضي الله عنه فلما ولي عمر رضي الله تعالى عنه رأى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدرا قصيرا على ذلك وجعل فيه ابوابا ثم وسعه عثمان ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك ابن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد بن عبد الملك نقل ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي أولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد ادخلت دار الندوة في المسجد وتسمي مكة فاران وتسمي قرية النمل لكثرة نملها او لان الله سلط فيها النمل على العماليق لما أظهروا فيها الظلم حتى أخرجهم من الحرم كما تقدم ولها اسماء كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمؤلف ﴿اقول﴾ وسياتي عن الامام النووي انه ليس في البلاد اكثر اسماء من مكة والمدينة والله اعلم قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه خلقت الكعبة اي موضعها قبل الارض بالفي سنة كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها في وسط الارض انتهي وسئل الجلال السيوطي رضي الله تعالى عنه

الصادق رضى الله عنه ان المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت أى لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم عابدون ما أعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضي الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا فى القرآن لو قال امرؤ القيس

* قفا نبك من ذكرى حبيت ومنزل * (٢١٦) وكرر ذلك مرتين أو أكثر فى نسق اما كان عيبا فكيف وقع فى القرآن قل يا أيها الكافرون الخ السورة وهى مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولى دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد انزل الله ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآيات وأنزل الله ايضا ما يكون لى ان أبدله من تلقاء نفسى الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وامية بن خلف والوليد ابن المغيرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلي والله وفي لفظ هل ترون بما اقول باسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها وكان رجلا أعمي وهو ممن أسلم بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باطل بإزائك القوم وقد راي منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه وفى رواية أشار الى قائد بن أم مكتوم ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله فى ذلك بقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآيات فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه وكان كفار قريش

عن قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض فى ستة أيام هل كانت ايام ثم موجودة قبل خلق السموات والارض فاجاب بان خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدهما على الآخر واستند في ذلك لماثور التفسير وفي الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه اظهر حرمتها

﴿باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اخبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته فى الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها﴾

قال ابن اسحق وكانت الاخبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه أما الاخبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه واما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين فيما تسترق به من السمع اذا كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث وكان الكهان والكهانة لا تزال يقع منهم ادكر بعض أموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التى كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بان الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم فى السماء قبل وجوده فاما اخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر اي عند قوم اصحاب اوثان () القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان اوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذى يحلف به ولود اي الشخص ان له بحظه من تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد واشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وانا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفد اى يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اى ذلك اليهودى بين اظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان الست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به ﴿ومن ذلك﴾ ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضى الله تعالى عنه قال رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية اى ترك عبادتها قال فلقيت رجلا من اهل الكتاب من اهل تيماء اى وهي قرية بين المدينة والشام () فقلت اني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة احجار فيعين ثلاثة لقدره اي يستنجى بها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه شكلا قبل ان يرتحل فيتركه وياخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو احسن منها تركه واخذ ذلك الاحسن فرايت انه اله

يقترحون على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون ان ياتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء ان يسلم الناس باسلامهم فكان يسال الله تعالى ويتضرع اليه في اعطائهم ما يسالون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال الله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة في خلقه ان أقوام

الانبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الامة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان يؤخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال الله تعالى وما منعنا ان نرسل الآيات الا ان كذب بها الاولون أي فاخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لاخذوا كما أخذ الاولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سالوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن

فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفي رواية فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به فقالوا له فسل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفي لفظ قالوا له لم لا نزل عليك الملائكة فتخبرنا بان الله ارسلك ونؤمن حينئذ لك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا واساله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلا بد ان

باطل لا ينفع ولا يضر ودلني على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة آتي فاسال هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسالت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيره فشددت راحلتي ثم قدمت منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه اشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسالته أي شيء أنت قال نبي قلت من نباك قال الله قلت وبم ارسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتامرني ان امكث معك او انصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة فسرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي اتيتني بمكة * ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب اوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا انا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وارم أي يستاصلكم بالقتل * فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآيات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين فحل بين اظهرنا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس قط افضل منه أي لا أظن احدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا اصلية لا زائدة فاقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمطر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك وباسكان الميم الشجر الملتف والخمير الى ارض البؤس والجوع قلنا أنت أعلم قال فانما قدمت هذه الارض اتوكف أي اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه أي اقبل وقرب كانه لقربه اظلهم أي اتى عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت ارجو أن يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن خالفه ولا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الهاء وفتح الدال المهملة وقيل بسكونها اخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية ويقال اسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بني

تتمزعا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفي لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك ان يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذي يسال ربه هذا وروي ان كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها في آخر المجلس الذي كان مقبلا عليهم فيه حين جاء ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذي كان منهم في أول المجلس بالغلظة فأيس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا أسفا على مافاته من هدايتهم التي طمع فيها * وممن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي أمية المخزومي وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو أخو ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وامه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من اشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم اسلم رضي الله عنه عام الفتح واستشهد في غزوة الطائف قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك اى كتاب معه اربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول وايم الله لوفعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الاسراء في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيهم جميع ما سالوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثاني لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سالوا

قريظة والنضير لما انه لهو صفته فنزلوا وأسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم وأهليهم كما سيأتي * قال ومن ذلك خبر العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيهم ابو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان محمدا قائم في ابطح مكة يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فاردت أن اقول نعم فخشيت من أبي سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رأيت فهل لك ان تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني أعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال أي والله اني لاذكرها انتهى أي ومن ذلك ما جاء عن أمية بن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال أمية اما انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تابعا لفتى من بني عبد مناف وسيأتي ذلك باسط مما هنا واما الاحبار والرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل فيكم احد من اهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو نبي هذه الامة وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر بذلك فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية ابا بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين اه * أقول يحتمل ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصري كما تقدم في سفره ويحتمل ان يكون غيرهما وهو أولى لما تقدم ان كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله اعلم * اي ومنها ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شئ سال عنه ان قال مافعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان واعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اى اشرافهم فقال لهم اني كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ اربعين سنة اى من صومعته

فيستعجلوا بالعذاب لان الله تعالي يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى في كتابه العزيز كثيرا من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية عنهم . قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فاجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق . لما استعظموا أن يكون الرسول بشرا وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا انزل الله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وما أنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بانهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الامر عليهم ولو بقي على صورته لقضى الامر عليهم باخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا ان ذلك سحر أو قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لو لا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو اننا انزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أي فانهم لا يؤمنون وقال تعالى في الرد عليهم حين صاروا يسألون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالي حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله

فنزل يوما فاحتشموا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال من الرجل فقلت أنى من قريش قال ان رجلا منكم خرج زعم أن الله ارسله قال ما اسمه فقلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال الا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ في صفته شيأ ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لي اقرأ عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية أي والحديبية سيأتي انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب * أي ومنها ما حدث به حكيم بن حزام الزاي رضي الله تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجر قبل أن أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أي العرب أنتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم فقلت يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل أنتم صادقي فيما اسألكم عنه فقلنا نعم فقال أنتم ممن اتبعه أو ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن اشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فاتي محلا في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فامر بكشفه فاذا صورة رجل وقال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابها ففتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول أما هذا صاحبكم فنقول لا فيقول انا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد ابن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ أكثر من الف سنة وان صاحبكم نبي مرسل فاتبعوه ولوددت أني عبده فاشرب ما يغسل من قدميه * ووقع نظير ذلك لجبير ابن مطعم رضي الله تعالى عنه وانه رأى صورة أبي بكر آخذة بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر آخذة بعقب صورة أبي بكر وقال من ذا الذي آخذ بعقبه قلنا نعم هو ابن أبي قحافة قال وهل تعرف الذي آخذ بعقبه قلت نعم هو عمر بن الخطاب قال أشهد ان هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا هو الخليفة من بعد هذا * ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد الياء أي وفي لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبي فمن اصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير أهل قريته أي وفي لفظ كنت من أبناء اساورة فارس وكنت أحب خلق الله تعالى الي أبي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطاء المهملة ويروى بفتحها بمعنى قاطن أي خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني ان احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من امري فخرجت اريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا ادري ما أمر الناس لحبس أبي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين اصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الي ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال اي بني أين

وقال تعالى في الرد عليهم في قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل ان الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون أنها حجة لهم ردها الله عليهم باحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ورد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا اي نزلناه كذلك أى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ثم قالوا له اسقط علينا السماء كسفا أي قطعا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وقالوا مرة انما ان الذي يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن ابدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو اى الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى ردا لسؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وعن محمد بن كعب القرظي ان الملأ من قريش أقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله ان يعطيهم ما سالوا فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوما باية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا امرت بعذابهم وفي رواية اتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به انزلت عليهم عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت ان لا يصير لهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب

كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بالناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال اى بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني أى خاف مني أن اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة أخبروني بهم فاخبروني بهم فالقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك في كنيستك واتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه اشياء منها اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيا فقالوا لي وما علمك بذلك فقلت أنا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوأة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاث قماقم فيها نحو نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة أى ولم يصلوا عليه صلاتهم مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان تقيا من الشهوات ثم قال في الفتوحات المكية أجمع اهل كل ملة على أن هذا الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرنا الله تعالى منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة هذا كلامه * قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا * قال ورأيت شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب اى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا على عاتقه نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس ارى انه أفضل منه اى لا اظن احدا من غير المسلمين أفضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا لم احب شيا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيا قبلك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالي من توصي قال اي بني والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب اى دفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد

تالبهم فقال بل حتى يتوب تالبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لانه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل و فوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا اماسألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء (٢٢١) لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان في ذلك لآية وقال في آخرها اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وهم يعلمون ان الذي جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد أن بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم وقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الي موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى في قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى في قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في شان آدم عليه السلام ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين ثم بين قصة الملا الاعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما احتضر أي حضرته الملائكة لقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي الى فلان ثم ان فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني قال يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصي بي الي فلان ثم أوصى بي فلان الي فلان ثم أوصي بي فلان اليك الى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بني والله ما اعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد أظل اي اقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب * اقول وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسي أربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون في النور انهم بضعة عشر وان هذا أظهر والله اعلم قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه فقالوا نعم فاعطيتهموها اي اعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحق عندي أي لم أتحقق ذلك فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها أي تحققتها بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام بمكة ما اقام لا أسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي رأس عذق أي نخل لسيدي اعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة أي وهما الاوس والخزرج لان قيلة امهما فقد جاء ان الله أمدني باشد العرب السنا واذرعا بني قيلة الاوس والخزرج والله انهم الآن لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل قباء بتاء التانيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعتها اخذتني العرواء وهي الحمي النافض أي الرعدة والبرجاء الحمى الصالب حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء انما أردت ان اثبته فيما قال وقد كان عندي شيء جمعته اي وهو محتمل لان يكون تمرا او لان يكون رطبا فلما أمسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت اني قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي

بما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الانبياء والامم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خللا في كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان أبو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي

يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله والحاصل انهما تحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة واساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبد النبي الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وقد اشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء

والذى يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء

او لم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء

اعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتى به البلغاء

كل يوم تهدي الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء

تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت * في حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فصل * رقة من زلاله وصفاء

انما تجتلى الوجود اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء

كم ابانت آياته من علوم * عن حروف بان عنها الهجاء

فهي كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكاء

فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء

كان

للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة أي ومن ثم لما اخذ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ أما تعرف انا لا نأكل الصدقة رواه مسلم * وروي أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال انى لانقلب الى اهلي فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فالقيها * ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي أوساخ الناس وفي رواية ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على آله وقال الثورى تحل الصدقة لآل محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك جاء الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ هو أيضا يحتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر اصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان أي ومن ثم روي مسلم كان اذا أتي بطعام سأل عنه فان قيل هدية اكل منها وان قيل صدقة لم يأكل منها قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه أي وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قيل وهو أول من دفن به وقيل أول من دفن به اسعد بن زرارة وقيل اول من دفن به عثمان ابن مظعون وجمع بان أول من دفن به من المهاجرين عثمان أي وقد مات في ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به من الانصار كلثوم او اسعد أي وفي الوفيات لابن زبر مات كلثوم ثم من بعده ابو أمامة اسعد بن زرارة في شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت الذى مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة واول من مات من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت اوصى ان يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على القبر قال سلمان وكان عليه الصلاة والسلام عليه شملتان وهو جالس في اصحابه وسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى الرداء عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه أي وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتى بتاجر من اليهود

واذا البينات لم تغن شيئا * فالتماس الهدى من عناه   واذا ضلت العقول على علـم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوماً أينزل القرآن على محمد واترك انا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف فانزل الله تعالي وقالوا لولا نزل اي هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (وفي رواية) قال بعضهم كان الاحق بالرسالة لوليد بن المغيرة من أهل مكة او عروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر ابن الحرث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سالاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار اليهود وقالا لهم اتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفي لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفاته فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن على ماهى عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبي مرسل وان لم يفعل فتقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول يعنون بذلك اهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ماهي فاذا اخبركم بحقيقة الاولين و بعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد واخبراهم الخبر فجاؤا الى النبي صلي الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل

كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي بحرف الترجمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جاء ليؤدينا فنزل جبريل وترجم عن كلام سلمان فقال النبي صلي الله عليه وسلم ذلك اى الذي ترجمه له جبريل لليهودى فقال اليهودي يامحمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلي الله عليه وسلم ما كنت اعلمها من قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يامحمد قد كنت قبل هذا اتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ثم قال النبى صلي الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه و يفتح فاه ففعل سلمان فمج جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل على ان ذلك كان عند مجيئه فى المرة الثالثة وحينئذ يشكل بمجيئه اولا وثانيا وقوله ماتقدم بالعربية الاان يقال ذلك لقلته سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرته لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية * قال وقد اختلفت الروايات عن سلمان في الشئ الذى جاء به للنبي صلى الله عليه وسلم اولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها تقتضي انه تمر اه أى وفيه ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى والثانية ففي بعض الروايات فسالت سيدي ان يهب لى يوما فعملت في ذلك اليوم على صاع اوصاعين من تمر وجئت به النبى صلي الله عليه وسلم فلما رأيته لا ياكل الصدقة سالت سيدي ان يهب لى يوما آخر فعملت فيه على ذلك أى على صاع اوصاعين من تمر ثم جئت به النبي صلي الله عليه وسلم فقبله وأكل منه اى والذي في كلام السهيلي قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسالت سيدتى ان تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لا يجوز ان يكون عني بسيدته زوجة سيده لانه يقال لها سيدة فى المتعارف بين الناس أو ان المرأة هي التى اشترته و يؤيده ماياتى وزوج تلك المرأة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال وقيل ان الذى جاء به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جئت بمائدة عليها بط وفي رواية عليها رطب وجمع بانه اولا قدم الخبز واللحم الذى هو البط والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متحد اه (قول) تقديم الرطب فى المرة الثانية يخالف ماتقدم انه فى المرة الثانية كان تمرا والله اعلم ثم شغل سلمان الرق حتي فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد فكان اول مشاهده الخندق كما سياتى وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصائه صلي الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخله اي ودية على وزن فعيله وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر أى ومن ثم قيل للبئر الفقير أى احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصيير حيه بتلك الحفرة أى واتعهدها الى ان تثمر والودية والفسيلة هي النخلة الصغيرة التى جرت العادة بان تنقل من المحل الذى تنبت فيه الي محل اخر لكن في كلام بعضهم اذا اخرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهى جبارة و يقال

ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحي وتكلم قريش فى ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك ام قبيح امرأة عم ابي لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أى تركك وابغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف

وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور فى سورة الاسراء وهو ان الروح من أمر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اى من علمه لا يعلمه الا هو وكان فى كتب اهل الكتاب ان الروح من امر الله اي مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وانزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وابغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير فى بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما اجابهم صلى الله عليه وسلم عما سالوا زادوا بغيا وكفرا ونسبوه فى ذلك الى السحر والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم وهي من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدى قال الحلبي في السيرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد اخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم الميرة او يجلب اليكم جلب او يحل اى ينزل بساحتكم تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم فما زال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر انه قدم بثلاثة

للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها وعلى اربعين اوقية اي من ذهب كما سيأتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينوا اخاكم فاعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل يعين بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب على ان يغرس لهم خمسمائة فسيلة أي يحفر لها ويغرسها أي ويتعهدها الى ان تثمر وعلى اربعين اوقية قال سلمان فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان ففقر أي بالفاء وفى رواية فنقر أي بالنون أي احفر لها فاذا فرغت فائتني أنا أضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها وأعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فاخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الوادى فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي على المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة أي وفى رواية بمثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة أي اكبر من بيضة الحمامة وأصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسى المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان أى تكون بعضا مما عليك وحينئذ قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما على لان النبي يؤديه بعضه وان قل ذلك البعض الا أن يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الاداء كان له وقع بالنسبة للكل وقد أشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن أن يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين اوقية فاوفيتهم حقهم أي وبقي عندى مثل ما أعطيتهم قال وهذا اي سؤال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح فى ان الاواقى التى كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جاء أي مما يدل على ذلك فى بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وأين تقع هذه مما على فقلبها صلى الله عليه وسلم على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها وأيضا اى مما يدل على ذلك أيضا ان المعلوم ان قدر بيضة الدجاجة من الذهب يعدل أكثر من اربعين اوقية من الفضة اه أى فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما على وقد صرح بذلك اى بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفاء فقالا على أربعين اوقية من ذهب والى القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء

أى ووفى قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون أوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفي دينه منها وبقى عنده منها مثل ما أعطاهم وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا أى رقيقا بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها لهم

ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت العراجين من نخيله التي غرسها أي غرست له أفلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم من ايذائه حين ان غشيته قوة الحمي من أجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى سلمان أي كان سببا لشرائه أي مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضي الله تعالى عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وذكر البخاري ان سلمان رضي الله تعالى عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال ويجوز أن يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر انتهي * أقول وهذا الحائط الذي غرس فيه لسلمان من حوائط بني النضير وكان يقال له المنبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية كان يدعي قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما أقره على الرق وأمره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وادي عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتامل فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يامر أصحابه ان ياكلوا مما جاء به صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الائمة قلنا يجوز أن يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ماملكه له سيده ثم نسخ ذلك على ان بعض أصحابنا ذهب الي صحته وفي كلام السهيلي وذكر أبو عبيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه أو انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجيء مكاتبته على قواعد ائمتنا لم يستدلوا على مشروعية الكتاب بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسال والله أعلم وعن سلمان رضي الله تعالى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بالقصة المتقدمة زاد ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت حتى جئت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدي الغيضتين الى الاخري فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخلها الا منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنفية دين ابراهيم فقال انك لتسال عن شيء مايسال عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من اهل الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت عيسى

اجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث اثمانها لم يسمها الاجله سائم قال فاكسد على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى اجماله فرأي جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتي ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وافضل بعيرا باعه واعطي ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي جهل اياك ياعمرو أن تعود لمثل ماصنعت بهذا الرجل فترى مني ماتكره فجعل يقول لا أعود يامحمد لا أعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على ابي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا والله ذلك في يد محمد فاما أن تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجلا عن يمينه ورجلا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل بعد ان بعثه كفار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء مايخلصك من ابي الحكم الا هذا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لابي جهل في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن اعطيه لطعنني ونظير ذلك بل عجب منه قصة الاراشي وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من ابي جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم انه لا قدرة له على ابي جهل وكان ذلك بعد أن وقف على ناديهم وقال يامعشر قريش من يعينني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني

على حقي فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع ابي جهل فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وانا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه فاشاروا اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اى تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل وأخرج ماهو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذ لي بحقي وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب العجب والله ماهو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكأنه ليس معه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل ما رأيت مثله قط لو ابيت او تأخرت لاكلني والى هذه القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى اتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

وقوله هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله ان يلقي الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيبس الحجر في يده ورجع القهقرى

ابن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى أى كانت مجنونة فابرأها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالا عليك فقال اني لم أقتل ولم أصلب ولكن الله رفعني وأكرمني وأخبرهما ان الله اوقع شبهه على الذي صلب وأرسل الى الحواريين أى قال لامه ولتلك المرأة أبلغا الحواريين أمري أن يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم أمرهم أن يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو أى حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح هذا كلامه ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمي أحدهما محمدا والآخر موسى يمكث اربعين سنة وقيل خمسا وأربعين وقيل سبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان سنين وقيل تسعا وقيل خمسا أي وجمع بين كون مدة مكثه أربعين سنة اوخمسا واربعين سنة وبين كونها سبع سنين أى وما بعد ذلك بان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة أي وما بعدها من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم أي عند قبره الشريف وقيل في بيت المقدس انتهي أى وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم في قبره ويؤيده ما ورد يدفن معي في قبري فاقوم أنا وعيسي من قبر واحد بين أبي بكر وعمر * أقول وكما يقتل عيسي عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال فقد جاء ينزل عيسى حكما مسقطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدى بعد أن يقول له المهدى تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد أقيمت لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدى في الصلاة فيرجع المهدى القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة اخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي وورد أن المهدى يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدى من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان أمه أم الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسري والباه اى أسقاه اللبا من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدى اي الخليفة وهو ابو الرشيد بدليل قوله حتي يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم أى وهو المهدى الذي يأتي آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفي رواية الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد أن يكسف القمر في أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون

وهو منتقع اللون كما تقدم وأخبر بانه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه ومن استهزائه ايضا أنه سار في بعض الأوقات خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخالج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى ان مات قال ابن عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم العاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدى السهمي ابن عم العاصي كان أحد اشراف قريش في الجاهلية قيل أنه اسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية اعني انا كفيناك المستهزئين لانه انما هلك كافرا يوم بدر وفي رواية انهم كانوا ثمانية فزادوا ابا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جار بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي ومن استهزائه ايضا أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبي في السيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل وقال ما انا بآكل طعامك

عشرون سنة وقيل أربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم واما ما ورد لا مهدي الا عيسى بن مريم فلا ينافي ذلك لجواز ان يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقد جاء لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك أي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة أنجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم وأما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى أحد عشر نجما وقيل اثني عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان تكون الخلفاء من بني العباس اثني عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل ان المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروى ابو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا أسرك يا ابا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك وقد افردت ترجمة المهدي المنتظر بالتاليف في مجلد حافل سماه مؤلفه القواصم عن الفتن القواصم وقد رويت قصة سلمان رضي الله تعالى عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم فعنه قال كان لي أخ أكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير مامرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك قال انت غلام وأخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قال ان في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الآخرة ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استأمرهم فاستأمرهم فقالوا جيء به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا هم ستة او سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبياء حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وأبرأ الاعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا اليها تصير وان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران اهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فاثنوا عليه خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من رسله وانبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر

حتى تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة أشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فاخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال ياعقبة صبوت فقال والله ماصبوت ولكن دخل منزل رجل شريف فابى ان يا كل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال له أبى وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقى النبى ففعل به ذلك قال الضحاك لما برق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه وو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق فى وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا فى وجهه أنه صار كالبرص وانزل الله فى حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله بعض انه يا كل فى النار احدى يديه الى المرفق ثم يا كل الاخرى فتنبت الاولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن ابى العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بانفه وفمه يسخر بالنبى صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه نبى صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لابى جهل واستمر الحكم بن ابى العاص يخلج بانفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه وبقى ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان فى اسلامه شئ وكان يجالس المنافقين و ينقل اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى فى يده والمدرى كالمسلة اشترى

عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ماجاء به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما أنا بمفارقك فقال ياغلام انك لا تستطيع ان تكون معى انى لا أخرج من كهفى هذا الا كل يوم أحد قلت ما أنا بمفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رأيته نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما أصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبثت ماشاء الله ان يخرج فى كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج فى أحد فقال مثل ما كان يقول ثم قال ياهؤلاء انى قد كبر سنى ورق عظمى وقرب اجلى وانى لا عهد لى بهذا البيت يعنى بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لى من اتيانه فقلت ما انا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى أتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلى وكان فيما يقول لى ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة علامته ان يا كل الهدية ولا يا كل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوه وهذا زمانه الذى يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ كبير لا أحسبنى أدركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت وان أمرنى بترك دينك وما أنت عليه قال وان أمرك ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولنى يدك فناوله يده فقال له قم باسم الله فقام كانما نشط من عقال فقال لى المقعد ياغلام احمل على ثيابى حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت فى اثره اطلبه كلما سالت عنه قالوا أمامك حتى لقينى ركب من كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتى اناخ رجل بعيره وحملنى عليه فجعلنى خلفه حتى أتوا بى بلادهم فباعونى فاشترت امرأة من الانصار فجعلتنى فى حائط لها اى بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبرت به فاخذت شيأ من تمر حائطى ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ماهذا قلت صدقة قال للقوم كلوا ولم يا كل هو ثم لبثت ماشاء الله ثم اخذت مثل ذلك ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ماهذا فقلت هدية قال بسم الله وا كل وا كل القوم فقلت فى نفسى هذه من آياته ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما وفى الدار المنثور ان امرأة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بينما هو يوما يرعى اذا تاه صاحب له فقال له أشعرت أنه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبى فقال له سلمان أقم فى الغنم حتى اتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه خبزا ثم اتاه به فقال ماهذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لى بها فاخرجها فاكلها اصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فاتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعد وأكلا جميعا منها قدرت خلفه ففطن بى فارخى ثوبه فاذا الخاتم فى ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتامل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال فى كل سنة خمسة الاف وكان يتصدق بها ولا يا كل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت أمير وهو يجرى عليك رزق فقال انى احب ان آ كل من عمل يدى وربما

اشتري اللحم وطبخه ودعا المجدوبين فاكلوا معه واول مشاهد الخندق كما تقدم قيل وشهد بدرا واحد قبل ان يعتق اى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه والله اعلم واما اخبار الكهان لاعن السنة الجان فكثير منها ماتقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه قال ومنها أيضا خبر عمرو بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه قال والله علمت ان محمدا رسول الله قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الابراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر آج لعله من اجيج النار وهوالتهابها ولقاح ذى نتاج قالوا وما نتاجه قال نتاجه ظهور نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا او أين يظهر والي ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعوالي فلاح ويعطل القداح وينهي عن الراح والسفاح وعن كل امر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو أول من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس او سيف عن الخطبة وقيل ان أول من تكلم بان البينة على المدعى واليمين على من أنكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف القس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يارسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهوآت آت أن في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا معاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لاتغور اقسم قس قسما حاتما لان كان فى الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى انتم عليه مالى ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروى شعره فانشدوه عليه الصلاة والسلام

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورايت قومى نحوها * تسعي الاصاغر والاكابر
لايرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لامحا * له حيث صار القوم صائر

وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر بن وائل فجردهم اى اخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياجارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يارسول الله قال الجارود وانا بين يدى القوم كنت اقفوا

يحرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من الوزغة لو أدركته لفقات عينه ولعنه وماولد بعد ان نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقى به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذى توفى فيه طلب عثمان رضي الله عنه وأخبره باشياء تقع له وقال له أنهم يقمصونك قميصا و يريدون منك خلعه فاحذر ان تخلعه حتي تلقاني على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التي تصيبه وأمره بالصبر

قيل انه فى ذلك المجلس استاذن من النبي صلى الله عليه وسلم فى ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فاذن له فلما كانت خلافة أبي بكر رضى الله عنه سال عثمان أبا بكر رضي الله عنه ان يرجعه واخبره بان النبي صلي الله عليه وسلم وعده بذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه لا احل عقدة عقدها رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم سال عمر رضي الله عنه لما ولى الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبي بكر رضي الله عنه ولما ادخله عثمان رضى الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده وكان فى رجوعه تاسيس للبلوى التي وقعت لعثمان رضى الله عنه فان منشاها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم في افعاله الذي لايسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما في بعض شراح الشفاء

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضي بما حكم الصديق في الحكم قال الشهاب الخفاجي بعد ان صح ان عثمان رضى الله عنه استاذن النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه في التشنيع عليه بذلك والطعن في خلافته كما زعم الشيعة مع ان عثمان رضى الله عنه علم انه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها عن ابن خديجة ام المؤمنين

رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا ورجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتي ارتعش وعن الواقدى استاذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقيل ماهم ذو ومكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى الاخرة من خلاق وكان لايولد لاحد بالمدينة ولد الا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتى بمروان لما ولد فقال هوالوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم راه لانه يحتمل انه اتي به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يادن باد خاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفي كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد ان نفي ابوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لمروان نزل فى ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى ابيك وجدك اي الذي هو ابو العاص بن امية انهم الشجرة الملعون في القران وقد ولى مروان الخلافة تسعة اشهر ولما امتنع عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما من المبايعة ليزيد ابن معاوية قال له مروان انت الذى انزل الله فيه والذى قال لوالدية اف لكما اتعدانني ان اخرج فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له اما انت يامروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت فى صلبه تشير الي ماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر

اى اتبع اثره كان من اسباط العرب اى من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة اي وقيل ستمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو اول من تاله أى تعبد من العرب أي ترك عبادة الاصنام واول من قال أما بعد اى وقيل أول من قال ذلك كعب ابن لؤى كما تقدم وقيل سحبان بن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته أي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذى أوتيه هو فصل الخصومة أي وهذا يؤيد ماتقدم عنه انه اول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وتقدم مافيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لؤى بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس اول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأنى انظر اليه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشا يقول

هاج للقلب من جواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليل تراها فى كل يوم تدار
والذى قدذ كرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست أنساه بسوق عكاظ أي وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس عيلان كما تقدم على جمل أورق اى يضرب لونه الي السواد وهو يتكلم بكلام ماأظن اني احفظه وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه الان فقال أبو بكر يارسول الله فانى احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته ياأيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وارزاق وأقوات واباء وامهات واحياء واموات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج اى مظلم وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما حتما لا احنث فيه ولا اثما ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبي لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد هي قبيلة من اليمن أين الاباء والاجداد وأين المريض والعواد وابن الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد اى زين وطول وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا وأبعد منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله اي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشا يقول الابيات المتقدمة أى وفي رواية لما قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يامعشر وفد اياد مافعل قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك يارسول الله قال لقد شهدته يوما

بسوق

بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب موفق لا أجدني أحفظه الآن فقام امرؤ اعرابي من أقاصي القوم فقال انا احفظه يارسول الله فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يامعشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل شيء آت آت ليل داج وسماء ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وأنهار مجرية الحديث وفي رواية ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلمحة عين قال وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وماهذا الحق قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت انى اعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزي في موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل اه (أقول) ذكر في النور أن في قصة قس مايرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ صلى الله عليه وسلم كلامه وكان قس على جمل احمر والثانية متى لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل اورق قال لكن لاادري اي المرتين كانت اولا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم أنسي كلام قس بعد الاخبار به أولا ويدل لذلك قوله لا اظن أني احفظه الآن اوقبل الاخبار فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متأخرا عن خبر أبي بكر فلا دلالة في ذلك على التعدد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه أورق لا يدل على التعدد لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة وشدة الحمرة تميل الى السواد وهو الاورق فاخبر عنه مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس مرة جاؤا وحدهم ومرة جاؤا مع سيدهم الجارود وقد جاء رحم الله قسا انه كان على دين أبي اسمعيل بن ابراهيم والله اعلم *ومن ذلك خبر الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمي به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل* وأما اخبار الكهان * على ألسنة الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل فقيل له ياأمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد ابن قارب الذي اتاه رئيه أي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان قال عمر رضي الله عنه على المنبر أي منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس افيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحدها فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك كان في زمن المجيء للزيارة من الآفاق قال أيها الناس

الحكم بن أبي العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني أمية ثلاث مرات وقد ولي منهم الخلافة أربعة عشر أولهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم اثنتين وتسعين سنة وهي ألف شهر والاحاديث الواردة في ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضي الله عنهما لفضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع ماورد فيهما من الفضائل وأيضا لم يصدر منهما شيء من الظلم وانما صدر ممن بعدها ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضي الله عنه وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه اذ تملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فمازلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال ماحملني على الخلافة الاقوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فاحسن وروى انه رضي الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضي الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال ابو الدرداء رضي الله عنه ان معاوية سمع كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأما ذم بني امية من بعده فجاءت فيهم احاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنو ابي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو مايتداول أي يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا

حقوقه فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجناسفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بانه رأى في المنام بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني أمية كان ألف شهر فاعطى الله أمته في كل سنة

أيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا أمير المؤمنين ماسواد بن قارب قال ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فارسل اليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أي من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك أي وفي رواية ان عمر رضي الله تعالى عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام * أقول وفيه ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب مافهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لاقبلها بدليل قوله ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت وجواب سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه وفي كلام السهيلي ان عمر رضي الله تعالى عنه مازح سواد رضي الله تعالى عنه فقال له مافعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال له سواد رضي الله تعالى عنه قد كنت انا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله تعالى عنه اللهم غفرا فليتامل والله أعلم ثم قال لسواد أخبرني ما نبا رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئيي فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب اسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدماها كاذنابها

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدي * مامؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى

ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصي من العجائب قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزي كان لعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة أن يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه اخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر ابن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عالق لي * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم أشهدك بالله يابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو

تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفرة من هاشم * وارم بعينك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة وفي رواية متى اتيت مكة وهي كما قال البيهقي اقرب الى الصحة من الاولى اى لان الجن انما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني قال مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ماجاء بك قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يارسول الله فقال هات فانشأت أى ابتدأت اقول * اتاني نجيي بعد هدء ورقدة وفي لفظ اتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب

ثلاث ليالى قوله كل ليلة * اتاك رسول من لؤى بن غالب

(فشمرت من ذيل الازار) وفي لفظ عن ساقى الازار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فاشهد ان الله لارب غيره * وانك مامون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذوشفاعة * سواك بمغن عن سواد ابن قارب

وفي رواية وكن لى شفيعا يوم لاذوشفاعة * بمغن فتيلا عن سواد ابن قارب

قال ففرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى الفرح في وجوههم أى وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت ياسواد فرأيت عمر رضي الله تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهى ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن أى وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما مات صلى الله عليه وسلم وخشى سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يامعشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضربه ولم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به امس ولا ينبغى لاهل البلاء الا ان يكونوا اذكر من اهل العافية للعافية ولست ادري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الا اناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة أي ومن ذلك أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما ماسمع من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها أي غير ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمى وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال العباس ولده أى بني أعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار

الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين واربعمائة كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضى الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضى الله عنه فكلمه فيها فلما ادبر قال معاوية رضى الله عنه انشدك الله ياابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس رضى الله عنهما اللهم نعم وقد ولى الخلافة من ولده اربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على ان عبد الملك صحابي لاحتمال ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه فعمرو ابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله مايهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه ان خباب بن الارث رضي الله عنه كان قينا بمكة اي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال ياخباب أليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه ان في الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب اوفضة اوثياب او خدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى القيامة ياخباب حتى ارجع الي تلك الدار فاقضيك هنالك حقك والله لا تكون انت وحاجبك آثر عند الله ولا اعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا * ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن

وهب زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأي المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسري وقيصر اى لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما اشبه هذا القول * ومن استهزاء الاسود ابن مطلب بن اسد بن عبد العزى انه كان هو واصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا راهم ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله

اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدي * بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر ان السماء قد كفت احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذى نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصواء فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذى ورث النبوة والهدي * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت انا وقومي * (ومن ذلك خبر مازن) بن الغضوبة قال كنت أسدن أي أخدم صنما بقرية بعمان أي بالتخفيف تدعى سمائل ويقال له ناجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقة وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يامازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد ايام عتيرة اى ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول

اقبل الى اقبل * تسمع مالا تجهل هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت أن هذا العجب وانه لخير يراد بي (أقول) ورأيت في بعض السير تقديم هذه الابيات على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا أبين من الاول وهو يقول يامازن اسمع الى آخره والله أعلم قال مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز قلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام واسلمت وقلت

كسرت بادر اجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيا على بالي
ياراكبا بلغن عمرا واخوتها * اني لما قال ربي بادر قالي

ابن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم ابي جهل وكان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس ايام منى حيسا وينهى ان توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه اصابته الجوائح والآفات في امواله حتى ذهبت باسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد اى في الشرف والسودد والجاه والرياسة واياه عني سبحانه بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات في سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بانه برىء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه اقرب القول فيه تنفير للناس عنى

عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يامعشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم فاجمعوا فيه رايا ولا تختلفوا فيكذب بعضا قالوا فانت اقم لنا رايا

نقوله فيه قال بل انتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فماهو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ماهو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فماهو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قال ساحر قال ماهو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فماهو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما انتم بقائلين من هذا شيأ الا عرف انه باطل وان اقرب القول فيه ان تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجة وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا لهم امره فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وامر الهجرة ماكان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فاسلموا فبلغ ابا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقاني فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم الايات ولم قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لا ياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر * ومن استهزاء ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر

عني بعمرو واخوتها بني حطامة وهي بطن من طيء وهذه الابيات ساقطة في أسد الغابة قال مازن فقلت يارسول الله اني مولع بالطرب اى مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النساء التي تمايل وتنثنى عند جماعها وقيل الساقطة على الرجال أي لشدة سبقها والحت اى دامت علينا سنون اى اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويا تيني بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أي الزنا عفة الفرج واته بالحيا أى المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصبت عمان يعني قربته وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لى حيان يعني ولده وانشات اقول

اليك رسول الله حنت مطيق * تجوب الفيافى من عمان الى العرج

لتشفع لى يا خير من وطىء الحصا * فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج

أى بالفوز والظفر بالمطلوب

الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا اريهم رأيي ولا شرجهم شرجى

أى بالشين والجيم أي لا شكلهم شكلى ولا طريقهم طريقى

وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابي حتي اذن الجسم بالنهج

أى بالبلا

فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجي

فاصبحت همي فى الجهاد ونيتى * فلله ماصومى ولله ماحجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى انبوني اى عنفوني ولاموني وشتموني وامروا شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسى وتنحيت عنهم واتيت مسجدا اتعبد فيه وكان لا ياتى هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص اوغيره الا عوفى ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث واما ما سمع من أجواف الذبائح فمنه ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا ياآل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله أى والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم احمر ذريحى اى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول ياجليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا اى جلح اى كشف عنه جلده وأما ماسمع من الهواتف ولم يجيء على السنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ماحدث به بعضهم وذكره النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله لقد رايت من قس عجيب خرجت اطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل أى ادبر وكاد الصبح ان ينتفس هتف بي هاتف ياايها الراقد فى الليل الاحم يقول اي بالحاء المهملة الاسود

قد بعث الله نبيا بالحرم * من هاشم اهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه اخوه حمزة رضي الله عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على رأسه فجعل ابو لهب ينفضه ويقول صابىء احمق ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في اول امره في منازلهم يقول ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وابو لهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقاني فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان اسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل اعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما اوذي احد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم اصيب من قومه باكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على راسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلى الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا في الايذاء والاستهزاء اتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فاوما الى ساق الوليد وقال قد كفيتهه فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق شوبه سهم فعرضت م شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فاصاب عرقا في عقبه فمرض فمات كافر

ثم مر العاص بن وائل السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاوما الى اخمصه وقال كفيته وحده فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفي رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحرث بن قيس السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى بطنه وقال قد كفيته وقيل اشار الى انفه فامتخط قيحا فمات وقيل اكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد

أي الظلمات والامور المشكلة فادر طرفي فما رأيت شخصا فانشات اقول

يا ايها الهاتف في داجي الظلم * اهلا وسهلا بك من طيف الم
بين هداك الله في لحن الكلم * من ذا الذي تدعو اليه يغتنم

فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور اي السرور صاحب النجيب الاحمر أي الكريم من الابل والتاج والمغفر والوجه الازهر أي الابيض المشرب بالحمرة والحاجب اي الجبين الاقمر اي الابيض و "الطرف الاحور اي شديد سواده صاحب قول شهادة لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اي العجم والعرب ثم انشا يقول

الحمد لله الذي * لم يخلق الخلق عبث أرسل فينا احمدا * خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * اطرب الانس منه ذاك الغناء

اى اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغناء الذى تالفه النفس ولا تصبر منها عند سماعه فتسمع لغيره حتي اطرب الانس ذاك الغناء الذي سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق بشقشق والفنيق بفتح الفاء وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق بشينين معجمتين وقافين اي يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والموحدة اى تعب فنزل في روضة خضراء فاذا انا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول

يا ناعي الموت والملحود في جدث (اى قبر) عليهم من بقايا بزهم خرق
اي والبز الثياب

دعهم فان لهم يوما يصاح به * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
اي خافوا حتي يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

والمنهج من الثياب الذي اخذ في البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة اى لماالهاخرير أى صوت في الارض خوراة اى ضعيفة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطرب الماء فضربه بالقضيب الذى في يده وقال ارجع ثكلتك امك اى فقدتك حتى يشرب الذي قبلك فرجع ثم ورد بعد فقلت له ماهذان القبران قال هذان قبرا خوين كانا لي يعبدان الله عز وجل معي في هذا المكان لا يشركان بالله شيا اى اسم احدهما سمعون والآخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجوان يبعثه الله امة

وحده اي واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد اشار الى ذلك صاحب الاصل بقوله

وعنه أخبر قس قومه فلقد * حلى مسامعهم من ذكره شنفا

ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من اعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناده قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينا الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول

يا أيها الناس ذو والاجسام * ومسند والحكم الى الاصنام

أما ترون ما اري امامي * من ساطع يجلو دجي الظلام

ذاك نبي سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام

مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهد الكفر بالاسلام

اكرمه الرحمن من امام

قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجاءهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اي جاءهم ذلك بغتة فما اسلم الخثعميون حتى استاخر اسلامهم ورأوا عبرا عند اصنامهم واما خبر زمل بن عمرو العذري قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخاء المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان فى بني هند بن حرام بالحاء المهملة المفتوحة والراء وكان سادنه اي خادمه رجلا يقال له طارق قال فى النور لا اعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون اي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بنى هند بن حرام ظهر الحق واودى خمام اى هلك ورفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا اى افزعنا فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحي ناطق صدع صدعة بارض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع مني الى يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع منى الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت اى اشتريت راحلة ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى وانشدته * اليك رسول الله اعملت نصها * النص هو الغاية في السير اكلفها حزنا وقوزا من الرمل والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاي التل الصغير

لأنصر خير الناس نصرا موزرا * اي قويا * واعقد حبلا من حبالك فى حبلى *

والحبل العهد والميثاق

واشهد ان الله لا شىء غيره * ادين له اى اخضع واطيع * ما اثقلت قدمى نعلى

ومن هذا النوع خبر تميم الداري اى ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها روى عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثنى تميم الداري وذكر القصة قال بعضهم وهذا اولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضى الله تعالى

سوء فاوما الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل أشار جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج فى رأسه قروح فمات قال الزرقاني ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند اهله فاصابته السموم حتى صار حبشيا فاتي اهله فلم يعرفوه فاغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع ذلك له ثم مر (٢٣٧) الاسود بن مطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رماه بورقة خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب رأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وفى رواية انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيئا وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك فى عينى فيقال له ما ارى شيئا وقيل اتي شجرة ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا على محمد بالعمي فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك أبو لهب بالعدسة يعنى الجدرى وهى ميتة شنيعة وعقبة بن ابى معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قوله استهزاء

خمسة كلهم اصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء

فدهي الاسود بن مطلب * أى عمي ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث * ان سقاه كاس الردي استسقاء

واصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحرث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء   خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا فى ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكروا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافى أن منبها ونبيها ابنى الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا (٢٣٨) يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وايسر فان كنت صادقا فائتنا بملك يشهد لك و يكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه اهل الكتاب ما ياتى به ولا ينافى أيضا عداء ابى جهل وغيره كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدة من استهزأ بمحمد واصحابه * ومن استهزاء ابي جهل ايضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يامعشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم وفى رواية ان رجلا من قريش وكان شديدا قوى الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلدة البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيمتزق الجلد ولا يتزحزح قال لهم انا اكفيكم سبعة عشر واكفونى اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفى رواية أن أبا جهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفونى تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ماذكره فيهم اى لا ينبغى ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر ما اذا اراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استاثر الله بعلمها وقد ابدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء فى وصف تلك الملائكة

عنه مر يوما على ابنته عائشة رضي الله تعالى عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم كان يعلمه أصحابه و يقول لو كان على أحدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قال نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطر رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه قال كان على دين وكنت له كارها فقلته فلم البث الا يسيرا حتى قضيته (قال تميم الدارى) رضى الله تعالى كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذا مناد ينادى لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت ايم تقوله وايم بتشديد الياء وباسكانها وفتح الميم فيهما اى أيما شيء تقول فقال قد خرج رسول الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اى وهو مقبرة مكة التى يقال لها المعلاة كما تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسالت راهبه واخبرته فقال قد صدقوك تجده يخرج من الحرم أي مكة ومهاجره الحرم اى المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص اى الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت * اقول وهذا يدل ظاهرا على أن تميما الدارى اسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه بل رأيت فى تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به ورأيت بعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميما الدارى انما أسلم سنة تسع من الهجرة والله أعلم (قال) ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه ان رجلا من بنى تميم حدث عن بدء اسلامه قال انى لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبنى النوم فنزلت عن راحلتى وانختها ونمت وتعوذت قبل نومى فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن فرايت فى منامى رجلا بيده حربة يريد ان يضعها فى نحر ناقتى فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم ثم عدت فتعوذت فرايت مثل ذلك واذا بناقتى ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتى تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذي رايته فى منامي بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتى وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فداء لناقة جاري الانسى فقام الفتى واخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتي اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل اعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادى ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي فقلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتى وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيئا ودعاني الي الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذى الكلام فيه (ونظير هذا) ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت فى طلب ابل لى وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادى فتوسدت ناقتى وقلت اعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول

ويحك

ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى أى القرون ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي فى عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار وما من أحد فى النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله عنه بكل حرف منها واحدا ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة فى النار مع أن النار تاكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اى منبتها فى أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا ان من قدر على خلق من يعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجرة فى النار وحفظها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له ذفرة

واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبى جهل قوله يا محمد لتتركن سب آلهتنا او لنسبن الهك الذى تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفى الدر المنثور للجلال السيوطى فى تفسير انا كفيناك المستهزئين

ويحك عذ بالله ذى الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذى الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفى سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن فى سفال * الا النبى وصالح الاعمال

فقلت له

يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك ام تضليل

فقال

هذا رسول الله ذي الخيرات * جاء بيس وحاميمات
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن فى الاسلام منكرات

فقلت اما لو كان لى من يؤدي ابلي هذه الى اهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا اؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبى صلي الله عليه وسلم على المنبر (وفى رواية) فوافيت الناس يوم الجمعة وهم فى الصلاة فاني أنيخ راحلتى اذ خرج الي أبو ذر فقال لى يقول لك رسول الله صلي الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآنى قال ما فعل الرجل (وفى لفظ) ما فعل الشيخ الذى ضمن لك ان يؤدي ابلك اما انه قد اداها سالمة وقد نص الله تعالى على نبيه صلي الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثه من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال اى يستعيذون برجال من الجن اى حين ينزلون فى اسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا اى زادوا الجن اى ساداتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن اى (ومن ذلك) ما حكاه وائل بن حجر الحضرمى ويكنى ابا هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابناء الملوك قال وائل فما لقينى احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وادنانى من نفسه وقرب مجلسى وبسط لى رداءه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله على ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده * قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لى صنم من العقيق فبينا انا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولا ذى ضر

قيل نزلت في جماعة من النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز
جبريل عليه السلام باصبعه في أجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبي فلينظر الجمع أي
بين هذا وما تقدم ثم قال وقد يدعى أنهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت أي فيكون نزول الآية قد تكرر والله
أعلم ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم
ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول اقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال انه قال سانزل مثل ما انزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث والمشهور انها في شراء المغنيات ولا بعد ان تكون الآية نزلت فيهما معا لتحققه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لوشئنا لقلنا مثل هذا ان
هذا الا اساطير الاولين فانزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا الجن
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا له وجاء ان جماعة من بنى مخزوم ومنهم ابوجهل والوليد بن
المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي اذ سمعوا قراءته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق
حتى اتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا

* لو كان ذا حجر أطاع أمري *

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلي * محمد النبي خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه انه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع معاوية تركناه لطوله واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه (قال) بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعي الذئب على ذنبه فقال الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الرعى اعجب من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا أخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين * وفي رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق * وفي لفظ يخبركم بما مضي وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فقصد الرسول صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اى وهو احد سيورها الذى يكون على وجهها كما تقدم وعذبة سوطه اى طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اى * وفي لفظ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم * وفي رواية ان راعى الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذئب قال له انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم أو سلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وفيه ان هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه * قال في النور هذا الراعي لا اعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم في تعليقي على البخاري * اقول ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان بن أوس * واما ما سمع من بعض الاشجار * فقد روى عن ابي بكر رضى الله تعالى عنه انه قيل له هل رايت قبل الاسلام شيا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن انت من اسعد الناس به والله اعلم * واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف

الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها () فوجدناها ملئت حرسا شديدا اى ملائكة اقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي ارصد له ليرمى به أى ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته يتبعه شهاب ثاقب يقتله اى او يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه وموته ﷺ لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم () وقد حدث بعضهم (قال) ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان ادهي العرب وانكرها رأيا أى ادهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر اي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم أي النجوم المشهورة () التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله بهذا الخلق أى والنوء بالنون والهمز هنا ما يحصل عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق يقابله في ساعته في كل ثلاثة عشر يوما حقيقة النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة (وكانت) العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها او الى الطالع منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسيأتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية (وفي لفظ) فامر اراد الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد رجمت الآن باكثر مما كان قبل ذلك اوصارت تصيب لا تخطىء ومن ثم حدث بعضهم (قال) لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أى قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم ولم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد يا ليل بن عمرو هو بمثناتين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى فقالوا الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف أى وهي التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء فهي عند فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث أي (وقد روي مسلم) انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما يوعدون وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي أتى أمتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (وفي لفظ) فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل (وهذا) قد يخالف ما ياتى عن ابن عمر لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب ولا مانع من تكرر

الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من امامهم ولا زالوا كذلك حتي انصرفوا خائبين فانزل الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من ان تكون نزلت للكل وجاء ان النضر ابن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى اسودا تضرب بانيابها على رأسه فاتحة افواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي ابا جهل فقال من اين فاخبره النضر الخبر فقال ابو جهل هذا بعض بسحره ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى وقودها وحصب بالزنجية حطب اى حطب جهنم وقد قرأتها عائشه رضي الله عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعري انا اخصم لكم محمدا ادعوه لى فدعوه له فقال يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة الست ان عيسي عبد من دون الله وكذا عزيز والملائكة عبدت النصاري عيسى واليهود عزيزا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعري ما اجهلك بلغة قومك ما لما يعقل يعني ما في قوله تعالى وما تعبدون وانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون كعيسى وعزيز والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سالوا آية غير معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بانهم

سالوا آية غير معينة اولانهم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس و نصفا على قعيقعان وكانت ليلة اربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ماسألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على

قيعقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفي رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية انه عاد بعد غروبه وفي رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها أي جميع اهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أي مطرد وهذا الكلام صريح في ان رؤية الانشقاق حصلت الجميع اهل الآفاق لانها مختصة باهل مكة وهو كذلك وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وسيأتي ان شاء الله هذه القصة بابسط مما هنا عند ذكر المعجزات في آخر الكتاب ومن الآيات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم في اول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الصحابي المكي اسلم رضي الله عنه عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين واربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولا يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه

سؤال ثقيف مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل بن عمرو وان كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سالوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ بعض شيوخه النجم الغيطي في معراجه وأقره وسببه أي رمي النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثه محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضي ان المراد بعثه لا ولادته فكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا أي كثرة تساقط النجوم وانما كان عند بعثه ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر ابي لهب أو لهيب بن مالك اي من بني لهب فان بني لهب فزعوا الفزع ثقيف (قال) حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي وأمي نحن اول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء ابن مالك (قال في النور) لا أعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتان وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر اي قبيل الفجر أخبركم الخبر أبخير أم ضرر أم لأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من الغد في وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته (اصابه أصابه) جمع وصيب كجمل وجمال فالهمزة بدل من الواو (خامره عقابه) عذابه أحرقه شابه * زايله جوابه اي زال عنه جوابه ياويله ماحاله * بلبله بلباله البلبال الغم عاوده خباله * تقطعت حباله * وغيرت احواله ثم امسك طويلا ثم قال يامعشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدات اي الخدام قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب يكون ذا سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاصل القرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

ارى لقومي ما أرى لنفسي * ان يتبعوا خير نبي الانس * برهانه مثل شعاع الشمس
يبعث في مكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس

والحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب الا على شرط ان يتحمس أولادهم فان قريشا من بين قبائل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق من قولهم طاش

صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنماله بوادى وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له انت الذى تشتم الهتنا وتدعوا الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان ينجيك مني اليوم وأنا أدعوك لامر وهوان تصارعني وتدعوا الهك وأدعو اللات والعزي فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال (٢٤٣) لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم فقال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدى ركانة فقال اريتني امرا عظيما فرحا فلترجع فقال ان امرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها وفروعها مع نصفها الاخر فقال له اسلم فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها بانى اجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لى بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه ابو بكر رضى الله عنه فقال للنبى صلى الله عليه وسلم تخرج لى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم واخبر ابا بكر رضي الله عنه بالقصة فتعجب ابو بكر رضي الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الاعام الفتح رضى الله عنه

﴿باب فى بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين﴾ قال فى المواهب وشرحها مازال النبى صلى الله عليه مستخفيا هو

طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش أى ليس فى طبيعته وسجيته قول قبيح يكون فى جيش وأى جيش من آل قحطان وآل ايش وآل قحطان وهم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دائرة فى ولد قحطان وآل ايش قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص من كبير الجن وقيل اراد بهم المهاجرين اى ومن المهاجرين الذين يقال فيهم ايش لانه يقال فى مقام المدح فلان ايش على معنى أى شيء هو واى عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته (وروى) بدل ايش ريش فقلنا له بين لنا من اي قريش فقال (والبيت ذى الدعائم) يعنى الكعبة والركن يعني الحجر الاسود دو الاحائم يعني زمزم لان الاحائم جمع احوام والاحوام جمع احوم وهو الماء فى البئر أراد بئر زمزم او ان الاصل الحوائم ففيه قلب مكاني الاصل فواعل فصار افاعل والحوائم هى الطير التى تحوم على الماء والمراد حمام مكة لهو نجل اى نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعنى الحروب وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو البيان اخبرنى به رئيس الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكن وأغمى عليه فما افاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أي وحي وأنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده اي مقام جماعة كما تقدم فى نظيره (قال) ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذي يرمى به فى الجاهلية اى قبل البعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك وولد مولود ومات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله فى خلقه كذا وكذا الامر الذى كان رأى يكون فى الارض فيهبط به من سماء الى سماء اى تقوله أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيحدثونهم فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا أى (وفى البخارى) اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق اى ثم يذكرونه لما تقدم عن قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا ولما يأتى وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها فى الجاهلية صريح فى انه كان يرمى بالنجوم للحراسة فى زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسي عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتى عن ابي بن كعب رضى الله تعالى عنه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء فقالوا يارسول الله انهم يحدثوننا احيانا بالشيء يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقذفها فى اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون

والمسلمون فى دار الارقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك فى السنة الثالثة من النبوة وهى المدة التى اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها امره الى ان أمره الله باظهاره فبادا قومه بالاسلام وكرر ذلك واكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كانه صدع قلوبهم بما اورده عليهم من الحجج والبراهين التى عجزوا عن دفعها كما امره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهرى كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من فى السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال ابطلتم دين ابيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب اي عطف عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا واظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت اي تشاورت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من ابى جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل اسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رايك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه (فممن عذب فى الله لاجل ان يفتن في دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله عنهما) كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على راسه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عن ظهر عمار فوجد اثر النار به ابيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بان النار تكون عليه بردا وسلاما وعن ام هانىء بنت ابي طالب رضي الله عنها قالت ان عمار بن يدل

بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اى وفي البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تتحدث في العنان اي الغمام بالامر يكون فى الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى اذن الكاهن فيزيدون نها مائة كذبة (وعن أبى بن كعب) رضي الله تعالى عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العبد ياليل الحديث (اقول) وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم اي قبل قربه الشامل لزمن الولادة فلا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمى بها قبل اويرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهرى الحجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث فى سالف الازمان اى فى زمن الرسل لا فى زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار يدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان فى زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه أكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل وأما فى الزمن الذى ليس فيه رسول أى وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع فى مقاعد لهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي لان الله تعالى ذكر فائدتين فى خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انها جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من أبعد البعيد وحيث كان الغرض من الرمى بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضي ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه صلي الله عليه وسلم ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحق لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء رموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث أى لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة اى لانها محل الانبياء وهذا يدل على ان عند ابليس ان الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة اى لانها مظنة ذلك بعد محل الانبياء فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل فرجع الى اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفى رواية ان ابليس قال لما اخبره بانهم منعوا من خبر السماء ان هذا لحدث حدث فى الارض فأتونى من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فمضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث (اقول) قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب او ذهب بعد اخبارهم له بذلك للاستيقان وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه أى عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذى منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجم على الشياطين علامة على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الرواية التى قبلها تدل على ذلك كما علمت وكلتا الروايتين

ياسر أباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب واعطيت سمية أم عمار لابي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة ابن المغيرة فانها كانت مولاته فاخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتن في دينها فلم تجبه لما يسال ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت (٢٤٥) بمحمد الا انك عشقتيه لجماله

قيل انها اول شهيد في الاسلام رضي الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه و يجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمارا رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب احدا من آل عمار بالنار وكانت امه سمية سابعة سبعة فقتلت وهي عجوز كبيرة وروى مرة في ظهر عمار رضي الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة وجاء انهم بعد ان قتلوا اباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه انزل الله تعالى

من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى انه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة علي رضي الله تعالى عنه وقتل بصفين ووردت في فضائله احاديث كثيرة رضي الله تعالى عنه (ومن كان يعذب في الله خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه) ففي البخاري عن خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه

يدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله اعلم * وقد أشار صاحب الهمزية الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما يطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن انمحاء

اى أرسل الله زمن ارساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لاجل حراسة السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاقت عنها المفازات حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن أمكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا اشيا من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة كطرد الرعاء للذئاب عن الغنم اذا ارادت ان تعدو عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحي آية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحي انمحاء اى ذهاب بل هي باقية الى يوم القيامة وفيه انه لزم على كون الغرض من الرمى بالنجوم حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذى منه وقت ولادته وأيضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمى بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا وتخويفا وكان هذا السؤال الثاني هو الحامل لابي بن كعب على دعوي انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بها ومن ثم قال فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا الى عبد يا ليل ويجاب بانه يجوز أن يكون الرمى بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمى بها قبله اما لفرط كثرتها واما لان الرمى بها بعد المبعث كان من كل جانب وقيل كان من جانب واحد واما لان الرمى بها صار لا يخطئ ابدا وقبل ذلك كان يخطئ تارة ويصيب اخرى فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أي يصيره غولا يضل الناس في البرارى وكان ذلك سبب فزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطىء فيعود الشيطان الى مكانه فيسترق السمع ويلقى ما يسترقه الى كاهنه اي فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه صلى الله عليه وسلم وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم رواية ابن عباس ان النجوم رمى بها عند ولادته ﷺ وحفظ الوحي بالرمى بالشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان عن سعيد بن جبير ما جاء جبريل بالقرآن الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه أربعة من الملائكة حفظة وسياتي عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذى يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبي من الغيب الذي يوحيه اليه فيبلغوه الى أوليائهم * وعن بعضهم قال سافرت عن زوجتي فخنى عليها شيطان على صورتي وكلامي وسائر حالاتي التي تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيا لي وكانت اذا قدمت من سفر تتهيا لي

وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الامر حتي يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضى الله عنه يحكى عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقد (٢٤٦) لى نار ووضعوها على ظهرى فما اطفأها الا ودك ظهرى اي دهنه وكان خباب رضي الله عنه قينا اي حدادا وكان قد سبي من اهله فى الجاهلية فاشترته امراة تسمي ام انمار فلما اسلم صارت مولاته تعذبه تاخذ الحديدة وقد احمتها فى النار فتضعها على راسه فشكي ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته راسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكانت تامر خبابا فيأخذ الحديد فيكوى به راسها وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه واعتقه وهم كثيرون * منهم بلال رضى الله عنه وكان مولى لامية بن خلف الجمحي واشترى حمامة ام بلال رضى الله عنها وعامر بن فهيرة رضى الله عنه وابافكيهة رضى الله عنه وجارية بني المؤمل وتسمي لبينة تصغير لبنة والنهدية و بنتها وزنيرة وامة بني زهرة * فمما كان يعذب به بلال رضى الله عنه مارواه ابن اسحق ان امية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعدان يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره فى الرمضاء اى الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لانضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لاتزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيابى ذلك وقيل ان بلالا رضي الله عنه كان لعبدالله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبدالله بن جدعان بهم فاخرجوا من مكة

كما تهيأ العروس فقلت لها فى ذلك فقالت انك لم تغب فبينا انا كذلك وقد ظهر لى ذلك الشيطان وقال لى انا رجل من الجن عشقت امرأتك وكنت آتيها فى صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان يكون لك الليل ولى النهار أو لك النهار ولى الليل فراعنى ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض الليالى جاءني وقال بت الليلة عند اهلك فقد حضرت نوبتي فى استراق السمع من السماء فقلت انت تسترق السمع فقال نعم هل لك ان تكون معي قلت نعم فلما جاء الليل اتاني وقال حول وجهك فحولت وجهي فاذا هو فى صورة خنزير له جناحان فحملني على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لى استمسك بها فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقني تهلك ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لاحول ولا قوة الا بالله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فهوي بي ووقع من وراء العمران فحفظت الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلى فلما كان الليل جاء فقلتهن فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك فى زمن الجاهلية والا كان كذبا لانهم اجابوا عن ايرادان القول بقدرة الجن على التصور يلزمه رفع الثقة بشيء فان من راي نحو ولده وزوجته احتمل انه جني فيشك بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع فيها مايؤدى الى مايترتب عليه ريبة في الدين فليتامل وقد جاء في فضل لاحول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله والذى نفسى بيده ان لاحول ولا قوة الا بالله شفاء من سبعين داء ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم * وفى حكمة آل داود العافية ملك خفى وهم ساعة هرم سنة * وقال الاطباء الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان فى الحزن ذهاب البصر * وفى الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم ان النجوم على تسليم انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث تصيب تارة ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هي سبب الفزع لادوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لايكون حاملا على الفزع لانه لا يظهر لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة اذ انها قبل البعث كانت ترمى من جانب دون آخر وبعد البعث رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اموالهم اى فى اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من فى السماء الستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذا فى كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان اول العرب فزعا للرمي بالنجوم ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية والى رجل آخر يقال له عبد ياليل لجواز ان يكون ماذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد ياليل والله اعلم وظاهر القرآن والاخبار ان الذى يرمى به الشياطين المسترقون نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة

عن

خوف اسلامهم فأخرجوا الا بلالا رضي الله عنه فانه كان يرعى غنمه ويكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له أصبوت قال ومثلي يقال هذا فقالوا له ان اسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضي الله عنه ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافي ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال ورقة نعم أحد أحد والله يا بلال ثم أن ورقة بن نوفل قال لامية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومترحما * يروى أن بلالا رضى الله عنه حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عزوجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبي محمد الشقراطسى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد أحله الصبر فيها أكرم النزل
إذا أجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزي عدو الله امية بقد قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد اسره يومئذ واراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية

عن شعلة نار تنفصل من النجم اي كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب و يكون معنى وجعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهى تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار ما ينشا عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هي أجزاء نارية تحصل فى الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التى دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت قاله فى الكشاف ومما يؤيد ان الشعل منفصلة من النجوم ماجاء عن سلمان الفارسى رضي الله تعالى عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة فى السماء الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدى ملائكة و يعضد هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت أن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذا ثقب فى السماء وقد وقع فى سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجأوا الى الله تعالى بالدعاء قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول قد وقع نظير ذلك في سنة إحدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثرت النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله اعلم (واما ماجاء من ذكره صلى الله عليه وسلم) اى ذكر اسمه وصفته وصفة أمته فى الكتب القديمة أى كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام لثنتى عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل على داود عليه الصلاة والسلام لثنتي عشرة وقيل لثلاث عشر وقيل لثمان عشر وقيل في ست خلت من رمضان وصحف شعياء ويقال له اشعياء اوموزا ميرداود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة من رمضان اتفاقا وفى كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد انزلت عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسي عليه الصلاة والسلام أنزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحائف وهذا كما لا يخفى يزيد على ما اشتهر به ان الكتب المنزلة مائة واربعة كتب وفى كلام بعضهم اتفقوا على ان القرآن انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن ابي قلابة انزلت الكتب كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق فى التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا اولم يعتد به فقد أشار الى ذكره صلى الله عليه وسلم في جميع الكتب المنزلة الامام السبكى رحمه الله تعالى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وهذا كما لا يخفى أبلغ من قول بعضهم

ومن قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى الله عليه

فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضي الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فالقيت نفسي عليه لامنعه فتخللوه بالسيافهم حتى قتلوه أي ضربوه باسيافهم فشبه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم (٢٤٨) الاسنان فعلم ان النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه وكان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه هنأ بلالا بابيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا
لقد ادركت ثارك يا بلال

وأخرج الحاكم عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال قال ابو قحافة والد ابي بكر رضي الله عنهما اراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا ابت انما اريد ما عند الله تعالى فانزل الله تعالى فاما من اعطى واتقى الى آخر السورة قال في السيرة الحلبية مر ابو بكر رضي الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال ابو بكر لامية ابن خلف الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر رضي الله عنه عندي غلام اسود اجلد منه واقوى على دينك اعطيكه به قال قبلت هو لك فاعطاه ابو بكر رضي الله عنه غلامه ذلك واخذ بلالا فاعتقه وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني لا يصح ان امية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه في بلال حين قال اتبيعنيه قال نعم ابيعه بقسطاس يعني عبد الابي بكر رضي الله عنه كان تحت يده لابي بكر رضي الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يابى الاسلام فاشتري ابو بكر رضي الله عنه بلالا به ويروى انه لما ساوم ابو بكر رضي الله عنه امية بن خلف في بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد

وسلم وأما الزبور فلا ندري ولا نقول الا ما نعلم ويرده ماذكره الامام السبكي وسنده قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين أي كتبهم فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل على العموم وسياتي أيضا التصريح بوجود اسمه في الزبور وقد جاء ان اسمه في التوراة أحمد يحمده اهل السماء والارض كما تقدم وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله الآية وفيها أيضا محمد واسمه فيها أيضا احميا طا وقيل حمطايا اي يحمي الحرم من الحرام واسمه في التوراة أيضا قدمايا أي الاول السابق واسمه فيها أيضا يندبند واسمه فيها أيضا احيد وقيل احيد اي يمنع نار جهنم عن امته واسمه فيها ايضا طاب طاب اي طيب واسمه فيها ايضا كما في الشفاء محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك اي طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة اي على فرض ان تكون اسماء عربيا ماخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اي وماجاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما راي الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يات بعد اي الآن وفي الانجيل ايضا اسمه حنبط اي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة وهي الدرع وفيه ايضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسياتي ان راكب الحمار عيسى عليه الصلاة والسلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي الجواب وفي الانجيل ان اجيتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم مالم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اي وماجاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والبارقليط او الفارقليط الحكيم والرسول وقيل والانجيل اي على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمي الولد نجلا لخروجه او مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ناجيله اي اصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من النجلة وهي سعة العين لانه انزل وسعة لهم اي لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم * ومن ذلك ماجاء عن عطاء ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ اي سيء الخلق ولا غليظ اي شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق اي

باحد ثم تضاحك وقال أعطني عبدك قسطاس قال ابو بكر رضي الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيد نى مائتي دينار فقال ابو بكر رضى الله عنه أنت رجل لا تستحي من الكذب قال واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن قال هي لك فاخذها وأخذ ابو بكر رضى الله عنه بلالا فاعتقه (٢٤٩) وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل

لا يصيح فيها وفي الحديث أشد الناس عذابا كل جعار بعار سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم التى غيرتها العرب وأخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا أي لا تفهم كأنها في غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه فسألته فما أخطأ في حرف * أقول لكن في رواية كعب وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا وليسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفيها وصفه صلى الله عليه وسلم بانه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض احبار اليهود انه قال على جميع ما وصف به صلى الله عليه وسلم في التوراة وقفت الا هذين الوصفين وكنت أشتهي الوقوف عليهما فجاءه شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئته قبل الاجل بيومين او ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمران تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التباعة اى المطالبة اذهب واوفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته اى خوفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفى التوراة لا يزال الملك في يهود الى ان يجيء الذي اياه تنتظر الامم اى لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجيء الذى تنتظره الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود بانه يوشع رد بنص التوراة في محل آخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وان انسان لم يطع كلامه انتقم منه لان قوله مثلي اى رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدا والمعاد لان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل خاصة وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التى منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود في زبور داود سيولد لك ولد ادعي له ابا ويدعي لى ابنا واخوة بني اسرائيل انما هم اولاد اسمعيل الذى هو اخو اسحق وبنو اسرائيل منه وايضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جاء الله من طور سيناء وظهر بساعير واعلن بفاران اى عرف الله بارسال موسى وعيسي ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم لان ظهور نبوة موسي كان في طور سيناء وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذى بين مصر وايليا وانزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسي كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسي عليه الصلاة والسلام كان يسكن بقرية بارض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه وانزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهى مكة وانزل عليه القرآن بها وفي التوراة ان اسمعيل اقام بقرية فاران وانما عبر في جانب موسي بالمجيء لانه اول المشرعين لان كتابه الذى هو التوراة اول كتاب اشتمل على الاحكام

برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروي ان سيده قال لابى بكر رضي الله عنه بعد شرائه لو أبيت الا اوقية لبعناكه أى لو قلت لا اشتريه الا باوقية لاخذته فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو طلبت مائة أوقية لاخذتها به ولما قال المشركون ما أعتق ابو بكر بلالا الا ليد كانت له عنده فكافاه بها فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الي آخر السورة فقوله فاما من أعطي واتقي وصدق بالحسني فهو أبو بكر رضى الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسني فهو أمية بن خلف وقوله لا يصلاها الا الاشقي هو أمية وقوله وسيجنبها الاتقي هو أبو بكر وفى قوله الاتقى تصريح بانه أتقي البرية اذ التقدير الاتقى من كل أحد لان الحذف يفيد العموم والمراد من كل أحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان أبابكر رضى الله

 عنه اشترى بلالا قال «الشرك يا أبا بكر قال قد اعتقته يارسول الله أى لان بلالا رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عزوجل فدعني لله تعالى فاعتقه ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضى الله عنه فقال لو ان عندى مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضى الله عنه فاشتراه فبعث به الى ابي بكر رضى الله عنه اى ملكه له بثمنه فاعتقه فليتامل الجمع بين هذه الاقوال ويمكن

ان يقال ان العباس رضي الله عنه رغب أمية في بيع بلال فلما ظهر له الرضا ببيعه ارسل الى ابي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة ابي بكر في شرائه وعتقه فاطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى أعلم * وقد اشترى ابو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من قرابة ابي بكر رضي الله عنه ومنهم ابو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن أمية أسلم حين أسلم ابو بكر رضي الله عنه

فمر بها ابو بكر رضي الله عنه وقد اخذه صفوان بن امية واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فاخرج لسانه وابي بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتي ياتي محمدا فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه واعتقه * وممن كان يعذب فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه ام عنيس وكانت امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها لطيفة قيل كانت بنتا للوليد بن المغيرة وكذا اشترى اخت عامر بن فهيرة أو امه وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم وكان يعذبها فمر ابو بكر رضي الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستاماها منه ابو بكر رضي الله عنه ثم اشتراها واعتقها وكذا اشترى لبيبة جارية المؤمل بن حبيب واعتقها واشتري ايضا الزنيرة

على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت امة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتابى الا الاسلام وكان ابو جهل لعنه الله يقول الا تعجبوا الى هؤلاء واتباعهم لو كان ما اتي به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون ايضا لو كان خيرا ما سبقتنا زنيرة اي ومن كان مثلها فانزل الله في شانها وقال الذين

والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله تعالى وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسى وبكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالطهور الذي هو أقوي من المجيء ثم لما زاد الظهور بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي هو أقوي من مجرد الطهور وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما أصابهم من البول والله أعلم * ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله تعالى عنه وكان من أحبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسالته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليك وسلم وأمتك الحامدون أي يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال أشهد أني رسول الله * أقول والنعمان هذا قتله الاسود العنسي الذي ادعي النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار أي ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على ان جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون أي امته عدوا الا وبين ايديهم ملائكة معهم رماح وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضؤن اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وقد جاء ائتزروا كما رأيت الملائكة اي ليلة الاسراء تاتزر أي مؤتزرة عند ربها الى انصاف سوقها وقد جاء عليكم بالعمائم ارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلاهما اي الائتزار وارخاء العذبة من خصائص هذه الامة وقد جاء ان العمائم تيجان المسلمين وفي رواية من سيما المسلمين أي علاماتهم المميزة لهم

كفروا للذين آمنوا أي مشترين اليهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ما هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يرد علي بصري فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فاعتقها * وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحونهم في الشمس لتؤثر حرارتها فيهم * وأما النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أباجهل وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله بقومه من توالي الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتي أنه اراد الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحق ان سبب الهجرة الى الحبشة انه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة في الاسلام وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر باهله فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما وأبو سلمة بن عبد الاسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنها وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما كل منهما لابيه فارين بدينهما فولدت له

عن غيرهم ويؤخذ من وصفهم بانهم يوضؤن اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضؤن ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضوء من خصائص الانبياء دون أممهم الا هذه الامة يوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تبارك وتعالى افترضت عليهم ان يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الانبياء أي ان يكونوا طاهرين أوان هذا أي وجوب التطهر لكل صلاة كان في صدر الاسلام ولم ينسخ الا في فتح مكة كما سيأتي ويخالف كون الوضوء من خصائص هذه الامة ما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة فقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ ثنتين ثنتين فقال هذا وضوء الامم قبلكم ثم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي فان هذا يفيد ان الوضوء كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبياء أي كما خصت هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي ان الوضوء من خصائص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيائهم وفي كلام ابن عبد البر قيل ان سائر الامم كانوا يتوضؤن ولا أعرفه من وجه صحيح وفي كلام ابن حجر والذي من خصائصنا اما الكيفية المخصوصة أو الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال ولا يخفى ان الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب فقد استدل أئمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ الا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان جائز الترك في بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه أجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس نسي مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم أعاد غسل رجليه الراوي عن ابن عباس لم يقف على اعادة ابن عباس غسل رجليه في التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في جو السماء كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث النهار اذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أي وهو التوراة أو جنس الكتب السابقة والكتاب الآخر أي وهو القرآن وروى الامام احمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى ياعيسى اني باعث من بعدك نبيا أمته ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك لهم ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان العلم والحلم الذي قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة الا يسير من ذلك مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم مسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلماء علماء ابرار

سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة * وممن هاجر بأهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضي الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها مولاة أبيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو والعامريان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضي الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينها بقولهن

أحسن شيء قد يرى انسان
رقية وبعلها عثمان

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضي الله عنهما في حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضي الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف عثمان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان اردت ان تنظر في اهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضي الله عنه وجاء في فضله رضي الله عنه أن لكل نبي رفيقا في الجنة ورفيقي

اتقياء كأنهم من الفقه أنبياء (وفي الطبراني) ان عمر قال لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف في الله لومة لائم وزاد عن ... واب السؤال قوله ثم الخليفة من بعدك يقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد وفي صحف شعياء اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا أميا افتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجرته بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لو يسمع من تحت قدميه الى آخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى وشعياء هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام والمانهي بني اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وأدركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده أي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة أي وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكا له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم أنه ركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا أخرى فليتأمل ومن جملتهم ارمياء قيل وهو الخضر والله اعلم واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاط حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل وفارق يفار قو أي يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فار قليط او بار قليط بالفاء في الاول والموحدة في الثاني وقيل معناه الذي يعلم الاشياء الخفية وفي الينبوع ومن الالفاظ التي رضوها لانفسهم يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال اني اسأل الله ان يبعث اليكم بار قليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء ويفسر لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة والصدق في النبوة بعده الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله تعالى عنه يا عمر أتدري من أنا أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا أنا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل البار قليط وفي الزبور حمياطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل بن سليمان قال وجدت مكتوبا في زبور داود اني انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي ووصف في مزامير داود بانه قوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد بالجبار وفيها تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بان الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفيها ياداود سيأتي بعدك نبي اسمه احمد ومحمد صادقا لا أغضب

فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولما وصلوا الحبشة اكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيا نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فاراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك العماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون ابن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه اين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه أخرجني قومي فاريد أن اسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضعيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف في أشراف قريش ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيا من ذلك واجازوا جواره وقالوا مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه ماقالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا يستعلن بها مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القران فينقصف عليه أي يزدحم عليه نساء المشركين وابناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان ابو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لا يملك عينيه فشق ذلك على اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا ابابكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره وهو قد بنى له مسجدا

عليه ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ماتقدم من ذنبه وماتاخر أي على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيات المقربين أي بعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شانهم وامته مرحومة ياتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وفي بعض مزامير داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث أخوناخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص وفي صحف ابراهيم اسمه يوذموذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم انه في صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين في تلك الصحف * وفي كتاب شعيب عليه السلام عبدى الذي يثبت شانه انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي لا يضحك اي مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته في الاصوات لان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيته لا اعطيه أحدا وبه ايضا مشقح بالشين المعجمة والقاف والحاء المهملة اي زاهي يحمد الله حمدا جديدا اى مخترعا لم يسبقه اليه أحد يأتي من أقصي الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفا سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على كتفه ختم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته اى وذكر ابن ظفر ان في بعض كتب الله المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به الوضيعة واهدي به من الضلالة واؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة واجعل امته خير الامم واما ماجاء مما يدل على وجود اسمه الشريف أعني لفظ محمد مكتوبا في الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير من ذلك ماجاء عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله قال المراد فص خاتمه فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا اى من السماء التي اليه فوضعه في خاتمه اي وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وحينئذ يكون ماتقدم عن جابر ومايأتي يجوز ان يكون روى بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه امر الناس ولم يجد من نفسه ماكان يجده قبل نزعه * وفي انس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوب تقي مصلح وسيد امين وفي جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يارب اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا غفرت لي قال وكيف عرفت محمدا وفي لفظ كما في الوفاء وما محمد ومن محمد قال لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت

واعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابي الا ان يعلن فسله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أى نغدرك فاتى ابن الدغنة الى ابى بكر رضى الله عنه وقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما ان ترد على ذمتي وجوارى فاني لا أحب أن تسمع العرب انى أخفرت في رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضي الله عنه لابن الدغنة فانى اردعليك جوارك وأرضي بجوار الله تعالى أى حمايته

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفى الحديث من فضائل الصديق رضى الله عنه أشياء كثيرة وقد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تامها كموافقة ابن الدغنة في وصف الصديق رضى الله عنه لخديجة رضى الله عنها فيما وصفت به النبي صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحى عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضى الله عنه واتصافه بالصفات البالغة في انواع الكمال وجاء فى بعض الاحاديث كنت أنا وابو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة فتبعني ولو سبقني لتبعته يعني لو جاءته النبوة لتبعته * وجاء فى بعض الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم في شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الي مكة لانه بلغهم ان كفار قريش اسلموا شيوع كلهم وسبب هذا الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمحضر من قريش سورة والنجم من اولها الي اخرها وسجد في اخرها ولما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو امية بن خلف اخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من ان يسجد وقال يكفيني هذا والصحيح في سبب سجودهم انهم توهموا انه ذكر الهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخري وقيل ان الشيطان القي في اسماعهم في خلال القراءة بعد قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلي وان

الاسلام

انك لم تضف الا اسمك الا احب الخلق اليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد لما خلقتك أى وفي لفظ كما في الشفاء قال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس أحد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالي اليه وعزتي وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك وفي الوفاء عن ميسرة قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى الي السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبياء وخلق الله الجنة التي اسكنها آدم وحواء وكتب اسمى اى موصوفا بالنبوة او بما هو أخص منها وهو الرسالة على ماهو المشهور على الابواب والاوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد أى قبل ان تدخل الروح جسده ولما أحياه الله نظر الى العرش فرأى اسمي فاخبره الله تعالى انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه اى فقد وصف صلي الله عليه وسلم بالنبوة قبل وجود آدم وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد آدم أى الخلق اكرم على الله تعالى بعضهم آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وقال آخرون بل الملائكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم فقال لما نفخ في الروح لم تبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لى العرش فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك اكرم الخلق على الله عز وجل قيل وكان يكني ادم بابي محمد وبابي البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك فى الدنيا وتقدم انه يكنى بابي محمد في الجنة ومن ذلك ماجاء عن عمر بن الخطاب ايضا رضى الله تعالي عنه قال لكعب الاحبار رضي الله تعالي عنه اخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدوني والثاني أنا الله لا اله الا انا محمد رسولى طوبى لمن امن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لى والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي ولينظر الرابع أى وذكر بعضهم ان في سنة أربع وخمسين واربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش وظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالي فنظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تاملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الي ذلك الجبل الذى سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدا به صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا واقعة المغرب فانها تكون من سبعة او تسعة والقيامة قد أزفت اى قربت وجاء ان ادم عليه الصلاة والسلام قال طفت السموات فلم أر في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوب عليه لقد رأيت اسمه ﷺ على نحور الحور العين وورق اجام أى ورق قصب اجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب بين اعين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه أى وقد قيل ان اول شئ كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انى انا الله لا اله الا انا محمد رسولى من استسلم لقضائي وصبر على بلائى وشكر على نعمائي ورضى بحكمى كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفى رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه

الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتامل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما أمر أن يكتب ماذكر كان أول شيء كتبه على سرادق العرش ماذكر ثم تمم كتابة ماأمر به على ذلك كما كتب أول ماذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ماأمر به يلزم أن يكون القلم كتب ما كان ومايكون في اللوح وعلى سرادق العرش * ومن ذلك ماجاء عن عمر بن الخطاب أيضا رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى أي وعلى ورق قصب آجام الجنة ومن ثم قال السيوطي في الخصائص الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيما ورد لما خلقت العرش على الماء اضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في الملكوت أي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصائص الصغرى له أيضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت * أقول ولا يخالف هذا أي ما تقدم عن آدم ماجاء على تقدير صحته ان آدم لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالأذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد ان لا اله الا الله مرتين أشهد ان محمدا رسول الله مرتين قال آدم من محمد قال جبريل هو آخر ولدك من الانبياء لجواز ان يكون آدم عليه السلام أراد ان يستثبت هل هو محمد الذي رأى اسمه مكتوبا وأخبر بانه آخر الانبياء من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به او غيره فليتأمل وانما قلنا على تقدير صحته لانه سيأتي في بدء الأذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يامحمد وعزتي وجلالي لولاك ماخلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد على القائل في مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لافلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاه ما كان لافلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد في الكتاب ولا في السنة مايدل على ذلك فيقال له بل جاء في السنة مايدل على ذلك والله أعلم * ومن ذلك ماحدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض آخر قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت

شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا أنها كذب لا أصل لها وطعنوا في الاحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين اثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل الشيطان القاها الى اسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الأمر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ في الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بارض الحبشة وقالوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة من الاذى فاقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر مافيه قريش ونحدث عهدا باهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع بالرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة

المخزومي فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد رد على الوليد جواره وقال اكتفي بجوار الله وبينما هو في مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضي الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره وقال له قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الاخرى الى ما أصاب أختها لفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة رضى الله عنها قبل ان يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الي مكة مع من رجع دخل في جوار خاله ابى طالب فمشى الي ابي طالب رجال من مخزوم أى جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب امنعت منا ابن أخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه فقال لهم ابو طالب انه استجارني وانه ابن اختي وانا ان لم أمنع ابن اختي ذكر
لم امنع ابن أخى وقام ابو لهب مع ابى طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه لتنتهن أو لاقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا ننصرف عما تكره يا ابا عتبة واجازوا ذلك الجوار خوفا من ان يكون ابو لهب مع ابي طالب فى نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان ابا لهب كان مع قريش فى منابذة النبي صلى الله

الى وردة كبيرة لم تفتح ورأيت فيها كما رأيت في سائر الورق وفي البلد منها شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا فى جزيرة فرأينا فيها وردا أحمر ذكي الرائحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله أي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفي مزيل الخفاء الاقتصار على لا اله الا الله أى وحينئذ لا يكون شاهدا على ما ذكرنا أى ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويبقون أثرها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب وقت فاذابوا الرصاص وجعلوه فى أصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل الطيب * ومن ذلك انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب فيها بخط بارع بلون أسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها في البحر احتراما لها * وعن بعض آخر قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على أذنها الواحدة لا اله الا الله وفى قفاها وخلف أذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها فى البحر * وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضراء فالقاها فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله * ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتي أخذت ما بين الخافقين وأحاطت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الي وقت العصر فتاب كل من كان افتتن واسلم أكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى * ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بلغني في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن الموت أي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي انه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء أي ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وروى البيهقي وغيره عن على بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذى ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب أي يتعب عجبت لمن

عليه وسلم ومعاداته فكان ابولهب لقريش ولياوناصرا فخافوامن خروجه من بينهم ولما نصر ابولهب اباطالب في هذه القصة طمع ابوطالب في ان يكون ابولهب معه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشا ابياتا تحرضه فيها على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة ان قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانيه وبقيت أم حبيبة رضى الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سياتى وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت رأيت في المنام آتيا يقول ياأم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان كذلك وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الي النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فامرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سياتى ان شاء الله وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على احسن مقام بخير دار عند خير جار فبعث قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبدالله بن ابى ربيعة المخزومى وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على أن عبدالله بن ابي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة أخرى وهى التى بعد وقعة بدر كما سياتى وأما هذه السفرة فالرسولان

ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وفى تفسير القاضى البيضاوى عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق أى ان الله رازقه كيف ينصب أي يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله * أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولا فى أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكرناه في الوجه الثانى أو أن بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روي بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده ودويرته التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره * ويذكر ان بعض العلوية هم هرون الرشيد بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله فقال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي كذا فى العرائس والله أعلم * ومن ذلك ماجاء عن جابر رضى الله تعالى عنه قال مكتوب بين كتفي آدم محمد رسول الله خاتم النبيين أى وذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله أى ومن ذلك ماحكاه بعضهم قال ولد عندى في عام أربعة وسبعين وستمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة وفيها مكتوب محمد بخط فى غاية الحسن والبيان * وما حكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من أسفل مكتوب بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله * وذكر الشيخ عبدالوهاب الشعرانى نفعنا الله تعالى ببركته في كتابه لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية وفي يوم كتابتى لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك أن شخصا أتانى برأس خروف شواها وأكلها وأرانى فيها مكتوبا بالخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق يهدى من يشاء يهدى من يشاء قال الشيخ عبدالوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو الجانب لمقام الضلالة والغواية * وعن الزهرى قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقرأه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

﴿ باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ﴾

عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن قال جاء في بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود أى وقيل غيره وانه هو الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر أي ولعله غير الحجر الذى به أثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكا عليه بمرفقه وهو الذى يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به أثر الاصابع روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجة أي لحاجة الانسان

أبعد حتى لا يرى بناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا اه والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله لم يبق من حجر صلب ولا شجر * الا وسلم بل هناه مارهبا

والى ذلك يشير أيضا صاحب الهمزية بقوله

والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لاحمد الفصحاء

أي والجمادات التى لاروح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه أي بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به أهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم وعن على رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله أقول والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله وماجزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وأما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوحى الى جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وماذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد لك يارسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من أنا فقالت رسول الله فليس من المترجم له وفي الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة واجابتهما دعوته وفي كلام السهيلي يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلم وعلى كل هو علم من أعلام النبوة وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال في ذلك وقال قد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها اعيننا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ماعنده من العظمة لما اندك كذلك والله أعلم

باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم أي فهم وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم كما سيأتي عن السبكي فعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة أيام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ وأكثر منه شذوذا ماقيل انه

بزيادة

فيها عمر وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لابي طالب بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج واهدوا اهدايا لعظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو أن يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الي الملك فيهم اشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بارضك فارسل في طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم فقال لا والله حتى أعلم على أي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون لك وفي رواية لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم وفي رواية لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ماتقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم وانما نقول ماعلمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مايكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو لعمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به الملك وفي رواية اخرى لم يذكر فيها ان الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله ان عمرو بن العاص قال للنجاشي ألا ترى ايها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود

فقال النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة أي مطلق الصدقة لان زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ا ن مريم العذراء يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون فى ابن مريم وأمه قال جعفر تقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته القاها الي مريم فقال النجاشي يامعشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون أشهد أنه رسول الله وانه المبشر به عيسي في الانجيل ومعني كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعني كونه كلمة الله انه قال له كن فكان وفي رواية ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسي وبين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ماذكر هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فاكون انا الذى أحمل نعليه وأوضيه أي أغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الي هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي رواية قال لهم اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أى غرم أربعة دراهم أوضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفى رواية النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دير من ذهب أي جبل وان أوذى رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله

بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه خمس سنين قال بعضهم والاربعون هى سن الكمال ونهاية بعث الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروي انه لم يبعث نبي الاعلى رأس اربعين سنة هذا كلام الكشاف واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وأربع وثلاثين سنة أي ومعلوم انه دعي الي الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى اه أى وعليه جرى غير واحد من المفسرين قال في ينبوع الحيا لم يبلغني أن احدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنة اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفى الهدى واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ماتقدم عن المفسرين ومافي العرائس ولما تمت له يعني عيسى عليه السلام ثلاثون سنة اوحي الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوى المرضي والزمني والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما امر به واظهر المعجزات فاحيي ميتا يقال له عاذر بعد ثلاثة ايام من موته وعبارة الجلال المحلي في قطعة التفسير احيا عيسى عليه الصلاة والسلام اربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشي على الماء ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك ايضا قول ابن الجوزي واما الحديث ما من نبي الا نبئ بعد الاربعين فموضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام نبئ ورفع الي السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اي نبئ وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبئ وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشئ هذا كلامه أي وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا قول القاضي البيضاوي ونبئ نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل اربعين ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيي صلوات الله وسلامه عليه بناء على ان الحكم في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل احكم الله عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين او ثلاث ولما ولى الخلافة المقتدر وهو غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا فيمن ولى الامر وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيي بن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيي قبل رفع عيسي عليهما الصلاة والسلام سنة ونصف سنة * ومما يدل على ماتقدم عن الهدى اى من انكار ان عيسي عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلي الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها اخبرني جبريل انه لم يكن نبي الاعاش نصف عمر الذى كان قبله واخبرني ان عيسي ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الاعاش نصف ماعاش الذى قبله وعلى كون كل نبي عاش نصف ماعاش النبي الذى قبله يشكل ان نوحا كان اطول الانبياء عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبياء وشيخ المرسلين وهو اول من تنشق عنه

منى الرشوة حين ردعلى ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضي الله عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين ردعلى ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا الحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثني عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا لعمه في قتله فأبي وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ماسيأتي أنه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعا وأن الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك الصلاة كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه * وذكر السهيلي أنه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكي حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع

الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رأيت ان الحافظ الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله وقال العماد بن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اي ينتظرون فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي زاد في رواية لا أقولهن فخرا اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة اي من في زمنه وغيرهم ممن تقدم او تاخر اي والشجر والحجر الى آخر ما ياتي وكان من قبلي وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل الي قومه أي جميع أهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من أهل الارض ولما اخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين أربعين رجلا واربعين امراة وفي عوارف المعارف اصحاب السفينة كانوا اربعمائة وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع اهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اي حتى في الدنيا حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا اول الرسل اي لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل ادم ارسله الله تعالى الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرائعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حواء في الجنة لان الله تعالى امره ان يأمرها وينهاها في ضمن اخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع اهل الارض في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عليه الصلاة والسلام عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان آدم ومن بعده دعا الى الايمان بالله تعالى وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده واما قول اليهود او بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله لكل الناس * اقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير اهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما

شيا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطعون من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم تتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا اليه هدية اى هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك و بقية الادم فرق على اتباعه ايعا ونوهما على مطـلو بهما والاقتصار على الفرس والجبة فى تلك الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي أن يسلمنا لهم أي قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهم لما أوصلا هدايا هم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكرانهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسالاه أن يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاء الي الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فاد قوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقال

بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى وقال لاهاء الله أي لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم جاوروني ونزلوا بلادى واختاروني على من سواى حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قال جعفر رضى الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى

الصلاة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل لكتابيهما العبراني اى وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله اعلم واشار الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولوكان بيني و بينه مسيرة شهر اى امامه وخلفه بلا أمنى رعبا أى تقذف الرعب فى قلوب أعدائه صلى الله عليه وسلم وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده و بين احد من اعدائه اى المحاربين له أكثر من شهر اى وجاء ان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة لان مساحة جنده كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطي النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنه في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فباي دين يا نبي الله يدين قال بدين الحنفية فطوبي لمن امن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار الف عام * وأشار الى الثالثة بقوله وأحلت لى الغنائم كلها وكان من قبلى أى من أمر بالجهاد منهم يعطونها و يحرمونها أى لانهم كانوا يجمعونها أى والمراد ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبياء ولا يجوز للانبياء اخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا فى الوفاء وجاء في بعض الروايات واطعمت امتك الفيء ولم أحله لامة قبلها أى والمراد بالفيء ما يعم الغنيمة كأنه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفيء هذا وفي بعض الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجيء النار أى نار بيضاء من السماء فتأكله اي حيث لا غلول وامرت ان أقسمه في فقراء أمتي وفي تكملة تفسير الجلال السيوطى لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد في زمن عيسي عليه الصلاة والسلام ولعلهم لم يكن ممن امر بالجهاد فلا يخالف ما سبق وأشار الى الرابعة بقوله وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تمسحت أى تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي لا يعطون ذلك اى الصلاة في محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون فى كنائسهم و بيعهم اي ولم يكن أحد منهم يتيمم لان التيمم من خصائصنا وفى رواية جابر لم يكن أحد من الانبياء يصلي حتي يبلغ محرابه وجاء في تفسير قوله تعالي واختار موسى قومه الآيات من المأثور ان الله تعالى قال لموسى أجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلي الا في كنائسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة الى قوله المفلحون أي وهم امة محمد ﷺ وفيه أنه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يسيح في الارض يصلي حيث أدركته الصلاه و يحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلي مع أمته الا في محرابه وأما عيسي عليه الصلاة والسلام فخص بانه كان يصلي حيث ادركته الصلاة وسيأتي في الخصائص الكلام على ذلك * واشار الى الخامسة بقوله قيل لى سل فان كل نبي قد سأل فاخرت مسئلتي الي يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد اى اخراج من ذكر من النار لان شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه

تعالى فقال النجاشي ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع أي نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه

من الاحجار والاوثان وأمرنا ان نعبد الله وحده وامرنا بالصلاة أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة ايام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أي ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وامنا به واتبعناه على ماجاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك شيء مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ علي فقرأت عليه صدرا من كهيعص أي لكونها فيها قصة مريم وعيسي عليهما السلام فبكي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته و بكي أساقفته وفي رواية هل عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه علي قال البغوي فقرأ عليه سورة العنكبوت فاقول والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا ياجعفر من هذا الحديث فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسي وفي رواية أن هذا والذي جاء به موسي ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على ان عيسي عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسي وفي رواية بدل موسي عيسي ويؤيده مافي رواية انه قال مازاد هذا على مافي الانجيل الا هذا العود مشير العود كان

أكثر من ذلك قاله القاضي عياض أي وقد جاء في بيان من يشفع باذن الله له في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا شفع وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله عز وجل وقد جاء ان اول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسي ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه وفي الحديث اني تحت العرش فاخر ساجدا فيقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يارب أمتي يارب أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر أو شعير من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه أي من النار فانطلق فافعل اي اخرجه من النار وأدخله الجنة وله ﷺ شفاعة قبل هذه في ادخال أهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط في الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فياذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع واسال تعطه فاقول يارب شفعني في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة فياذن الله تعالى لي في الشفاعة الي اخر ماتقدم ومن هذا يعلم أن الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة فما تقدم من قوله اني تحت العرش فاخر ساجدا الي آخره انما ذلك في الشفاعة في فصل القضاء فهذا خلط من بعض الرواة اي خلط الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضاء بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول أهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة في اخراج أهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضاء هي المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم وأعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب أن اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف اي وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه الاولون والآخرون المعني بقوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه تجمع الناس في صعيد واحد فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الآية اعني عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضاء فدام الخصام الى ان اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعينة بقوله صلى الله عليه وسلم لي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن وفي كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات أخر غير فصل القضاء جرى في اختصاصه ببعضها خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووي وجماعة هي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشترك فيها من يشاء الله تعالى والشفاعة في اخراج من أدخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج من أدخل منهم النار وفي قلبه أزيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق أن المراد بمن في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى اخره عام في امته وغيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم جاء في الصحيح

في يده اخذه من الارض وانزل الله في النجاشي واصحابه واذا سمعوا ما انزل الى الرسول الآيات في سورة المائدة وفي رواية ان جعفرا قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قال لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا ولو اعطيتموني ديرا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اي

اتي اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسي قولا عظيما اي يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفي لفظ ان عمرا قال للنجاشي ايها الملك انهم يشتمون عيسى وامه في كتابهم فسالهم فذكر له جعفر ذلك اي اجابه بما تقدم في الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتامل ويمكن ان يقال ان مجالسهم تلك تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضي الله عنهما وروى الطبراني عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة ابن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما اي من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا ذميما وكان عمارة رجلا جميلا

ففتن امرأة عمرو وهوته ونزل هو وهي في السفينة فقال عمارة لعمرو مر امراتك فلتقبلني اي تقبيل معي فقال له عمرو الا تستحي فاخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح و ينادي اصحاب السفينة و يناشد عمارة حتي ادخله السفينة فاضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامراته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتي اهدت

فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله أي ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي وفي رواية ثلثي أمتي الجنة أي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيا فاخترت الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم لانا نقول المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيا خصوص أمته وأما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم الموحدون من الامم السابقة فليتامل مع ماسبق من شفاعة الانبياء والملائكة والمؤمنين والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار كابي طالب وأبي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد أنه لا يحاسب وقد أوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى أكثر من عشرين شفاعة وفي رواية أعطيت مالم يعطه أحد من الانبياء نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الارض اي وفي لفظ وبينا انا نائم رأيتني أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدي ولا منافاة لانه يجوز انه اعطي ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت احمد اي ومحمدا أي لان احدا من الانبياء لم يسم بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبياء كذا في الخصائص الصغرى وتقدم ان التسمية باحمد من خصائصه ﷺ على جميع الناس وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسي عليه الصلاة والسلام اني عبد الله الآية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء الآية هو الاصل في ذكر العلماء مناقبهم في كتبهم وهذا ماخوذ من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد صعد سيدنا عمر رضي الله تعالي عنه المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان النووي رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق في ذلك التفصيل وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الرياء فعدم التحدث بها وعدم اظهارها أولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها اولي اي وفي الشفاء انه احمد المحمودين واحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الاولون والاخرون لشفاعته لهم فحقيق ان يسمي محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ماتقدم عن الهدى ان أحمد ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول * وقد جاء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت أمتي خير الامم * قال القاضي البيضاوي وفي التسمية بالاسماء العربية تنويه في تعظيم المسمي هذا كلامه وفي رواية لما اسرى بي الى السماء قربني ربي حتى كان بيني و بينه كقاب قوسين أو أدنى قيل لي قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم أي بوقوفهم على اخبارهم ولا افضحهم عند الامم اي لتاخرها عنهم وعليه فالضمير في دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنا فتدلى الآية عبارة عن تقريبه

اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو اتي النجاشي وأخبره بذلك فقال ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملا الفما

ولازال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استاذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتي أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسياتى بعد غزوة بدر ان شاء الله انهم أرسلوا للنجاشى عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن ابي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هي ام ابي جهل بن هشام فهو أخو ابي جهل

تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في دنا الى آخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفى رواية نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية نحن آخر الامم وأول من يحاسب تنفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من آثار الطهور وفي رواية من آثار الوضوء فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون أنبياء كلها هذا وفى رواية غرا من آثر السجود محجلين من اثر الوضوء وفي رواية فضلت على الانبياء بست أي ولا مخالفة بين ذكر الخمس أولا وبين الست هنا لانه يجوز أن يكون اطلع أولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم أشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم ونصرت الرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول أى ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه قبل الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبياء والامم السابقة من لدن آدم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزى وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وأزيد على ذلك انه أرسل الي نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقى في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه فى شرح التقريب وحكى الفخر الرازى فى تفسيره والبرهان النسفي فى تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثاني أفتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم أرسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص أو الذى أريد به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز أن لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم وفي الشفاء وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل للقول الاول القائل بانه أرسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اى من الملائكة أني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم الذى انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوي الاجماع منازع فيها فهي دعوى غير مسموعة ثم رأيت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة أدلة ايضا وهى لا تثبت المدعى الذي هو أن الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبياء وأممهم على تقدير وجوده فى زمنهم لان الله تعالى أخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم فنبوته ورسالته اعم واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قاله السبكي اى فجميع الانبياء واممهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والذي نفسى بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني

واخرج لامه فارسلوها اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان فى الهجرة الاولي للحبشة والصواب ان ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن ابى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله بن ابى ربيعة أرسلته قريش مرتين

﴿ذكر اسلام عمر رضي الله عنه﴾ قد انجز الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضي الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحاق اسلم عمر رضي الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس اوقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة ايام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم اعز الاسلام باحب لرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هاشم وهو ابو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام اختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال اين تذهب انك تزعم انك هذا اي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وماذاك قال اختك قد صبات فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا او نسوا الصحيفة من ايديهم فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبات اي خرجت عن دينك ثم ضربتها وفي رواية ان عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت اتضربني يا عدو الله على ان أوحد الله لقد اسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضي

واخرج احمد وغيره عن عبدالله بن ثابت قال جاء عمر رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين وفي النهر لابي حيان ان عبدالله ابن سلام استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلاته من الليل فلم يأذن له وكون جميع الانبياء وامهم من امته صلى الله عليه وسلم فالمراد أمة الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن آمن به بعد البعثة على ما تقدم ويأتي وبعثه صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب عنهم ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴿وقد ذكر في الشفاء﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي في القرآن بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين قال الجلال السيوطي ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو ﷺ افضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفي لفظ آخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن احد كان قبلي غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأحلت لي الغنائم وجعلت امتي خير الامم وجعلت لي الارض مسجدا طهورا واعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن دونه وفي رواية فما من أحد الا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج وان معي لواء الحمد أنا امشي ويمشي الناس معي حتى آتي باب الجنة الحديث ﴿اقول﴾ قد سئلت عما حكاه الجلال السيوطي انه ورد الى مصر نصراني من الفرنج وقال لي شبهة ان أزلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية ورأس العلماء اذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبدالسلام فقال النصراني والناس يسمعون اي أفضل عندكم المتفق عليه او المختلف فيه فقال له الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصراني قد اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى واختلفنا في محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم ان يكون عيسى افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا من أول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ رأسه وقال عيسى قال يا بني اسرائيل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذي بشر به فاقام الحجة على النصراني وأسلم بانه كيف اقام الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى اذ غاية ما ذكر ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجبت فانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به وبما جاء به ومما جاء به وأخبر به افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سئل ابو الحسن الحمال بالحاء المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى ايهما افضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال تعالى واصطنعتك لنفسي فقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من اقام بوصفه بين من اقامه مقام نفسه والله اعلم ﴿وفي

الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وانا مغضب فنظرت فاذا كتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطنيه انظره وكان عمر قارئا فقالت له لا أعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم ازل بها حتى اعطتنيه وفى رواية قال أعطونى هذه الصحيفة اقرأها وكان عمر رضى الله عنه يقرأ الكتب قالت اخته لا افعل قال ويحك وقع فى قلبي مما قلت فاعطنيها انظر اليها واعطيك من المواثيق ان لا اخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل وتوضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال اتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم انى أرجو ان يهدى الله اخى فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى وجعلت افكر من اى شيء اشتق اى اخذ ثم رجعت الى نفسى واخذت الصحيفه فاذا فيها سبح لله مافى السموات والارض فجعلت اقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﴿وفى رواية﴾ فاخرجو الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت اسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافى السموات ومافى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسني فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفى رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وان عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بانه وجد

رواية اذا كان يوم القيامة كان لى لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفى لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة اى حلق بابها فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر أى وفى رواية آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اى بتحريك حلقة باب الجنة أو قرعه بها لا بصوت فيقول الخازن أى وهو رضوان من انت فاقول محمد وفى رواية انا محمد فيقول بك امرت لا افتح وفى رواية ان لا افتح لاحد قبلك زاد فى رواية ولا اقوم لاحد بعدك لا فتح له فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبياء وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهى خصوصية عظيمة نبه عليها القطب الخضرى وكون الفاتح له صلي الله عليه وسلم الخازن لا ينافي ماقبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقى وفى رواية أنا اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار جل جلاله فاخر له ساجدا أي فالكلام فى يوم القيامة فلا يرد ادريس بناء على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة وفى يوم القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ماجاء اول من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب الاصلى لا حلقه او الاول من الامة والله اعلم ﴿وفى الاوسط﴾ للطبرانى باسناد حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وسيأتي أن هذا من جملة ما أوحي اليه ليلة المعراج الذى اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ولعل هذا هو المراد مما جاء في المرفوع عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها انا وامتى وان ظاهرها من انه لا يدخلها أحد من الانبياء الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفى هاتين الروايتين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية انه لا يدخل احد الجنة من الامم السابقة ولو من صلحائها وعلمائها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لا بد من تعذيب طائفة من هذه الامة فى النار ولا بعد فى ذلك لانه تقدم ان اول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا يأتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة فى النار ودخل الجنة * وجاء انه يدخلها قبله من امته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من يدخل الجنة الا ان يقال أول من يدخل الجنة من الباب وهؤلاء السبعون الفا وردانهم يدخلون من اعلى حائط فى الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك ماجاء اول من يدخل الجنة ابو بكر لان المراد أول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالى ولا يعارض ذلك ما تقدم عن بلال رضى الله تعالى عنه أول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالى ولا يعارض ذلك ايضا ما جاء اول من يدخل الجنة بنتى فاطمه كما لا يخفى لان المراد اول من يدخلها من نساء هذه الامة فالاولية اضافية وجاء لا شفعن يوم القيامة لا كثر مما فى الارض من حجر وشجر وعن انس

رضى

السور الثلاث فى صحيفة او صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكرى قال ماينبغى لمن يقول هذا ان يعبد معه غيره دلونى على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند اخته يعني زوجها سعيد ابن زيد وخباب ابن الارت أحد الرجلين الذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم اعز الاسلام بعمر او بعمرو وانا نرجو ان تكون دعوته لك فابشر فلما عرفوا منى الصدق قلت اخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى اسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى اسفل الصفا وهي دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضى الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا اشدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فما اجترأ احد منهم ان يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضي الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت وأخذ رجلان بعضدى قيل ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة وفى رواية فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فى صحن الدار فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال اما أنت

رضى الله تعالى فضلت عن الناس باربع بالسخاء والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع أى فمن سلمى مولاته صلى الله عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع ليلته وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتى الاخرى وقال هذا أطهر واطيب * ومما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ماوقع له مع ركانة كما سياتى وفى الخصائص الصغري وكان افرس العالمين فهو صلي الله عليه وسلم أجود بني آدم على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم فى جميع الاخلاق الجميله والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصائصه صلي الله عليه وسلم ان الله تعالى اخبره بالمغفرة أى لما تقدم وتاخر ولم ينقل انه اخبر أحدا من الانبياء بمثل ذلك أى ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به صلي الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص به عن الانبياء وغفر لى مايقدم من ذنبي وما تاخر أي ولا ينافى ذلك قوله تعالى فى حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم أى بغفران ذنوبهم بدليل قولهم فى الموقف نفسى نفسى لا ني الى اخره وعن ابى موسى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم من سمع بى من يهودى او نصراني ثم لم يسلم دخل النار أى لانه لا يجب عليه ان يؤمن به اقول والذى فى مسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى احد من هذه الامة يهودى او نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار أى من سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود فى زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات غير مؤمن بما ارسل كان من اصحاب النار اى ومن جملة ما ارسل به أنه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تامل وانما خص اليهودى والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممالا كتاب له كالمجوسى اولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصاري كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التي هى شريعة موسى يقال لها اليهودية أخذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام انا هدنا اليك أى رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية أخذا من قول عيسى عليه الصلاة والسلام من انصارى الى الله فمن كان على دين عيسى يسمي نصرانيا وكان القياس ان يقال له انصارى وقيل النصراني نسبة الى ناصرة قرية من قري الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين فى ذلك وجاء فى رواية وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة أى والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته وان أمته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل مالا تطيقه الذى اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه صلى الله عليه وسلم أسلم وفى الخصائص الصغري واسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع ﴿وذكر أبو سعيد النيسابوري﴾ فى كتابه شرف المصطفى انه عد الذى اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبياء فاذا هو ستون خصلة أى ومن ذلك أي مما اختص به صلى الله عليه وسلم في امته ان وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به احد من الامم السابقة سوى الانبياء فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان

وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطى رحمه الله

﴿ باب بدء الوحي صلى الله عليه وسلم ﴾

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يري رؤيا الاجاءت كفلق اى وفى لفظ كفرق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك احد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيأ فى المنام الا كان أى وجد فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جاءت فى رواية البخاري فى التفسير أي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما في رؤياه يوم احد قال القاضى وغيره وانما ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفاجاه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة أى الرسالة فلا تتحملها القوى البشرية اى لان القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تانيسا له صلى الله عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة اي على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس اول ما يؤتى به الانبياء في المنام اى ما يكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى اه اى فى اليقظة لان رؤيا الانبياء وحى وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع فى عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا ﴿اقول﴾ وحينئذ يكون فى للقول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحى الثلاثة له وعد منها الرؤيا فى المنام وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون فى الرؤيا وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتداء الرؤيا حصل فى شهر ربيع الاول وهو مولده ﷺ ثم اوحي الله اليه فى اليقظة اي فى رمضان ذكره البيهقي وغيره ﴿وجاء فى الحديث﴾ الرؤيا الصادقة وفي البخارى الرؤيا الحسنة اى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزء من النبوة قال بعضهم معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحي اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام أى التى هى الرويا ستة أشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته ﷺ وهذا القيل نقله فى الهدى واقره حيث قال كانت الرؤيا ستة أشهر ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزء هذا كلامه وحينئذ يكون المعني ورؤياى جزء من ستة واربعين جزأ من نبوتى ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتامل

بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويأتي حبه الطبيعي فى قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتي كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا علي الكفار فى الدين فصار كذلك وفى رواية فقال ماجاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى ان تنتهى حتي ينزل الله بك قارعة فقال يارسول الله جئت لاؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر ابن الخطاب اللهم اعز الدين بعمر ابن الخطاب اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايمانا فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافى هذا اتيانه بالشهادة فى بيت اخته قبل خروجه الى النبى صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضى الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلنا يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الخفاء يارسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال ياعمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقي مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان قال عمر رضى الله عنه وأحببت ان يظهر اسلامى وان يصيبني ما اصاب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا فى قريش وهو ابو جهل فاعلمته اني صبوت وفى رواية قال عمر رضى الله عنه لما أسلمت تذكرت اى أهل مكة اشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فاخبره اني قد اسلمت فذكرت أبا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الي وقال مرحبا وأهلا يا ابن اختي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك

وفي لفظ لا يشرك ببشارة قال أبو جهل وماهي يا ابن اخي فقلت اني آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ماجاء به فضرب الباب في وجهي وهو معني اجاف الباب الثابت في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ماجئت به ثم مازال عمر رضي الله عنه يراجع النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من دار الارقم الى المسجد حتي وافقه على ذلك فخرجوا في صفين في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة رضي الله عنهما حتي دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم (٢٦٩) فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها

وفي رواية خرجوا في صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضي الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضي الله عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وفي رواية عن عمر رضي الله عنه بعد ان اسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت اني صبوت فرفع صوته باعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما اسلم عمر قال اي قريش انقل للحديث فقيل جميل ابن حبيب فغدا عليه وغدوت أتبع أثره وانا غلام اعقل مارأيت حتي جاءه فقال اعلمت ياجميل اني قد اسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ماراجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى اذا قام على باب المسجد صرخ باعلى صوته يامعشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبا ويقول عمر من خلفه كذب ولكني اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمازال الناس يضربونني واضربهم حتى قال خالي ماهذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه الا اني اجرت ابن اختي فانكشف الناس عني لجلالة خالي عندهم قال بعضهم ان ام عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد ابي جهل اخوان فابو جهل ابن عم ام عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الام اخوال الابن * وفي السيرة الحلبية ان عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضي

ولم اقف في كلام أحد على مشاركة احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين وحينئذ تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ماجاء في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزأ وفي رواية من اربعة واربعين وفي رواية انها جزء من خمسين جزأ من النبوة وفي رواية من تسعة واربعين وفي أخرى انها جزء من ستة وسبعين وفي أخرى من خمسة وعشرين جزأ وفي اخرى من ستة وعشرين جزأ وفي اخر من اربعة وعشرين جزأ فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا رواية ستة واربعين ويليها رواية أنها جزء من سبعين جزأ فعلم ان الرؤية المذكورة جزء من مطلق النبوة اي كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة اي لا توجد بعدي وبقيت المبشرات اي المرائي التي كانت مبشرات الانبياء بالنبوة بدليل مافي رواية لم يبق بعدي من المبشرات اي مبشرات النبوة الا الرؤيا اي مجرد الرؤيا الخالية عن شيء من مبشرات النبوة بدليل مافي لفظ لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم اي لنفسه او ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أو ترى له وهو خارج الرجل الصالح والمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل او آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على مايشمل النذارة التي هي الخبر الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخير لان النذارة ربما قادت الى الخير وفي الاتقان ومن المجاز تسمية الشيء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب أليم اه اي وهي في هذه الآية للتهكم وجاء رجل اي وهو ابو قتادة الانصاري الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني ارى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رايت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك اي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا راى أحدكم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان كأن يقول اعوذ بالله من شر ما رايت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضر زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في اخري وليقم فليصل اي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي رآه وفي البخاري انه اذا رأي احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها اي ولا يخبر بها الا من يحب واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان اي لا حقيقة وانما هي تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار ثم ليقل اللهم اني اعوذ بك من عمل الشياطين وسيآت الاحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل في معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشيء على ماهو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ماهو عليه فان الحلم مأخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها امثلة يدركها الرائي بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم واذا ذهب النوم من اكثر القلب

كانت الرؤيا أصفى وذكر الفخر الرازي ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها اي أثرها عن قرب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي أن لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذكر الخير أكثر وهذا جري على ما هو الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتاخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه كأن كلبا أبقع يلغ في دمه فكان أي ذلك الكلب الابقع شمرا قاتل الحسين وكان أبرص فكان تاخير الرؤيا بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء أن يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله لهذا أمرا وفي رواية والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيا قط ولا الكهان واني لا أخشى أن اكون كاهنا أى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن ياتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية واخشى أن يكون بي جنون أي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك الكريم أى فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله تعالى عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على أنه لا يفعل به الا خير لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردي عن الشعبي أن الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهله هذه المدة ليتاهب لوحيه وفيه انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم الا أن يقال ما تقدم انما قاله لخديجة فى اول الامر ويدل لذلك ما قيل أنه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يري شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التى هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشيء الذى كان يعلمه له اسرافيل لم أقف على ما هو والله اعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذى نادى رسول الله صلى عليه وسلم بقوله الى يارسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني فاني اخاف ان تقتل علي ظهرى فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث اى يتعبد به اي بغار حراء الليالى ذوات العدد ويروي اولات العدد اى مع ايامها وانما غلب الليالى لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الي المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان او غيره وفى كلام بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل صلى الله عليه وسلم اقل من شهر وحينئذ يكون قوله فى الحديث الليالى ذوات العدد محمول على القدر الذي كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر وكذا اقول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه صلي الله

الله عنه حين أسلم فالقاه عمر رضي الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه احد الا اخذه عمر رضى الله عنه بشراسيفه وهى طرف أضلاعه وعند ابن اسحق ان العاص بن وائل السهمي اجار عمر منهم حينئذ فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما جاره * وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينا عمر فى الدار خائفا اذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال مابالك قال زعم قومك انهم سيقتلوني لاني أسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فالقي الناس قد سال بهم الوادى فقال اين تريدون قالوا ابن الخطاب الذى قد صبا قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضى الله عنه الى العاص جواره قال فما زلت اضرب واضرب حتي اعز الله الاسلام * وفى رواية عن عمر رضي الله عنه في سبب اسلامه قال بينا انا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت اشد منه يقول يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا ان قيل هذا نبي وروي ابو نعيم فى الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر رضي الله عنهم ان اباجهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء او سوداء او الف اوقية من فضة وفي رواية ان اباجهل بن هشام قال يامعشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم ان من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار الا من قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء او سوداء او الف اوقية من فضة عليه فقال عمر رضى الله عنه انا لها قالوا انت لها وتعاهد معهم علي ذلك وفى رواية فقلت له يا ابا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلد السيف متنكبا كنانتي اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت انظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت فى

نفسى ان هذا الامر مايراد به الا أناثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول يا أيها الناس ذوو الاجسام ما أنتم وطائش الاحلام ومسند الحكم الى الاصنام اصبحتم كراتع الانعام اما ترون ما ارى امامى من ساطع بجلو دجى الظلام قد لاح للناظرين من تهام وقد بدا للناظر الشامى محمد ذوا البر والاكرام اكرمه الرحمن من امامى قد جاء بعد الشرك بالاسلام يامر بالصلاة والصيام والبر والصلاة للارحام ويزجر الناس عن الاثام فبادروا واسبقوا الى الاسلام بلا فتور وبلا احجام قال عمر فقلت والله ما اراه الا ارادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول اودي الضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب وقبل بعث محمد ان الذى ورث النبوة والهدي * بعد ابن مريم من قريش مهتدى سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد ابشر ابا حفص بدين صادق * يهدي اليك وبالكتاب المرشد واصبر ابا حفص فانك آمر ياتيك عز غير عز بني عدى لا تعجلن فانت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد قال عمر رضى الله عنه فوالله لقد علمت انه ارادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفى اسلامه خوفا من قومه فقال اين تذهب قلت اريد ان هذا الصابيء الذى فرق امر قريش فاقتله فقال نعيم يا عمر اتري بني عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الارض وبالغ في منعه ثم اراد ان يشغله عن ذلك بشيء آخر فقال له الا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم وذكر له اسلام اخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وكان قد اسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال اين تريد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال انت اصغر واحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا او تدعك بنو عبد مناف تمشي على الارض فقال له عمر ما اراك الا قد صبات فابدا بك فاقتلك فقال سعد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على

عليه وسلم اختلى اكثر من شهر قال السراج البلقيني فى شرح البخارى لم يجىء فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبد عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسياتى بيان ذلك قريبا ثم اذا امكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالى اى وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضي الله تعالى عنها فيتزود لمثلها اى قيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى المدة طويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه ثم رايت عن الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالى الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الى اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا فى سعة بالغة من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولا سيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير فيه الى ثلاثة أجوبة الاول انه لم يكن فى سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا اى من الكعك والزيت الا انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم فربما نفد ما أدخره وانما اختارت الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة اي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التى هي الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا فى شريف البقاع التى بورك فيها كأرض بيت المقدس حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء اي فى اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء فى كل سنة شهرا وكان ذلك مما تتحنث فيه قريش فى الجاهلية اى المتالهين منهم اى وكان اول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير اول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يناله اى يتعبد ( ) كورقه بن نوفل وابي امية بن المغيرة وقد اشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت فى العبادة الاعضاء

اى الف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة فى حال كونه طفلا ومثل هذا الشان العلى شان الكرام وانما كان هذا الشان الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء فى العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه فى صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس واراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضى الله تعالى عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس فى غار حرا فلا ينافى قوله طفلا ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حرا كانت فى زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضى الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من جاء من المساكين اى لانه كان من نسل قريش فى الجاهلية اى في ذلك المحل أن يطعم

الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد لعمر مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعيد بن زيد وباختك فقال صبا قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع انه لقي كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ماذكر وفي رواية ان سبب اسلامه رضي الله عنه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى اسمع مايقول وقلت ان دنوت منه استمع لاردعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت امشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في اثناء طريقه فرآني فظن اني انما تبعته لاذويه فنهمني اي زجرني بشدة ثم قال ماجاء بك في هذه الساعة قلت جئت لاومن بالله ورسوله وماجاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى * وفي رواية عن عمر رضي الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون فقلت كاهن علم مافي نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام مني كل موقع * وذهب واحتجوا مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فوجداه في بيته قائما يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ في سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال احدهما للآخر الوحا الوحا اي الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب * والحاصل ان الاسباب

الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس أي لاسيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المالوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر أي مع الانقطاع عما ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه أتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به وقيل تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه في سفر السعادة وقيل بغير ذلك من ذلك الغير انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى غير مانسخ منها في شرعنا وقيل بكل ماصح انه شريعة لمن قبله غير مانسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتى فجاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان ﷺ اذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ماأراد اي من كرامته ﷺ وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله أي عياله التي هي خديجة رضي الله تعالى عنها اما مع اولادها أو بدونهم حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول اي وقيل ليلة ثالثة قال بعضهم القول بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح اي وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه اي اول يوم هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسياتي في بعض الروايات ان جبريل عليه السلام نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله ﷺ قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه ونبئت فيه فلا مخالفة بين كونه نبئ في الليل وبين كونه نبئ في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه صلى الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء فجاء بامر الله تعالى وهذا القول اي ان البعث كان في رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصري حيث قال

وأتت عليه اربعون فاشرقت * شمس النبوة منه في رمضان

واحتجوا بان أول ما اكرمه الله تعالي بنبوته ما نزل عليه القرآن وأجيب بان المراد بنزول القرآن في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نائم بنمط وهو ضرب من البسط وفي رواية جاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اى كتابة فقال اقرأ فقلت ما اقرأ اى انا امي لا احسن القراءة اى قراءة المكتوب او مطلقا فغطني أو فغتني بالتاء بدل من الطاء به أي غمنى بذلك النمط بان جعله على فمه وانفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ أى من غير هذا المكتوب فقلت ماذا اقرأ وما اقول ذلك الا افتداء منه أي تخلصا منه ان يعود لى بمثل ما صنع اي انما استفهمت عما اقرأ ولم انف خوفا ان يعود لى بمثل ما صنع عند النفي اى وفي رواية فقلت والله ما قرأت شيا قط وما ادرى شيا اقرأه اى لانى ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها فانصرف عني وهببت اى استيقظت من نومى فكانما كتب في قلبي كتابا اقول اى استقر ذلك في قلبي وحفظته ثم لا يخفي ان كلام هذا البعض وهو انه جاء ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لان يكون اتاه بذلك النمط فى ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة بقوله ثم هببت من نومى ولا ينافى ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة اي اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذى هو اقرأ الحاصل في اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك فى قلبه صلي الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية قرات شيا الا ان المراد لم يتقدم لى قراءة قبل مجيئك الي ولا يبعده ايضا قوله ما ادرى ما اقرأ الا انه لم يستقر ذلك فى قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه ﷺ في الليلة الاولى وفي سيرة الشامى ان مجيء جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله صلي الله عليه وسلم غار حرا وهذا السياق يدل على انه كان بعده وفى سفر السعادة ما يقتضي انه جاء بالنمط يقظة في حرا ونصه فبينما هو في بعض الايام قائم على جبل حرا اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله لهذه الامة ثم اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرا قال والله ما انا بقارىء ولا ادري ما فى هذه الرسالة كتابة اى لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمني اليه وغطني حتى بلغ منى الجهد فعل ذلك بى ثلاثا وهو يامرنى بالقراءة ثم قال اقرا باسم ربك هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال فخرجت اى من الغار اى وذلك قبل مجيء جبريل اليه صلي الله عليه وسلم باقرا خلافا لما يقتضيه السياق حتي اذا كنت فى شط من الجبل اى في جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه اى في رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى في افق السماء اى نواحيها يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في افق السماء فلا انظر فى ناحية منها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامى وما ارجع ورائى حتي بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى اهلى حتى اتيت خديجة اي في الغار فجلست الى فخذها

المقتضية لاسلام عمر رضى الله عنه تكررت وكثرت وكان السبب في ذلك ان يمكن الله الاسلام فى قلبه ويثبته عليه حتي ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الامر كذلك * قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عمر رضى الله عنه قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السما باسلام عمر لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين * وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضي الله عنه رواه ابن ابي شيبة والطبرانى قال المشركون انتصف القوم وروى انه لما أسلم قال يارسول الله لاينبغى ان يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفي منه ثم تقدم أمامه صلى الله عليه وسلم يطوف ويحميه حتي فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما اسلم عمر رضى الله عنه ولما رأيت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه باسلام عمر رضى الله عنه وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحونا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أباطالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فامرهم فدخلوا شعبهم وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن اراد قتله واجاب كل منهم اباطالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة وانخذل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولذا قال ابوطالب فى قصيدة جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل وقال فى قصيدة اخرى جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا

مضيعا اليها أي مستندا اليها فقالت يا أبا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الي * أقول وهذا يدل على ان خديجة رضي الله تعالى عنها كانت معه بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي خديجة رضي الله تعالى عنها على ما تقدم وقد خالف ذلك ما روى ان خديجة رضي الله تعالى عنها صنعت طعاما ثم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فارسلت في طلبه الى بيت اعمامه وأخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هي كذلك اذ أتاها فحدثها بما رأى وسمع فان هذا يدل على انها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بحرا وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه أولا وارسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهي بحرا فلم تجده وان الرسل اخطؤا محل وقوفه صلى الله عليه وسلم بالجبل الذي هو حرا ثم رجعت الى مكة وأرسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم بحراء لاحتمال عوده اليه ثم ارسلت الى بيت أعمامه واخواله لما لم تجده صلى الله عليه وسلم بحراء فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون قوله وانصرفت راجعا الى اهلي أي بمكة لا بحراء لانه يجوز أن يكون بلغه رجوع خديجة رضي الله تعالى عنها الى مكة هذا على مقتضي الجمع وأما على ظاهر الرواية الاولى يكون رجوعه الى أهله بحراء كما ذكرناه وهو يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى شط الجبل كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي فخرج مرة اخرى الي حراء قال فخرجت حتى اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الى آخره فليتامل والله اعلم قال ثم حدثها بالذي رأيت اى من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد انت رسول الله فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها أي التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع اى رأى جبريل وسمع منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي يأتي موسى الذي هو جبريل وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب أى وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف أي فرغ ما تزوده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجيء اليه جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم اي وذلك كان في الشهر الذي أكرمه الله فيه برسالته فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بهاء السكت ولا تكون الا ساكنة ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم منه وقيل يافوخه اى وسط راسه لان اليافوخ بالهمز

أي تشاوروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ان لا ينكحوا اليهم أي لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم أي يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيا ولا يتبايعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تاخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أي يخلوا بينهم وبينه وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفر وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام ابن عمرو بن الحرث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي وقد اسلم رضي الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن ابي طلحة العبدري وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل ابن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخا واخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازي حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شيء الا سرا ويخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفي الصحيح انهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي احدهم السوق ليشتري شيا من الطعام ليقتاته فيقوم ابو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيا معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا مضاعفة حتى

يرجع الرجل منهم الي اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب بما كسد في أيديهم فيرحمهم ويضعف لهم الثمن وخروج احدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الاسواق والمبايعة أى عموما * لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان

من أشد الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم في ليلة ثلاث احمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال اني غير عائد لشئ خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش أى أغلظوا له في القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل مافعل لكان أحسن بنا وكان ممن يصلهم الطعام أيضا حكيم ابن حزام فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهى معه في الشعب فقال أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب

بالهمز وسط الراس اذا استد وقبل استداده كما في رأس الطفل يقال له الغادية ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله اى ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس قدوس وتارة قال سبوح سبوح أو جمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على أحد اللفظين (وقد جاء) ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه دخل على خديجة اى وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ورقة اي بعد ان أخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الي ورقة وذهب به الي ورقه فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اخلوت وحدى سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا بالي الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتي تسمع مايقول ثم ائتني أي وهذا قبل ان يراه و يجتمع به و يجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولي على يد ابي بكر رضى الله تعالى عنه وذلك قبل ان يري جبريل والثانية التي راى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم في المطاف والثالثة التي بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن أى باقرأ باسم ربك على المشهور من أنه أول مانزل وذلك على يد خديجة ولا ينافي ذلك ماذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتي ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجيء جبريل له يقظة باقرأ باسم ربك وسيأتي مافيه * وانما قال ورقة له ﷺ يا ابن اخى قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله بمثابة الاخ له او انه قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسي عليهما الصلاة والسلام مع ان عيسي اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام أى كان يهوديا ثم صار نصرانيا اى لان نبوة موسى عليه الصلاة والسلام مجمع عليها اى على انها ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسي عليه الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام لا ناسخة لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر اى كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام اى بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد (أقول) وفيه ان في رواية وانك على مثل ناموس موسي وعيسي عليهما الصلاة والسلام أى ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسي وفي الاقتصار على موسي دون الاقتصار على عيسى ماعلمت ثم رأيت انه جاء في غير الصحيح الاقتصار على عيسي فقال هذا الناموس الذى نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافي ذلك اى مجيء جبريل لعيسى ماتقدم عن النصارى من أنهم لا يقولون بنزول جبريل على عيسي لجواز ان يكون المراد لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحي بل في بعض الاحيان وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رأيت في فتح الباري ان عند اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ماهو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسي للمناسبة بينهما لان موسي أرسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على

أنت وطعامك حتي أفضحك بمكة فحضرهما أبو البحترى فقال لابي جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبنى هاشم فقال له أبو البحترى طعام كان لعمته عنده أفتمنعه ان ياتيها به خل سبيل الرجل فابي أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر فاخذ أبو البحتري لحى بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا فانكف عن ذلك وأبو البحترى هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة و بعضهم بالخاء المعجمة والاول اصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان ابو طالب مدة اقامتهم بالشعب يامره

صلى الله عليه وسلم فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا وغائلة فاذا نام الناس أمر احد بنيه أو اخوانه أو بنى عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره هو أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها وهذا على ماجرت به العادة من الاحتراس بالامور العادية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله تعالى أوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الارضة اكلت جميع مافي الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفي رواية لم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي مافيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية الاولى اثبت من الثانية وجمع بين الروايتين بانهم كتبوا نسخا فاكلت الارضه من بعضها ماعدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم واكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب بذلك فقال يا ابن اخى اربك اخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ما كذبتنى قط فانطلق في عصابة من بنى هاشم والمطلب حتى اتوا المسجد فانكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب يامعشر قريش جرت بيننا و بينكم امورا لم تذكر في صحيفتكم فاتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل ان ياتوا بها فاتوا بها وهم لا يشكون ان ابا طالب يدفع اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعوها بينهم شدائد وقيل ان تفتح قالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال انما أتيتكم في امر هو نصف بيننا و بينكم ان ابن اخى اخبرنى ولم يكذبنى ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفي رواية اكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم الله تعالى فان كان كما

يد بينا صلى الله عليه وسلم على فرعون هذه الامة الذي هو ابو جهل هذا كلامه فليتامل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال في حق ابي جهل في يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله اعلم (وعن عائشه) رضي الله تعالى عنها جاءه الملك سحرا أي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما أي غير نمط فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ أي لا اوجد القراءة قال فاخذني فغطني أي ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أي لا احسن القراءة أي لا أحفظ شيا اقرؤه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ أي أي شيء اقرؤه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما أقرأ وماذا اقرأ الا ان يقال اطلق ذلك واراد لازمه الذي هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم * أقول فقولنا أي بغير نمط هو ظاهر الروايات و يجوز ان يكون لفظ النمط سقط في هذه الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالنمط وايضا كيف الجمع بين قوله هنا ماذكر وبين قوله هناك فكانما كتب في قلبي كتابا وما بالعهد من قدم الا ان يقال يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم جوز ان يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذي اقرأه وكتب في قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرأ امر بالقراءة وفيه انه من التكليف بالايطاق أي في الحال أي ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظه لما يلقى اليه وفيه انه لو كان كذلك لم يحسن ان يقال في جوابه ما انا بقارئ الذي معناه لا اوجد القراءة الا ان يقال جبريل عليه السلام اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناه على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ في المواضع الثلاثة معناه مختلف ففي الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بانه لا يحسن شيا يقرؤه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن اى شيء يقرؤه فيه ماعلمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرأ لا أحسن القراءة بدليل انه جاء في بعض الروايات ما أحسن ان اقرأ وحينئذ يكون بمعنى الثاني فيكون تاكيدا له اى الغرض منهما شيء واحد * قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم اى ادني مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من ادني المراتب وهي العلقة الى اعلاها وهي تعلم العلم * وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال وهو ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ماسيق الكلام لاجلها فانها اشتملت على الامر بالقراءة والبداءة فيها بسم الله الى غير ذلك مما ذكره في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب مايجمع مقاصده بعبارة موجزة في اوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة واخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات وأورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدى بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات * وذكر السهيلي ان في ذلك اى الغط ثلاثا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له

شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل أي قبل قول جبريل له اقرأ أو شق جبريل بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم في الكلام على أمر الرضاع ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري وما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يامحمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب فى اسناده ضعف وانقطاع اي فلا يدل للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب فى مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال السيوطي حيث قال وعندي فيه ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة نزول السورة أى سورة اقرأ نزول البسملة معها فهى أول آية نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله اعلم * قال الحافظ ابن حجر هذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي من خصائصه اذ لم ينقل عن احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرائص اى (وفى رواية) فؤاده اى قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى اى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء اى الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي كما فى الامتاع قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا اى لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اى الشيء الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم اي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدوم بلا واو لان المعدوم اى الشخص المعدوم لا يكسب اى لا يعطي الكسب وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق اى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضى الله تعالى عنها اى عم اسمع من ابن اخيك اى وقولها اى عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع فى مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد اى فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد نزول الآية مرتين قالت فى مرة اي عم وفي مرة اى ابن عم قال ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسي اى صاحب سر الوحى وهو جبريل ياليتني فيها جذعا اى ياليتني حينئذ اكون فى زمن الدعوى الي الله اي اظهارها الذى جاء به وانذر واصل وجودها بناء على تاخر الدعوى التي هي الرسالة عن النبوة على ما يأتي شابا حتى ابالغ فى نصرتها ياليتنى اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

زهول فافيقوا وأى اقلعوا عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن اخيك، زادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد جاء ان أبا طالب قال لهم بعدما وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة ثم دخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب. عند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة وهم هشام ابن عمرو بن الحرث العامرى وزهير بن أبى أمية المخزومى وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم والمطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف وأبو البحترى ابن هشام وزمعة بن الاسود فمشى هشام بن عمرو الى زهير بن أبى امية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي الله عنهما فقال يازهير أرضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك ياهشام فماذا اصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال اما معك فقال ابغنا ثالثا فمشيا جميعا الى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد فقال انما انا واحد فقالا أنا معك فقال ابغنا رابعا فذهبوا الى ابي البحترى فقال ابغنا خامسا فذهبوا الى زمعة ابن الاسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلا باعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون اول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال ياأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة

القاطمة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لا نشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البحتري صدق زمعة فقال مطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال ابو جهل هذا أمر قضي بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة تشقها وفي رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح في ذكر القصة ان السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انما كان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأكل الارضة لها وبعضهم قدم وأخر في حكاية القصة وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوة بناء على أن مكثهم كان سنتين اوفى السنة العاشرة بناء على أنه كان ثلاث سنين وفي الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

* فديت خمسة الصحيفة بالخمـ ـسة ان كان للكرام فداء
* فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء
* يا لأمر اتاه بعد هشام زمعة انه الفتي الاتاء
* وزهير والمطعم بن عدى وأبو البحترى من حيث شاؤا
* نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد دت عليهم من العدى الانداء
* اذكرتنا باكلها اكل منسا ة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخرج خبا له الغيوب خباء

وتقدم انه اسلم من هؤلاء الخمسة هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن ابي امية فقال وأما المطعم بن عدي فمات بمكة كافرا وأما ابو البحتري وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسئل عما يفعل وتوفي ابو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام علي ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة ايام توفيت خديجة رضي الله عنها

اوخرجي هم تشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل أومخرجوني حذفت النون للاضافة فصار مخرجوى قلبت الواو ياء وادغمت قال ورقة نعم لم يات رجل بما جئت به الا عودي اى فتكون المعاداة سببا للاخراجه وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من الانبياء أخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا يقتضى الاخراج فلا يحسن ان يكون علامة عليه وقد يؤيد ذلك ماتقدم عند الكلام على بناء الكعبة ان كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم مافيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ في جواب قول ورقة انه يكذب ويؤذى ويقاتل وقال في جواب قوله انه يخرج اوخرجي هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه قال ورقة وان ادركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي شديدا قويا من الازر وهو الشدة والذي في الحديث الصحيح وان يدركني يومك وسيأتي في بعض الروايات وان يدركني ذلك قال السهيلي وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركني ما يأتي بعده كما جاء اشقي الناس من أدركته الساعة وهو حي هذا كلامه * اى وفي بعض الروايات ان قال لها انا ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وفي لفظ انه لنبي هذه الامة اى وفي الشفاء ان قوله صلي الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى أن لا تحتمل قوته صلي الله عليه وسلم مقاومة الملك واعباء الوحى بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء في هذه الخشية على اثنى عشرة قولا وأولاها بالصواب واسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت أو المرض اودوام المرض هذا كلامه فليتامل مع رواية خشيت على عقلي * قال وفي بعض الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له ياعداس أذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبريل اى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ماشان جبريل بذكر بهذه الارض التي اهلها أهل أوثان أي والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسي وعيسى عليهما الصلاة والسلام اه وفيه انه سيأتي عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت أبي طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد انه المذكور هنا فليتامل ثم رأيت ان عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له أنعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قال اجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح فانه غير عداس الآتي ذكره وانهما اشتركا في الاسم والبلد والدين اى وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من اهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تساله عن جبريل

وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله
وقضي عمه ابو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من احمد المناء

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيرا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذ ذاك خمسا وستين وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه ابى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يارسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضى الله عنها فقال اجل أم العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشي عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال في السيرة الحلبية وفي الشهر الذى توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الي مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اربعمائة درهم وكانت رأت في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطيء عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة أخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه

فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك * وفي رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذي كتابي هذا فانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضروه فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرأ هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وامي انهض معي الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبي الذى بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان كان هذا قبل ان تذهب به الي ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما أنا بقارىء اذ هو صريح في انه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيأ ومن ثم كان المشهور ان أول ما نزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في اسباب النزول انها نزلت لما وضعه المشركون بانه مجنون الا ان يقال لا مانع من تعدد النزول * وذكر ابن دحية ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي اخبرني بانه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان لا يجترئ ان يتمثل به ولا أن يتسمي باسمه وهذه العبارة أي كون جبريل هو السفير بين الله وبين انبيائه صدرت من الحافظ السيوطى وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي انه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفى لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين وتولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل أي وقد تقدم ان اسرافيل قرن به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء الى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا وسيأتى عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي فليتأمل واجاب الحافظ السيوطى عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان ولك ان تقول ان كان المراد بالمجيء اليه بوحي من الله كما هو المتبادر فليس في هذه الرواية ان اسرافيل كان يأتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ السيوطي يقتضى ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي من الله قبل مجيء جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحي غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع انبيائه * قيل وانما خص بذلك لانه اول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله توحى اليه فاجاب بنعم واورد حديث النواس بن سمعان الذى اخرجه مسلم واحمد وابو داود والترمذي

قالت قلت لما ماتت خديجة يارسول الله الا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت احق خلق الله بك عائشة بنت ابي بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذا الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ماذكر فعلم ان الله سيقضي أمره حين انطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ماتقول قال فاذهبي فاذكريها على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك ارسلني رسول الله صلي الله عليه وسلم خطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلي على ابى فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفء كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال اى بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله ارسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين ان ازوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها وكان اخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما أسلم رضي الله عنه كان يقول كنت في السفه يوم احثي التراب على رأسى اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته ثم ذهبت خولة بنت حكيم الي ام رومان وهى ام عائشة رضي الله عنها فقالت يا ام رومان ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظري ابا بكر رضي الله عنه حتى يأتى فجاء ابو بكر فقلت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت ارسلنى رسول الله صلي الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة رضى الله عنها

والنسائى وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحي اليه قال والظاهر ان الحاكي اليه بالوحى جبريل قال بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين انبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة الناس ان جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا أصل له وزعم زاعم ان عيسى انما يوحي اليه وحى الهام ساقط قال وحديث لا وحى بعدى باطل اى ويدل له مارأيته في كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله امين على وحيه وهو سفيره الى انبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت فى بعض التواريخ ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء هذا العدد والله اعلم (وفي اسباب النزول) للواحدي عن على رضي الله تعالي عنه لما سمع النداء يامحمد قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين حتى فرغ من السورة اى فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين فقال آمين كما في رواية عن وكيع وابن أبي شيبة (وجاء في حديث) قال بعضهم اسناده ليس بالقائم اذا دعا أحدكم فليختم بآمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة وفى الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين أي خاتم دعاء رب العالمين اى يمنع من ان يتطرق اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد وجب ان ختم بآمين * فاتي صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم ابشر فاني اشهد انك الذي بشر بك ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لاجاهدن معك (اقول) هذا لا يدل للقول بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال في الكشاف اكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد ان تكون هذه الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك ثم رأيت عن البيهقى انه قال فيما تقدم عن اسباب النزول هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر أى والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذى ذهب اليه اكثر الامة هو الاول اى القول بانه اقرأ واما الذي نسبه الي الاكثر فلم يقل به الا عدد اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم رأيت الامام النووى قال "قول بان الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من ان يذكر اى ومما يدل على ذلك ماجاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففى تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية وفيه انه جاء عن قتادة انها نزلت بمكة وعن على كرم الله وجهه كما فى أسباب النزول للواحدى انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض الله فاك وفى الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي مكيه مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح انها مكية القاضى البيضاوى حيث قال وقد صح انها مكية وفي الاتقان وذكر قوم منه اى مما تكرر نزوله الفاتحة فليتامل فانه لا يقل ذلك الا بناء على انها نزلت مرتين مرة بمكة ثم بالمدينة مبالغة فى شرفها وقد اشار القاضى البيضاوى الى ان تكرير

نزولها

قال وهل تصلح أي تحل له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وانت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي أي تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده ابو بكر والله ما عدا ابو بكر وعدا قط فاخلفه فقام ابو بكر ودخل على مطعم بن عدي وعنده امرأته ام ابنه جبير فقال أبو بكر للمطعم بن عدي ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير ما قبل

المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على أبي بكر رضي الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ما تسمع أي فقولي مثل قولها فقام ابو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع وقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها أي عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم ايضا لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات ابو طالب اشتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب فدخل صلى الله عليه وسلم يوما بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ أكرهه أي اشد الكراهة حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما

نزولها ليس بمجزوم به وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال في الاتقان والظاهر ان النصف الذي نزل بالمدينة النصف الثاني قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه * واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف ان سورة الحجر مكية وفيها ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهي الفاتحة فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرىء عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله تعالى في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثاني في آية الحجر هي الفاتحة ويرد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي وقد صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تفسير السبع المثاني في آية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على ان المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو أن عيرا لابي جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينظرون اليها وأكثر الصحابة بهم عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شيء لحاجة اصحابه فنزل ولقد آتيناك أي اعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما أعطيناه لابي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم اي على أصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما تحب من أسباب الدنيا * وفي زوائد الجامع الصغير لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وفي لفظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء * وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن فليتأمل ولها اثنان وعشرون اسما وذكر بعضهم ان لها ثلاثين اسما وذكرها الاستاذ الشيخ أبو الحسن البكري في تفسيره الوسيط قال السهيلي ويكره ان يقال لها أم الكتاب أي لما ورد لا يقولن أحدكم أم الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطي رحمه الله ولا أصل له في شيء من كتب الحديث وانما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء في تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه أخرى وتارة جوزوا الامرين معا وهو يشكل على ان تسمية السور توقيفي ثم رأيت في الاتقان قال قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات فان كان الثاني فيمكن الفطن ان يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم القول بانها انما نزلت في المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلي بغير الفاتحة قال في أسباب النزول وهذا مما لا تقبله العقول أي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة أي ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي رواية لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك أي القراءة بام القرآن في كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك ايضا وصف القول بانها انما نزلت بالمدينة انه هفوة من قائله لانه

أردت وما كنت صابئا اذ كان ابو طالب حيا لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت فلم يزل ابو جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون على ابي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من معاداته فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والفتك به خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته

وعترته خصوصا من ابي لهب وزوجته أم قبيح حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب * وعن على رضي الله عنه انه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت ابى طالب اخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله مادنا منا احد الا ابو بكر رضى الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا وينا صروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه * قال في السيرة الحلبية ومن ثم أي من اجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الي الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الامة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا أخوة ثلاثة احدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام واخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام ايضا والاخ الثالث حبيب قال الذهبي وصحبته نظر وهؤلاء الثلاثة اولاد عمرو بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به

تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه أي لان نزولها كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا أيها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر انه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي أو لان المدثر نزلت بعد فترة الوحي على ما سيأتي وقد يقال لا ينافيه ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن في الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز أن يراد صلاة من الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة في الصلاة يجوز ان يكون صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفي الامتاع انزال الملك يبشره بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة فقد أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا أي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على انه سيأتي عن الكامل للهذلي ما يصرح بان خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بقاب قوسين * ومما يدل على أن البسملة آية منها نزولها معها أي كما في بعض الروايات والا فالرواية المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة آية من الفاتحة ايضا ما أخرجه الدارقطني وصححه والبيهقي عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وقد أخرج الدارقطني عن علي رضى الله تعالى عنه انه سئل عن السبع المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست آيات فقال بسم الله الرحمن الرحيم آية وقيل لها السبع المثاني لانها سبع آيات وتثنى في الصلاة وقيل المثاني كل القرآن لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه أن يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال أي كأنها المرادة بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل الكهف وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من الفاتحة وبهذا يعلم ما في تفسير البيضاوي عن أم سلمة من أنه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فقد ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة والذي رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة باللفظ تدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم آية وحدها منها انها ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والاستدلال على ان البسملة آية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضي ان البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرأ بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست آية من كل سورة واستدل به أي بعدم نزولها في اول سورة اقرأ أيضا كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقرآن في اوائل السور أي وانما نزلت وكتبت للفصل والتبرك

والتبرك بالابتداء بها وهذا القول ينسب لقول امامنا الشافعي رضي الله تعالي عنه في القديم وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين اى لقرآنيتها فى ذلك انها نزلت فى وقت آخر كما نزل باقى السورة اى سورة أقرأ وجوابهم أيضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها فى مصاحفهم مبالغتهم فى تجريدها عن كتابة غير القرآن فيها حتي انهم لم يكتبوا امين فيها واستدل ايضا لعدم قرانيتها في اوائل السور بعدم تواترها فى محلها ورد بان عدم تواترها في محلها لا يقتضي سلب القرآنيه عنها ورد هذا الرد بان الامام الكافيجى قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر اى في القران في محله ووضعه وترتيبه ايضا كما يجب تواتره في اصله اي وفى الفتوحات البسملة من القران بلاشك عند العلماء بالله وتكرارها فى السور كتكرار ماتكرر فى القران من سائر الكلمات وهو بظاهره يؤيد ماذهب اليه امامنا من انها اية من اول كل سورة محتمل لما قال السهيلي حيث قال نقول انها اية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفي كلام ابي بكر العربي وزعم الشافعي انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد فانه لم يعدها احد آية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انها آية من اول الفاتحة دون بقية السور فعن الربيع قال سمعت الشافعى يقول اول الحمد بسم الله الرحمن الرحيم وأول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة آية من أول الفاتحة دون بقية السور وأنها ليست آية من اولها بل هي آية في اولها اعادة لها وتكريرا لها وربما يوافق ذلك قول الجلال السيوطى في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه خص بالبسملة يخالف قوله في الاتقان عن الدارقطنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه لاعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتي وسيأتى مافيه قيل وانما تركت البسملة اول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة والتبرى الذى يدل عليه اول براءة ورده في الفتوحات بانها جاءت فى اوائل السور المبدوأة بويل قال واين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال وبراءة سورة واحدة اى فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سالت عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه لم لم يكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى فظننت انها سورة واحدة وفى كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحي وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك لانهما رأيا ان أولها مشبه لقوله ألم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلي الله عليه وسلم بايذاء الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطيب القلب فكيف يجتمعان هذا كلامه وذكر ائمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان بالبسملة فى الفاتحة في الصلاة الظن المفيد له خبر الآحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفي كونهما آية من الفاتحة باجماع المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر بلغت عدتهم احدا وعشرين صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم

من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أى يشقها او يقطعها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا اكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم خطرا أي قدرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغى لى ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا على وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من أشراف ثقيف أخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا أي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتي اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفي رواية حتي اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلي الله عليه وسلم اذا أزلقته الحجارة أى وجد ألمها قعد الى الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضى الله عنه يقيه بنفسه حتي لقد شج برأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الي حائط من حوائطهم أي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة أى شجرة من شجر الكرم وفى رواية ان الثلاثة من رؤساء ثقيف اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتي اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك مالقيت وكان اشد مالقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبدياليل هناك لا عقبة منى التي

اجتمع فيها من الانصار ثم بين ذلك قوله اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بامرك ان شئت

ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبده وحده لاشريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه *وفي رواية جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره ان لا يفعل شيا الابامرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم لعله ان يخرج منهم ذرية يقولوا ان لااله الا الله فقال ملك الجبال انت كاسماك ربك رؤف رحيم * وقد اشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

*جهلت قومه عليه فاغضى أخو الحلم دابه الاغضاء * وسع العالمين علما وحلما فهو بحر لم تعيه الاعياء

وقوله في اول الحديث

اسمع أحدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم اجيب عنه بانه لم ينف الا السماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز يؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة وأما مارواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة الحمد لا غيرها من القرآن ولا يبعد هذا الحمل ما في رواية عبد الله بن مغفل انه قال سمعني أبي وأنا اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال اى بني اياك والحدث فاني صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقوله فاذا قرأت فقل الحمد لله رب العالمين فانه لما لم يسمع فهم أنهم لم يأتوا بها رأسا فقال ذلك وكذا يقال فيما روى كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها يجوز ان يكون الراوى فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطا * ومما استدل به على أن البسملة ليست آية من الفاتحة ماجاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة أى الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ماسأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الى عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فيقول عبدي اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال أبو بكر بن العربي المالكي فانتفى بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين أحدهما انه لم يذكرها في القسمة والثاني انها ان صارت من القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها أكثر مما للعبد لان بسم الله ثناء على الله تعالى لاشئ للعبد فيه ثم ذكر ان التعبير بالصلاة عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها واطال في ذلك وسيأتي في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية في كتب ذلك في أربعة كتب وأول من كتبها امية بن الصلت فلما نزل بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله ثم لما نزل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم لما نزلت أنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبي ان النبي ﷺ لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شئ من اوائل السور ويؤيده قول السهيلي ثم كان بعد ذلك اي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اى تمييزا لها عن غيرها وقد ثبت في سواد المصحف الاجماع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه فليتامل مافيه فانه قد يدل لقول بان البسملة ليست من اوائل السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت اول الفاتحة على مافي بعض الروايات ونقل ابو بكر التونسي اجماع علماء كل امة على ان الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه بسم الله الرحمن الرحيم وفي الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابه لا علمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم مافي الخصائص الصغرى ان البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم على نبي بعد سليمان غيري يشكل عليه فان

لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن عيسى ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وماردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قاله اشراف ثقيف ويحتمل انه اراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت اطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة ابو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل

هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل ان المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما الجؤه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأيا مالقى تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف فبعثاله مع عداس النصرانى غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود ووضعه عداس في طبق بامرهما قالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقال له يا كل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده

فى القطف ليا كل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الي وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أى البلاد أنت ومادينك قال نصراني من نينوي وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلي الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متي فقال عداس ومايدريك مايونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته وأنت أمى في أمة أمية قال ذاك اخى هو نبي مثلى فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضى الله عنه وفي رواية انه قال اشهد انك عبد الله ورسوله ونظراليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى مافي الارض شئ خير من هذا فقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه (ويروى) ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر امراه بالخروج معهما فقال لهما اقتال الرجل الذى رأيت بحائط كما تريدان والله ماتقدر له الجبال فقالا له ويحك ياعداس سحرك بلسانه وفى الاصابة عن الواقدى قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضى الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر (ويروي انه صلى الله

عيسى بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة * وعن النقاش ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ماذكره فانما سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله أعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفي قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويؤيده ماجاء في رواية فى سندها ضعف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على ان من أدرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بناء على تاخرها لا يكون مسلما بل من أهل الفترة فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعنى ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير لأني والقس بكسر القاف رئيس النصاري وبفتحها تتبع الشئ ( ) هذا وفى القاموس القس مثلث القاف تتبع الشئ وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذي لا يفارقها ورئيس النصاري في العلم وفي رواية أبصرته فى بطنان الجنة وعليه السندس وفى رواية قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا وأحسبه أى أظنه لوكان من اهل النار لم تكن عليه ثياب بيض أقول صريح الرواية الثالثة انه لم يره في الجنة فقد تعددت الرؤية وأما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة في ذلك على التعدد والله اعلم وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين ( ) لانه آمن بى وصدقنى أى قبل الدعوة التى هى الرسالة وحينئذ يكون معنى قوله له جنة أو جنتين هيئت له جنة أو جنتان ولا مانع أن يكون بعض أهل الفترة من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوة وصدق بها لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة أى بناء على أنه أدرك الدعوة الى الله تعالى التي هي للرسالة ففي الامتاع أن ورقة مات فى السنة الرابعة من المبعث ويوافقه مايأتى عن سيرة ابن اسحق وعن كتاب الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بى وصدقنى واضحا لكن ينازع فى ذلك قوله واحسبه لوكان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وسيأتي عن الذهبى مايخالفه ويخالفه أيضا ماتقدم عن سبط ابن الجوزى انه من أهل الفترة وعن يحيي بن بكير قال سالت جابر بن عبد الله يعنى عن ابتداء الوحي فقال لا أحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ارشيا فنظرت عن يساري فلم ارشيا فنظرت من خلفي فلم أرشيا فرفعت رأسي فرأيت شيا بين السماء والارض أى وفي رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى زاد في رواية متربعا عليه وفى لفظ على عرش بين السماء والارض فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثرونى أى وفي رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر أي الملتف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد فانذر وبشر لانه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن قبل وهذا يدل على أن هذه الآية اول مانزل اى قبل اقرأ وان النبوة والرسالة مقترنان قال الامام النووي والقول ان اول مانزل يا ايها المدثر ضعيف باطل وانما

عليه وسلم لما تخلص من ثقيف واطمان في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الرحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى

ولاحول ولا قوة الا بك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلي ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤا يستمعون قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم أنزل الله قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين لمرة قبل نزول قل أوحي والمرة الثانية بعد نزولها وانها هي هذه المرة أى التي كان فيها صلى الله عليه وسلم بنخلة وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن وقيل قرأ في الركعة الاولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي واقام بخلاف صلى الله عليه وسلم بنخلة أياما ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء فوجد عبدالله بن الاريقط فبعثه الى الاخنس بن شريق الثقفي ليجيره فاعتذر وقال اني حليف والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذارا والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يعلم أن الحليف

نزلت بعد فترة الوحي اي ومما يدل على ذلك قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ومما يدل على ذلك أيضا ما في البخاري ان في رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحي اي لا عن ابتداء الوحي فما تقدم من قول بعضهم يعني عن ابتداء الوحي فيه نظر وكذا في قول الراوي عن جابر جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت لان جواره بحراء كان قبل فترة الوحي الا ان يقال جابر جاء عنه روايتان واحدة في ابتداء الوحي واخرى في فترة الوحي وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتداء الوحي وعجزها يدل على ان ذلك كان في فترة الوحي هذا اويجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحراء في مدة فترة الوحي ويؤيد ذلك ما في البيهقي عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور في كل سنة شهرا وهو رمضان وكان ذلك في مدة فترة الوحي وسيأتي الجمع بين الروايات في اول ما نزل وعن اسمعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم أي وذلك قبل أن يأتيه بالقرآن اي بشيء منه وهو اقرأ باسم ربك بناء على انه اول ما نزل ولا ينافي ذلك قولها هذا الذي يأتيك اذا جاءك لان المعنى الذي يتراءي لك اذا رأيته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته لكن سيأتي عن ابن حجر الهيتمي ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمي فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمي اثبت وابشر فوالله انه لملك ماهذا بشيطان والى ذلك اشار صاحب الهمزة بقوله

واتاه في بيتها جبرائيل * ولذى اللب في الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفي عند كشفها الراس جبر * يل فما عادوا واعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز * الذي حاولته والكيمياء

اي وأتاه قال ابن حجر اى بعد البعثة اى النبوة واجتماعه به في بيوتها حامل الوحي جبريل ولصاحب العقل الكامل في الاحوال التي قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها ازالت عن رأسها ما يغطي به الراس لتعلم عين اليقين ان هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان ياتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله او هو الاغماء الذي هو بعض الامراض الجائزة عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه انه ينبغي ان يكون المراد به الاغماء الناشيء عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي قال بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسي وسيأتي انه كان يعتريه وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران ما كان يعتريه عند نزول الوحي عليه من الاغماء الى اخره فبسبب ازالتها ما تغطي به راسها عنها اختفي فلم يعد الى ان عادت غطاء راسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحي اى لا الجني لان الملك لا يري الراس المكشوف من المراة

بجبير لما هث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم لسهيل بن عمرو العامري لان جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب اى قد لا تجير جوارها فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له انى داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فدخل مكة بعد ان تسلح مطعم بن عدى وركب على راحلته ونادى يامعشر قريش انى اجرت محمدا فلا يؤذه احد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج مطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وكذا أبوهم المطعم فاقبل ابو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا نخفر أى لا نزال خفارتك اى جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وامانه وان حكمة الحكيم القادر قد تخفي وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي حديث باقوام لا خلاق لهم وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا قد اجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله ولهذا المعروف الذى فعله المطعم بن عدى قال صلى الله عليه وسلم في أساري بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له * وفي اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم بن عدي أسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبي صلى الله عليه

بخلاف الجني وشبه الناظم ذلك بالشيء النفيس والامر المطلسم لان كلا من الكنز والكيمياء لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما * أقول وفي الخصائص الكبرى ما يدل لما قلناه من أن ما فعلته خديجة كان عند تراءيه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه وقول بعضهم ان ذلك من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسرى فان يكن من عند الله لا يراه أي فتراءى له وهو في بيت خديجة ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال أنه ليأتيه الناموس الاكبر * وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال رضي الله تعالى عنه وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تاخر الي زمن الدعوة والي ان دخل بعض الناس في الاسلام أي وفي كلام صاحب كتاب الخميس في الصحيحين أن الوحى تتابع في حياة ورقة وانه آمن به وتقدم أنه الموافق لما في الامتاع من أنه مات في السنة الرابعة من البعثة وتقدم أنه مخالف لما تقدم عن سبط ابن الجوزى ومخالف أيضا لقول الذهبي الاظهر أنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة أى بناء على تاخرها ويدل لتاخرها ما تقدم من قول ورقة ياليتني فيها جذع فقد تقدم ان المراد ياليتني أكون في زمن الدعوة أي ومن أدرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم أى بما أرسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من الاقرار بالشهادتين للتمكن منه وحيث أدرك الرسالة فقد أسلم وحينئذ يكون صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر انه في الاصابة تردد في ثبوت الصحبة لورقة من نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يشمله هذا كلامه وتعريفه السابق للصحابي هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح النخبة هل يخرج اي من تعريف الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك ان ما في شرح النخبة لا يدل لهذا البعض على انه تقدم ان ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما ادرى ادرك البعثة ام لا ولا يخفي عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة أدرك البعثة وانه لم يدرك الدعوة فانه يقتضي ان البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة فان الرسالة هي الدعوة لا البعثة (وروي ابن اسحق) عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يصيبه قبل نزول القران ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا ولم اقف على من كان يرقيه ولا على من كان يرقى به * واشتهر على بعض الالسنة أن آمنة يعني أمه صلى الله عليه وسلم رقت النبي من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن أمه انه لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولي اذا ولدتيه

أعيذ بالواحد * من شر كل حاسد

وسلم وهو كافر فسأله في اسارى بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمة صلى الله عليه وسلم تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبح الاسراء كل امرك كان قبل هذا اليوم سهلا وهو يشهد انك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم ابن عدى وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله

عين الا ابكى سيد الناس واسفحى
بدمع وان انزفته فاسكبى الدما
وابكى عظيم المشعرين كليهما
على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد ايخلد الدهر واحدا
من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فاصبحوا
عبيدك مالبى مهل واحرما
فلو سئلت عنه معد باسرها
وقحطان او باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره
وذمته يوما اذا ما تذمما

هذا الفعل من حسان رضي الله عنه مجازاة للمطعم على ماصنع مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولاريب ان فعله هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلاضير فى ذكره به

﴿ باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسي رضى الله عنه ﴾

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه ومن رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا ياطفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد عضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وابيه و بين الرجل واخيه و بين الرجل وزوجته وانا نخشي عليك وعلى قومك ماد خل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أى قصدت

والظاهر انها قالت ذلك وعن أسماء بنت عميس رضى الله تعالى عنها انها قالت يارسول الله ان ابني جعفر أى ولديها من جعفر بن ابى طالب تصيبهما العين أفنسترقى لهما قال نعم لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك لا جنى فمن أين علم انه يتكلم عن الله تعالى أجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به انه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق فى جبريل علما ضروريا بان الموحي اليه هو الله وقد ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان يأتيه فى صورة جبريل واعترض بانه يلزم عليه عدم الوثوق بالوحى وأجيب عنه بمثل ما هنا وهو أن الله تعالى جعل فى النبي صلى الله عليه وسلم علما ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام و بين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه الذى أسلم * وفي كلام ابن العماد وشيطان الانبياء يسمي الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذي أغوى برصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك هذا كلامه والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبياء من يسمع الصوت أى ولا يرى مصوتا فيكون بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل أن يكون صوتا خلقه الله تعالى فى الجو أي ليس من جنس الكلام وخلق لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل ان يكون من جنس الكلام المعهود فيحصل من كون ذلك الشخص صار نبيا صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب أى وفي رواية كنت أراه أحيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما أن يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها أو على صورة غيره ومنه ماوقع في حديث عمر رضى الله تعالي عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يري عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد الحديث وفي رواية البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا فى آخر الامر وورد ماجاءني يعنى جبريل في صورة لم أعرفها الا في هذه المرة وفي صحيح ابن حيان والذى نفسى بيده ماشتبه على منذ أتاني قبل مرته هذه وماعرفته حتى ولي وبهذا يعلم مافي كلام الامام السبكي حيث قسم الوحى الى ثلاثة أقسام حيث قال فى تائيته

ولازمك الناموس اما بشكله * وأما ينفث أو بحلية دحية

فليتامل قيل وكان اذا أتاه على صورة الآدمي ويأتيه بالوعد والبشارة فان قيل اذا جاء جبريل عليه السلام على صورة الآدمى دحية أو غيره هل هى الروح تتشكل بذلك الشكل عليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير روح أو يصير ميتا أجيب بان الجائى يجوز أن لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالي جعل في الملائكة قدرة على التطور والتشكل باي شكل أرادوه كالجن فيكون الجسد واحد

وعزمت على أن لا اسمع منه شيا ولا أكلمه حتي حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا أى قطنا فرقا أي خوفا من أن يلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان اسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني ان اعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكث حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان (٢٨٩) قومك قالوا لي كذا وكذا حتى

سددت أذني بكرسف حتي لا اسمع قولك فاعـرض على امرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أي قرأ عليه سورة الاخـلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا احسن من هذا ولا امر اعدل منه فاسلمت وقلت يا نبي الله انى امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر اى وهم الحـاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت في غير وجهي فانى اخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول في راس سوطى فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل

ومن ثم قال الحافظ بن حجر أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق سبحانه وتعالى يظهر في صورة على رضى الله تعالى عنه واولاده اى الائمة الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر الصادق ابن جعفر الصادق موسي الكاظم وابن موسى الكاظم على الرضا وابن على الرضا محمد الجواد وابن محمد الجواد على التقي والحادي عشر حسن العسكري والثاني عشر ولد حسن العسكري وهو المهدى صاحب الزمان وهو حي باق الى ان يجتمع بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام على مافيه فقد قال عبد الله بن سبا يوما لعلى رضى الله تعالى عنه انت انت يعني انت الا له فنفاه على الى المدائن قال لا تساكني في بلد أبدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من اهل صنعاء وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء وكان اول من اظهر سب الشيخين ونسبهما للافتيات على سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولما قيل لسيدنا على لولا انك تضمر ما أعلن به هذا ما اجترأ على ذلك فقال على معاذ الله انى أضمر لهما ذلك لعن الله من أضمر لهما الا الحسن الجميل فارسل الى ابن سبا فاظهر الاسلام في أول خلافة عثمان وقيل في أول خلافة عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وخذلان اهله وكان يقول قبل اظهاره الاسلام في يوشع بن نون بمثل ما قال في على وكان يقول في على انه حي لم يقتل وان فيه الجزء الالهي وانه يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله هذا كان يظهر أمر الرجعة اى أنه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسي وكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسي يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجوع من عيسى وأظهر الوصية آى ان عليا رضي الله تعالى عنه أوصى له صلى الله عليه وسلم بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله تعالى عنه كما سياتى ومن غلاة الشيعة من قال بالالوهية أصحاب الكساء الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية آبائه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهؤلاء الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية أصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا رأوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم حل فيها وممن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية عطاء الخراساني وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة ادعى ان الله عز وجل حل في صورة آدم ثم في صورة نوح ثم ان حل في صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التى اظهرها لهم فانه كان يعرف شيا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر أمره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاؤا الى القلعة التى كان متحصنا بها فلما علم ذلك أسقى أهله سما فماتوا ومات ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا من بقى حيا بها من اتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز بن عبد السلام من زعم ان الاله يحل في شيء من اجسام الناس او غيرهم فهو

بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الامام السبكى في تائيته بقوله

وفى جبهة الدوسي ثم نسوطه * جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فاتاني ابي فقلت اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال لمه يا بني قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اى بني ديني دينك فاسلم قال ثم أتتني صاحبتى يعني زوجة فذكرت لها مثل ذلك اى قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد اسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت

فدين دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع (٢٩٠) سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضى الله عنه فاسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحدا لم يحضر القتال الا اهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفر ابن أبي طالب ومن معه ومنهم الاشعريون ابو موسي الاشعرى وقومه فقد تقدم أنهم هاجروا من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح الى الحبشة

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج﴾

اعلم انه لا خلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو اكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يري شيا في اليقظة الا بعد ان يريه الله اياه في المنام كان رجال من من تلك الاسراءات التي كانت في المنام سابق على الذى في اليقظة وبعضها متاخر ويقال امره نا أى الاسراء بجسده وروحه سنة احدي عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان وانا نخشي علي شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية اطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال

كافر وأشار الى أنه كافر اجماعا من غير خلاف وانه لا يجرى فيه الخلاف الذي جرى في تكفير المجسمة ومن ثم ذكر القاضي عياض في الشفاء ان من ادعى حلول البارى في أحد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو أبو يزيد البسطامي سبحاني ما أعظم شاني وقوله اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وقوله وانا ربي الاعلى وقوله أنا الحق وهو انا وانا هو ليس من دعوي الحلول في شيء انما قول سبحاني اني انا الله محمول على الحكاية اي قال ذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله أنا ربي الاعلى وانا الحق الخ انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ماسواه سبحانه وصار لا يرى الوجود غيره سبحانه وتعالى الذي هو مقام الفناء ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة منه والاختيار فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك الحال الذي نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا المقام الذي هو مقام الفناء بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار المرادان واحدا الفناء ارادة المحب في مراد المحبوب فقد فني عن هوي نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالى الا الله ولا يعادى الا لله ولا يعطى الا الله ولا يمنع الا الله ولا يرجو الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما * وفي كلام سيدى على وفى رضي الله تعالى عنه حيث أطلق القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفيه فمرادهم فناء مرادهم في مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على وفق مراد الآخر ولله المثل الاعلا هذا كلامه رضى الله تعالى عنه ورضى عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دائرة العقل التي ذكر السعد والسيد ان القول بها باطل وضلال اى لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض العلماء حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب والعبد في حال فناء العبد فيكون العبد معدوما موجودا في آن واحد ولا يدرك ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك انكره ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن يجعل الله لروح الملك قوة يقدر بها على التصرف في جسده آخر غير جسدها المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شان الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر مشبها لشبحهم الاصلى بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكي في الطبقات ان كرامات الاولياء انواع وعد منها ان يكون لهم اجسام متعددة قال وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطى نفعنا الله تعالى به فقد ذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى انه رفع اليه سؤال من رجل حلف بالطلاق ان ولى الله الشيخ عبد القادر الطحطوطى بات عنده ليلة كذا وحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما قال فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال ولو قال اربعة اني بت عندهم لصدقوا فافتيت انه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل في الابدال انهم انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه

تعالى تنزيه من آياتنا والافالله تعالى لايحويه زمان ولامكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحي الى عبده ماأوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم فى بيت المقدس ثم استقبلوه فى السموات ورجع صلي الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح اخبر الناس بمارآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسالوه عن اشياء فى المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد (٢٩١) أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ماعندهم وسالوه عن عير لهم فاخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفى الكتب مسطور فلاحاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتاليف * وفى السيرة الحلبية ان صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام ان يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها البراق بها قال الامام ابو بكر بن العربى فى شرح الموطا ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه فى اعلاها من جهة الجنوب قدم صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى اصابع الملائكة التى امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لانى كنت أخاف ان تسقط على بسبب ذنوبي ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشى فى جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شىء ولا بعض شىء وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض انتهي يروى انه صلي الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فاخبر بمسراه أم هانىء بنت ابى طالب اخت على رضى الله تعالى عنه وعنها وانه يريد ان يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما احب

ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو ألطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال قال وهذا الجواب أولى مما تكلفه بعضهم فى الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه فى بعض اى الذى أجاب به الحافظ ابن حجر ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار فى عرض الحائط وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه بانه مثل له يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر ان الكعبة شوهدت تطوف ببعض الاولياء في غير مكانها وممن وقع له ذلك أبو يزيد البسطامى والشيخ عبد القادر الجيلى والشيخ ابراهيم المتبولى نفعنا الله تعالى ببركاتهم ولعل مجىء جبريل على صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله تعالى عنه دحية الكلبي كان أجمل اهل زمانه وأحسنهم صورة وكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى صورته أعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التى لك عندى فيكون ذلك بشرى له ولا سيما اذا اتي بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا ياتيه الا على تلك الصورة الجميلة الا ان يدعى ان من حين اتاه على صورة دحية لم ياته على صورة آدمى غيره وتكون واقعة سيدنا عمر سابقة على ذلك لكن تقدم انه كان اذا اتاه علي صورة الآدمي ياتيه بالوعد والبشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتامل وفى البرهان للزركشى فى التنزيل اى تلقي القرآن طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل اي لان الانبياء يحصل لهم الانسلاخ من البشرية الى الملكيه بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر والثانى ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتي اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا وان الله تعالى خلق تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها اى الحروف واسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا انها دالة على ذلك المعني القديم القائم بذاته تعالى واوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك او حفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم ان من حالات الوحى النفث اي انه كان ينفث فى روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس اى المخلوق من الطهارة يعنى جبريل نفث اى القى والنفث فى الاصل النفخ اللطيف الذى لا ريق معه في روعى بضم الراء اي قلبي ان نفسا لن تموت حتي تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب اى عاملوا بالجميل فى طلبكم وتتمته ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله اي كالكذب فان ما عند الله لن ينال الا بطاعة * وفى كلام ابن عطاء الله لاجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا يطلبه مكبا عليه مشتغلا عن الله تعالى به ومنها ان يطلبه من الله تعالى ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا او وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلب وهو شاكر لله ان اعطى وشاهد حسن اختياره اذا منع ومنها ان يطلب من الله تعالى ما فيه رضاه

أن يكتم قدرة الله وماهو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانىء وقالت أنشدك الله أى اسالك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني اذكرك الله أن تاتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه اليها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فاذا هو قد خرج قالت فقلت (٢٩٢) لجاريتي نبعة وكانت حبشية وهى معدودة فى الصحابة رضي الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدى وابو جهل بن هشام فاخبرهم بمسراه وفى رواية انه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب ان يكتم ماهو دليل على قدرة الله تعالى وماهو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر عليه عدو الله ابوجهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزىء هل كان من شىء قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده أى ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذي حدث به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك اتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يامعشر بنى كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس المعهودة وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أسري بي قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال ابوجهل كالمستهزىء صفهم لي قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كانما خرج

ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفى حديث ضعيف أطلبوا الحوائج بعزة النفس فان الامور تجري بالمقادير ومن حالات الوحى انه كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس وهي أشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اى لما قيل انه كان يأتيه فى هذه الحالة بالوعيد والنذارة * أقول روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه وهو أخو أبى جهل لابويه وكان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر

أحسبت أن اباك حين تسبني * في المجد كان الحرث بن هشام

أولى قريش بالمكارم والندى * فى الجاهلية كان والاسلام

أسلم يوم الفتح وسيأتى انه استجار في ذلك اليوم بام هانىء اخت على بن أبي طالب واراد على قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت يا أم هانىء وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سيأتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي اى حامله الذى هو جبريل قال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم بالفاء اى يقلع عني وقد وعيت ما قال وفى رواية يأتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لى الملك الذى هو حامل الوحى رجلا اى يتصور بصورة الرجل وفى رواية فى صورة الفتي فيكلمني فاعى ما يقول وروى انه فى الحالة الثانية ينفلت منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولى ونص هذه الرواية كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني جبريل فيلقيه على كما يلقي الرجل على الرجل فذلك ينفلت مني ويأتيني فى شىء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك الذى لا ينفلت مني قيل وانما كان ينفلت منه فى الحالة الاولى لشدة تأنسه بحامله لانه يأتي اليه فى صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة الثانية لان سماع مثل هذا الصوت الذى يفزع منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه اذا علم انه وحى اضطر الى التثبت فى ذلك وقولنا اى حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بيان لصفة الوحى لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هى صوت الملك بالوحي وقوله يأتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لى الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحى ويتحدر جبينه عرقا فى البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه وعن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه كان اذا انزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه على فخذى فوالله ما وجدت شيئا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما أوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت اى وجاء انه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفى رواية فاندق كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالفه ما قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رأيت فى رواية ما يصرح بذلك وجاء مامن مرة يوحي الى الا ظننت ان نفسي تقبض منه وعن اسماء بنت عميس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يكاد يغشى عليه وفى رواية يصير كهيئة السكران * اقول اى يقرب من حال المغشى عليه لتغيره عن حالته

من دماس أي حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم ار رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم ابن عدي ان امرك قبل اليوم كان امرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط فقال ابوبكر رضي الله عنه يا مطعم بئسما قلت لابن اخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته انا اشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا اسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من امن بالله فيه نظر الا ان يراد من ثبت على الايمان وفي رواية فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة أي لانه يخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل أو نهار فاصدقه فمجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك اعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس اراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضي الله عنه قصده وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضي الله عنه صف لي يا رسول الله فاني قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في

المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اى مع بقاء عقله وتمييزه ولا ينافي ذلك قول بعضهم ذكر العلماء انه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا لانه يجوز ان يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينتقض وضوءه * ثم رأيت صاحب الوفاء قال فان قال قائل ما كان يجري عليه صلى الله عليه وسلم من البرحاء حين نزول هل ينتقض وضوءه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا في منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكاء لا ينقض وضوءه فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقاء الهدى الى قلبه اولى لكون طباعه فيها معصومة من الاذى هذا كلامه وما ذكرناه اولى لما تقرر ان الاغماء ابلغ من النوم فليتأمل وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحي من الانبياء كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء قيل وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحناء والا فهو عليه الصلاة والسلام لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه انه أمر بالخضاب للشباب فقد جاء اختضبوا بالحناء فانه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم (وفي مسلم) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة اخذه من الشدة والكرب على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك على قدر لينها وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل وذكر الحافظ ابن حجر ان دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس اى المتقدم ذكرها لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين والصلصلة بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم فالراوي شبه بدوي النحل والنبي ﷺ شبه بصلصلة الجرس اي فالمراد بهما شيء واحد والله اعلم (ومن حالاته) اي حالات الوحي اى حامله انه كان يأتيه على صورته التي خلقها الله تعالى عليها له ستمائة جناح اقول فيوحي اليه في تلك الحالة كما هو المتبادر وفيه انه جاء عن عائشة وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ان النبي ﷺ لم ير جبريل على صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين حين سأله ان يريه نفسه فقال وددت اني رأيتك في صورتك اى وذلك بحراء اوائل البعثة بعد فترة الوحي بالافق الاعلى من الارض وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه

موضع كذا وابو بكر رضى الله عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى على اوصافه وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبني قريش وسألتني عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وفي رواية فجيء بصورة وانا أنظر اليه فطفقت اخبرهم عن آياته اى علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضى الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطىء في شيء منه قالوا صدق الوليد ابن المغيرة اى في قوله انه ساحر فانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية أم هانىء وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر الصديق من السماء رضي الله عنه وفي رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد اى ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان تكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك أني مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فانفرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير قد للتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفى رواية نفرت الدابة يعنى البراق فقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة والمراد الوضوء اللغوى ثم قال صلي الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط

فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخري ليلة الاسراء المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وسيأتي الكلام على ذلك وفى الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برؤيته جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها أى لم يره احد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلى ان المراد بالاجنحة فى حق الملائكة صفة الملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير لا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا كلامه فليتامل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ ابن حجر من ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرأى فقط والله اعلم ومن حالات الوحي أي نفسه اى الوحى به لا حامله الذي هو جبريل ان الله تعالى اوحي اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة أو من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل ان يكون لنوعين وقع كل منهما ليلة الاسراء ويحتمل ان يكون نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم الرؤية والثانى بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عدذلك نوعين كما فعل الشامى ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثانى لبعضهم كالمتبرىء منه حيث قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثانية وهى تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحا بغير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده بعضهم بناء على القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جاء قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وقول ابن القيم السادسة اى من حالات الوحي ما اوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السماوات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لان يكون عن غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهى لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة أى من حالات الوحى كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطه ملك كما كلم موسي أى من وراء حجاب فهي لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون كلمه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير واسطة الملك من وراء حجاب ومشافهة من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن الولى العراقي كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكروا الجواب عنه وأقره ما في ذلك الكلام من النظر الظاهر الذى لا يكاد يخفى والله اعلم قال الحافظ السيوطى وليس في القرآن من هذا النوع أى مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب شىء فيما اعلم نعم يمكن ان يعد منه آخر سورة البقرة اى آمن الرسول الى آخر الآيات لانها نزلت كما فى الكامل للهذلى بقاب قوسين وروى الديلمى قيل يارسول الله أى آية فى كتاب الله تحب ان تصيبك وامتك قال آخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمن من تحت العرش ولم تترك خيرا فى الدنيا والاخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء فى فضل آية الكرسي من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يارسول الله أى اية فى كتاب الله تعالى أعظم قال آية الكرسي اعظم وما جاء عن الحسن رضى الله تعالى عنه مرسلا افضل القرآن البقرة وافضل آية فيه الكرسى وفي رواية اعظم اية فيها

بيإاض لا أدري اكسر البعير ام لا وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلا لتي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا اصدق الوليد في قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجيء عير بني فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل اورق عليه مسح آدم (٢٩٥) وغرارتان فلما كان ذلك اليوم

آية الكرسي وفي الجامع الصغير آية الكرسي ربع القرآن ونزل في ذلك الموطن الذي هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة الم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة ووددت اني لم اكن سألته سألت ربي اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك وضالا فهديتك وعائلا فأغنيتك وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر معي انتهي ﴿اقول﴾ قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين ان يكون مشافهة من غير حجاب وقوله فقال يا محمد الم اجدك الى آخره ليس هذا نص التلاوة وان هذا ظاهر في ان المتلو الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به والله اعلم * ومن حالات الوحي انه أوحى اليه بلا واسطة ملك مناما كما في حديث معاذ اتاني ربي وفي لفظ رأيت ربي في أحسن صورة أي خلقة فقال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت انت اعلم أي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات والارض أي وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه فهذا اعلم حاصل لا عن قوة ومن القوى الحسية او المعنوية وهذا الا بعد ان يقع مثله للاولياء بطريق الارب اي تجلى له الحق بالتجلي الخاص الذي ما ذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين والآخرين اي ﴿ومن حالات الوحي رؤيا النوم﴾ قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء وحي كما تقدم ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم ان ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال الحرث له صلى الله عليه وسلم اغلبي او ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحرث له وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا وينزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحي اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى اوليائهم ثم رأيته في الاتقان ذكر أن من القرآن ما نزل معه ملائكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون الف ملك وآية الكرسي شيعها ثمانون الف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون الف ملك واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون الف ملك ولعل هذا لا ينافي ما تقدم من ان الغرض من تساقط النجوم عند البعثة حراسة السماء من استراق الشياطين لما يوحى لجواز ان يكون هذا الحفظ ما يوحي من استراقه في الارض وبين السماء والارض وعن النخعي ان اول سورة انزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك قال الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القرآن أي اول آيات نزلت فلا ينافي ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة نزلت فاتحة الكتاب لان المراد اول سورة كاملة نزلت لا في شان الانذار فلا ينافي ما تقدم من رواية جابر مما يقتضي ان اول ما نزل يا ايها المدثر لان المراد بذلك اول سورة كاملة نزلت في شان الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ وهذا الجمع تقدم الوعد به أي لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا

اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس ان تغرب او ظلت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكي
وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها
فما غربت بل وافقتك بوقفة
فاما أهل الايمان الكامل كأبي بكر رضي الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم واما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتاليف وقد اشار صاحب الهمزية اليها بقوله
فطوى الارض سائرا والسموات
العلى فوقها له اسراء

نصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء وترقى بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى * دونها ما وراءهن وراء ﴿باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق﴾ اعلم انه صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته في أول امره مأمور من الله تعالى ثم اعلن بها في السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم

كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف يسال عن القبائل قبيلة قبيلة ويسال عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت اي ارادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم به ايام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه وعن جابر رضي الله عنه قال كان النبي (٢٩٦) صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعوني ان أبلغ كلام ربي وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم فسالت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه وفي لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى ادمى كعبة يقول يا ايها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسالت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذي ترجمه قيل هو عمه عبد العزى يعني ابا لهب

(وفي السيرة الهشامية) عن بعضهم قال اني غلام شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم امركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وان تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وان تصدقوني وتمنعوني حتى ابين عن الله ما بعثني به وخلفه رجل احول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا

آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فان هذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله احد ويخالفه ما في الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روي بسند فيه ضعف قال ولم ار له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان مما نزل جملة سورة براءة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا آية آية وحرفا حرفا اي كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد انزل عليه ثلاث ايات واربع ايات وعشر ايات كما انزل عليه اية وبعض اية فقد صح نزول غير اولي الضرر منفردة وهي بعض اية وفي الاتقان عن جابر ابن زيد قال اول ما انزل الله تعالى من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة الى اخر ما ذكر ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين هذا كلامه وذكر بعض المفسرين ان سورة التين أول ما نزل من القرآن والله اعلم وما تقدم من ان نزول يا ايها المدثر كان في شان الانذار بعد فترة الوحي لانه كان بعد نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل اي وانما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة كي يلقي نفسه منها تبدي له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك قال وفي رواية انه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة اخري يريد ان يلقي نفسه منه فكلما اوفى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال يا محمد انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثني عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى أقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله اعلم وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحق مدة معينة اقول في فتح الباري أن ابن اسحق جزم بانها ثلاث سنين والله اعلم (قال ابو القاسم السهيلي) وقد جاء في بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة أي وفي كلام الحافظ ابن حجر وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مدة الفترة كانت اياما أي واقلها ثلاثة أي وتقدم ما فيه قال قال بعض الحفاظ والظاهر والله اعلم انها اي مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا ايها المدثر وهي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبي انتهى اقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبي قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة السلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القران اي شيء منه على لسانه ثم وكل به جبريل

جبريل فجاء بالوحي والقرآن وهو موافق في ذلك لما في سيرة شيخ الحافظ الدمياطي حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل وهو ظاهر في ان اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحي ويحتمل لان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردي لكن تقدم انه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا أن يقال لا يلزم من كونه يتراءى له ان يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحي هو معني قوله يأتيه بالشيء بعد الشيء ثم رأيت الواقدي أنكر على الشعبي كون اسرافيل قرن به أولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل أي بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ماقاله الشعبي هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت في الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبي مرسل او معضل فلا يعارض مافي الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رأيت الحافظ ابن حجر نظر في كلام الواقدي بان المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه فيقدم هذا كلامه لا يقال قد وجد الدليل فقد جاء بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا أي هدة من السماء فرفع جبريل بصره الي السماء فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الي الارض قط قال جماعة من العلماء ان هذا الملك اسرافيل لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن ان يكون مستندهم في ذلك مافي الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ماهبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطي من خصائصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس في ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن نزل اليه قبل ذلك حتي يكون دليلا على ان اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجيء اسرافيل كان بعد ابتداء الوحي بسنتين قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث وهو بظاهره يرد مافي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله تعالى اسرافيل ان يقوم بملازمته ولما بلغ احدى عشرة سنة أمر جبريل بملازمته صلى الله عليه وسلم فلازمه تسعا وعشرين فليتامل * وعن يحيي بن بكير قال ماخلق الله خلقا في السموات احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في السماء يقطع على اهل السماء ذكرهم وتسبيحهم * ثم رأيت في فتح الباري ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين أى على ماتقدم ما بين نزول اقرأ ويا ايها المدثر عدم مجيء جبريل اليه بل تاخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه اى فكان جبريل يأتي اليه بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجيء اليه بالقرآن الذي هو يا ايها المدثر الا بعد الثلاث سنين على ماتقدم ثم في تلك المدة مكث اياما لا يأتيه اصلا ثم جاءه بيا ايها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كونه مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحق وسنتين ونصفا كما يقول السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس لان تلك الايام هي التي كانت لا يري فيها جبريل اصلا على ماتقدم اي ولا يرى فيها اسرافيل ايضا وفي غير تلك الايام كان يأتيه بغير القرآن وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلي وينبغي ان تكون تلك

اللات والعزي من اعناقكم الى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه مايقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعني أبا لهب * وروي ابن اسحق انه صلي الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفي رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر أن يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الي بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف أى هل لهذه القضية من تدارك والذي نفس فلان بيده مايقولها أي مايدعي النبوة كاذبا أحد من بني اسمعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم * وروي الواقدي انه صلى الله عليه وسلم أتي بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب اقبح عليه من بني حنيفة وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء في الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى امهم حنيفة قيل لها ذلك الحنف كان في رجلها ومن اقبح القبائل في الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف * ودفع مرة هو وأبو بكر رضى الله عنه الي مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال ممن القوم

قالوا من ربيعة وكان ابو بكر رضي الله عنه نسابا أي ذا معرفة بالانساب فقال لهم من أى ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال أمنكم حامى الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال امنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال امنكم صاحب العمامة الفودة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه أى طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا ان نساله كما سالنا ياهذا انك قد سالتنا فاخبرناك فمن الرجل أنت فقال أبو بكر رضى الله عنه انا من قريش فقال الفتي بخ بخ اهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أى قريش انت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتي أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصي الذى كان يدعي مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال لا واجتذب ابو بكر رضى الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على رضي الله عنه حاضرا فقال لابى بكر رضى الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة اى داهية اي ذي دهاء قال اجل يا ابا الحسن مامن طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابى لما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الاشراف كما ان قبيلتنا لم تشتمل على اولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلى رضى الله عنهما وان أبا بكر رضي الله عنه سالهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابى أنت وامى هؤلاء غرر أى سادات في قومهم وفيهم

الايام التي لا يرى فيها جبريل واسرافيل هي التي يريد فيها ان يلقى نفسه من رؤس شواهق الجبال وهذا السياق ايضا يدل على ان النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة كانت يا أيها المدثر ويصرح به ماتقدم من قول بعضهم نباه بقوله اقرأ باسم ربك وأرسله بقوله يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه أكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بذلك يقول يا أيها المدثر دلت على طلب الدعوة الي الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمفاجاة بها الذى دل عليه قوله تعالي فاصدع بما تؤمر فليتامل * وذكر السهيلي ان من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بقوله يا أيها المدثر وبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابي طالب رضى الله تعالي عنه وقد نام وترب جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة فى غزوة احد وقد نام الى الاسفار قم يا نومان * وذكر الشيخ محي الدين بن العربي في قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم علم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات لسطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتاخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن هذا ملخص كلامه وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالي وثيابك فطهر ان الشيخ ابا الحسن الشاذلى نفعنا الله تعالى ببركته قال رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم فقال يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي قال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينئذ قوله تعالي وثيابك فطهر وجاء في وصف اسرافيل فى بعض الاحاديث لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالي حتي يصير كانه الوضع فهو عند نزوله يكون حاملا لزاوية العرش او يخلفه غيره من الملائكة في ذلك

﴿ باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم أول البعثة ﴾

اى اول الارسال اليه باقرأ أقول في المواهب انه روى ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة وأطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الي قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل ثم أمره أن يتوضا وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل ان يكون بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه بقوله افعل كذا فى وضوئك وصلاتك ويدل للاول ماسياتي وفيه ان قول جبريل المذكور انما كان عند أمره باظهار الدعوة والمفاجاة بها

الى

الى الله تعالى بعد فترة الوحي كما سياتي فالجمع بينه و بين قوله ثم ضرب برجله الارض الى آخره لا يحسن لانه سياتي ان ذلك كان يوم نزوله له باقرأ باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله أعلم فعن ابن اسحق حدثني بعض أهل العلم ان الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم أى قبل الاسراء أتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمزله بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف الطهور أي الوضوء للصلاة أي فغسل وجهه ويديه الي المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه الي الكعبين كما في بعض الروايات * اى وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوءه * أقول وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الاذنين والتثليث لاان يقال مراد هذا البعض أن ماذكر زاده على ما فى الآية وفى كلام بعضهم كانت العرب فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والله اعلم ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اي قبل غروب الشمس * وفي الامتاع وانما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشي أى قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين اى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى والعشى هو العصر ففي كلام بعض اهل اللغة العصرا لعشاء والعصران الغداة والعشى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اى جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سياتى انه كان يصلى بين الركنين الركن اليمانى والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام () أي بينه وبين بيت المقدس جبريل في اول ما اوحى الى فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها اى صخرته الاان يقال يجوز ان يكون عند صلاته الى الكعبة كان بينهما الاانه كان الى الحجر الاسود أقرب منه الي اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود فلامخالفة لكن سياتى ماقد يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الافى الصلوات الخمس اى بعد الاسراء وقيل ذلك كان يستقبل الكعبة الى اى جهة من جهاتها ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة يامحمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وأخبرها فغشي عليها من الفرح فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل فتوضأ كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل عليه الصلاة والسلام * وفي سيرة الحافظ الدمياطى مايفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلي فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ماجاء أتاني

مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثني بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف وان تغلب الالف من قلة فقال له أبو بكر رضى الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أى الطاقة ولكل قوم جد أى حظ وسعادة أى علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا لظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضى الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال أنا لاشد مايكون غضبا حين نلتقي وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا نؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أن تؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل لدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله عنه أوقد بلغكم أنه اى أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال أدعوا الى شهادة ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان رسول الله والى أن تؤوني وتنصروني فان قريشا قد تنصروني فان قريشا قد تظاهرت أى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق والام تدعونا ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لاتشركوا به شيا وبالوالدين احسانا ولاتقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ماهذا من كلام أهل الارض عرفناه ثم قال والام تدعوا ايضا ياأخاقريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي

يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك وكان مفروقاً أراد ان يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش وإني ارى ان تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العواقب وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكان هانئ أحب أن يشركه في الكلام مثنى بن حارثة فقال هذا المثنى ابن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وان احببت أن نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون انهار كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نأوي محدثاً واني أرى ان هذا الامر الذي تدعونا اليه هو ما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان الله عز وجل لن ينصره الا من احاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حيث يورثكم الله ارضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال العلامة الحلبي وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم الا أن في الصحابة شخصاً يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول لهانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة * وفي أسد الغابة ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال

جبريل في اول ما اوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اي رش بها فرجه اي محل الفرج من الانسان بناء على انه لا فرج له ويكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه ليس ذكراً ولا انثى فيه نظر لانه يجوز ان يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولا كآلة الانثى كما قيل لذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار وبذلك استدل ائمتنا على انه يستحب لمن استنجى بالماء ان يأخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى اذا خيل له ان شيئاً خرج ووجد بللا قدر انه من ذلك الماء ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وأمرني ان انضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء أي دفعاً لتوهم خروج شيء من البول بعد الوضوء لو وجد بللا بالمحل وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جاء انه لما اقرأه اقرأ باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء والنون أي وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل الحديث فمشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو يخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم قول ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة هو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا أي انما وجب بالمدينة بآية المائدة يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الآية ويرد ما في الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الى قوله لعلكم تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة اي فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في ذلك اي في نزول الآية بعد تقدم العمل بما يدل عليه ان تكون قرآنيته متلوة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة يحتمل ان المراد صلاة الركعتين بناء على أنهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحق ويحتمل ان المراد الصلاة الخمس أي ليلة الاسراء وهو الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملي حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى في صلاة الليل وقول صاحب المواهب ما ذكر من ان جبريل عليه الصلاة والسلام علمه الوضوء وامره به يدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة في ذلك على الفرضية اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له امرتك ان تفعل كذا على صيغة امر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم ان الفرض من نزول آية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض او لعدم الماء يباح له التيمم أي ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في الآية فانزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك الآية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق أهل السير على ان الغسل من الجنابة فرض

لا أعرف لمفروق اسلاما والله اعلم * ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضى الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فاتاهم فعرض عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارسا وجيرا لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال أفتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا ابناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال انا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أبو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذي من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفي رواية انه لما سألهم قالوا له حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم الي ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اذ ذكرهم سمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول لا اكره أحدا على شيء من رضي الذى ادعو اليه فذاك ومن كره لم اكرهه وانما اريد منعي من القتل حتي أبلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله عليه وسلم أحد من تلك القبائل و يقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلي الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم * وفي مستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد مني من مكة و بها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد

فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما يقتضى ان فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة الاسراء فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم يسال حتي جعل الصلاة خمسا والغسل من الجنابة مرة * قال بعض فقهائنا رواه ابو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان يكون المراد بها أى الفرض من نزولها فرض غسل الرجلين في قراءة من قرأ وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما أي وهو ان جبريل اول ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي توضا فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح رأسه ورجليه الي الكعبين وسجد سجدتين اى ركع ركعتين مواجهة البيت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم كما يري جبريل يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان أكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه في هذه الرواية معطوفة على وجهه كما ان ارجلكم في الآية على قراءة الجر معطوفة علي الوجوه وانما جر للمجاورة وان كان الجر للمجاورة في غير النعت قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفي كلام الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال و يحتمل العدول عن الظاهر بناء علي ان المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح ارجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلاة اي عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الاية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضى الله تعالي عنه فعلت شيا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر اى للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء عليه لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا كلامه اى ويؤيد ذلك ظاهر ما جاء انه أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان اوغير طاهر فلما شق ذلك عليه صلي الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث اى ويكون وقت المشقة يوم فتح مكة لما علمت انه لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على ان وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روى عن أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون اى هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث اي فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلي الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكل صلاة () فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة فظاهر سياقهم يقتضى ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان عاما فى حقه صلى الله عليه وسلم وحق امته و يحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل في حقه صلي الله عليه وسلم وحق امته و بيان وقت نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة في حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا الاية تقتضي وجوب الطهر بالماء او التراب لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة اى بما تقدم من فعله

البيعة اذ أتى رهطا من الخزرج لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة و يعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال الا تجلسون أكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم واخبرهم خبره فجلسوا

وفي رواية انه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم وكان قد أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم في موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الاوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والاوس والخزرج اهل شرك واوثان وكانوا اذا كان بينهم شئ تقول اليهود أن نبيا سيبعث الان قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها متحققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وفي رواية فلما سمعوا قوله ايقنوا به واطمانت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا ان يسمعون من صفته ورأوا امارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم أولئك النفر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي قالوا يارسول الله انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم

صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة يصلى الواحد منهم الصلوات بوضوء واحد وبقي التيمم على مقتضى الآية فقد وقع النسخ أولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحي غير قرآن اوباجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما نقله امامنا رضي الله تعالى عنه عن زيد بن اسلم ان الاية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة من النوم اوجاء احد منكم من الغائط اولا مستم فاغسلوا وجوهكم الاية والله أعلم * وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالى في أول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة أي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي أي قبل غروب الشمس * اقول ان كان المراد باول الاسلام نزول جبريل عليه باقرأ يرد ما تقدم عن الامتاع ان اول ما وجب ركعتان بالعشي ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين الا ان يراد لاولية الاضافية وفي بعض الاحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم دون أمته منها قوله صلى الله عليه وسلم اول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس وفيه انه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس وفي الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى أي فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى لا قبل الشمس فليتامل والله أعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة اي لا عليه ولا على أمته الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد أي بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر أي صلوا * اقول وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد في أول السورة الحاصل بقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء ولم يذكر ائمتنا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحق من وجوب صلاة الركعتين عليه و يوافقه قول ابن كثير في قولهم ماتت خديجة قبل أن تفرض الصلوات مرادهم قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء قال بعضهم وانما قال ذلك لان اصل الصلاة قد فرض في حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرائض وتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن في القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه ولم اقف على ما كان يقرا في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول الفاتحة بناء على تاخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رايته في الاتقان ذكر ان جبريل حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزمنك وقولهم بينهم من العداوة الشرما بينهم أصل هذه العداوة أن الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفي رواية قالوا انما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعزمنك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فاسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان ابن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة ابن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو انصاري مهاجري واستشهد باحد رضي الله عنهم يروي أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية تاخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود قال كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب اسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه قال بعضهم والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من

ان الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ أنه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك أيضا وقد تقدم ذلك والله اعلم

﴿ باب ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم ﴾

أي بعد البعثة أي الرسالة وهي المرادة عند الاطلاق بناء على أنها مقارنة للنبوة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث أخفى امره وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء ولا يخفى ان أهل الاثر وعلماء السير على أن اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضي الله عنها * أقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلماء عليه وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله تعالى اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة وفيه ان بنات النبي صلى الله عليه وسلم كن موجودات عند البعثة ويبعد تاخر ايمانهن الا ان يقال خديجة تقدمها اشراك بخلافهن أخذا مما ياتي وعن ابن اسحق ان خديجة كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به عن الله تعالى وكان لا يسمع شيأ يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به * ثم علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ففي المرفوع عن سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وجاء انه لما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لاول اصحابي اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سياتي حكاية الاجماع عليه كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحي اليه يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان اخاك اباطالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تاخذ واحدا وانا واحدا فجا آ اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما الى عقيلا قيل وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي خصائص العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتغذيته اياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى عنهما انها قالت لما ولدته سماه عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتامل وعنها رضي الله تعالى عنها ان امها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك ايضا فكل اكبر من

الخزرج سوى ابى الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فاسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنا عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفترته بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم فى معروف ونعطيه السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا تنازع الامر أهله وان نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشى من ذلك شيا كان امره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر ومايتعلق بذلك واما المبايعة بلفظ على ان لا نشرك بالله شيأ الخ فانما كانت عام الفتح ولامانع من تعدد ذلك وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أبايعكم على ان تمنعوني ماتمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو واصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبدالله واسم امه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها ومصعب بن عمير معه رضي الله عنهما يعلمان من اسلم منهم القرآن ويعلمان وذات من اراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل ان مصعبا بعثه أولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله * وفي رواية كتبوا له بذلك ولامانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه

الذي بعده بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي أي وكلهم أسلموا الاطالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم لحب عمي اياك وكان عقيل أسرع الناس جوابا وأبلغهم في ذلك قال له معاوية يوما أين ترى عمك أبا لهب من النار فقال اذا دخلتها يامعاوية فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما ورد على معاوية وقد غضب من أخيه على لما طلب منه عطاءه وقال له اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فاعطيك فقال له لادهبن الى رجل هو أوصل الى منك فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة ألف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما أولاك على وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني اخبركم اني أردت عليا على دينه فاختار دينه واني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه وفي رواية ان معاوية قال لجلسائه يوما بحضرة عقيل هذا أبو يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال عقيل اخي خير لى في ديني وانت خير لي في دنياي وأسال الله تعالى خاتمة الخير توفي عقيل فى خلافة معاوية قال وسبب اسلام على كرم الله تعالى وجهه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ماهذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل أن يستعلى امره فقال له يا على اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم اه * أقول وذلك في اليوم الثانى من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي أى لانه تقدم ان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما يأتي على القول بان النبوة والرسالة متقارنتا لا على ان الرسالة تاخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحى على ماتقدم * وفي أسد الغابة ان أباطالب رأي النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك وصل عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام أخيه على بقليل قال بعضهم والصحيح اسلام على اى مع انهم اجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم أي ومن ثم نقل عنه انه قال

سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت اوان حلمي

أى كان عمره ثمان سنين على ماسبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبي عام خيبر عن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق وفي لفظ فى عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر انه لم يحفظ عن على رضي الله تعالى عنه أنه قال شعرا وقيل لم يقل الا البيتين اى ولعل احدهما ماتقدم ثم رأيت عن القاموس ان البيتين هما قوله

تلكم قريش تمناني لتقتلنى * فلا وربك مابروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن مهجتي لهمو * بذات ودقين لاتبقى ولا تذر

وكان يقال له المقرى ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابى أمامة أسعد ابن زرارة رضى الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الاوس والخزرج لانهم لما بينهم من العداوة كرهوا ان يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضى الله عنه أول جمعة فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فامرهم باقامتها بالمدينة وكانوا اربعين رجلا واشتهر ان اول من جمع بهم اسعد بن زرارة رضى الله عنه ولا مخالفة لان مصعب بن عمير رضى الله عنه (٣٠٥) كان عند ابى امامة اسعد بن زرارة فكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد بن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لا ينافى ان الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم اقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير امر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطا مردود بل روى ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله عنه اما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اى صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتي قدم النبي صلى الله عليه وسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب بن عمير رضى الله عنه بعد ان اشتد عليهم امره فى اول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روي ابن اسحق ان سعد بن زرارة رضي الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضى الله عنه الى حائط اى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجل ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما اى بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد ابن حضير لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى اسعد بن زرارة

وذات ودقين هى الدابة وقد ذكر ان الزبير ابن العوام اسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة ومما يدل للاول ماجاء عن بعضهم كان على والزبير وطلحة وسعد ابن ابي وقاص ولدوا فى عام واحد * ومن العجب ان الزمخشرى فى خصائص العشرة اقتصر على ان سن الزبير حين اسلم ست عشرة سنة وذكر بعد ذلك باسطر انه اول من سل سيفا فى سبيل الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة مقتصرا على ذلك ومما يدل للاول ايضا ماجاء فى كلام بعض آخر اسلم على ابن ابي طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم على ان عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره كان اذذاك عشر سنين أى بناء على ان سن امكان الاحتلام تسع سنين كما نقول به ائمتنا ويوافقه ماحكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادي والثلاثون من خلفاء بني العباس لما كان عمره تسع سنين وطىء جارية حبشية فحملت منه فولدت ولدا حسنا ويرد القول بان سنه اذذاك كان ثلاث عشرة او خمس عشرة او ست عشرة سنة اقول قال بعض متاخرى اصحابنا وانما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به وعلى هذا مع ماتقدم يشكل مافى الامتاع واما على بن ابى طالب فلم يكن مشركا بالله أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد اولاده يتبعه فى جميع أموره فلم يحتج ان يدعى الى الاسلام فيقال اسلم هذا كلامه فليتامل فان عليا كان تابعا لابيه في دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله فلم يحتج ان يدعى الى الاسلام يرده ماتقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له ادعوك الى الله وحده الى آخره ثم رأيت في الحديث مايدل لما فى الامتاع وهو ثلاثة ماكفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلى بن ابى طالب وآسية امرأة فرعون والذي فى العرائس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن ال فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم وهو افضلهم الآن يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا الصنم وفيه انه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له وادعوك الى الكفر باللات والعزي وانه قيل ايضا ان ابا بكر لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزى من رفض عبادة الاصنام في الجاهلية اى لم يات بها ابا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البراء وأسعد بن كريب الحميرى وقس بن ساعدة الايادى واباقيس بن صرمة ولا يخفى ان عدم السجود للاصنام لا ينافى الحكم بالكفر على من يسجد لها لكن فى كلام السبكى الصواب ان يقال الصديق لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حالة قبل البعث كحال زيد ابن عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح اذا لم يكن أحد من جميع من ذكر أسلم وفى كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم امنوا قبل كل أحد خديجة وزيد وزوجة زيد ام ايمن وعلى رضى الله تعالى عنهم فليتامل قوله امنوا قبل كل أحد وكذا يتامل قول ابن اسحق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن ﴿وعن ابن اسحق﴾ ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا

أمسيا رجعا كذلك ثم ان اباطالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان أي بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ماهذا الذي اراك تدين به فقال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني الى الله تعالى واعانني عليه فقال ابوطالب اني لا استطيع ان افارق دين ابائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من باس ولكن الله لا تعلوني استي ابدا وهذا كما لا يخفى ينبغي ان يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى أن عليا رضي الله تعالى عنه ضحك يوما وهو على المنبر وسئل عن ذلك فقال تذكرت اباطالب حين فرضت الصلاة ورآني اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ماهذا الفعل الذي أرى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله ابدا أني لا احب أن تعلوني استي فلما تذكرت الان قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بان ذلك كان واجبا وذكر ان اباطالب قال لعلي أي بني ماهذا الذي انت عليه فقال يا ابت آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما أنه لم يدعك الا الى خير فالزمه أي ويذكر عنه انه كان يقول اني لا علم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه قال كنت امرأ تاجرا قدمت للحج واتيت العباس بن عبد المطلب لا بتاع منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه ايام الموسم فبينما انا عند العباس بمنى اي وفي لفظ بمكة في المسجد اذا رجل مجتمع أي بلغ أشده خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ فاسبغ الوضوء اي اكمله ثم قام يصلي الى الكعبة كما في بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق أي قارب البلوغ فتوضأ ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجدا والغلام وخرت المرأة فقلت ويحك ياعباس ماهذا الدين فقال هذا دين محمد بن عبد الله أخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن اخي علي ابن ابي طالب وهذا امرأته خديجة قال عفيف بعد أن اسلم ياليتني كنت رابعا أي ولعل زيد بن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي معهم أو ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سياتي قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام علي وكذا أبو بكر لم يكن موجودا عندهم بناء على ان اسلامه كان قبل اسلام علي ويؤيده ماقيل اول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر لكن في الاستيعاب لابن عبد البر ان العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ماهذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على امره الا امرأته وابن عمه هذا الغلام وفيه ان عليا قال لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين أي ولعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله في هذا الحديث فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توضأ وصلى قد يخالف ما تقدم من أن فرض الصلاة كان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط ﴿اقول﴾ قد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون صلاته في الوقت ليست مما فرض

ومصعب بن عمير الذين اتيا دارينا تثنية دار وهي المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما ﴿وفي رواية﴾ قال له ائت اسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا اسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم اقبل عليهما فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بانفسكما حاجة ﴿وفي رواية﴾ قال يا اسعد مالك ولنا تاتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفي رواية علام اتيتنا في دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره اي منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان وهو سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا

مبادرا فاخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك اغنيت شيأ ثم خرج اليهما ولما اقبل سعد قال اسعد ابن زرارة لمصعب لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما راهما سعد مطمئنين عرف ان اسيدا انما أراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متبسما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا امامة والله لوما بيني و بينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب لتقعدن فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة (٣٠٧) وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القران فاعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ما تصنعون اذا أنتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى قومه ومعهم اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعرفون أمري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رأيا وايمننا اي وابركنا نفسا وامرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ما امسى في دارك قبيلة بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فاسلموا في يوم واحد كلهم الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الاشهل فانه تاخر اسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد رضي الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة واخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الى الاسلام حتى اسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة من الاوس لانه كان فيهم ابو قيس وهو صيفي بن الاسد وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من

فرض عليه والجماعة في ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم في النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى في صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس { وفي كلام بعض فقهائنا } انها لم تشرع الا في المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضي الله تعالى عنهم الا ان يقال المراد بمشروعيتها طلبها فكانت في المدينة مطلوبة استحبابا أو وجوبا كفاية او عينا على الخلاف عندنا في ذلك وفي مكة كانت مباحة لكن في كلام بعض آخر من فقهائنا ان الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه ان القهر انما ينافي اظهار الجماعة لا فعلها الا ان يقال تركت حسما للباب وفيه ان يبعد تركها وهم مستخفون في دار الارقم فليتامل والله اعلم * ثم بعد اسلام علي رضي الله تعالى عنه اسلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة اي لما تزوجها صلى الله عليه وسلم اي وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية اي فان عمته خديجة امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع اي وعمره ثمان سنين فانه اسر من عند اخواله طي وعليه اقتصر السهيلي فان امه لما خرجت به تزيره أهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه اي وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم يقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة اعجبها فاخذته * اي ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها عجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي () اي وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد اوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لاعتقته قالت هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة حيث توجه مع ميسرة فوهبته له فليتامل ذلك وزعم ابو عبيدة ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيدا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصي حين تبناه ثم انه خرج في ابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه وقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة قال من انفسهم قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال عربي انت ام عجمي قال بل عربي قال ممن اهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من انت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال واين اصبت قال في اخوالي قال ومن اخوالك قال طي قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه واخوه وفي رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا اباه ووصفوا له مكانه فجاءه ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وابيه كان بعد اخبار اولئك الناس فلما جاء اهله في طلبه ليفدوه خيره النبي صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر انهم لما جاؤا للنبي ﷺ قالوا يا ابن عبد

الجنابة ودخل بيتاله واتخذمسجدا وقال أعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم ينزل على ذلك حتى هاجر رسو الله صلي الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تاخر اسلامه انه لما اراد الاسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله ابن ابي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس ما اتبعه الا اخر الناس فلما احتضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها عند الله فقالها ثم ان مصعب بن عمير رضي الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من اهل الشرك حتي قدموا مكة واخبر صلى الله عليه وسلم بمن اسلم فسر بذلك رضى الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة اي ان يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من مني اسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذى يقال مسجد العقبة ومسجد البيعة وامرهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا اليه بليل وان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم في ليلة اليوم الذى فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت ليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم امرنا ممن معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكان فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعونا للاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فمكثنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتي اذا مضي ثلث الليل خرجنا من رحالنا الميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا

المطلب يا ابن سيد قومه () اى وفى لفظ لما قدم ابوه وعمه فى فدائه لا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العانى وتطعمون الجائع جئناك فى ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك فقيل وماذاك قال زيد ابن حارثة فقال او غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذى اختار على الذي اختارني فداء فقالوا زدت عن النصف وفى لفظ زدتنا على النصف واحسنت فدعاه فقال تعرف هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته عن اخيه لاستصغاره بالنسبة لابيه وعمه على ان اكثر الروايات الاقتصار على مجيء ابيه وعمه وفى كلام السهيلى ان زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم له من هذان فقال هذا ابي حارثة بن شرحبيل وهذا كعب بن شرحبيل عمى فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له انا من علمت وقد رأيت صحبتى لك فاخترني أو أخترهما فقال زيد اما انا بالذي اختار عليك احدا انت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما أنا بالذي اختار عليه احد فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما رأى اخرجه الى الحجر أى الذى هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت انفسهما وانصرفا وفى كلام ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابنى وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف أى من حالفه فنسخ ذلك وهو الذى ذكره ابن عبد البر من انه صلى الله عليه وسلم حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على ان ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان ذلك كان قبل مجيء أبيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه اظهار الما تقدم فليتامل ﴿وفى اسد الغابة﴾ ان حارثة اسلم وفى كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذري * ولما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد ابن محمد ولم يذكر فى القرآن من الصحابة احد باسمه الا هو كما سياتي قال ابن الجوزى الا ما يروى فى بعض التفاسير او السجل الذى فى قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم اى وقد ذكر السهيلى حكمة لذكر زيد باسمه فى القرآن وهى انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم وصار يقال له زيد ابن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع منه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه فى القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى فى المحاريب ولا يخفى انه ياتي فى زيد ما تقدم فى على ولم تذكر فى القرآن امرأة باسمها الا مريم ولزيد اخ اسمه جبلة اسن منه سئل جبلة من اكبر انت ام زيد فقال زيد اكبر مني وانا ولدت قبله أى لان زيدا افضل منه اسبقه للاسلام * ثم اسلم من الصحابة ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال بعضهم سبب اسلامه انه كان صديقا لرسول الله صلي الله عليه وسلم يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وكان سمع قول ورقة لما ذهب معه اليه كما تقدم

اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ويتوثق له وهذا لا يخالف ما جاء انه (٣٠٩) كان معه أيضا أبو بكر وعلي رضي الله عنه عنهما لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم الا العباس رضى الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضى الله عنه اول متكلم فقال يامعشر الخزرج والمراد ما يشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه و بلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان العباس رضي الله تعالى عنه قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم اهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملأ واجتماع فان احسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الانصار ووافقوه على مناصرته فاباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على

فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة فقال صدقت بابي انت وأمي وأهل الصدق أنت انا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فيقال أنه سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على أن اسلام أبي بكر تأخر الى نزول يا ايها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ماسيأتي انه سمي بذلك صبيحة الاسراء لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز انه لم يشتهر بذلك الا حينئذ * وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر قال ولما سمعت خديجة مقالة ابي بكر خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة واسمه عبد الله اي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الله الكعبة فابو بكر رضى الله تعالى عنه اول من غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه اولانه عتق من الذم والعيب () اى او نظر اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهو اول لقب وجد في الاسلام وقيل سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل له ماذكر بعضهم ان امه اذا هزته تقول عتيق وما عتيق ذو المنظر الانيق * وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح ان الملقب له به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة وانه غلب عليه يومئذ قال وبه يندفع أن الملقب له به ابوه وزعم انه امه هذا كلامه وليتأمل قوله في بيت عائشة مع ما تقدم وما في كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت عتيق من النار * وكان ابو بكر رضى الله تعالى عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان الناس كان رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان من اعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان ابو بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان اعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك انه قال انما اخذت النسب من ابي بكر لا سيما انساب قريش فانه كان اعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه فانه كان بعد ابي بكر اعلم قريش بانسابها وبآبائها وما فيها من خير وشر لكن كان مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وايام العرب ووقائعهم * وفي كلام بعضهم كان ابو بكر عند اهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما يأتيهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها احد * قال الزمخشري ولعله كني بابي بكر لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضى الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم ابي عبيدة بن الجراح الحمد لله وكان رسول الله صلى

القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار واجيب بان المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافي انه وجد من يوافق في بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى وقيل المراد بالناس اهله وعشيرته وعندما تكلم العباس رضي الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفي رواية خذ لنفسك ماشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم امري لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا ولنفسي ان تمنعوني ما تمنعون به انفسكم وابناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام وقال ابايعكم على ان تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم وقيل قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم ما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا اى نساءنا وانفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة اى اهل السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ابو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضى الله عنه اخفوا امركم اى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا اى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الي قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم

الله عليه وسلم يقول ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة اى وقفة وتاخر وتردد الا ما كان من أبي بكر وفي رواية ما كلمت احدا في الاسلام الا ابى علي وراجعني في الكلام الا ابن ابي قحافة فاني لم اكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه اى ومن ثم كان اسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر تمام أتاني جبريل فقال لي ان الله امرك ان تستشير ابا بكر ونزل فيه وفي عمر وشاورهم في الامر كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بمكان الوزير من رسول الله ﷺ فكان يشاوره في اموره كلها وقد جاء ان الله تعالي ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من اهل الارض ابى بكر وعمر وفي حديث رواته ثقات ان الله يكره ان يخطأ ابو بكر * وفي رواية ان الله يكره في السماء ان يخطأ ابو بكر الصديق في الارض * وجاء الحسن بن علي وهو صغير الى ابي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس ابي فقال مجلس أبيك والله لا مجلس أبي فاجلسه في حجره وبكي فقال علي والله ما هذا عن رأيي فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب أنزل عن منبر أبي فقال له منبر ابيك لا منبر أبي من امرك بهذا فقام علي فقال له ما امره بهذا احد ثم قال للحسين لاوجعنك يا غدر فقال لا توجع ابن أخي صدق منبر ابيه قال قال وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته ﷺ وبراهين صدق دعوته قبل دعوته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل الى مكة فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض اهل الكتاب فعبرها له بانه يتبع النبي المنتظر الذى قد ظل زمانه وانه يكون أسعد الناس به ولعل هذا الذى من أهل الكتاب هو بحيرا فقد رايت ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه راى رؤيا فقصها على بحيرا فقال له ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون انت وزيره في حياته وخليفته بعد مماته اى واخرج ابو نعيم عن بعض الصحابة ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة اى علم انه النبي المنتظر لما مر عن بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرا الكتب نزل به في اليمن فقال له احسبك حرميا فقال ابو بكر نعم فقال احسبك قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم قال له بقيت لي فيك واحدة قال وما هي قال له تكشف لي عن بطنك فقال له لا افعل او تخبرني لم ذلك فقال اجد في العلم النجيح الصادق ان نبيا يبعث في الحرم يعاون على امره فتي وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسري علامة اي مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله احسبك حرميا احسبك قرشيا احسبك تيميا وما عليك ان تريني ماسألتك فقد تكاملت فيك الصفة اى تكونه حرميا قرشيا تيميا ابيض نحيفا الا ما خفى علي فقال ابو بكر فكشفت له عن بطني فراي شامة بيضاء او سوداء فوق سرتي اى وراى العلامة على الفخذ الايسر فقال انت هو ورب الكعبة قال ابو بكر فلما قضيت اربي من اليمن اتيته لاودعه فقال احافظ عني ابياتا من الشعر قلتها في ذلك النبي قلت نعم فذكر له ابياتا قال ابو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش كعقبة بن ابي معيط وشيبة وربيعة وابي جهل وابي البحتري فقالوا يا ابا بكر يتيم ابي طالب يزعم انه نبي ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذا قد جئت

والهدم الهدم أى دمى دمكم أى تطلبون بدمى وأطلب بدمكم فدمى ودمكم واحد وفى رواية بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أردت تاكيد المخالفة هدمى هدمكم اى اذا هدرتم الدم اهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتي رحلتكم انا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم واسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضى الله عنه عليكم بماذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن (٣١١) في نصرته ونشدن ازره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى شهيدا ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم اخرجوا الى منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى اخرج من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجد احد فى نفسه ان يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل اى لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة وأسد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وابو الهيثم بن التيهان واسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لاولئك انتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وانا كفيل على قومى يعني المهاجرين وقيل ان الذى تكلم وشد العقد عباس ابن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى المدينة وكان قبل ذلك مامورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وقيل الذى تكلم وشدّ العقد اسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوى البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يارسول الله مالنا ان نحن

فانت الغاية والكفاية اي لان ابا بكر كما تقدم كان صديقا له صلي الله عليه وسلم قال ابو بكر فصرفتهم على احسن شيء ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الى وقال لى يا ابا بكر اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذي افادك الابيات فقلت ومن اخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك العظيم الذى ياتى الانبياء قبلى قلت مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامى * وفى لفظ اشد سرورا منى باسلامى ولا مانع من صدور الامرين منه رضى الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما الى آخره على تقدير صحة الروايتين وما جاء من شعر حسان رضى الله تعالى عنه من ان ابا بكر أول الناس اسلاما حيث يقول فيه واول الناس منهم صدق الرسلا وانه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت يا حسان كما سياتي عند الكلام على الهجرة وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر رضى الله عنه اول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من أهل السنة لا ينافى ما تقدم من ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول رجل بالغ ليس من الموالى اسلم ابو بكر أى وعبارة ابن الصلاح والاورع ان يقال أول من سلم من الرجال الاحرار أى غير الموالى ابو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة وهذا وماقبله يدل على ان اسلام زيد بن حارثة كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالى تامل اوان مراد من قال ان ابا بكر سبق عليا فى الاسلام أى فى اظهار الاسلام لانه حين اسلم اظهر اسلامه بخلاف على فقد جاء عن على رضى الله عنه انه قال ان ابا بكر رضى الله عنه سبقنى الى اربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وانا اخفيته ولعله لا ينافى ذلك ماجاء بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب لان ذلك كان عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فى دار الارقم كما سياتى فالاولية فى اظهار الاسلام اضافية * قال ابن كثير وورد عن على رضى الله تعالي عنه انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روى فى هذا المعني احاديث اوردها ابن عساكر منكرة كلها لا يصح شيء منها هذا كلامه وعلى تقدير صحتها مراده اول من اسلم من الصبيان فالاولية اضافية ومما يؤثر عن على رضى الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعوا ويستبطيء الاجابة وقد سد طرقها بالمعاصى * واول من اسلم من النساء بعد خديجة رضى الله تعالى عنها ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابى بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب وينبغى ان تكون ام ايمن سابقة فى الاسلام على ام الفضل على ما تقدم وقول السراج البلقيني موافقة للزين العراقى ان اول رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انا اشهد انك الذي بشر بك عيسي بن مريم وانك علي مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل قد علمت ما فيه وانه انما كان من اهل الفتره كما صرح به الحافظ الذهبي وهو يرد القول المتقدم بان وفاة ورقة تاخرت عن البعثة فورقة

وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا أبسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أي العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان أبا الهيثم بن التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام فقال اسعد بن زرارة ابايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على ان أتم عهدى بوفائي وأصدق قولى بفعلي فى نصرك وقال وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يا رسول الله وأبايعك على الاقدام فى امر الله عز وجل لا ارأف فيه القريب ولا البعيد اي لا اعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على ان لا تاخذني فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع ابايع الله وأبايعك يارسول الله على ان لا اعصي لك امرا ولا أكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهي بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة باشد صوت وابعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى وفى رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة يعني بمذمم محمدا وبالصباة من تابعه فانهم قد اجمعوا اى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الباء الموحدة اى شيطان يسمي بهذا الاسم اسمع اي عدو الله اما والله لا فرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو

ونحوه كبحيرا ونسطورا من اهل الفترة لا من أهل الاسلام ويؤيده ماتقدم انه باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة فى الاسلام لا رجل ولا امرأة لكن هؤلاء من القسم الذى تمسك بدين قبل نسخه وآمن وصدق بانه ﷺ الرسول المنتظر وذلك نافع له فى الآخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفى ورقة لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بي وصدقنى الى آخر ما تقدم وعلى تسليم انه لا يشترط فى المسلم ان يؤمن ويصدق برسالته ﷺ بعد وجودها بل يكفى ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابي لان الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالى اى محكوما بايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبي على ابن منده اي ومن وافقه كالزين العراقى فى عده له من الصحابة أي كما عد منهم بحيرا او نسطورا بقوله الاظهر ان من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من أهل الفترة هذا كلام الحافظ الذهبى والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا ظهارها ونزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء على تاخر الرسالة عن النبوة * وحين أسلم ابو بكر رضى الله تعالى عنه دعا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه فاسلم بدعائه عثمان ابن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس أي ولما اسلم عثمان رضى الله تعالى عنه أخذه عمه الحكم بن ابى العاص ابن أمية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ابدا ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع * وفى كلام ابن الجوزي ان المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك * وجاء لكل نبى رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ﴿ واسلم بدعاء ابي بكر ايضا الزبير بن العوام ﴾ رضي الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين علي ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه اى وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحرث فسماه رسول الله صلي الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف لى صديقا فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به ابواك فقلت نعم فقال لى اني لا اعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان ينادينى بذلك قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ماحدث به قال سافرت الي اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلام بن عواكف الحميرى فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل خالف احد منكم عليكم في دينكم فاقول لا حتى كان السنة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة وعن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت أمين في اهل الارض أمين فى اهل السماء وجاء انه وصفه بالصادق الصالح البار واسلم بدعاية ابي بكر رضى الله تعالى عنه ايضا سعد بن ابي وقاص اى فان ابا بكر لما دعاه الى الاسلام لم يبعد واتي النبى ﷺ فساله عن امره فاخبر به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو رضى الله تعالى عنه من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد خالي فليرني امرؤ خاله ﴿ وفى كلام السهيلى ﴾ انه عم آمنة بنت وهب ام النبى ﷺ وكرهت امه اسلامه وكان بارا بها فقالت له الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم

الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الانصار الذين كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذي هو أبو الجن ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وانه أتي باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم ومن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله

لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادي بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص فاتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبرته بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا فقال هل أتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لعله ابليس الكذاب ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي أبغض الينا من ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وكل واحد يقول لهم وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني وصدقوا لانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم وتفرق ناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فاما سعد فمسك وعذب في الله واما المنذر فافلت ثم انقذ الله سعدا من

وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا آكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد اى وتمس اسافا ونائلة فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت اولا تاكلي فلما رأت ذلك أكلت * وفي الانساب للبلاذري عن سعد قال أخبرت أمي اني كنت أصلي العصر أي الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان يعينوني عليه من عشيرتي او عشيرته فاحبسه في بيت واطبق على بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا اعود اليك ولا اقرب منزلك فهجرتها حينا ثم ارسلت الي ان عد الي منزلك ولا تضيفن فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها ما لم يلق أحد من الصياح والاذى حتى هاجر الي الحبشة ولقد جئت والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت ماشان الناس فقالوا هذه أمك قد اخذت اخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا الا يظلها نخل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صباته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن ابي وقاص ان ياتي الحرث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه في مرض فنزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن ابن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحرث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن اني لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون ثم قال للحرث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لارجو شفاءه فيما ينفعه من رحله هل معك من هذه الثمرة العجوة شيء قال نعم فخلط ذلك الثمر بحلبة ثم اوسعه سمنا ثم أحساه اياها فكانما نشط من عقال وهذا استدل به على اسلام الحرث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وانكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة أهل الكفر في الطب اذا كانوا من أهله وممن اسلم بدعاية ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ايضا طلحة بن عبد الله التيمي فجاء به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين استجاب له فاسلم اى ولما تظاهرا ابو بكر وطلحة بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي ابو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية * أقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم احد فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد بعد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل

ايدي المشركين روي عنه رضي الله عنه انه قال لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي ولا زالوا يلطمونني على وجهي ويجذبونني حتى ادخلوني مكة فاوى الي رجل وهو ابو البختري بن هشام مات كافرا وقال ويحك اما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وامنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية وهو أخو ابي سفيان فقال ويحك فاهتف اسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما

فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج ضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو فقال يقال له سعد بن عبادة فجاآ فخلصاه من أيديهم وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع علي رجل أبيض وضيء زائد الحسن فقلت في نفسي ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده فلطمني لطمة شديدة فقلت في نفسي والله ماعندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهيل بن عمرو رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم فلم يكن اسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ ابن عمرو وكان لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى أى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن ما
معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسوا غدوا

كان من حدث قالوا ثم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله وقد تبعه ابن ابي قحافة فخرجت حتى دخلت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر بذلك وأسلم طلحة وطلحة هذا هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل آخر في اسمه واسم أبيه ونسبه وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه الآية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة أحد العشرة أجل مقاما من أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه هذا كلامه والحاصل ان أبا بكر أسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو ابو عبيدة بن الجراح وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابي وقاص يصنع النبل والله أعلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر في الاصل جماعة من السابقين الى الاسلام منهم عبد الله بن مسعود وسبب اسلامه ماحدث به قال كنت في غنم لآل عقبة بن ابي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر بن ابي قحافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لاضرع لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا كذا في الاصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص التي ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل لاضرع لها أى لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع أى محل اللبن فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم وسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان أى لا وجود له على ظاهر ما في الاصل أو لا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

ورب عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

قال ابن مسعود فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله علمني فمسح رأسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم أقول فان قيل قول ابن مسعود ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها يخالف ماسيأتي في حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له في ذلك واذا كان ذلك أمرا متعارفا مشهورا يبعد خفاؤه قلنا قد يقال لامخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز أن يكون تلك الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها مسافرا ولعله لاينافي ذلك

عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله بكلمه من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وانشد أبياتا منها والله لو كنت الها لم تكن * انت وكلب وسط بئر في قرن * أي حبل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم أوى اي استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتونين فى دينه و بين معذب في ايديهم و بين هارب في البلاد وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في الهجرة فمكث اياما لا ياذن ثم قال ارأيت دار هجرتكم أرأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين اعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فاذن حينئذ وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا أى متتابعين يخفون ذلك وفي رواية أريت في المنام أنى هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلى أي وهمى الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ولعله أنسي قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخي بين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وآخي بين حمزة و زيد بن حارثة رضي الله عنهما و بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما و بين الزبير وابن مسعود رضي الله عنهما و بين عبادة بن الحرث وبلال رضي الله عنهما و بين مصعب بن عمير وسعد بن ابي

ماسياتي ان من خصائصه صلي الله عليه وسلم ابيح له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود يعرف بامه وهى ام عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحك الصحابة رضى الله تعالي عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي مارضى لها ابن ام عبد وسخطت لها ماسخط لها ابن أم عبد وقوله لرجل عبد الله فى الميزان يدل للقول بان الموزون الانسان نفسه لا عمله وكان صلي الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلي الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا اغتسل و يوقظه اذا نام و يلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشره رسول الله صلي الله عليه وسلم الجنة لم أقف على أنه أسلم حين اجملت لشاة لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين اسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الى آخره يدل على أنه أسلم حينئذ ومما يؤثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان فيها من سرور فهو ربح والله اعلم وذكر بالاصل ان من السابقين أباذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ماحدث به قال صليت قبل أن اتي النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربى فبلغنا ان رجلا خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وائتني بخبره فلما جاء انيس قلت له ماعندك فقال والله رأيت رجلا يامر بخير و ينهى عن الشر وفى رواية رأيتك على دينك يزعم ان الله ارسله ورأيته يامر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتي اذهب فانطلق ثم وكن على حذر من اهل مكة وحملت جرابا وعصا ثم اقبلت حتى اتيت مكة فجعلت لا اعرفه واكره ان اسال عنه فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتي تكسرت عكن بطني وماوجدت على بطنى سخفة جوع والسخفة بالتحريك قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت احد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاآ فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يارسول الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت من ثلاثين ليلة و يوم ههنا قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتي تكسرت عكن بطني وما اجد على بطني سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم اى وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظماك قطعه الله وهي همزة جبريل وسقيا الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا و بين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان اباذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو اول من حيا رسول الله صلي الله

وقاص رضي الله عنهما وبين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما وبين علي بن أبي طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلي يا رسول الله رضيت قال فأنت أخي في الدنيا والاخرة وانكر ابن تيمية واخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمواخاة انما هي بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمواخاة مهاجري لمهاجري لان المواخاة انما شرعت لارفاق بعضهم بعضا قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس

عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يأخذه في الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضراء اى السماء ولا أقلت الغبراء أى الارض اصدق من أبي ذر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث أبو ذر أزهد أمتي وأصدقها وقد هاجر أبو ذر الى الشام بعد وفاة أبي بكر واستمر بها الى ان ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فكان بها حتى مات فان أبا ذر صار يغلط القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن لقيا أبي ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ما أقدمك هذه البلدة فقال له أبو ذر ان كتمت على أخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني أخبرتك ففعل قال أبو ذر فاخبرته فارشدني وأوصاني الى رسول الله ﷺ واسلمت وفي الامتاع أن عليا استضاف أبا ذر ثلاثة أيام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم في الثالث قال له ما أمرك وما اقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت على أخبرتك قال اني أفعل قال له بلغنا انه خرج هنا رجل يزعم انه نبي فارسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي أى خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رأيت احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الماء فامض أنت قال ابو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فعرضه على فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له من كان يطعمك وجواب ابي ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد ان يكون علي رضي الله تعالى عنه اضاف ابا ذر ولم يأكل عنده وكذا يبعده ما جاء ان ابا بكر قال يا رسول الله ائذن لي في اطعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك اول طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين اى رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فاسلم بان يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع علي ثم لقيه في الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين ويبعده في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت احد الي آخره والا فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم له من الرجل الي آخره ثم قال ﷺ لابي ذر يا اباذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتوني فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في اول الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما يأتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلى صوتي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت لاموت وفي لفظ فمال على أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس ثم قال لهم ويلكم السنم

والحكمة في مواخاة المهاجرين ان بعضهم كان اقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادني ليرتفق الادني بالاعلى وبهذا ظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وبعدها وفي الصحيح ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت اخي اى بسبب المواخاة وكان اول من هاجر منهم الى المدينة ابو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعي للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه اهلها واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم ام سلمة وهم اقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابي سلمة رضي الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا نزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى اطلقوا يده من الخطام واخذ الولد قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكي حتى مضت سنة فمر بها رجل من بني عمها

تعلمون

لرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وجعلت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي أي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضي الله عنه فشيعها الي المدينة حتى اذا وافي على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان

بن طلحة فانه لما رآني قال الي

تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما اصبحت الغد ارجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع وادركني العباس وكان معه كالامس فخرجت واتيت أنيسا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال مالي رغبة عن دينك فاني قد اسلمت وصدقت فاتينا أمنا فقالت مالي رغبة عن دينكما فاني أسلمت وصدقت ثم أتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا ولما جاء المدينة أسلم نصفهم الثاني اي لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت الي ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسي الله ان ينفعهم بك ويأجرك فيهم وجاءت اسلم القبيلة المعروفة فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله أي وقد ذكر ان ابا ذر وقف يوما عند الكعبة أي في حجة حجها او عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو ان احدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا لي فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وممن اسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل كان حين أسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو اول من اسلم من اخوته ويمكن ان يكون ذلك محمل قول ابنته أم خالد اول من أسلم أبي اي من اخوته وسبب اسلامه انه راي في النوم النار وراى من فظاعتها واهوالها امرا مهولا وراى انه على شفيرها وان اباه يريد ان يلقيه فيها وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وقال احلف بالله ان هذه لرؤيا حق وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي ابا بكر فذكر له ذلك فقال له اريد بك خير اهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعوا قال ادعو الي الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفي الوفاء عن ام خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كانه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور اي من زمزم ثم علا في السماء فاضاء في البيت ثم اضاء مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى اني لانظر الى البسر في النخل فاستيقظ فقصصتها على اخي عمرو بن سعيد وكان جزل الراي فقال يا اخي ان هذا الامر يكون في بني عبد المطلب الا تري انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ اي بعد مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وانا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم ابوه بذلك وهو سعيد ابو جيحة وكان من عظماء قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

ابا جيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد ارسل في طلبه فانتهره وضربه اي بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على راسه ثم قال اتبعت محمدا وانت تري خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من ابائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت

اين قلت الى زوجي قال او ما معك أحد قلت لا ما معي الا الله تعالى واني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وصار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استاخر حتى اذا نزلت جاء واخذ البعير فحط عنه ثم قيده في شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني وجمع بين القول بان مصعب بن عمير اول من هاجر والقول بانه أبو سلمة بان أبا سلمة أول من قدم المدينة بلا قصد طيبة واما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة أول من هاجر أي من بني مخزوم فلا ينافي انه ليس باول بالنسبة لغير بني مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضي الله عنها وقيل ليلى بنت أبي حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها ثم هاجر عمار و بلال وسعد وفي رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا أي بعد العقبة الثانية ونزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش ابن ابي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يهاجر معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا

عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى اسهما في يديه واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة أي علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملائة من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم يقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف من أراد ان تثكله أمه أي تفقده او يؤتم أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر رضي الله عنه اخوه زيد بن الخطاب رضي الله عنه وكان أسن من عمر رضي الله عنه واسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضي الله عنه في خلافة الصديق رضي الله عنه سنة ثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر رضي الله عنه يقول اخي سبقني الى الحسنيين أسلم قبل واستشهد قبلي وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضي الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضي الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان رضي الله عنها واما اختها أم حبيبة رضي الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة في صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخي عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات و بقيت هي بارض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم ارسل صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد ابن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبي صلى الله عليه وسلم على يد النجاشي وجعفر بن أبي طالب ثم هاجرت الى المدينة رضي الله عنها فصارت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا جهل وأخاه الحرث بن هشام قبل اسلامه فانه أسلم بعد ذلك رضي الله عنه قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش

قال ان منعتني فان الله يرزقني ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه و يعيش معه ويغيب عن أبيه في نواحي مكة حتي خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فكان خالد اول من هاجر اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد اله ابن ابي كبشة بمكة أبدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله تعالى عنه قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتي رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سبب لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد وكانت سبب اسلامه وانه قصها على أخيه عمرو والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سبب الاسلام لهما واسلم من بني سعيد أيضا أبان والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله أي ومن السابقين للاسلام صهيب كان أبوه عاملا لكسرى أغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الي سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض أهل مكة أي وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر أين تريد يا صهيب قال أريد ان ادخل الى محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله ﷺ فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما ما حفظ من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى أمسيا خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وابيه فسألاه أين كان فاخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك فاعجبهما فاسلما على يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب * وأسلم أيضا حصين والد عمران بن حصين رضى الله تعالي عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا اكلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا و يسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وعمران ولده في الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السماء فقال فاذا أصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال من تدعوا قال الذي في السماء قال فيستجيب لك وحده وتشركهم معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم واسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكي صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفي حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أي عتبته رأته قريش قالوا قد صبا وتفرقوا عنه

باب

﴿باب استخفائه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في دار الارقم بن أبي الارقم رضي الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان يخلى بينهم وبينه وما لقي هو وأصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه﴾

عن ابن اسحق ان مدة ما أخفى صلى الله عليه وسلم أمره أي المدة التي صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين أي فكان من أسلم اذا اراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين أي كما تقدم فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم أهريق في الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم وأصحابه مستخفين في دار الارقم أي بعد هذه الواقعة فان جماعة اسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هي المعروفة الآن بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور واعطاها ولده المهدي ثم اعطاها المهدي للخيزران أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد ولا يعرف امرأة ولدت خليفتين الا هذه ولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها ام الوليد وسليمان * وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شيء فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الي ان امره الله تعالى باظهار الدين أي وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أستمر مستخفيا هو واصحابه في دار الارقم الي ان اظهر الدعوة واعلن صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة اي وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم اربع سنين واعلن في الخامسة وقيل اقاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان في الرابعة او الخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين. وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي اظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب اي وبنو عبد شمس وبنو نوفل اولاد عبد المطلب بدليل ما ياتي قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها واحكامها وحلالها وحرامها وقال بعضهم انما الامر بالصدع لغلبة الرحمة عليه صلى الله عليه وسلم قال ذكر بعضهم انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اي عجز عن احتماله * فمكث شهرا اونحوه جالسا في بيته حتى ظن عماته انه شاك أي مريض فدخلن عليه عائدات فقال صلى الله عليه وسلم ما اشتكيت شيا لكن الله امرني بقوله وانذر عشيرتك الاقربين فاريد ان اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده صلى الله عليه وسلم اي وكني عبد العزى بابي لهب لجمال وجهه ونضارة لونه كان وجهه وجبينه ووجنتيه لهب

ابن أبي ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له ان امك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفي رواية لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولدها اليها وأنت في دين فيه البر للوالدين فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد في المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضي الله عنه ما يريدان الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هناك آخذه فقال له عمر رضي الله عنه خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى لا ذلك فقال له عمر فحيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريبة فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه اي شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا في وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا ولما جيء به مكة التي في الشمس وحلفت أمه انه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما في قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم في قنوت الصباح فيقول اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص المستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو اخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فاسر فيمن أسروا فافتكه أخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الي مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت اليسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كان اكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه كثيرا حتى قال لما أوصي عند موته لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ماجعلتها أي الخلافة شوري قال ابن عبد البر المعنى انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضي الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضي الله عنه بميراثه لمعتقته فابت أن تقبله وجعلته في بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الي المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبي صلي الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا وكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لايكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي اتخلوا سبيلي قالوا نعم قال فاني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفي الخصائص الكبرى عن صهيب رضي الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر رضي الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك ونفسك لايكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيكم اواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك احد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا والنبي صلى الله عليه وسلم وقد اخذ سيفه وكنانته وقوسه فأتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في

النار أي حلافا لما زعمه بعضهم ان ولده عتبة أكله الاسد أو ولد آخر غيره كان اسمه لهبا قال في الاتقان ليس في القرآن من الكنى غير أبي لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أي الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي كلام بعضهم مايفيد ان الاستعمال حرام أيضا الا أن يشتهر بذلك كما في الاوصاف المنقصة كالاعمش * وفي كلام القاضي وانما كناه والكنية تكرمة أي بالعدول عن الاسم الي الاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذي هو الصنم فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله في الآخرة فهي كنية تفيد الذم فاندفع مايقال هذا يخالف قولهم . لايكنى كافر وفاسق ومبتدع الالخوف فتنة أو تعريف لان ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فلما أصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما أخبرهم بما أنزل الله عليه أسمعه مايكره قال تبا لك ألهذا جمعتنا أي وأخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رأيت أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بأشر ماجئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس انتهي أي وفي الامتاع أن أبا لهب ظن انه صلي الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الي مايحبون فقال له هؤلاء عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريدوا ترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وان أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن اخي احدا قط جاء بني أبيه وقومه بشر ماجئتهم به وعند ذلك أنزل الله تعالى تبت اي خسرت وهلكت يدا أبي لهب وتب أي خسر وهلك بجملته أي والمراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد به الدعاء وبالثاني الخبر على حد قولهم أهلكه الله وقد هلك أي ولما قال ابو لهب عند نزول تبت يدا أبي لهب وتب ان كان مايقوله محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي نزل ماأغنى عنه ماله وما كسب أي وأولاده لان الولد من كسب أبيه اي وفي رواية وهي في الصحيح أنه دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بني كعب بن لؤي انقذوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار اي . فيه انه أمر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني زهرة انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد أنقذي نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيأ وفي لفظ لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا إله الا الله أي لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم مني فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير أن لكم رحما سابلها ببلالها أي اصلها بالدعاء اي والبلال بالفتح كقطام مايبل الحلق من الماء او اللبن وبل رحمه اذا وصلها وبلوا أرحامكم ندوها بالصلة * وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها أي وقد ذكرا ثمتناسبا بط الصلة وفي تخصيصه صلي الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها أصغرهن وقيل اصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من بين عماته حكمة لاتخفي * ومن الغريب مافي الكشاف من زيادة يا عائشة بنت ابى بكر يا حفصة بنت عمر

كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم اني من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون الى حتى ارمى بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي شيء منه ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفي رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلي سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت أم من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني ودينى (٣٢١) وتركوا الى راحلة ونفقة ففعلوا

وعندى ان ذكر عائشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة وان هذا ذكره ﷺ بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الى ان تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم ان بناته عليه الصلاة والسلام لم يكن كفارا اولينا مل ثم مكث ﷺ اياما ونزل عليه جبريل وأمره بامضاء امر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة ابدا والنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبي لهب فانه قال يا بني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يده قبل ان ياخذ على يده غيركم فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت أخته صفية عمة رسول الله ﷺ رضى الله تعالى عنها اي اخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضىء اى اصل عبد المطلب نبى فهو هو قال هذا والله والباطل والاماني وكلام النساء في الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا اكلة رأس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سنح بالنون والحاء المهملة اي اصل وفى لفظ سفح بالفاء والحاء المهملة هذا الجبل تريدان تغير عليكم اكنتم تكذبونى قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش انقذوا أنفسكم من النار فانى لا اغنى عنكم من الله شيا انى لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد اي وفى لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راي العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه الى اهله فجعل يا صباحاه يا صباحاه اتيتم اتيتم * ومن امثاله ﷺ انا النذير العريان اى الذى ظهر صدقه من قولهم عري الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار اى ظاهر وقيل الذى جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما انه حفظ عن رسول الله ﷺ الف مثل واختلف الروايات في محل وقوفه ففى رواية وقف على الصفا كما تقدم وفى رواية وقف على اضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا ثم هتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث وفى رواية صاح على ابى قبيس يا آل عبد مناف انى نذير * وروي انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار ابى طالب وهم اربعون * وفي الامتاع خمسة واربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم على طعاما اى رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا بسم الله فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفى رواية حتى رووا وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم ياكل الجذعة وفى رواية يشرب العس من الشراب فى مقعد واحد فقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم

وفيه نزل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر رضى الله عنه قام فبشرني بالآية التي نزلت في وفى رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرأ الآية واصل صهيب كان روميا أغارت خيل على دجلة أو الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضي الله عنه في يوم واحد قال صهيب رضي الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه وكان رضى الله عنه فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة

وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لى اتاكل وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهيل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر

رواها بعضهم على وجه آخر هو انه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال أتأكل رطبا وانت ارمد فقال انما آكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي ولا مانع من التعدد أي لكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة خرج الناس ارسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن عفان رضي الله عنه واشتد الاذى على (٣٢٢) المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من اصحابه الا علي بن أبي طالب وأبو بكر أو من كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضي الله عنه كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر رضي الله عنه ان يكون الصاحب هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفي رواية للبخاري استاذن ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي وامي قال نعم فحبس ابو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر ثم ان قريشا لما رأوا الهجرة الصحابة وعرفوا انهم صار لهم اصحاب من غيرهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة اى سلاح وباس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم أهل وعرفوا انه اجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب قال الحلبي دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب الى المسجد اعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد ادخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته وكان اجتماعهم يوم سبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر

ندره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية لهد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله ﷺ فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني اى يعاونني على القيام به قال علي انا يا رسول الله وانا احدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه أحد منهم فقال علي وقال انا يا رسول الله قال اجلس ثم عاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم عاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فانت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال الامام أبو العباس بن تيمية أي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه اى الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال احمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يصنع الحديث وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ امر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لي ادع لي بني عبد المطلب فدعوت اربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون على فعل ذلك عند خديجة وجاء الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متاخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك حرصا على اهل بيته فلما دعا اهل قومه ولم يردوا عليه ويجيبوه اى وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان ﷺ اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم اى حتى انه مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى ابي طالب وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اى عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الله وفي الكفر شدة واباء
أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

اي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعاتهم الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله لا اله الا الله حسبما امر فقد جاء ان جبريل تبدى له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال ان في

وخديجة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بني عبد شمس و بني نوفل و بني عبد الدار و بني أسد و بني مخزوم و بني جمح و بني الحرث و بني كعب و بني تيم و بني عدي وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأي والحجا عنهم أحد وجاءهم ابليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل في صورة شيخ نجدي لانهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة احد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو ابو البختري بن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ماهذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلا تشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ماهذا برأي فانظروا في غيره فقال ابو الاسود ربيعة بن عمرو العامري ولم يسلم له اسلام نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ماهذا برأي الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما امنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ امركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما اراد دبروا فيه رأيا غير

اهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها احبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال اي داء هو الضلال فيهم عضالا يعني الاطباء مداواته وحصول شفائه ثم شري الامر أي بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أي أضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض أي حث بعضهم بعضا عليه أي على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى ابي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا اي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي ان قومك قد جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر مالا اطيق فظن رسول الله ﷺ ان عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك وانشد ابياتا منها

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير الممحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره * ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر اني رأيت في المنام كان الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع ايهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان اباطالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أباطالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة انهد اي اشد واقوى فتى في قريش واجمله فخذه فلك ولده اي بان تتبناه واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا اي وقال ارأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها () قال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا علي التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيا فقال له ابو طالب والله ما انصفوني ولكن قد اجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك اي وقدمت عمارة بن

هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى ان تاخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا ارى غيره فاجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول ابي جهل الذي صوبه ابليس ان يعطي خمسة (٣٢٤) رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا ان يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال ثم اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أي يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطي في سيرته فاجتمع اولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته اي يوقعون القتل به ليلا وقيل احدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم فلا يتم لهم اخذ ثاره فامر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد له صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم اتشح ببردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام فكان علي رضي الله عنه اول من شري نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقي بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه يكون امتثل امر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يقول له لن يخلص اليك شيء فصدق عليه انه بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه

وقيت بنفسي خير من وطيء الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت اراعيهم وما يتهمونني *

الوليد هذا على كفره بارض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كاسيأتي ومات المطعم ابن عدي المذكور على كفره ايضا فعند عدم قبول أبي طالب ما ارادوه اشتد الامر لما رأى ابوطالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ماحدث به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل أبو جهل فقال لله علي ان رأيت محمدا ساجدا ان اطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شأن ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى ان بلغ آخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل الا ترون ما ارى لقد سد افق السماء علي وفي رواية رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي ان قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في ابي جهل * ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان اباجهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم اني اعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك اوامنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة اي وكانت قبلته صلى الله عليه وسلم الى الشام الى صخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم وهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اي متغيرا بالصورة مع الكدرة من الفزع وقد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده اي بعد أن ما حاولوا فكه من يده فلم يقدروا كما سيأتي وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بي ان ياكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وابو جهل اذ رأى عنق الفحـ * ـل اليه كأنه العنقاء

اي وابو جهل الذي هو اشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ان هم ان يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل وقد برزت اليه كانه الداهية العظيمة اي فرجع عن ذلك الرمي بذلك الحجر اي وفي رواية ان اباجهل قال رأيت بيني وبينه كخندق من نار ولا مانع ان

وقد وطنت نفسي على القتل والاسر   وكان فى القوم الحكم بن ابي العاص وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة ابن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال ابو جهل ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد اخذ الله على أبصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفى رواية الامام احمد حتى لحق بالغار اى غار ثور فافاد انه توارى فيه حتى اتى ابا بكر منه فى نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فاتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس فى صورة النجدى فقال ماتنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ماترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش مسجي ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون ايهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلى انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها لسبة فى العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا وكان تسور الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع فى الظاهر والمانع فى الحقيقة باطنا حماية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار عجزهم فاقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبى صلي الله عليه وسلم حتي يقوم فى الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما اصبحوا قام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا له

يكون وجد الامرين معا * وذكر فى سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون أي انا جعلنا ايديهم متصلة باعناقهم واصلة الى اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من اقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان الآية الاولى نزلت فى ابى جهل لما حمل الحجر ليرضع به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه انثنت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت فى آخر لما رأى ما وقع لابى جهل قال انا اتي هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم بن ابي العاص أي ابن مروان ابن الحكم ان ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا اسوأ رأيا واعجز في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لها لا تلومينا يا بنية اني لا احدثك الا ما رأيت لقد اجمعنا ليلة على اغتياله ﷺ فلما رأيناه يصلى ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أى ظننا انه يتفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتي قضي صلاته صلى الله عليه وسلم ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه ويتامل هذا لان صلاته صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يصلى فجاءه ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن صلاته زاره ابو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم ما بها نادا اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله أى وقال يوما ولقد اتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت انى امنع أهل البطحاء وانا العزيز الكريم فانزل الله تعالى فيه ذق انك انت العزيز الكريم كذا قاله الواحدى اي تقول له الزبانية عند القائه فى النار ماذكر توبيخا له ﴿ومن ذلك ما حدث به بعضهم﴾ قال لما انزل الله تعالى سورة تبت يدا ابى لهب جاءت امرأة ابى لهب وهي أم جميل واسمها العوراء وقيل اسمها اروى بنت حرب اخت سفيان بن حرب ولها ولولة وبيدها فهر اي بكسر الفاء وسكون الهاء حجر بملأ الكف فيه طول يدق به فى الهاون الى النبي ﷺ ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أى تاتى بالفحش من القول فلو قمت لتؤذيك فقال صلى الله عليه وسلم انها لن ترانى فجاءت فقالت يا ابا بكر صاحبك هجانى أى وفى لفظ ماشان صاحبك ينشد فى الشعر قال لا وما يقول الشعر اى ينشئه وفى لفظ الا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبى بشاعر وما يدري ما الشعر اى لا يحسن انشاءه قالت له انت عندى تصدق وانصرفت اى وهى تقول قد علمت قريش انى بنت سيدها أي تعني عبد مناف جد ابيها ومن كان عبد مناف اباه لا ينبغى لاحد ان يتجاسر على ذمه قلت يا رسول الله لم تراك قال لم يزل ملك يسترنى بجناحه اى فقد جاء في رواية انه ﷺ قال لابى بكر قل لها هل ترين عندي احد فسالها ابو بكر فقالت انهزأ

اين صاحبك قال لا أدري وصدق الله قول النبي صلى الله عليه وسلم له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم ففرقوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري وقيل امروه بالخروج وضربوه وادخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا لهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة بقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا والحكمة في هجرته الى المدينة ان تتشرف به الازمنة والامكنة والاشخاص لا انه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم انه قد تشرف بها لان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي انه أفضل من العرش قال السيد السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات (وكان خروجه) صلى الله عليه وسلم من مكة اول يوم من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال صرمة ابن قيس الانصاري الصحابي رضي الله عنه ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر رضي الله عنه روى الحاكم عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه واخبر عليه الصلاة والسلام عليا بخروجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي

بي والله ما ارى عندك احدا اقول وفي الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد معه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت ابا بكر وعمر فاقبلت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقالت اين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فمه فقال عمر رضي الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا اكلمك يا ابن الخطاب أي لما تعلمه من شدته ثم اقبلت على ابي بكر لما تعلمه من لينه وتواضعه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية اقبلت ومعها فهران وهي تقول

مذمما ابينا * ودينه قلينا * وامره عصينا

فقالت اين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربن انثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر فقلت لها يا ام جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما انت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر وكذا ما ياتي وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال لك الا لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد اخرى كما تقدم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد * وفي الدر المنثور انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني والله ما هجوتك ما هجاك الا الله قالت رأيتني احمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي يتم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث لتحثهم على عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل عبارة عن حبل من نار جهنم * وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله اعلم * والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

واعدت حمالة الحطب الفهر جاءت كانها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رأته ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء

اي وهيات حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب اي تجمع الحطب وتحمله لبخلها ودناءة نفسها وكانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استفهامها يبعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذي يملا الكف كما تقدم لتضرب به النبي صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كانها في شدة السرعة الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة تبت يدا أبي لهب

كانت عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحق وليس احد بمكة عنده شيء يخاف عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وامانته ﴿روى البخاري عن عائشة﴾ رضي الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه ﴿وفي رواية للطبراني﴾ عن اسماء رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم من ذلك جاء نافي الظهيرة فقلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فداء له ابي وامي والله ما جاء ني في هذه الساعة الا امر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له ابو بكر رضي الله عنه فدخل فتنحى ابو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي وذلك ان عائشة رضي الله عنها كان ابوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم واسماء اختها بمنزلة اهله لنكاحه اختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول ابي بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حريمي حريمك واهلي اهلك يعني انا وانت كالشيء الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد اذن لي في الخروج من مكة الى المدينة فقال ابو بكر رضي الله عنه الصحبة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت ابا بكر رضي الله عنه يبكي وما كنت احسب ان احدا يبكي من الفرح فقال ابو بكر رضي الله عنه فخذ بابي أنت وامي يارسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفي رواية قال لا اركب بعيرا ليس هو لي قال فهو لك قال لا ولكن الثمن الذي ابتعتها به قال اخذتها بكذا وكذا ﴿وكان ابو بكر﴾

لهب تقول أفي مثلي وانا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجاء والسب حالة كونه من احمد وتوات والحال انها ما رأته وكيف ترى الشمس عين عمياء ﴿اقول﴾ في ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى اخيها ابي سفيان في بيته وهي مضطرمة اي منحرفة غضبى فقالت له ويحك يا أحمس اي يا شجاع اما تغضب ان هجاني محمد فقال سا كفيك اياه ثم اخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا اخية ايسرك ان رأس اخيك في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعبانا لو قرب منه ﷺ لا لتقم رأسه * ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا ابي لهب وقال ابو لهب لابنه عتيبة اي بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه اسلم يوم الفتح كما سيأتي رأسي من رأسك حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتامل * وكان اخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها فقال اي وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلاأوذينه في ربه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اي وفي لفظ برب النجم اذا هوي وبالذي دنا فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه ابي لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وانا خوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فضغ رأسه وفي رواية ثني ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة فكانت اياها فقال وهو بآخر رمق الم أقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد ﴿اقول﴾ وحلفه بالنجم الى اخره يدل على ان ذلك كان بعد الاسراء والمعراج * ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له هذا فلان ينشد الناس هجاء كم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل هل علقت من قوله بشيء قال نعم قال فانشد

صلبنا كموا زيدا على رأس نخلة * ولم ارمهديا على الجذع يصلب

وقستم بعثمان عليا سفاهة * وعثمان خير من علي واطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب اهل الكهف كان اسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة ووصف ببسط الذراعين لان ذلك من صفة الكلب الذي هو الحيوان وقد جاء انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب اهل الكهف وحمار العزيز وناقة صالح والله اعلم ومما وقع لرسول الله صلى الله

رضى الله عنه قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم انه يرجو الهجرة وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على اتم الاحوال الا فابو بكر رضي الله عنه قد أنفق ماله في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت انفق ابو بكر رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف درهم ﴿وروى الزبير﴾ ابن بكار عنها رضى الله عنها

ان ابا بكر رضى الله عنه لما مات ما ترك دينارا ولا درهما وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس احد من الناس امن على في نفسه وماله من ابي بكر ﴿وروى الترمذي﴾ مرفوعا ما لاحد عندنا يد الا كافأة عليها ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وروى ابن عساكر عن انس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعظم الناس علينا منا ابو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وان خير المسلمين مالا ابو بكر اعتق منه بلالا وحملني الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر وعلف الدابة اربعة اشهر حتى باعها للمصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضى الله عنها فجهزنا هما احث الجهاز أى اسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت

اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفي رواية شقت نطاقها فاوكت بقطعة منه الجراب فقال وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين وقالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه بغار ثور فمكثا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت منك رواه الامام أحمد والترمذى

عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه أي روثه في كرشه فقال ابو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد أي في روايه قال قائل الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية ايكم ياخذ سلى جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين او ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام بشخص من المشركين وفي لفظ أشقي القوم وهو عقبة بن ابى معيط وجاء بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد أى فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض أى من شدة الضحك قال ابن مسعود فهبنا أي خفنا ان نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وانا قائم انظر لو كانت لى منعة اطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها أى بعد ان ذهب اليها انسان واخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واستمراره في الصلاة عندفقهائنا لعدم علمه بنجاسة ما القى عليه ولما القته عنه اقبلت عليهم تشتمهم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطاتك أى عقابك الشديد على مضر سنين كسني يوسف اللهم عليك بابى الحكم بن هشام يعني اباجهل وعتبة ابن ربيعة وعقبة ابن ابى معيط وامية ابن خلف زاد بعضهم وشيبة ابن ابي ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع في رواية في مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك الوقت موجودا أوكان صغيرا جدا او عمارة بن الوليد اي وهو المتقدم ذكره الذى ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه ﷺ اقول والذى في المواهب ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو ابن هشام الى آخر ما تقدم ذكره في الامتاع فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابى جهل بن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رايتهم وفى رواية رايت الذى سمى رسول الله ﷺ صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بان عمارة بن الوليد مات بالحبشة كافرا كما تقدم ويأتي وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا منها وقتل بعرق الطبية كما سياتي وبان أمية بن خلف لم يطرح بالقليب واجيب بان قول ابن مسعود رايتهم أي رأيت اكثرهم وقد يقال لا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله اعلم والمراد بني يوسف بتخفيف الياء ويروي سنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب أى فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم اى يخلط الدم باوبار الابل ويشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاء صلى الله عليه وسلم جميع من المشركين فيهم ابو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر

فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاء أهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا أي وفيه ان هذا انما كان بعد الهجرة فسياتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء وسياتي مافيه وقد يقال لا مانع أن يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة أخرى سياتي الكلام عليها ثم رأيت ما في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي قد روى في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين أي وسياتي في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان تاتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية فيه أيضا لما أبطؤا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فاتى ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم نبطش البطشة الكبري انا منتقمون يعني يوم بدر * ومن ذلك ماحدث به عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن ابي معيط وابوجهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته أي جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين ابي بكر وأدخل اصابعه في أصابعه وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال أبوجهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهي أن تعبد ما كان يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ذلك ثم مشي عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع ناهضوه أي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبوجهل يريد أن ياخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا قال عثمان فوالله مامنهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال ابشروا فان الله عزوجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله

*وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أطيبك من بلد واحبك الي ولولا أن قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك وروى ابو نعيم عن اسحق بلاغا انه كان من قوله صلى الله عليه وسلم أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيا اللهم اعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والايام اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني واليك رب فحببني والى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وانت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي اشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين ان يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبي عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا علي رضي الله عنه وآل ابي بكر رضي الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه لانه مولى لابي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه * وروى انهما خرجا من خوخة في ظهر بيته ليلا * وروي اذا بوجهل لعنه الله لقيهما فاعمى الله بصره عنهما حتى مضيا * ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها واسفلها وبعثوا القافة وهو الذي يعرف الاثر في كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين

فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور ويروى انه قعد وبال في أصل شجرة هناك ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدري احذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفي رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا الآخر لا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ماوراء هذا شيء وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده

عن سيره ذلك بقتل أو أسر والله در الشيخ شرف الدين الابوصيري رضي الله عنه حيث قال ويح قوم جفوا نبيا بارض * ألفته ضبابها والظباء وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه وود الغرباء أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء وكفته نسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد ويكون كالريش

على ايديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر * أقول ولا يخالف ذلك كون عقبة بن ابى معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم وفي رواية ان عقبة بن أبي معيط وطيء على رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان أي وفي رواية دخل عقبة بن ابى معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم أي وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني باشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فاخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله ﷺ الحديث ولعل أشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنه أو مارآه * وعنه رضي الله تعالى عنه قال مارأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا ماصبرنا على الامر كصبرنا على امر هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينماهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر بهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فلمزوه فوقف عليهم وقال أتسمعون يامعشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما بقي رجل منهم الا كانما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون ياأبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينماهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به وهم يقولون انت الذى تقول كذا وكذا يعنى عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذي اقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام ابو بكر دونه وهو يبكي ويقول اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فاطلقه الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا عنه فذلك اشد مارأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الست تقول في آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتي الصريخ الي ابي بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج ابو بكر حتى دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر يضربونه قالت بنته اسماء فرجع الينا فجعل لا يمس شيا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام

لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار اعين الكفار وامر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية في الحرم فلا يتعرض له * وفي المثل آمن من حمام الحرم ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهي العصى الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا مالك فقال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ماقاله فعرف ان الله قد ذرا عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف ومااربكم اى حاجتكم الي الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال ابو بكر رضي الله عنه ان هذا الرجل وجاء ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا باجنحتها لو كان يرانا مافعل هذا وقيل ان القائف قعد وبال أيضا وفى رواية انهم طافوا اجبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث روى ان الحمامتين باضتا فى اسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة

القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت بان الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمي على القائف الطالب ورحم الله القائل والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل * وروى أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا ودعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله * وقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا وقال فيها خبرنا والذي قال

وأنا احبها قال وأخبرنا فلان وأنا احبها حتى قال عن أبي بكر رضى الله عنه لا ازال احب العنكبوت منذ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزي الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر فى الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا * وأما ما يروى من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القزان نسجت حريرا
يجمل لبسه في كل شى
فان العنكبوت أجل منها
بما نسجت على رأس النبى.

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم أي اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضى الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وماحوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة *

وجاء أنهم جذبوا رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا أن يقول ربى الله أى وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسي بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها قالت اجتمعت مشركو قريش فى الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة وسمعت فدخلت على أبى فذكرت ذلك له أى قالت له وهى تبكى تركت الملا من قريش قد تعاقدوا بالحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة وأساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج صلى الله عليه وسلم أى بعد ان توضأ ودخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم الا قتل ببدر اى وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه صلى الله عليه وسلم الاذى فاذا طرحوه عليه اخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ثم يلقيه فى الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان فى اسلامه شئ وتقدم انه صلى الله عليه وسلم نفاه الى وج الطائف وانه سيأتى السبب فى نفيه وأشار صاحب الهمزية الى ان هذه الاذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن ظان انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى رفعة له ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تخل جانب النبى مضاما * حين مسته منهم الاسواء
كل أمر نابا النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء

أى لا تظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة كونها صادرة منهم لان كل أمر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة التى تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والضيقة التى تحصل لهم ايضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التى تصيبهم كالنار التى يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة قال ومما وقع لابى بكر رضى الله تعالى عنه من الاذية ماذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى ومن معه من اصحابه فيها سرا اى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهور اى الخروج الى المسجد فقال يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه الى المسجد وقام ابو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو اول خطيب دعا الى الله تعالى وثار المشركون على ابى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ ابو بكر

بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف انفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبي بكر وحملوه في ثوب الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون في موته أي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابي بكر وصار والده أبو قحافة و بنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب أي فانها كانت اسلمت رضي الله تعالى عنها كما تقدم وهي تخفي اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان ابا بكر يسال عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا اعرف محمدا ولا ابا بكر ثم قالت لها تريدين ان اخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى ان جاءت ابا بكر رضي الله تعالى عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لارجو ان ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها أي انها لا تفشي سرك قالت سالم فقال اين هو فقالت في دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكئ على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وا كب عليه يقبله وا كب عليه المسلمون كذلك فقال بابي وأمي أنت يارسول الله ما بي من باس الا مانال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها فعسى الله ان ينقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت انتهى هذا وذكر الزمخشري في كتابه خصائص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لابي بكر لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من الاذية ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ماسمعت قريش القرآن جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه انا فقالوا نخشى عليك منهم وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت الشمس وقريش في انديتهم وقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتاملته قريش وقالوا مابال ابن ام عبد فقال بعضهم يتلو بعض ماجاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى اصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له اصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله مارأيت اعداء الله اهون علي مثل اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد اسمعتهم مايكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره و يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من ارادمنهم سماع القرآن أي خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وهو ماحدث به ابن اسحق قال

من الدروع وعن طال من الاطم يعني أنهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه السلام لان عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يالفان معمورا فهما احسا بالاحسان فرامنه * وقد روي ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم أن الله حماها بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت بما علم المشركون ان الله يسخر ماشاء من

خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون ولله در الابوصيري من شاعر وما احسن قوله ايضا في قصيدته اللامية التي اولها

الى متى انت باللذات مشغول
وانت عن كل ماقدمت مسؤل

حيث قال فيها

واغبرتا حين اضحى الغار وهو به
كمثل قلبي معمور ومأهول
كانما المصطفى فيه وصاحبه الـ
صديق ليثان قد آواهما غيل
وحال الغار نسج العنكبوت على
وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها
ومامكايدهم الا اضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما
كان ابصارهم من زيغها حول

* وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار وفي رواية حدثني فرفعت رأسي فرأيت اقدامهم فقلت له لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما اي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما في المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا * قال بعض اهل السير ان ابا بكر رضي الله عنه لما قال ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضي الله

حدثني به رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا أي وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه مايكرهه أي وقيل انه صب التراب على رأسه أي وقيل التى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادي قريش أى محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان اقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لايدخل الي اهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر اي فقالت له ياابا عمارة لو رأيت ما لقي ابن اخيك محمد صلى الله عليه وسلم آنفا من ابى الحكم بن هشام تعني أبا جهل وجده ههنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم أي وقيل الذي اخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقي عليه فرثا ووطىء برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر أبو حيان في النهر فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذي تقولين قالت نعم وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع ابوجهل بابن اخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت ابوجهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى اباجهل جالسا في القوم فاقبل نحوه حتي قام على رأسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت اي وفي لفظ ان حمزة لما قام على راس ابي جهل بالقوس صار ابوجهل يتضرع اليه و يقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا قال ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقامت رجال من بني مخزوم اي من عشيرة ابي جهل الي حمزة لينصروا اباجهل فقالوا ماتراك الا قد صبأت فقال حمزة ومايمنعني وقد استبان لى منه انا اشهد انه رسول الله وان الذى يقوله حق والله لا انزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم ابوجهل دعوا ابا عمارة اي ويكني ايضا بابى يعلي اسم ولد له ايضا فاني والله لقد اسمعت ابن اخيه شيا قبيحا وثم حمزة على اسلامه اى استمر اي بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته انت سيد قريش اتبعت هذا الصابيء وتركت دين ابيك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انى قد وقعت في امر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلي على مالا ادري ارشد هو ام غي شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه و بشره فالقى الله تعالى في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر يا ابن اخي دينك () وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم

الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذى ذكره ماذكر له اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالائمة يقتضى انهم لايذكرون مثل ذلك الا بتوقيف * وقد روى ان أبا بكر رضي الله عنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعود الحفاء والجفوة قيل ان ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم وفي بعض الروايات أن أبا بكر رضى الله عنه كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله في بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان أبا بكر رضى الله عنه كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصيد فامشي امامك وعن يمينك وشمالك لآمن عليك فقال لوكان شيء احببت ان تقتل دوني فقال أي والذى بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليلة من الليالى أبى بكر رضى الله عنه مما أعطى عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الي الغار قال مكانك يارسول الله حتي استبرىء لك الغار فاستبراه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من ان يكون في الغار شيء من الهوام و يروى انه قال والذي بعثك بالحق لاتدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بى قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه والقمه الجحر حتي فعل ذلك بثوبه اجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه و يروى والقمه ابو بكر رجليه لئلا يخرج منه مايؤذى

رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فاني سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله عنه ونام وسد أبو بكر رضي الله عنه ما بقي من ثقوب الغار برجليه فلدغ في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفي صلي الله عليه وسلم وفي رواية فجعلت الحيات والافاعي تلسعه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم (٣٣٤)

فاستيقظ وقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فدك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فذهب ما يجده وفي رواية فلما أصبحا رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ابي بكر اثر الورم فساله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتني قال كرهت ان أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم وفي رواية لابي نعيم عن أنس رضي الله عنه فلما أصبح قال لابي بكر رضي الله عنه أين ثوبك فاخبره بالذي صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فاوحي الله اليه قد استجبنا لك وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال له صلي الله عليه وسلم رحمك الله صدقتني حين كذبني الناس ونصرتني حين خذلني الناس وآمنت بي حين كفر بي الناس وآنستني في وحشتي قال الزرقاني والظاهر كما قال شيخنا يعني الشبراملسي انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن ادلم ينقل طلبه لغيره ممن كان ياتي لهما بالغار كابنة وابن فهيرة ويروى أيضا ان أبا بكر رضي الله عنه لما دخل الغار اصاب يده شيء فخرج من اصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول

هل انت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق رضي الله عنه وقد تمثل به النبي صلي الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه والممتنع عليه صلي الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان

شكيمة اى اعظمهم في عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه صلى الله عليه وسلم واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اى لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه () بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك اى حتي الواحد منهم ما يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به كان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه وو بخوه وقال له ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا أغرى به () حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وابي قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينة وثبت علية ولم يرجع للكفر بلال رضي الله تعالى عنة وكان مملوكا لامية بن خلف فمن بعضهم ان بلالا كان يجعل في عنقه حبل يدفع الى الصبيان ان يلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد بالرفع والتنوين او بغير تنوين أي الله احد أو يا احد فهو اشارة لعدم الاشراك وقد أثر الحبل في عنقة وعن ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره في الرمضاء اى الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللاة والعزي فيقول احد احد اى انا لا أشرك بالله شيئا انا كافر باللاة والعزى * اى وقيل كان بلال مولدا من مولدى مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمى وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله تعالى نبية صلي الله علية وسلم امر بهم فاخرجوا من مكة اى خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمة فاسلم بلال وكتم اسلامة فساخ بلال يوما على الاصنام التى حول الكعبة ويقال انة صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت بة قريش فشكوه الى عبد الله وقالوا له اصبوت قال ومثلى يقال له هذا فقالوا له ان اسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم أي يجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالفه ما تقدم من ان امية بن حلف كان يتولى تعذيبة وما ياتى من ان ابا بكر رضى الله عنه اشتراه منه ويقال انه صلي الله علية وسلم مر علية وهو يعذب فقال سينجيك احد احد أي وقيل مر علية ورقة بن نوفل وهو يقول احد احد فقال نعم احد احد والله يا بلال ثم اتى الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من اهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة أدرك البعثة التي هي الرسالة وتقدم ما فيه فكان بلال يقول احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضي الله تعالى عنه انه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول واطرفاه غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله أبو موسي الاشعرى ومن معه لما وفدوا علية صلي الله علية وسلم وهو في خيبر

هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن المغيرة وجعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم و يروي أن ابا بكر رضي الله عنه لما رأي القافة اشتد حزنه و بكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد لا يهلك الامة بقتلي فلا يفوتهم بهم ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الامة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر ٣٣٥ فالمعية معنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه السكينة امنة اى حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لامنها مما تكرهه وقوله عليه الضمير عائد على أبي بكر رضى الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه في قول الاكثر قال البيضاوى وهو الاظهر لانه كان منزعجا لا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقوله وأيده الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة أى ليحرسوه و يصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتامل بعين البصيرة في أمر المصطفي صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضى الله عنه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم حزن الصديق لكن على نفسه قوي الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كانه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وفي الرسول صلي الله عليه وسلم بما له ونفسه جوزي بموازنته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف

خيرا اي صاروا يقولون غدا نلقي الاحبة محمدا وحزبه ومر بها ابو بكر رضى الله تعالى عنه يوما وهو ملقى على ظهره في الرمضاء وعلى صدره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر عندي غلام اسود أجلد منه وأقوي أى على دينك اعطيكه به قال قبلت قال هو لك فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا واعتقه وفي تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في بلال حين قال اتبيعنيه قال نعم ابيعه بقسطاس يعنى عبدا لابي بكر رضى الله تعالى عنه كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا يابى الاسلام فاشتراه ابو بكر به هذا كلامه وفي الامتاع لما ساوم أبو بكر أمية بن خلف في بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها أحد باحد ثم تضاحك وقال له اعطني عبدك قسطاس فقال ابو بكر ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدني معه مائتي دينار فقال ابو بكر رضي الله عنه انت رجل لا تستحي من الكذب قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن فقال هي لك فاخذه هذا كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس أواق اى ذهبا اى وقيل ببردة وعشرة أواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب و يروي ان سيدة قال لابي بكر لو ابيت الا أوقية أي لو قلت لا اشتريه الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة أوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما اعتق أبو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها انزل الله تعالي والليل اذا يغشى السورة فالاتقى ابو بكر رضي الله تعالى عنه والاشقى امية بن خلف قال الامام فخر الدين اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر وذهب الشيعة الى ان المراد به علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه و يرده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي الله تعالى عنه لانه كان في تربية النبي صلي الله عليه وسلم أي كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها أي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف ابي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا فتعين حمل الآية على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فيلزم من ذلك ان يكون ابو بكر بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق لان الله تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل و بين ذلك الفخر الرازى بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر واما علي فلا يمكن حمل الآية على علي لما تقدم فتعين حملها على ابي بكر وذكر بعض اهل المعاني اى المبينين لمعاني القرآن كالزجاج والفراء والاخفش ان المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فاوقع افعل التفضيل موضع فعيل فهو عام في امية بن خلف وابي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي بخل واستغنى المراد به ابو سفيان لانه كان عاتب ابا بكر في انعامه واعتاقه وقال له اضعت مالك والله لا تصيبه ابدا وقيل المراد به امية بن خلف ولما بلغ

ينادى على منابر الامصار ثاني اثنين اذهما في الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضى الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في ابى بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا اسمع فقال وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت وعن ابى بكر رضي الله عنه انه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لاتحزن بكى ابو بكر رضي الله عنه وقال والله انا صاحبه وقال ابو الدرداء رضى الله عنه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر رضى الله عنه فقال ياأبا الدرداء تمشي أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فوالذى نفس محمد بيده ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يامرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضى الله عنه حب أبي بكر واجب على أمتي قال بعضهم وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معى ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى انه لايزول عن الخاطر لشدة التعلق به اولانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن لاحتياج اليه او لتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معى ربى ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضي الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال معنا لانه امد الصديق رضى الله عنه بنوره فشهد سر المعية

النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر اشترى بلالا قال له الشركة ياابا بكر فقال قد أعتقته يارسول الله أي لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عزوجل فدعني لله فاعتقه هذا وذكر ان للنبي صلى الله عليه وسلم اتي أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال لو كان عندنا مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضى الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الي أبى بكر أي ملكه له فاعتقه فليتامل الجمع بين هذا وماتقدم * وقد اشتري ابو بكر رضي الله تعالى عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى حتى لايدرى مايقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم أبو فكيهة كان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم بلال فمر به ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقد أخذه أمية ابو صفوان واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأخو أمية يقول له زده عذابا حتى ياتي محمد فيخلصه بسحره واشتراه ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم امراة وهي زنيرة زاى فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتي عميت قال لها ابو ما ابوجهل ان اللات والعزى فعلا بك ماترين فقالت له كلا والله لاتملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا امر من السماء وربي قادر على ان يرد على بصري فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالي عليها بصرها فقالت قريش ان هذا من سحر محمد صلى الله عليه وسلم فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه واعتقها اي وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية ام عنيس بالنون او الباء الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ولم يصفها بانها بنت زنيرة فاشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه واعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امراة يقال لها لطيفة وكذا اخت عامر بن فهيرة اوامه كانت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل ان يسلم فقد جاء ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه مر على عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه وهو يعذب جارية اسلمت استمر يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم اتركك حتي مليت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفي السيرة الشامية وصفها بانها جارية بني المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة فجملة هؤلاء تسعة * وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية فاشترته ام انمار اي وكان قينا اى حدادا وكان صلي الله عليه وسلم يالفه وياتيه فلما اسلم واخبرت بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها على راسه فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته راسها فكانت تعوى مع الكلاب فقيل لها اكتوى فكان خباب ياخذ الحديدة وقد احماها فيكوى راسها وفي البخاري عن خباب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شدة فقلت يارسول الله الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب مايصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق راس احدهم فيشق مايصرفه

ذلك

ومن ثم سرى سر السكينة الي أبي بكر رضي الله عنه والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود اذ ليس في طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية في قصة موسي عليه السلام ومعية الالوهية في قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه في قصة موسي قال ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والاصلاح وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلي الله عليه وسلم مع ابي بكر رضى الله عنه في الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما في الغار عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو غلام شاب ثقف أي فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بامر يكادان به أي يطلب لهما فيه المكروه الا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة رضى الله عنه مولي ابي بكر رضي الله عنه يرعى غنما لابى بكر رضى الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك في كل ليلة من الليالى الثلاث وكان عامر رضى الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان ممن يعذب في الله فاشتراه ابو بكر رضى الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات ان اسماء رضي الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضي الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفي رواية الزهري حتي اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما

ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالي هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه قال وعن خباب رضي الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا لى نارا ووضعوها على ظهرى فما اطفاها الا ودك ظهرى أى دهنه * وممن فتن عن دينه فثبت عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفى كلام ابن الجوزى كان صلي الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر بيده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كانت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص أى صار أثر النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بان النار تكون بردا وسلاما عليه * وعن أم هانىء رضى الله تعالى عنها ان عمار بن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله تعالى عنهم كانوا يعذبون في الله تعالي فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة أي وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب واعطيت سمية لابي جهل أى أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها في قلبها فماتت أى بعد ان قال لها آمنت بمحمد صلي الله عليه وسلم الا لانك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة في قلبها حتى قتلها فهى أول شهيد في الاسلام انتهى أى وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف فنزل قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمار بن ياسر قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار * قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبواه مؤمنا الا هو أى من المهاجرين فلا ينافي ان بشر بن البراء بن معرور الانصارى حضر بدرا وأبواه مؤمنان * ومما أوذى به ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما ابتلى المسلمون بادي المشركين أى وحصروا بنى هاشم والمطلب في شعب ابي طالب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وهي الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضي الله تعالي عنه مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع باقاصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة أميال أى وفي رواية حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة أى وهو اسمه الحرث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها قال أين تريد يا أبا بكر قال أبو بكر أخرجني قومي فاريد أن أسيح في الارض فاعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف قريش وقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق وهو في جوارى فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أي ولم ترد جواره وقالوا لابن الدغنة

وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه ابو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فاخذ بهم طريق الساحل وفي رواية فاجازها أسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضي الله عنه اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك يقول هاد يهديني الطريق وكان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الاسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبي

صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه وكان كل من لقيهما يعرف ابا بكر رضي الله عنه دون النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بكلام الا ويوري في كلامه ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه ألهِ الناس اي اشغل الناس عني اي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب أي ولو صورة كالتورية فكان ابو بكر رضي الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفي الصحيحين أنهم مروا بصخرة فنام النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ورأى ابو بكر رضي الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده ابو بكر رضي الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي معدودة من الصحابيات رضي الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم من مر بها وكان من القوم مرملين مسنتين اي مقحطين فطلبوا منها لبنا او لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شيء ما اعوزنا القرى فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد اي الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال اتاذنين لي ان احلبها

مرأ ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر رضي الله تعالى عنه فمكث ابو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش أي مع المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا أجرنا أبو بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان رأى ان يعلن بذلك فاسأله أن يرد الى ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك أى نزيل خفارتك اى ننقض جوارك ونبطل عهدك فاتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا أحب أن تسمع العرب اني اخفرت اى ازلت خفارتي في رجل عقدت له فقال له ابو بكر فاني أرد عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه ألا ترى ماصنع هذا السفيه فقال له أنت فعلت بنفسك فصار أبو بكر يقول رب ما أحلمك قال ذلك ثلاثا انتهى أي وفي كلام بعضهم وينبغي لك أن تتأمل فيما وصف به ابن الدغنة ابا بكر بين اشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ماهم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف أي اعتراف بان أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا ان يجحد شيأ منها والا لبادروا الي جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له * ومما يؤثر عنه رضي الله تعالى عنه صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر

﴿ باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم أشياء من خوارق العادات وغير العادات ليكف عنهم لما رأوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم أشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبارهم بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعما جاء به وحديث الزبيدى وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد أذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا ﴾

حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش أي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يامعشر قريش ألا أقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم واكلمه واعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا قالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي أخرى اشراف قريش

من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الي محمد حتي تعدروا فيه فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة انتهي فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان في النسب أي من الوسط أي الخيار حسبا ونسبا وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم انه قال له ايضا انت خير أم عبد الله انت خير أم عبد المطلب اي فسكت ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل نسمع لقولك لقد افضحتنا في العرب حتي طار فيهم ان في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا ماتريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتي نتفانا انتهى فاسمع منى اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد اسمع فقال يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالنا حتي تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتي لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اى فيصير لك الامر والنهى فهو اخف مما قبله وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال مافعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقرأها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلي الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ماسمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ماوراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني فاجعلوها الى خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد عليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد ﷺ واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ماجئناك الا انك قد صبوت الي محمد صلى الله عليه وسلم واعجبك امره فقص عليهم القصة فقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة مافهمت شيا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه

فقالت نعم بابي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا أى لبنا في الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمي الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط أى يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا أى حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقي القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل أي ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفي رواية قال لها ارفعي هذا لابي معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفي بعض الروايات أنها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة اخري وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملات سفرتهم منها وبقي اكثر لحمها عند أم معبد وبقيت الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر رضى الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه اكثم بن أبي الجون الخزاعى رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك قال السهيلى وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفى في حياته قال أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ماهذا يا أم معبد أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا أي رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أى كامل الحسن فى عينيه دعج وفي أشفاره وطف أي طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر فى عنقه سطع أى طول وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء كان منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر أجمل الناس اذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين

غصتين فهوانضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به أي يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا لامره محفود أي مخدوم محشود أي عنده قوم لاعابس ولا مفند أي ليس كثير اللوم فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته وفي رواية ولقد هممت أن أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ومازالت قريش تطلب النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسالوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه له فقالت ماادرى ماتقولون قدصادفني حالب الحائل فقالوا ذاك الذى نريده ثم اسلمت رضى الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودى في الوفاء هاجرت هى وزوجها واسلما وفي خلاصة الوفاء فخرج ابومعبد في اثرهم ليسلم فقال انه ادركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفى شرح السنة للبغوي هاجرت هى وزوجها واسلم اخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحق عن اسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما انها قالت لما خفى علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم ابوجهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يابنة ابي بكر فقلت والله لاادرى أين أبى فرفع أبوجهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة واحدة خرج منها قرطى ثم انصرفوا قالت ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل بعد ثلاث ليال وفي رواية خمس ليال يغنى باسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا على ابى قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزي الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد

فيالقصى مازوى الله عنكم * به من فعال لاتجارى وسودد

ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا اختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسالوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت

فاشدته الرحم ان يكف وقد علمت ان محمدا صلى الله عليه وسلم اذاقال شيالم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا والله ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ماقال قال والله ماسمعت مثله والله ماهو بالشعر الى آخر ماتقدم فقالوا والله سحرك ياباالوليد قال هذا رأيي فيكم فاصنعوا مابدا لكم انتهي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا أي اشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن زمعة والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابوسفيان والنضر بن الحرث وأبوجهل * وفي الينبوع أتى الوليد بن ربيعة في اربعين رجلا من الملأ أى من السادات منزل ابي طالب وسلوه ان يحضر لهم رسول الله ﷺ ويامره باشكائهم مايشكون منه اي ان يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى أمر فيه الالفة والاصلاح فاحضره وقال يا بن أخى هؤلاء الملا من قومك فاشكهم وتالفهم فعاتبوا النبى صلى الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم واحلام آبائهم وعيب آلهتهم الحديث أي قالوا له يامحمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ماادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق أمر قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتي تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذى ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طبك وفي رواية أنهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم بجاءهم مسرعا طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ماجئت بماجئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على اصبر لامر الله تعالي حتى يحكم الله بيني وبينكم * وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون به اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويكف عن شتم الهتهم ولايذكرها بسوء فقد ذكر ان عتبة بن ربيعة قال له ان كان انما بك الباه فاختر أى نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع الي ديننا واعبد الهتنا واترك ماانت عليه ونحن نتكفل لك بكل ماتحتاج اليه فى دنياك واخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها اصلاح قال وماهي قال تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذى تعبده خيرا مما نعبد كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي نعبد خيرا مما تعبد كنا قد اخذنا منه بحظنا فقال لهم حتي انظر ماياتي من ربى فجاء الوحى بقوله تعالى قل ياايها الكافرون لااعبد ماتعبدون ولا انتم عابدون مااعبد ولا انا عابد ماعبدتم السورة * وعن جعفر الصادق ان المشركين قالوا له اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا الهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت أى لااعبد ماتعبدون يوما ولا انتم عابدون مااعبد عشرة ولا انا عابد ماعبدتم شهرا ولا انتم عابدون مااعبد سنة روي ذلك التقدير جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قال له طعنا في القران

له بصريح ضرة الشاة مزبد * فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد قالت أسماء رضي الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول وتغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغناء ولما بلغت ابيات الهاتف اهل المدينة من الانصار رضي الله عنهم قال حسان رضي الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليه و يغتدي ترحل عن قوم فضلت عقولهم (٣٤١) وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم
وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا
عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب
ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله
و يتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب
فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده
بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة الى مدلج ابن مرة ابن مناة ابن كنانة فهو حجازي * وسبب تعرضه لهما ما رواه البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه دية اي في كل واحد منهما لمن قتله اواسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج اذ اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة اني قد رأيت انفا أسودة بالسواحل أراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فامرت

لو قال امرؤ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وكرر ذلك اربع مرات في نسق اما كان عيبا فكيف وقع في القرآن قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا انزل لما كرهتموه القرآن قالوا ائت بقرآن غير هذا فانزل الله تعالى ولو تقول علينا الآيات وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي الآية ثم رأيت في الكشاف ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاصنام والوعيد الشديد قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله الآية قال وجلس أي صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة أي وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم أليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون بما أقول بأسا فيقولون لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين وهو ممن أسلم بمكة قديما والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يارسول الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه انتهى أي وفي رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قائد ابن أم مكتوم بان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك السورة أي والمجيء مع العمى ينشأ عن مزيد الرغبة وتجشم الكلفة والمشقة في المجيء ومن كان هذا شانه فحققه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه قال وبهذا يسقط ما للقاضي ابي بكر بن العربي هنا انتهي اقول لعل الذي له هو ما ذكره تلميذه السهيلي وهو ان ابن أم مكتوم لم يكن اسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل في الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم استدنني يا محمد ولم يقل استدنني يارسول الله ولعل في قوله تعالى لعله يزكى يعطي الترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجي والانتظار للتزكي هذا كلامه * وعن الشعبي قال دخل رجل على عائشة رضي الله تعالى عنها وعندها ابن أم مكتوم وهي تقطع له الاترج وتجعله في العسل وتطعمه فقيل لها في ذلك فقالت مازال هذا له من آل محمد منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله اعلم * وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة اسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان ابا جهل قال يا محمد ان اخرجت لنا طاوسا من صخرة في داري امنت بك فدعا ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كانين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوتة ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك ابو جهل اعرض ولم يؤمن * ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الآيات غير المعينات على ما رواه

جاريتي ان تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت * قال أبو بكر رضي الله عنه تبعنا سراقة ونحن في جلد من الارض فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفي رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفى رواية الى بطنها فطلب الامان وفى رواية انه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج مايكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالامان قال وكنت ارجو ان ارده فاخذ المائة الناقة وروى فى بعض التفاسير انه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الارض وجاء في رواية ان سراقة لما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم صاح وقال يامحمد من يمنعك مني اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يامحمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأرض خذيه فاخذت الارض ارجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يامحمد الامان لو انجيتني لاكونن لك لا عليك فقال ياأرض اطلقيه فاطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال انا سراقة انظروني أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وانا اعلم ان قد دعوتما علي فادعوا لي وفى رواية قد علمت يامحمد ان هذا من دعائك فادع الله أن ينجيني مما انا فيه ولكما ان أرد الناس عنكما ولا أضركما وفى رواية لابن

الشيخان اومعينة كما في رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسياتي ويعلم منه انهم سالوه صلى الله عليه وسلم اولا آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة وقد ذكر ابن عباس ان قريشا سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية اي وفي رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون اي بمنى منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر بن الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابى قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه الآخر بالمغرب وكانت ليلة اربعة عشر اى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوا فانشق القمر نصفا على ابى قبيس ونصفا على قيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التى كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتى كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جاء في رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظرون اليه ثم غاب أى ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا فمعجزة أخرى لان القمر ليلة أربعة عشر يستمر جميع الليل وسياتى عن زين المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين في بعض الروايات التى اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي وقال انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان اصل وضعها الافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة فى زمانين من له خبرة باحوال الرسول ﷺ وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة اى وهو ابو كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لان وهب بن عبد مناف بن زهرة جد أبي امنة يكنى ابا كبشة اوهو من قبل مرضعته حليمة لان والدها اوجدها كان يكنى بذلك اوكان لها بنت تسمى كبشة فكان زوجها الذي هو أبوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم فى الرضاع وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم قال حدثني حاضن ابو كبشة انهم لما ارادوا دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلوق ففتحوه فاذا سرير وعليه رجل وعليه حلل عدة وعند رأسه كتاب انا أبو شهر ذو النون ماوى المساكين ومستفاد الغارمين أخذني الموت غصبا وقد اعيي الجبابرة قيل قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هذا هو سيف بن ذي يزن الحميرى وقيل أبو كبشة جده صلى الله عليه وسلم لان ابا ام جده عبد المطلب كان يدعى أبا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعري وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك لي ان له في مخالفته سلفا وقيل الذى عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به فى مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما قد يؤيد هذا الاخير ما فى الاتقان حيث مثل بهذه الآية للنوع المسمي بالتنكيت وهو ان يخص المتكلم شيا من الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو سبحانه وتعالي رب كل شيء

عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدرى لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع ورادهم عنكم قال فوقفا لي ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما وعاهدهم ان لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني أي لم ينقصاني مما معي شيا وفي رواية قال هذه كنانتي فخذ منها سهما فانك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في ابلك ودعا له وفي رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية ولم يسالاني شيا الا ان قالا أخف عنا قال فسالته ان يكتب لي كتاب أمن فامر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة من اديم وفي رواية قال سراقة اني لاعلم ان سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك يوم ملكك تكرمني فامر عامر بن فهير فكتب له وفي رواية لانس رضى الله عنه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا فكان اول النهار جاهدا على نبي الله وآخر النهار مسلحة له أي حارسا له بسلاحه وفي رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظري بالطريق وبالاثر قد استبرأت لكم فلم أر شيئا فرجعوا * وجاء في الحديث من تمام القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وفي رواية اذا تسورت بسواري كسرى قال كسري بن هرمز قال نعم نعم فعجب من ذلك فلما أتي بهما في خلافة عمر رضي الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضي الله عنه قد سمع بوعد النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبي بكر

شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا حلفا لي عبادتها فانزل الله تعالى وأنه هو رب الشعري التي ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش ليس من لفظه فقال رجل منهم أن محمدا ان كان سحر القمر أي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها أي جميع أهل الارض وفي رواية لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسالوا من ياتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وفي رواية أن أبا جهل قال هذا سحر فاسالوا أهل الآفاق وفي لفظ انظروا ما ياتيكم به السفار حتى تنظروا اهل رأوا ذلك أم لا فاخبروا أهل الآفاق وفي لفظ فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروهم انهم رأوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أي مطرد فهو اشار الي ذلك والى ما قبله من الآيات وفي لفظ قالوا هذا سحر أسحر للسحرة فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أي مطرد كما تقدم أو محكم او قوي شديدا وما رداهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفي يدل على أنه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل جميع أهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بانه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام وفي فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث * اقول والي انشقاق القمر أشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد * ر ومن شرط كل شرط جزاء

أي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة أربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره ﷺ جوزي على ذلك باعظم مثانة له في الصورة وهو شق القمر الذى هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القران وقد اشار الى ذلك ايضا الامام السبكي في تائيته بقوله

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما * أرادت قريش منك اظهار آية

أي فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم انشقاق القمر الذى هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع أي فقد سالوه اولا آية غير معينة ثم عينوها * وفي الاصابة عن بعضهم قال وانا ابن تسع عشرة سنة سافرت مع ابي وعمي من خراسان الي الهند في تجارة فلما بلغنا اوائل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج اهل القافلة نحوها فسالناهم عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من اهل تلك الضيعة فلما رأونا رحبوا بنا فرأينا زنبيلا معلقا في بعض اغصان تلك الشجرة فسالناهم فقالوا في هذا الزنبيل الشيخ زين الدين رأي رسول الله ﷺ ودعا له بطول العمر ست مرات فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة سنة فسالناهم ان ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه

رضي الله عنه فدعا بسراقة فالبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بني مدلج ورفع عمر رضي الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين * ومما جيء به لعمر رضي الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا اعدمت الزهور فقطع عمر رضي الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فاصاب

فتقدم شيخ منهم فانزل الزبيل فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ في وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على أذنه وقال ياجداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سالوا ان تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع ابي وانا شاب من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملا الاودية فرأيت غلاما حسن الشمائل يرعى ابلا في تلك الاودية وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشي من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الي وقال لي بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك فتركته ومضيت الى حال سبيلي الى ان قضينا حاجتنا من تلك البلاد ثم عدنا الي بلادنا وتطاولت المدة ففي ليلة ونحن جلوس في ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر في كبد السماء اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب وأظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب الى أن التقيا في وسط السماء كما كان أول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسألنا الركبان عن سببه فاخبرونا ان رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى انه رسول الله الى كافة العالم وان أهل مكة سالوه معجزة واقترحوا عليه ان يامر لهم القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسالت عنه فدلوني على موضعه وأتيت الى منزله واستاذنت فاذن لي في الدخول فدخلت عليه فلما سلمت عليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست وأكلت من الرطب وصار يناولني الي ان ناولني ست رطبات ثم نظر الي وتبسم وقال لي ألم تعرفني قلت لا فقال ألم تحملني في عام كذا في السيل ثم قال امدد يدك فصافحني وقال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر أي وقال عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله لي في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم ستمائة سنة أى في المائة السادسة مشرف على تمامها تامل * وسئل الحافظ السيوطي عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذي رواه معمر الذي يزعم انه صحابي وانه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات وقال له عمرك الله يامعمر فعاش بعد ذلك أربعمائة سنة ببركة الضربات التي ضربها بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد أن صافحه من صافحك الى ست أو سبع لم تمسه النار هل هو صحيح أم هو كذب وافتراء لا تجوز روايته فاجاب بانه باطل وان معمرا هذا كذاب دجال لانه ثبت في الصحيح انه ﷺ قال قبل موته بشهر أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد وقد قال أهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم ان آخر الصحابة مطلقا موتا أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ثبت ذلك في صحيح مسلم واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبي الطفيل فهو كذاب * ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الآيات المبينات ما حدث به بعضهم قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا

عليا رضي الله عنه قطعة باعها بخمسين ألف دينار * وفي القصة أيضا انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته قال سراقة فلم أذكر شيئا مما كان حتي اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتي دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يارسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت وفي رواية عن سراقة رضى الله عنه بلغني انه يريد أن يبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى قومي فاتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك اسلموا والا أمنت منهم فاخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اسلمت قريش اسلموا معهم فانزل الله تعالى الا الذين يصلون الي قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم * قال ابن اسحق وليخرق

ولما بلغ ابا جهل ما لقي سراقة لامه في تركهم وفي رواية ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فانكر انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلازال به ابو جهل حتي اعترف فاخبرهم بالقصة فلامه ابو جهل في تركهم فانشد سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا

رسول ببرهان فمن ذا يقاومه عليك بكف مقدم عنه فانني اري امره يوما ستبدو معالمه وأما قصة سراقة
اطماع فساخ به جواده فانثني للصلح مطلبا وقال صاحب الهمزية فاقتفى أثره سراقة فاستهوته فى الارض صافن
جرداء ثم ناداه بعد ماسيمت الخسف وقد ينجد الغريق الدعاء ﴿واجتاز صلى الله عليه وسلم﴾ فى طريقه ذلك

بعبد يرعى غنما فاستسقاه ابو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غيران ههنا عناقا

وليخرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصى ابن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول احق هو ام باطل قال زاد فى رواية فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله تعالى وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مابهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله مما بعثني به اه ثم قالوا له واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك اى وفى لفظ قالوا لهم لا ينزل علينا الملائكة فتخبرنا بان الله أرسلك او نرى ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر يا محمد لن نؤمن لك حتي تاتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه أى فلا بد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا اى وفى لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نحن نأكل ويمشى فى الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسأل ربه هذا () وانزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الاسواق ولما قالوا الله أعظم ان يكون رسوله بشرا مثلنا انزل الله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس ثم قالوا او اسقط السماء علينا كسفا اى قطعا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل وقد بلغنا انك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن ابدا أي وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو اى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب اى توبتى ورجوعى () وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها وقال له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل ان يسلم رضى الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تاتي معك بصك اليك اي كتاب معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله انك لو فعلت ذلك ماظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الآيات هذه المقالات فى سورة الاسراء وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيه جميع ماسألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استاصلهم بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ماسألوه فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن محمد بن كعب ما حاصله ان الملأ من قريش اقسموا للنبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله تعالى ان يعطيهم ما سألوه فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوما باية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا امرت بتعذيبهم وفيه انه حينئذ يشكل رواية سؤالهم انشقاق القمر وفى رواية اتاه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول ان

حملت عام اول وما بقي لها ابن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى ابابكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من انت فوالله ما رأيت مثلك قال او تراك تكتم على حتي اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال انت الذى تزعم قريش انه صابىء قال انهم ليقولون ذلك قال اشهد انك نبي وان ماجئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فائتنا ومما وقع لهم في الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا

الزبير رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه فكساهما ﴿وأخرج البيهقي﴾ عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت فى سبعين من بني سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من انت قلت بريدة قاليفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن انت

قلت من اسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة واسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذي اسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما اصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشي بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة ايام وهي المدة الزائد على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم واحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اى محل مرتفع من اطامهم اى من معالمهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اى لابسين ثيابا بيضا وهي التي كساهم اياها الزبير وطلحة في الطريق فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامعشر العرب وفي رواية يا بني قيلة وهم الانصار وامهم تسمي قيلة هذا جدكم اى حظكم الذى تنتظرونه وفي رواية لما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من اهل البادية الى ابي امامة اسعد بن زرارة واصحابه من الانصار ولا مانع من الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع ابي بكر رضي الله عنه في ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما ادخلا امنين مطمئنين وفي رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا امنين مطاعين فعدلا ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه

شئت ان يصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين شئت ان لا نصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وايضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك جهل لانه خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن اعرض عنه اذمع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وايضا لم يسألوا ماسالوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة لاسترشاد ودفع الشك والى سؤالهم تلك الآيات وارتيابهم في القرآن وقولهم فيه انه سحر وافتراء أى سحر ياسره أي ياخذه عن مثله وعن اهل بابل يفرق به بين المرء واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر من قول ابي اليسر وهو عبد ابني الحضرمي كان النبي ﷺ يجالسه والى قول ابي جهل ايضا تزاحمنا نحن وبنو اعبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا امنا نبي يوحي اليه والله لا نرضى به ولا يتبعه أبدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله والى هذا اشار صاحب الهمزية بقوله عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء

والذى يسألون منه كتاب * منزل قد اتاهم وارتقاء

أى اعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقرآن الذى فيه اهتداء للعقول واعجب عجبا ايضا من الامر الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل معه عليهم من السماء وهو القرآن

اولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء

اعجز الانس آية منه الجن * فهلا ياتي به البلغاء

كل يوم يهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء

تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء

رق لفظا وراق معنى فجاءت * في حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء

انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه اشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء

كم ابانت آياته عن علوم * من حروف ابان عنها الهجاء

فهي كالحب والنوي اعجب * الزراع منها سنابل وزكاء

فاطلوا فيه التردد والريب * فقالوا سحر وقالوا افتراء

وسمي سعد كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم اسلم رضي الله عنه وتوفي
قبل غزوة بدر بيسير وقيل اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يانجيح لغلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه نجحت ياأبابكر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع
اصحابه في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول

واذا البينات لم تغن شيئا * فالتماس الهدى بغير عناء
واذا ضلت العقول على علم * فماذا تقوله الفصحاء

اى اولم يكفهم عما سالوه عنادا ذكرو اصل اليهم حالة كونه من الله تعالى رحمة وشفاء للناس والجن والملائكة اعجز الانس والجن آية منه فهلا ياتى بتلك الآية اهل البلاغة كل وقت يهدى قراؤه الى سامعيه معجزات من لفظه ولذلك تنجلي بسماعه المسامع من التحلية التى هي لبس الحلي وتتحلى بالفاظه الافواه من الحلواء فهو الحلي والحلواء حسن من جهة اللفظ وتصفى من شوائب النقص من جهة المعنى فاردتنا رقة من زلاله وصفاء من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهى العلوم المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلاء الاصداء عن تلك المرآة سور منه أشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القرآن كالصور التي يصورها المصورون فانه لا وجود لها في الحقيقة فما قالوه في القرآن باطل قطعى البطلان فاحذر الخطباء ان توقع في وهمك ان ما ناتي به يقارب القرآن كم اوضحت اياته علوما حالة كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجى كالحب الذى يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغارس اعجب الزراع والغراس منها اي من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار ونموا فاق الحصر فاطالوا فى تلك السور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة اخرى اساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيأ من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيا واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها بتلك الطرق فاي قول يقوله الفصحاء اى وقال الوليد بن المغيرة يوما اينزل القرآن على محمد واترك انا وانا كبير قريش وسيدهم ويترك ابو مسعود الثقفى سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين أى مكة والطائف فانزل الله تعالى وقالوا لولا أى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي اعظم واشرف من محمد ﷺ فرد الله تعالى عليهم بقوله اهم يقسمون رحمت ربك الآية وفي لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة او عروة بن مسعود الثقفي من اهل الطائف ثم لا يخفى ان قريشا بعثوا من النضر بن الحرث عقبة ابن ابى معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سالاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اى التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار يهود أى قالا لهم اتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن يتبعه منكم قالوا اسفلتنا فضحك نفر منهم وقالوا هذا النبي الذى نجد نعته ونجد قومه اشد الناس له عداوة قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يقبل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول اى وهم أهل الكهف ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها اى وهو ذو القرنين ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ماهى فاذا اخبركم بذلك اى بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من امر الله فاتبعوه فانه نبى فرجع النضر

من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل ابو بكر رضي الله عنه على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد رضى الله عنه * ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة امر عليا رضى الله عنه ان يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام على كرم الله وجهه بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات تؤدي اليه أمانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم ايمن وولدها ايمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان على رضي الله عنه فى طريقه يسير الليل ويكمن النهار حتى تقطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكي رحمة لما بقدميه من الورم ونقل فى يديه وأمرها على قدميه فلم
يشتكيهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على رضي الله عنه مع وجود ما يركبه لانه يجوز ان يكون هاجر ماشيا رغبة في عظيم الاجر
وسري السرور الى القلوب بوصول النبي صلي الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضى الله عنهما ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء
منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أي الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة

رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داعى ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع ﴿ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ قام ابو بكر رضى الله عنه للناس وابو بكر شيخ أى شيبه ظاهر وان كان النبي صلى الله عليه وسلم اسن منه فطفق ما جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رضى الله عنه فيعرف بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر رضى الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يرد ان تظلل الغمام يعني عن تظلل ابي بكر رضى الله عنه لان ذلك كان قبل البعثة ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل احد وقوع ذلك بعد البعثة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة واسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذى اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزلت فيه الآية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما فى احاديث صحيحة وجمع بعضهم بان كلا منهما يسمى المسجد الذي اسس على التقوي ﴿وروى الطبرانى﴾ عن الشموس بنت النعمان رضى الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم واسس مسجد قباء فرأيته ياخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فياتي الرجل من اصحابه فيقول يا رسول الله بابى انت وامي أكفيك فيقول لا حتي أسسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر

وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرف فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل اربعة ايام لا ياتيه الوحي وتكلمت قريش فى ذلك بما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه أى ومن جملة من قال ذلك له صلى الله عليه وسلم ام جميل امرأة عمه ابي لهب قالت له ما ارى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك اى تركك وبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش ابطا عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف ويروى انهم يكونون مع عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين أى وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان له شبه القرنين فى رأسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها اى بلغ قطرى المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن رأسه فمات ثم احيي ثم ضرب على قرنه الآخر فمات ثم احيى وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس والقرن زمان مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من اهل مصر من ولد يونن وفى لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وزيره الخضر صاحب لوائه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك فى سورة الاسراء وهو ان الروح من امر الله اى قل لهم الروح من امر ربى أي من علمه لا يعلمه الا هو أي وكان فى كتبهم ان الروح من امر الله اى مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه ومن ثم جاء في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بان اجابكم عنها بانها من امر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جاء فى بعض الروايات سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي ﴿اقول﴾ اذا كان فى كتبهم حقيقة الروح مما استاثر الله تعالى بعلمه كيف يسالونه فيخبرهم بذلك الا ان يقال المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي فانه يحاول ان يخبركم عن حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما فى ماثور التفسير من امر ربي من علم ربي لا علم لي به وفى بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سلوه عن الروح التي نفخ الله تعالى في آدم فان قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله فى النار شيا هو منه وحاصل الجواب الذي اشارت اليه الآية ان الروح امر بمعني مامور أي مامور من ماموراته وخلق من خلقه لا أنها جزء منه والله اعلم اى وهذا يدل على ان المسئول عنه روح الانسان التى هى سبب فى افادة الحياة للجسد وفى كلام الامام الغزالى رحمة الله تعالى ان الروح روحان حيوانى وهى التى تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخارى معتدل سارى البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوي الجسمانية وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت وروح روحاني وهى التي يقال لها النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس

أبي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلي فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم ذلك فقال ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه اى بعد الاستنجاء بالاحجار وفي رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد في رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماش وراكب ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين اراد الخروج من قباء يا رسول الله أخرجت ملالا لنا او تريد دارا خيرا من دارنا قال انى امرت بقرية تأكل القرى اى تغلبها وتقهرها والمراد ان اهلها يفتحون القرى فيأكلون اموال تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم ثم ادركته صلاة الجمعة في مسجد بني سالم بن عوف وهو المسجد الذي في بطن الوادي على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمي مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهي اول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بها وهي اول خطبة خطبها في الاسلام ومن خطبة صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع ان يقي وجهه من النار

النفس الحيواني وهذه الروح لا تفني بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا كلامه * وفي كلام بعضهم والروح عند اكثر السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا فارق البدن مات وذهب جمع منهم الغزالي والامام الرازي وفاقا للحكماء والصوفية الى انه جوهر مجرد غير حال بالبدن يتعلق تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله اهو ورأيت في كلام الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها لينظر المسلمين فسأل عن العلماء فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندي فقال له الهندي ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من انباكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذي قال في الروح قال هو من أمر ربي فقال صدقتم فاسلم وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بني آدم او ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم قلت كذا في هذه الرواية انهم سألوه أي مشركو مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على ان السؤال عن الروح ونزول الآية كانت بالمدينة أي من اليهود هذا كلامه وفيه انه سيأتي جواز تكرار السؤال وتكرر نزول الآية الى آخر ما يأتي وبه يعلم الاتقان حيث تعقب قول بعضهم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سألوه عن الروح وعن ذي القرنين بقوله قلت السائل عن الروح وذي القرنين مشركو مكة أو اليهود كما في اسباب النزول لا الصحابة وفي الاتقان قد يعدل عن الجواب أصلا اذا كان السائل قصده التعنت نحو ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قال صاحب الافصاح انما سأل اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان القرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة فقصد اليهود ان يسألوه صلى الله عليه وسلم فباي مسمي أجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفي سورة الكهف أيضا آية ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت اذا اردت ان تقول سافعل شيئا فيما يستقبل من الزمان تقول ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت تأتي بها فاذكرها بعد النسيان كذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس اى وظاهره وان طال الفصل وفي الخصائص الكبري ان هذا أي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثني اى يأتي بالمشيئة الا في صلة يمينه ﴿اقول﴾ كان ينبغي أن يقول في صلة أخباره لان مساق الآية في الاخبار لا في الحلف فان قيل هي عامة في الخبر والحلف قلنا كان ينبغي ان يقول حينئذ في صلة كلامه وحينئذ يقتضي كلامه انا نشاركه في الخبر دون الحلف والله أعلم ثم لا يخفى انه قيل بسبب احتباس الوحي انه لم يقل ان شاء الله تعالى وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل في احتباسه قال اما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب اى فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا يأتيني قالت فقلت في نفسي كنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا * اقول قال ابن كثير قد ثبت في الحديث

ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزىء الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته
وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى المدينة وهو مردف أبا بكر
رضي الله عنه خلفه اكراما له والا فقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم ارخى لناقته زمامها وهي تنظر يمينا وشمالا وكلما
مر على دار من دور الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني

ناقته فانها مامورة وفي ذلك حكمة بالغة هي ان يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك في صدر احد منهم شيا ولما مر على بني سالم بن عوف ساله منهم عتبان ابن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العز والثروة والمنعة وفي رواية أنزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة اى السلاح ونحن أصحاب الحلائف والدرج كان الرجل من العرب يدخل هذه الهجرة خائفا فليجا الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة أي محلتهم فساله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم فاجابهم بانها مامورة خلوا سبيلها

حتى وردت دار بني ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وابو دجانة فساله بنو ساعدة بمثل ذلك يقول
فاجابهم بخلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت حتى مرت بدار بني النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم اى اخوال جده عبد المطلب
فساله بنو عدي بن النجار بمثل ما تقدم وفي رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع
القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يارسول الله ليس احد من قومك اولى بك منا لقرابتنا فاجابهم بمثل ما تقدم وبانها مامورة فانطلقت حتى بركت

المروي في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد أورد بعض الزنادقة سؤالا وهو اذا كانت الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة أي صورة التماثيل التي فيها الارواح يلزم ان لا يموت من عنده كلب أو صورة وان لا يكتب عمله واجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافي دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله اعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد كان قبل ذلك يرد السائل بقوله آتاكم الله من فضله اى وربما سكت فقد روى الشيخان ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك انه لا ينطلق بالرد بل ان كان عنده شيء اعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جاء انه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا قط أي ما شافهه بالرد وقد حكي بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله استغفر لي فسكت فقلت يارسول الله ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيا قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لي اى فكان ياتي بالاول حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار على السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن انس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان اطلق كل اسير واعطى كل سائل وبين الشيخ ابن الجوزي في النشر سبب الحاح هذا السائل فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدى اليه قطف عنب قبل اوانه فهم ان يأكل منه فجاءه سائل فقال اطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله واعطى اياه فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السائل فساله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق غريب جدا وهو معضل * وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك الغير ان جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تاخذون شعوركم ولا تستاكون * اقول واختلاف هذه الاسباب ظاهر في ان الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله نزلت أي آية سورة الضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما قلى اى ما قطعك قطع المودع وما ابغضك لانه يجوز ان يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن أن يقال يجوز أن تكون الواقعة واحدة وتعددت اسبابها ولا ينافيها اخبار جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما ذكر معه وتارة بان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر ربك كما ياتي قريبا وكما سياتي في قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية اى ما ودعك ربك وما قلى غريب فالمعتمد ما في الصحيح هذا كلامه * أقول ومما يدل على ان واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير ان هذا الجرو كان للحسن والحسين رضي الله عنهما وما رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة ان ياتيه فجاءت تلك الساعة ولم ياته فيها قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو

بمحل من محالهم وذلك في محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بني مالك ابن النجار وكان ذلك الموضع الذي بركت فيه مربد السهل وسهيل ابني رافع بن عمرو والمربد الموضع الذي يجفف فيه التمر وقيل كل شيء حبست فيه الابل أو الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي أيوب خالد بن زيد الانصاري وهو من بني مالك بن النجار ثم سارت وبركت في مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ ابن حجر أشارت الى انه منزله حيا وميتا والقت (٣٥١) جرانها بالارض يعني باطن عنقها وازرمت يعني صوتت من غير أن تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو ايوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار اوسط دور الانصار وأفضلها وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام فاكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفي رواية انها استناخت به اولا فجاء ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعث حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها وقال رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين اربع مرات وأخذه الذي كان ياخذه عنده الوحي وسري عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فاتاه ابو ايوب فقال ان منزلي اقرب المنازل فاذن لي ان انقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة في ظلاله فلما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فاخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده قال ابو ايوب رضي الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو وفي رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وام ايوب في العلو فقلت يا نبي الله بابي انت وامي اني اكره واعظم ان اكون فوقك وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل فقال يا أبا ايوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت

يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له رسول الله ﷺ وعدتني فجلست لك ولم تات فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي زيادة الجامع الصغير أتاني جبريل فقال لي اني كنت اتيتك البارحة فلم يمنعني ان أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه الا انه كان على الباب تماثيل وكان في البيت ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فامر صلى الله عليه وسلم برأس التمثال الذي في البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وامر بالستر فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطآن وامر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجيء جبريل له صلى الله عليه وسلم اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم فليتامل * ولما نزلت السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم أيضا وكان ذلك سببا للتكبير في افتتاح السور التي بعدها وفي ختمها الى آخر القرآن وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه انه قرا كذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ابتداء التكبير من أول الم نشرح لا من أول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير في الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بانه كبر في اول السورة المذكورة والرواية الاخرى انه كبر في آخرها ومما يدل على ان التكبير اول سورة الضحي ما جاء عن عكرمة بن سليمان قال قرأت على اسمعيل بن عبد ربه فلما بلغت الضحى قال كبر فاني قرأت على عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة فلما بلغت والضحي قال لي كبر حتى تختم واخبرني ابن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي ان النبي ﷺ امره بذلك قال بعضهم حديث غريب ونقل عن أمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال لآخر اذا تركت التكبير اي من الضحي الى الحمد في الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اي التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف * وقد ذكر الشيخ ابو المواهب الشاذلي عن شيخه ابي عثمان انه قال انما نزلت سورة الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك فحدث اشارة الى ان من حدث بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كانه تعالى يقول اذا حدثت بنعمتي ونشرتها بين عبادي فقد شرحت صدرك وعن ابن اسحق ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا وفي لفظ ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة رآها * واما حديث الزبيدي فقد حدث بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن فلما خلوت الى أم ايوب يعني زوجته قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا انا ولا ام ايوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفي رواية ان ابا أيوب انتبه ليلا فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا وباتوا في جانب زاد في رواية فلقد انكسر اماحب فيه ماء فقمت انا وام

أيوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله

وسلم جالس في المسجد ومن معه من الصحابة إذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يامعشر قريش كيف تدخل عليكم المارة او يجلب اليكم جلب او يحل بضم الحاء أي ينزل بساحتكم تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم حتى انتهى الى رسول الله ﷺ في اصحابه فقال له صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكرانه قدم بثلاثة اجمال خيرة الهأي احسنها فسامه بها ابوجهل ثلث اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال ما كسد على سلعتي فظلمني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم واين اجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام اصحابه فنظروا الى الجمال فراى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى الحقه برضاه واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وافضل بعير اباعه واعطى ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبوجهل جالس في ناحية من السوق ولم يتكلم ثم اقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك ياعمرو ان تعود لمثل ماصنعت بهذا الرجل فترى مني ماتكره فجعل يقول لا اعود يامحمد لا اعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على ابي جهل امية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما ان تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رايتم مني لما رايته رايت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان اباجهل كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل فمشي معه اليه ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان اعطيه لطعنني واما حديث المستهزئين فمما استهزيء به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم ان اباجهل بن هشام ابتاع من شخص يقال الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من ابي جهل استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لاقدرة له على ابي جهل اي بعد ان وقف على ناديهم فقال يامعشر قريش من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك الرجل يعنون رسول الله ﷺ اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع ابي جهل اي قال له ياابا عبدالله ان ابا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وانا غريب وابن سبيل وقد سالت هؤلاء القوم عن رجل ياخذ لي بحقي منه فاشاروا اليك فخذ حقي منه يرحمك الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رايت قال رايت عجبا من العجب والله ماهو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه ومامعه روحه فقال اعط هذا حقه فقال نعم

صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه فلما أصبحت قلت يارسول الله ما بت الليلة انا ولا ام أيوب قال لم ياأبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي فقال صلى الله عليه وسلم السفل أرفق بنا قلت لا يكون ذلك والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا زاد في رواية فلم يزل ابو ايوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وابو ايوب في السفل قال ابو ايوب رضي الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت انا وام ايوب موضع يده نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا او ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسالته فقال اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وانا رجل اناجي فاما انتم فكلوه فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لا ينافي ان الطعام كان ياتيه ايضا من غير ابي ايوب فقد ورد انه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام في بيوت ازواجه وان اول هدية دخلت عليه عليه الصلاة والسلام في بيت ابي ايوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ارسلت بهذه القصعة اليك امي فقال بارك الله فيك وفيها ودعا اصحابه

لا تبرح

لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اليه فعند ذلك قالوا لابي جهل ويلك مارأينا مثل ماصنعت قال ويحكم والله ماهو الا ان ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل مارأيت مثله قط لو أبيت أو تاخرت لاكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي * وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء
هوماقد رآه من قبل لكن * ماعلى مثله يعد الخطاء

أي وطالب صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدى دين الاراشي وقد ساء بيعه وشراؤه مع ذلك الرجل ورأي المصطفى ﷺ وقد أتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك الدين كثير النجاء وذلك الذي أتاه به هو الفحل الذي قد رآه من قبل أي لما اراد عدو الله ان يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ماعلى مثله فضلا عنه يعد الخطا لان خطاه لا ينحصر أي ومن استهزاء ابي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه في بعض الاوقات سار خلف النبي ﷺ يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات قال ابن عبد البر وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل وابو لهب وعقبة بن ابي معيط والحكم بن العاص بن امية وهو والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص بن وائل فمن استهزاء ابي جهل ما تقدم * ومن استهزاء ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومر يوما من الايام فرآه أخوه حمزة رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على راسه فجعل ابو لهب ينفض راسه ويقول صابئ احمق * ومن استهزاء عقبة بن ابي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر ايضا على بابه ﷺ كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة بن ابي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي كما تقدم ومن استهزائه انه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا اي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن ابي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من اشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل فقال ما انا بآكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فاخبر الناس ابيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ماصبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فابى ان يأكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال له ابي وجهي ووجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الي وجه النبي صلى الله عليه وسلم بل وصلت الي وجهه هو كشهاب نار

وذكر ابن اسحق ان هذا البيت الذي لابي أيوب بناه عليه الصلاة والسلام تبع الحميري لما مر بالمدينة في رجوعه من مكة وترك فيها اربعمائة عالم روى ابن عساكر انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان في مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فاراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي صلى الله عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الي وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الي عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وساله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا لمن يدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان في الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فتداول الدار التي بناها تبع للنبي صلى الله عليه وسلم الملوك الى أن صارت لابي أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليه كتاب تبع مع ابي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له انت ابو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقي ابو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من انت فاني لم ار في وجهك اثر السحر وتوهم انه ساحر فقال انا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحاق واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة

فاحترق مكانها وكان أثر الحرق فى وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا في وجهه أى صار كالبرص وانزل الله تعالى فى حقه ويوم يعض الظالم على يديه أى في النار يأكل احدي يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا * ومن استهزاء الحكم بن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخالج بفمه وأنفه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك أى كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يخالج بانفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتي مات أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة أى وقيل بمدرى في يده والمدري كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيري من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف فلم يزل حتى ولى ابن أخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد أن سال عثمان أبا بكر في ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سال عمر لما ولى الخلافة فقال له مثل ذلك ولما أدخله عثمان نقم عليه الصحابة بسبب ذلك فقال أما كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده أى ان أرده ولا ينافى ذلك سؤال عثمان لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم في ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل أن يرده عثمان اما بنفسه أو بسؤاله وسيأتى ذلك فى جملة أمور نقمها عليه الصحابة وعن هند ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل يغمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش * وعن الواقدي استاذن الحكم بن العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقالوا له ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فاتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم ياذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى آخره وفي كلام بعضهم ان مروان ولد بمكة وفي كلام بعض آخر انه ولد بالطائف بعد أن نفي أبوه الى الطائف أى ولم يجتمع بالنبى ﷺ فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخاري مروان بن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لمروان نزل في أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك أى الذى هو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن * ولى مروان الخلافة تسعة أشهر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت لمروان بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن أبى بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان انت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما

والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعة وهم الاوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم في منزل نفسه لا في منزل غيره وعن أنس رضى الله عنه قال شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببني قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفى رواية وانا والله احبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله اكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية ان ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت في دار بنى النجار أى محلتهم جاء رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر رضى الله عنه وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان من بني ساعدة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع اسرجوا لى حمارى فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك أن تكون رابع اربع فرجع قال الله ورسوله اعلم وامر بحماره ان يفك عنه عرجه وفي رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك في الدور الاربع التي سمى وما لم يسم اكثر مما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى الله عليه وسلم فى دار ابي ايوب سبعة اشهر الى ان

فبلغ

بني المسجد و بعض مساكنه ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون فتنافس فيهم الانصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما بالحمى روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها

فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له اما انت يا مروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وانت في صلبه وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا قال بعضهم وكون النبي صلى الله عليه سلم مع ماهو عليه من الحلم والاغضاء على مايكره فعل بالحكم ذلك يدل ذلك على أمر عظيم ظهر له في الحكم واولاده * وعن حمران بن جابر الجعفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني أمية ثلاث مرات أي وقد ولي منهم الخلافة اربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم اثنتين وثمانين سنة وهي الف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة اربعين أو احدى واربعين واستمر الامر في بني أمية الى ان انتقل الى بني العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة والف شهر تعدل ثلاثا وثمانين سنة واربعة اشهر هذا كلامه * ومن استهزاء العاص بن وائل انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث * أي ومن استهزائه ان خباب بن الارث رضي الله تعالى عنه كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال له يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه ان في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب او فضة او ثياب او خدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك والله لا تكونن انت وصاحبك آثر عند الله مني ولا اعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال له لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وفي كلام ابن حجر الهيتمي وفي البخاري من عدة طرق ان خبابا رضي الله تعالى عنه طلب من العاص بن وائل السهمي دينا له عليه قال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه ان هذا تعليق للكفر بممكن اي وتعليق الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعي او عقلي على احتمال كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام واجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما اراد تكذيب ذلك اللعين في انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تاتي بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بان ما بعدها كلام مستانف وعليه خرج ابن هشام الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه اي لكن ابواه وعد بعضهم من المستهزئين الحرث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب الى امه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وائل وابي جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اي لان الصحابة

بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا أخذته الحمى يقول له اذا قيل له كيف تجدك

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت انا لله ان أبي ليهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه
ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه
كالثور يحمي انفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول اى لانها سالتهم عن حالهم فاجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي أذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء قالت عائشة رضي الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاخبرته وقلت يارسول الله انهم ليهذون ومايعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب والله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتي ان من أقام بها يجد من تربتها او حيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد فى غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة فى ثمارها قال العلامة الزرقاني والظاهر ان الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفى المدبها مالا يكفيه بغيرها وهذا امر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الي الجحفة والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط قال الزرقانى والذى نقل عنها سلطان الحمى وشدتها وباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقى بالنسبة لما نقل شيا واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة فى قلوب اصحابه حتي قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضى الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبى لؤلؤة المجوسي واسمه فيرز غلام المغيرة ابن شعبه ودفن عند حبيبه صلي الله عليه وسلم قال السهيلى بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ماجبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه * وقد جاء فى حديث اصيل الغفارى انه قدم من مكة فسالته عائشة رضي الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت اباطحها واحجن ثمامها واغدق اذخرها وابشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا اصيل دع القلوب تقر * وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلى حيث ادركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم اي بستانكم اى اذكروا الى ثمنه لاشتريه منكم قالوا

كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول وعد منهم الاسود بن عبد المطلب ومن استهزائه انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه ويصفرون ادارأوهم وعد منهم النضر بن الحرث فهلك غالبهم قبيل الهجرة بضروب من البلاء * أقول والذى ينبغى ان يكون المراد بالمستهزئين في الآية وهي انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والد خالد وعم ابي جهل فانه كان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيا وينهي ان توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة الي الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت اسرها ولم يبق له في ايام الحج ذكر وكان المقدم فى قريش فصاحة وكان يقال ريحانة قريش ويقال له الوحيد أى في الشرف والسؤدد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد فى الكفر والخبث والعناد والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطلة وفي امظان الطلاطلة والطلاطلة في اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث والحرث بن العيطلة كان أحد اشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي تجعل الالهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة قال في أسد الغابة لم أر احدا ذكره فى الصحابة الا ابا عمر ويعني ابن عبد البر والصحيح انه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى ان جبريل أتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد أي يطوف بالبيت وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فاوما الى ساق الوليد وقال كفيته ومر العاص بن وائل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاشار الى أخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى عينه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى رأسه وقال كفيته ثم مر الحرث بن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاوما الى بطنه وقال كفيته وحينئذ يكون معنى كفاية هذا له صلي الله عليه وسلم انه لم يسع ولم يتكلف في تحصين ذلك الى هذا أشار الامام السبكى في تائيته بقوله

وجبريل لما استهزآت فرقة الردي * أشار الى كل باقبح ميتة

والله اعلم

قال وروى الزهرى ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه وأقفلوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال يشرب الماء حتي انشق بطنه وهذا يناسب ماسياتي عن الهمزية ولا يناسب ان جبريل عليه السلام اشار الى رأسه وفى كلام البلاذرى عن عكرمة ان جبريل اخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث نحني ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي اى لانه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف او لاجل مراعاة ابيه أى يراعى لاجل أبيه الذي هو خالى فقال جبريل يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل خل عنك ثم حناه

لا نطلب ثمنه الا الله فابى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضي الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابي امامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقيل فى حجر أسعد بن زرارة وجمع بانه كان فى حجرهما وبعض منه كان حائطا أي بستانا فيه نخل وبعض منه كان فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التي في بعضها ان موضع المسجد كان مربدا وفي بعضها كان مسجد الاسعد بن زرارة الى غير ذلك فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالخرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمدا للمسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وروى محمد بن الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع ابو بكر حجره الى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر ابى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى حجر عمر ثم ليضع على ففيه اشارة الى ترتيبهم فى الخلافة رضي الله عنهم بل صرح به فى رواية انه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدى قال الامام أبو زرعة اسناده لا باس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي واما ما اشتهر من أن النبي صلى الله عليه

حتى قتله وهذا الايناسب كون جبريل أشار الى راسه والمناسب لذلك ماذكره بعضهم انه امتخض رأسه قيحا ثم لم يزل يضرب برأسه اصل شجرة حتى مات وكذا الحرث بن عيطلة اى وفي كلام القاضي وحارث بن قيس وفي تكملة الجلال السيوطى عدى بن قيس فقد أكل حوتا مملحا فلم زل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكر هنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لايناسب ماقاله القاضي البيضاوى انه اشار الى انفه فامتخض قيحا واما الاسود بن المطلب فقد عمى بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمى فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيا اي وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول ماهو ذا طعن بالشوك فى عيني فيقال له ما نرى شيا وقيل اتى شجرة بنطح رأسه بها حتى خرجت عيناه اى وفعل ذلك لاينافي ما ورد فاشار اى جبريل الى وجهه فعمى بصره في الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب وفي رواية انه كان يقول دعا على محمد بالعمي فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فاستجيب لى وسياتى عن بعضهم في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود بن بالعمى وفقد أولاده فحصل له العمي وفقد أولاده ببدر وأما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم ينقلب لينحيه تعاظما فعد افاصاب السهم عرقا فى ساقه فقطعه فمات واما العاص بن وائل فدخلت شوكة فى أخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالروحامات * والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء

خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردي من جنوده الادواء

فدهي الاسود بن مطلب أى عمى ميت به الاحياء

ودهي الاسود بن عبد يغوث * ان سقاه كاس الردى استسقاء

واصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحرث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وسال الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذي بهم شلاء

أى وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة أحزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء استهزاء قومه به وهؤلاء المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم اصيبوا بداء عظيم والهلاك من جملة جنوده الامراض فاهلك الاسود بن المطلب عمي عظيم الاحياء اموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الى عينيه ودهي ايضا الاسود بن عبد يغوث استسقاء سقاه كاس الموت وهذا الايناسب كون جبريل اشار الى رأسه وأصاب الوليد أثر سهم في ساقه قصرت عنه الحية الرقطاء أي سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت فى رجله فلله هذه النقعة الخشنة اللمس لكون جبريل

وسلم لم يستخلف فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافي قولنا لم يتف قوله الخلفاء بعدي لانه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة في العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت لم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا أي الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون في بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال اني أريد من الله الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن أبي سنان الدؤلي الصحابي رضي الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شيء تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل يعني لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضي الله عنه وكان ذلك بصفين مع علي رضي الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث او اربع وتسعين سنة * روى البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر ويقول أيضا قول عبد الله بن رواحة اللهم ان الاجر أجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة وأصل البيت لاهم اغ

الحرث القيوح والحال انه قد سال رأسه وفسد ذلك الوعاء لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل أشار اليه لا لقول بعضهم انه اشار الى بطنه خمسة ظهرت بهلاكهم الارض فكف الادى بهم شلاء فاقد الحركة * وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافي عد منبه ونبيه ابني الحجاج منهم فقد قيل كانا ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك ليشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم * وفي سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ﷺ واصحابه * ومن استهزاء أبي جهل أيضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يقذفونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا فيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم أي وفي رواية ان بعض قريش وكان شديدا قوي الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال لهم انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين ويقال ان هذا دعا النبي ﷺ الى المصارعة وقال له يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن أي وفي رواية ان ابا جهل قال انا اكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لا يطاقون كما تتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالا للذين كفروا الايات أي بان يقولوا ما ذكر او يقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد أي وهذا العدد لحكمة استأثر الله تعالى بعلمها وقد أبدي بعض المفسرين لذلك حكما تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم * واخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق مالكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من اهل النار معذب الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو أي وهؤلاء الاتباع منهم واخرج هناد عن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة الف ملك اي والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها وفي كلام بعضهم لم يثبت للملائكة النار عدد معين سوي ما في قوله تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك لسقر التي هي احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك سأصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد او اكثر قيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها على عدد هؤلاء الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم * اقول ومن استهزاء ابي جهل ايضا انه قال يوما لقريش وهو يهزأ برسول الله

وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الانصار وبعده وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره والتمثيل بشيء من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يوما رداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ويقولون لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذن للعمل المضلل ويروى * لذاك منا العمل المضلل وروى البيهقي عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اعانه اصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا أي متأنقا مترفها ظريفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فانشد يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضي الله عنه فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولا يدري من يعني به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن او لاعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا ارضيه كما غضب فقال يارسول الله مالي ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون على الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي صلى الله عليه وسلم

الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار يقال لها شجرة الزقوم والنار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ عجوة تترتب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم أي منبتها في اصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد قال ابن سلام رضي الله عنه انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه أي وقال يا محمد انتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رأيت في الدر المنثور في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي ﷺ بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في اجسادهم فصارت جروحا وانتنت فلم يستطع أحد يدنو منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع على تقدير الصحة وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم المستهزئون ذلك الوقت أي فقد تكرر نزول الآية والله اعلم قال ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقول انه الذي قال سانزل مثل ما انزل الله انتهى أي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات وقال ولا بعد في ان تكون الآية نزلت فيهما ليتحقق العطف في قوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتأمل ولما تلا عليهم صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم ابوجهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا قراءته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من أمامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فانزل الله تعالى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون

وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبني بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد * وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وأنا مراهق ادخل بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه فاتناول سقفها بيدي وعن الواقدي قال كان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله

كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة ابن زيد وأم ايمن واما رقية فسبقت مع زوجها عثمان رضي الله عنه وزينب أخرت عند زوجها ابي العاص بن الربيع حتى اسر ببدر فلما من عليه ارسلها الى المدينة وبعث ابو بكر رضي الله عنه عبد الله بن اريقط وكتب معه الي عبدالله بن ابي بكر ان يحمل معه ام رومان وام ابي بكر وعائشة واسماء قالت عائشة رضي الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبدالله بن ابي بكر معهم بعيال ابيه ومنهم عائشة رضي الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال ابي بكر ونزل آل النبي صلى الله عليه وسلم اعند ما وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته فادخل سودة احد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبراني واما عائشة رضي الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم

بخمسة اشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلي لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة ابطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وانزل الله انما المؤمنون اخوة اى في التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة واربعون من المهاجرين وخمسة

وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعى انها نزلت لوجود الامرين فليتامل وجاء ان النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا اسفل ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى اساود تضرب باذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي اباجهل فقال من أين فاخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره * ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله تعالى عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبدالله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال الزبعري انا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه له فقال يامحمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى اخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم يامحمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملائكة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشة وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ﴾

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالى الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا في الارض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال ههنا وأشار بيده الى جهة ارض الحبشة قال وفي رواية قال لهم اخرجوا الى جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد أي وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه انتهى أي ويجوز ان يكون قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته فقد جاء في الحديث من فر بدينه من أرض الي ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالي بدينهم ومنهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج وقيل أول من هاجر الي الحبشة حاطب بن ابي عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيها قوله صلي الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط اى حيث قال انى مهاجر الى ربى فهاجر الي عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى اتيا حران ثم هاجرا الى ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة والسلام المؤتفكة ووجه عدم المنافاة ان كلا من حاطب وسليط يجوز ان يكون هاجر بغير اهله وكان مع رقية ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضى الله تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله تعالي عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شيء قد يرى انسان * رقية وبعدها عثمان

ومن ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضى الله تعالى عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما أي ومعلوم أن ذلك كان قبل آية الحجاب ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء في وصف حسن عثمان رضى الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل ان أردت ان تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسيأتي ذلك مع زيادة وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة أي وقيل هو أول من هاجر باهله وهو مخالف للرواية السابقة ان عثمان أول من هاجر باهله ويمكن أن تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافي ما سبق عن عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى أي وعنها رضي الله تعالى عنها كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى ارض الحبشة اذا أنا بعمر بن الخطاب فقال لى الى أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا نذهب في ارض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فاخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب أى استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على أهل الاسلام وهذا دليل على ان اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك أى خلافا لمن قال انه كان تمام الاربعين من المسلمين اى ممن أسلم وفيه ان المهاجرين الي أرض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قاله بعضهم اللهم الا أن يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين الى ارض الحبشة وربما يدل لذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الصديق وفي ضرب قريش له رضى الله تعالى عنه لما قام خطيبا في المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية انهم قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب أبو بكر فليتامل وفي لفظ عن أم عبد الله زوج عامر قالت انا لنرحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر تعني زوجها الى بعض حاجته اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وكنا نلقى منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه لخروج يا أم عبد الله فقلت والله لنخرجن الى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وتقرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا أبا عبد الله لو رأيت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم وممن هاجر أبو سبرة وهو أخو أبي سلمة رضى الله تعالى عنهما لامه امهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته أم كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما اي وكان أميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهرى لم يكن لهم امير وسهيل بن البيضاء اى والزبير بن العوام وعبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا اسرا أى متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الي البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم

وأربعون من الانصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضي الله عنهم في ذلك جهدهم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والاذى ان لا يحاربوه ولا يؤذوه وان لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المواخاة بين المهاجرين والانصار في دار أبي طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر وخارجة بن زيد رضى الله عنهما وكان صهرا لابي بكر لانه زوج ابنته لابي بكر رضى الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضى الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمي رضي الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وبين ابي عبيدة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع رضي الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن ياعبد الرحمن اني من اكثر الانصار مالا فانا مقاسمك وعندي امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك في اهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وتوفي أسعد بن زرارة رضي الله عنه في السنة الاولي من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضي الله عنه نقيبا لبنى النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالي وانا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من مفاخرهم كون النبي صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها على

رأس تسعة اشهر من الهجرة في شوال * ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه

في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله اكبر الله اكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فالق عليه فانه اندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى بل روي انه رآه ار بعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سببا في ذلك

﴿ باب معاداة اليهود ﴾ وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وانزل الله فيهم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر الآيات * فمن اعداء الله الذين انتصبوا لعداوته حيي وياسر وجدي بنو اخطب وسلام ابن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم اسلم وصحب رضي الله عنه وكان له

فيهما بنصف دينار أي وهي المواهب خرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتامل * وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر فلم يجدوا أحدا منهم ولعل خروجهم سرا لاينافيه ما تقدم عن ليلى امرأة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها له بانها تريد ارض الحبشة فلما وصلوا الى ارض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا في ارض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوي أي وقد انزلت عليه في ذلك الوقت ففي كلام بعضهم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وانزل الله تعالى عليه سورة والنجم اذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما أوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى اى الاصنام وان شفاعتهن لترتجي وفي لفظ لهي ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التي هي طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة او غرنوق ضم الغين والنون ايضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور أن تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام شبهت بها في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا أى المسلمون والمشركون * أقول قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان * قال بعضهم والنجم هي أول سورة نزل فيها سجدة اى اول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرأ باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها أوائلها كما علمت * وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرأ يوما اقرأ باسم ربك فسجد في آخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون وقد روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم أي في غير سجدته المتقدمة التي سجد معه المشركون وبمجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند ائمتنا ان اول المفصل الحجرات على الراجح من اقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم ليس من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا على ما قال ائمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وهي اى النجم اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة * وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راى من قومه كفا عنه اي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي شيء ينفرهم عني وفي رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم والنجم اذا هوي الي آخر ما تقدم والله اعلم ومن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود

وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك أمية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل ابو لهب وقيل المطلب وقد يقال لامانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا ومن فعل ذلك تكبرا ابو لهب فقد جاء وفيها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ان لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل اي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد قتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت وفيه انه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع انه موافق لما تمناه من ان الله ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة الدمياطي الا ان يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له ماجئتك بهاتين الكلمتين المذكور ذلك في قولنا فلما أمسى صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال له جبريل ماجئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله مالم يقل أي فكبر عليه ذلك فاوحى الله تعالى اليه ما في سورة الاسراء وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره بموافقتك لهم على مدح آلهتهم ما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت أي دمت عليه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم انه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما أوحى اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة ان كنت نبيا فالحق بالشام لانها أرض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج برحله فنزلت فرجع أي بدليل ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في أهل مكة وقيل ان آية وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خلالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى ان هذا مما تعدد أسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر على ما عدا الاول والله اعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم اى حتى قال قلت على الله مالم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الي ديننا أى دين قومه حتى ذكر ان آلهتنا لتشفع لنا وعند ذلك أنزل الله تعالى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى قراءته ما ليس من القرآن أي مما يرضاه المرسل اليهم في البخاري اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله ثم

سبع حوائط فاوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم * وعن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب اليهودي قالت كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبا ياسر وكان من أحبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشي فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم والله قال تعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وفي رواية قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الي قومه فقال ياقوم أطيعوني فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت من عند رجل فوالله لا ازال له عدوا فقال له أخوه ابا ياسر اطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق * ومن شدة عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودى صنع سحرا للنبي صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة وهى ما يخرج من شعر رأسه صلي الله عليه وسلم اعطاها لهم غلام يهودى كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبي صلي الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك في بئر ذروان فكان يخيل اليه صلي الله عليه وسلم ان يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة

يحكم الله آياته أي يثبتها والله عليم بالقاء الشيطان ماذكر حكيم في تمكينه من ذلك يفعل مايشاء ليميز به الثابت على الايمان من المزلزل فيه ولم أقف على أن أحدا من الانبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك وفيه كيف يجترئ الشيطان على التكلم بشيء من الوحي ومن ثم قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا أنها باطلة وضعها الزنادقة أي ومن ثم أسقطها القاضي البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب أي وقال البيهقي رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه وأما مايرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجري على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك أي والا يلزم عدم الوثوق بالوحي * وقال الفخر الرازي هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى أي والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي وقال بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشا امر تلك السجدة في الناس حتى بلغ أرض الحبشة ان اهل مكة أي عظماءهم قد سجدوا واسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعد بن العاص وفي كلام بعضهم والناقل لاسلامهم انه لما رأي المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقي بمكة اذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب الينا فخرجوا أي خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين الى مكة اى وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا وسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فائتمر القوم بالرجوع الى ارض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر مافيه قريش ويحدث عهدا من اراد باهله ثم يرجع فدخلوا مكة أي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع ويقال ان رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الي مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التبري لانهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ كان دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب كما سيأتي قال في الاصل ولم يدخل احد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى ارض الحبشة أي وهذا من صاحب الاصل تصريح ان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا فانه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحق حيث قال ان ابن مسعود انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي الاصل ان يقول على ماتقدم هذا وفي

وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فارسل صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ثم سوخاه فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه بذلك خفة حتى قام كانما نشط من عقال وانزل الله عليه المعوذتين وهما احدي عشرة آية كلما قرأت آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول اسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم أحضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وماوراءه من عذاب الله اشد وفي رواية أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرا * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود كانوا يستفتحون أي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء رضي الله عنهما يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن اهل كفر وشرك وتخبرون انه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام ابن مشكم وهو من عظماء يهود بني النضير ماجاء بشيء نعرفه ماهو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله في ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كلام وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصلت من احبار اليهود وكان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم ويلبس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان

الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من المال الذى تطعمك اليهو فغضب والتفت الى عمر رضي الله عنه وقال ما انزل الله على بشر من شيء فكا . هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم و بموسى عليه السلام و بما انزل عليه فقالت له اليهود ماهذا الذى بلغنا عنك فقال أنه أغضبني فقالت ذلك فنزعوه من الرياسه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وانزل أيضا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به * ويروي ان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب اسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذى وعدت انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم و يقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق النبي الذى وعدت ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان وممن كان من احبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذلك فرده

كلام بعضهم فلم يدخل احد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى ارض الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن بها نه لم يدخلها فلا ينافي ما سبق ويجوز ان يكون اكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا ولما رجعوا القوا من المشركين اشد ما عهدوا وقال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله ان غدوي ورواحي امنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي واهل ديني يلقون من الاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن اخي لعله آذاك احد من قومي وأنت في ذمتي فاكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي احد ولا اذاني ولكني ارضى بجوار الله عز وجل واريد أن لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الى جواري علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد على جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوارى ولكني لا استجير بغير الله عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم اني بريء من جواره الا ان يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال لبيد * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يؤذي جليسكم فمتى حدث منا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه فمن سفاهته فارق ملتنا فلا تجدن فى نفسك من قوله ورد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن اخى كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضي الله عنه بل كنت الى الذي لقيت فقيرا والله أن عيني الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها في الله عز وجل ولي فيمن هو أحب الى منكم أسوة واني في جوار من هو أعز منك انتهي فعثمان فهم أن لبيدا اراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لو ان لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الاخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز أن يكون تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على أن هذا السياق دال على أن لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قيل أكثر أهل الاخبار على أن لبيدا لم يقل شعرا منذ اسلم وبه يرد ما في الاستيعاب ان هذا اى قوله الا كل شيء الى اخره شعر حسن فيه ما يدل على انه قاله فى الاسلام وكذلك قوله

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه * اذا كشفت عند الاله المحاصل

وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذى لا يصدر غالبا الا عن مسلم ان يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية بن أبي الصلت حيث قال في شعره ما لا يقوله الا مسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه وفي رواية كاد يسلم وذكر محيي الدين بن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب وفى رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم أن

عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله في شاس بن قيس يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الآية وانزل الله في الانصار يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسالون النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء تعنتا وحسدا وبغيا ليلبسوا الحق بالباطل

* فمن جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على أنه النبي الأمي وانتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم

الوجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اداه اعلى صاحبه أي ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في عرفانه ربما تلاشت هذه الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لا انها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل احد يصل الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا يدركها الا من ادرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ ابي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه أستغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته وهو موافق قول أكثر اهل الاخبار قول السهيلي واسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فساله عمر رضي الله تعالى عنه أي في خلافته عن تركه للشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من اجل هذا القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

قال وممن دخل بجوار أبو سلمة بن عبد الاسد بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله أبي طالب ولما أجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن اختك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجارني وهو ابن اختي وانا ان لم امنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة أي لانه كان وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي وطمع ابو طالب في ابي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا أن يقوم معه في شانه صلى الله عليه وسلم وأنشد ابياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن أوذي في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عمر بن الخطاب وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدء اسلامي اي ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش أي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمته في الجنة أي صوته وحسه كان يخفي اسلامه خوفا من قومه وأخبرني أن أختي يعني أم جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل امنة قد صبئت اي اسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت أخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة يكونان

معه

فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقالوا كذا نجد في كتابنا التوراة وتقدم ان هذه الآية نزلت بمكة حين ساله كفار قريش عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين ساله اليهود فلما سالوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحي اليه اجابتهم شيء غير ما اجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الاول بعينه فاوحى الله اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد في كتابنا * وجاء يهوديان مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالي ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركا بالله شيا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا انك نبي قال ما يمنعكما أن تسلما فقالا نخاف ان اسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافى أن بعضهم فسرها بالمعجزات التى أعطيها موسى عليه السلام وهي التسعة المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان تلك آيات تتعلق بالتكاليف بالتوحيد وأصوله وترجع الي أمر الدين وهذه ايات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية الباطنية. الله أعلم * وقيل في سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أرض الشام لم يعلما ببعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في اخر الزمان فاخبرا بهجرة

معه يصيبان من طعامه وقد ضم الي زوج أختي رجلين ممن أسلم أى احدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والآخر لم اقف على اسمه وفي السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما ليعلمهما القران فجئت حتي قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا الي واستخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة يعني أخته ففتحت لى فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد صبوت وضربتها بشيء كان في يدى فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية من البيت فقلت ماهذا الكتاب اعطينيه اى فان عمر كان كاتبا فقالت لا اعطيكه لست من أهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم ازل حتي اعطتنيه اى بعد ان اغتسل كما في بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له يا أخي انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان اهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم فى ذلك من البعيد وكون هذا منها يحمل على انه لم يغتسل غسلا يعتدوا به يخالفه ماتقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفى لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها اذا قرأها فدفعتها له اى وطمعت في اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت اى فزعت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعت الي نفسي فاخذتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه عز وجل ذعرت اى فالقيها ثم ترجع الى نفسى فآخذها حتى بلغت امنوا بالله ورسوله الى قوله تعالي ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا فقال اللهم اعز الاسلام وفي لفظ أيد الاسلام باحد الرجلين اما بابي جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب اي وفى لفظ باحب هذين الرجلين اليك ابي الحكم عمرو بن هشام يعني اباجهل وعمر بن الخطاب أى وفى غير ما رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبى جهل وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انما قال صلي الله عليه وسلم اللهم اعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز ولعل قول عائشة ماذكر ناشئ عن اجتهاد منها بدليل تعليلها واستبعادها ان يعز الاسلام بعمر فليتامل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء فاسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضى الله تعالي عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى بيت باسفل الصفا ووصفوه أي وهي دار الارقم فخرجت وفي رواية ان عمر قال يا خباب انطلق بنا الي رسول الله ﷺ فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ احد ان يفتح لى الباب لما عرفوه من شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فقال رسول الله ﷺ افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وفي لفظ يهديه باثبات الياء وهى لغة ففتحوا الى أي والذى اذن فى دخوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد

النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فجاءا اليه فلما رأياه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسالك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألا فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فانزل الله تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فأسلما وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من أي شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وانزل الله تعالى قل هو الله أحد

الى آخر السورة اى هو متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا الا يأكل الطعام فانزل الله سورة الاخلاص ابطالا لالوهية عيسى عليه السلام لان الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطي في الاتقان أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين قال انسب لنا ربك يا محمد كما سيأتي في خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة فقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من اعلم احبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه في اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب والذي سمعه قوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام

اسلام حمزة بثلاثة ايام وقيل بثلاثة شهور وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع قميصي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة أي وفي الاوسط للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايمانا أي ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لبشرا باسلام عمر وفي رواية لما ضربوا الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه أي ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فادن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فاخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أدري ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة وفي لفظ أخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال ما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل الله بالوليد بن المغيرة أي احد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لاومن بالله ورسوله أشهد انك رسول الله وفي رواية اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفي رواية سمعها أهل المسجد وفي رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال لبلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استأذن لك على رسول الله ﷺ فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا أدخله في الدين فقال لبلال افتح له وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه وفي رواية أخذ بساعده وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم نطره نطرة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب الذي تريد وما الذي جئت له فقال عمر اعرض علي الذي تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاسلم عمر مكانه * أقول ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلامه واتيانه بالشهادتين في بيت أخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامي لانه يجوز أن يكون مراده بقوله جئت لاومن جئت لاظهر ايماني عندك وعند اصحابك وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم يا ابن الخطاب الى آخره وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أعرض علي الذي تدعو اليه يجوز أن يكون عمر جوز أن الذي يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما أخص مما نطق به من الشهادتين والله أعلم قال عمر وأحببت ان يظهر اسلامي أن يصيبني ما يصيب من اسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالي وكان

شريفا

ثم دخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم اى أسرعوا فكنت ممن اتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت انه وجه غير كذاب اي لان صورته صلى الله عليه وسلم وهيئة وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها الناس افشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد أنك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى

الله عليه وسلم في بيت ابي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن اعلمهم فاخبئني يارسول الله قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فاسالهم عني قبل ان يعلموا اني اسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم اعظم قوم عضيهة اي كذبا وانهم ان يعلموا اني اسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ وخذ عليهم ميثاقا اني ان اتبعتك وآمنت بك ان يؤمنوا بك وبكتابك الذى انزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا واني جئتكم بحق اسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا قال افرأيتم ان شهد انى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام اما تعلم انى رسول الله تجدونى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق زاد فى رواية انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا

شريفا فى قريش واعلمته انى صبوت أى وهو ابو جهل وقد جاء فى بعض الروايات قال عمر لما اسلمت تذكرت اى اهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فاخبره انى قد اسلمت فذكرت اباجهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الى فقال مرحبا واهلا يا ابن اختي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة فقال ابو جهل وما هي يا ابن اختي فقلت اني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ وصدقت ما جاء به فضرب الباب في وجهي أي اغلقه وهو بمعنى أجاف الباب كما في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به أي وانما كان ابو جهل خال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قيل لان ام عمر أخت ابي جهل وقيل لان ام عمر بنت هشام بن المغيرة والد ابي جهل فابو جهل خال أم عمر وقيل ان ام عمر بنت عم ابي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام اخوال الابن قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش واعلمته انى صبوت فلم يصبنى منهما شيء فقال لى رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعني قريشا في الحجر واجتمعوا فأت فلانا الشخص كان لا يكتم السر وهو جميل بن معمر رضى الله عنه اسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمي ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت منه واخبرته فرفع صوته باعلاه فقال الا ان عمر بن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربوني واضربهم فقام خالي يعني اباجهل على الحجر فاشار بكمه وقال الا انى أجرت ابن اختي فانكشف الناس عني فصرت أى بعد ذلك أري الواحد من المسلمين يضرب وانا لا اضرب فقلت ماهذا بشيء حتي يصيبني ما يصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس فى الحجر ووصلت الى خالي وقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اختي فقلت بل هو ذاك فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام أى وفى السيرة الهشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم أى وهو العاص ابن وائل فقال ويلكم ما شانكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بنى عدي ابن كعب مسلمين لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كانهم ثوب كشط عنه اى وفى البخارى لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينما عمر فى داره خائفا اذ جاء العاص بن وائل فقال له مالك قال زعم قومك انهم سيقتلوني ان اسلمت اى اذا اسلمت قال امنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا عمر ابن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فانا له جار فكسر الناس وتصدعوا عنه أى ويذكر ان عتبة بن ربيعة وثب عليه فالقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل اصبعيه فى عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه احد الا اخذ بشراسيفه وهى اطراف اضلاعه وعن عمر رضى الله تعالى عنه فى سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تأليف القرآن فقلت

عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحة شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذي كنت اخاف يارسول الله لم اخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وغير ذلك من الآيات ﴿وفي الخصائص الكبرى﴾ للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام اشهد أنك رسول الله وان الله لقد مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على ان ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بانه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة

هذا او الله شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع أي ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضي الله تعالى عنه قال جئت المسجد اريد ان اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام أي صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه بين الركن الاسود والركن اليماني اى لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت حين رأيته صلى الله عليه وسلم لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول قال فقلت لئن دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني الكعبة فجعلت امشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقرأ صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم ازل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني وظن انما تبعته لاوذيه فنهمني اى زجرني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لاومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله وفي رواية ضرب أختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت في استار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله ثم انصرف فسمعت شيئا لم اسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعني لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو علي فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر اتسره قلت لا والذي بعثك بالحق لاعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته أي ويحتاج للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم رأيت العلامة ابن حجر الهيثمي قال ويمكن الجمع بتعداد الواقعة قبل اسلامه هذا كلامه فليتأمل ما فيه قال ومن ذلك أى مما كان سببا لاسلام عمر ان اباجهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم ان من مضى من اسلافكم يتهافتون في النار الا ومن قتل محمدا فله علي مائة ناقة حمراء وسوداء والف اوقية من فضة أى وفي لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا اوقية من الذهب وكذا وكذا اوقية من الفضة وكذا وكذا نافجة من المسك وكذا وكذا ثوبا وغير ذلك فقال عمر انا لها فقالوا والله أنت لها يا عمر وتعاهدوا معه على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي اي جعلتها في منكبي أريد رسول الله ﷺ فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول يا آل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر لا يراد به الا انا وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك من اجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال احمر ذريحي اي شديد الحمرة ثم مر برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم أى ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له اين تذهب يا ابن الخطاب فقال أريد هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وسب الهتنا فاقتله فقال له نعيم والله

للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الى فادخله وخباه وارسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فخرج وقال اشهد أنه رسول الله فابوا أن يصدقوه وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله عرفوه (٣٧١) وأنكروه وظلما كتمته الشهادة

الشهداء أو نور الاله تطفئه الا فواه وهو الذي به يستضاء كيف يهدى الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدي الذي اخذته في اعناقكم صلى الله عليه وسلم بان تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم انجز لكم ماوعدتكم عليه بوضع ماكان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اى لا تكتموا ماعندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم ﴿وقد روى﴾ في سبب اظهار

اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه زيادة على ما تقدم انه رضي الله عنه قال جاء رجل فاخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة اعمل فيها وعمتي من تحتي جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت على هذا فقلت لها اى عمتي فوالله هو اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن اخي اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك

لقد غرتك نفسك اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وقد قتلت محمدا فلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال وأى اهل بيتي قال ختنك اي زوج اختك وابن عمك سعيد ابن زيد بن عمرو ابن نفيل واختك قد اسلما فعليك وانما فعل ذلك نعيم ليصرفه عن اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي لقيه سعد بن ابي وقاص فقال له أين تريد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال له انت اصغر واحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشي على الارض فقال عمر ما اراك الا وقد صبات فابدأ بك فاقتلك فقال سعد أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا ان يختلطا ثم قال سعد لعمر مالك يا عمر لا تصنع هذا بختنتك واختك فقال صبيا قال ثم فتركه عمرو سار الى منزل اخته أي ولا مانع ان يكون لقي كلا من نعيم وسعد ابن وقاص وقال له كل منهما ماذكر وفي هذه الرواية وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا احس عمر تغيب خباب اى وترك الصحيفة فلما دخل قال لاخته ماهذه الهيتمة التي سمعت قالت له ماسمعت شيأ غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تخاطب اخته وزوجها بانهما تابعا محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس على صدره واخذ بلحيته فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها أي فلما رأت الدم قالت له ياعدو الله اتضربني على ان أوحد الله تعالى لقد اسلمت على رغم انفك فاصنع ما انت صانع فلما رأى ما باخته وما صنع زوجها ندم وقال لاخته اعطني هذه الصحيفة انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت اخشاك عليها فحلف ايردنها اذا قرأها اليها فقالت له يا اخي انت نجس ولا يمسه الا الطاهر فقام واغتسل أي وفي لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال اتدفعين كتاب الله تعالى الى عمرو هو كافر قالت ثم انى ارجو ان يهدي الله اخي ورجع خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قرأها عمرو بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردي قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله اه أي وفي رواية انه لما قرأ الصحيفة قال ما احسن هذا الكلام واكرمه أى وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر اني لا ارجو ان يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بابي الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم اي عنده وعندا صحابه فلا ينافي ما في الرواية الاولى انه اسلم فقال له خباب وهو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فعمد الى رسول الله ﷺ الحديث ﴿اقول﴾ ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته ما استخفى اولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فاوقع به وباخته ماذكروا انه في الرواية الاولى اقتصر على ذكر اخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح الله ما في السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر في الرواية الاولى على احدهما وهي التي فيها سبح الله وفي الرواية الثانية على الاخرى التي

سا كنا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له اني اسالك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول الساعة وما أول طعام يا كله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب (٣٧٢) واما اول طعام يا كله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت أي وهي القطعة المعلقة بالكبد وهي في الطعم في غاية اللذة واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سال علماء اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كثيرة فاجابهم عنها منها انهم سالوه مرة فقالوا أخبرنا عن علامة النبي فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسالوه أي طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل ان تنزل التوراة قال انشدكم بالذي نزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام اليه فكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمها ردعا لنفسه ومنعا لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النساء وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر ان سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود ومعه له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن اولى بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متاخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين

فيها طه وانه في الرواية الاولى اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك والله أعلم (وعن ابن عباس) ايضا رضي الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس ايضا رضي الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر (قال) وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مازلنا اعزة منذ اسلم عمر اهـ زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالكعبة اي عندها ظاهرين آمنين حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اي جهرا والقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن الا سرا كما تقدم وعن صهيب لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا او تقدم مافي ذلك ومما يؤثر عن عمر رضي الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسال الحليم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعدل الناس اعذرهم للناس وفي مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيتمي ان عمر اول من قال اطال الله تعالى بقاءك وايدك الله قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ويروى ان الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب فيصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي ﷺ يودعه فقال له ما يخرجك اي من المدينة احاجة ام تجارة قال لا يا رسول الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله ﷺ صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة اوصى ان يصلي عليه سعد بن ابي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله ﷺ الرجل غائب واراد الصلاة عليه فابى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم اي وقيل لعمر رضي الله عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مختفون قلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذي بعثك بالحق لنخرجن فخرجنا في صفين حمزة في احدهما وانا في الآخر له أي لذلك الجمع كديد ككديد الطحين أي لذلك الجمع غبار تاثر من الارض لشدة وطيء الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطيء ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها أي فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل أي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الآخر لهم كديد ككديد الطحين وفي رواية ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له يا رسول الله لا ينبغي ان تكتم هذا الدين أظهر دينك وفي رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله ﷺ

وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أني رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدني في التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو ونظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذاك معه من أمته سبعون الفا ليس عليهم حساب ولا عتاب وانما معك نفر يسير والذي نفسي بيده لانا هو وانهم لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسألته اليهود أيضا (٣٧٣) عن الرعد والبرق فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية ان اليهود انكروا النسخ فقالوا ألا ترون أن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما يرى لهذا الرجل همة الا في النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء ان سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه اى لان شريفا في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمها لشرفهما فبعثوا رهطا منهم لبني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال الجمع من علمائهم أنشدكم بالذى انزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فاتلوها فاحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم وجاء في بعض الروايات ان

ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيفه ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرآن جهرا وكانوا كما تقدم لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن وفي المنتقي على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه ان صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي وقعت في ذلك الوقت أى ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاهما في وقت الظهر وعن عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت أى وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت ومنع رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى على عبد الله بن أبي بن سلول وفي البخاري لما توفى عبد الله بن أبي جاء ولده عبد الله رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان ابن أبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه فلما دخل عليه فسأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده الشريف ويصلى عليه فلما مات ارسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يجوز ان يكون ارساله القميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه قال في الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه أى ولان الضنة بارسال القميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكن نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفي تصريح بان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه فقال له أسألك ان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء أى وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي البيضاوى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر رضى الله تعالى عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيده على السبعين وفي رواية اتصلى على ابن ابى وقد قال يوم كذا وكذا كذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله ﷺ وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت

أحبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك ابن الصلت اجتمعوا فى بيت مدارسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبي من انبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى (٣٧٤) الله عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة قالوا نفضحهما بالسواد بان نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار فقال عبدالله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها وما بعدها فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يامحمد فيها آية الرجم وفى رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا ياأباالقاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال فقال لهم ماتجدون فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ماعندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتي بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يامعشر اليهود اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال انشدكم منهم بالله الذي انزل التوراة على موسى ماتجدون في التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يحمم اى يسود وجهه ويجنب فقال عبدالله ابن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفي رواية لما سالهم أجابوه الا شابا منهم فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذا نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زني الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف

عليه قال انى خيرت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر مامعني التخيير فى الآية وما الجمع بين قوله ساز يد على السبعين وقوله لوأعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رأيت القاضى البيضاوى قال فى وجه التخيير وقوله ساز يد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له اى الحق سبحانه ان المراد به التكثير بقوله فى الآية الاخري سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو اعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتض لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتامل وقد قال علي رضى الله عنه ان في القرآن لقرآنا من رأى عمر وما قال الناس فى شيء وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر وقد اوصل بعضهم موافقاته اى الذى نزل القرآن على وفق ما قال وما اراد الى أكثر من عشرين أى وقد اورضها بعضهم بالتاليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فاجاب عنها نظما قال عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الراى فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ماسياتى فى أسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها ان بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستاذن رضي الله تعالى عنه النبي صلي عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يااخي لا تنسانا من دعائك اى وفي رواية يااخي اشركنا فى صالح دعائك ولا تنسانا قال عمر ما أحب ان لى بقوله ياأخى ماطلعت عليه الشمس وجاء اول من يصافحه الحق عمر ابن الخطاب واول يسلم عليه وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وجاء لوكان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وممن نزل القرآن على وفق ماقال مصعب بن عمير أيضا رضى الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم احد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل فصار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

﴿ باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبنى المطلب ابنى عبدمناف وكتابة الصحيفة ﴾

قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون انفسكم فابى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فيه تصريح ان شعب ابى طالب كان خارجا من مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا ينا كحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا ابدا ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اى وفى لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تبتاعوا منهم شيا ولا تقبلوا

منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة أي توكيدا على أنفسهم وقيل كانت عند حالة أبي جهل وقد يجمع بانه يجوز ان تكون كانت عندها قبل ان تعلق في الكعبة على انه سيأتي انه يجوز ان الصحيفة تعددت وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمي محصبا وهو باعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا أبا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة واربعين سنة وفي الصحيح انهم في الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي احدهم مسوق ليشتري شيأ من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب فيربحهم هذا كلامه ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق اذا جاءت العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى الحبشة * أقول وفي رواية ان خروج بني هاشم وبني المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وردت معه هديتهم وفقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين أي كما سيأتي وظهور الاسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم على المسلمين واجتمع رأيهم على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم ان يدخلوا برسول الله عليه الصلاة والسلام الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنوا هاشم وبنو المطلب كانوا شيأ واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول ابو طالب في قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفل * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما علمت قريش ذلك اجمع رأيهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على ان لا يجالسوهم الحديث وفيه انه سيأتي ان خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب والله اعلم

باب الهجرة الثانية الى الحبشة

لا يخفى انه لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشر امرأة وهذا بناء على ان عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك وكان من الرجال جعفر بن ابي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس

فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أحكم بما في التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم ابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا امرد أبيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله تعالى على موسى عليه السلام في التوراة ورضوا به حكما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور ونجاكم واغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفي رواية قال في جوابه للنبي صلى الله عليه وسلم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فليتامل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها او يجاب بانه يحتمل ان القضية تكررت على تسليم انها قضية واحدة لم تكرر فيمكن ان مدة مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها طالت وايامها اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيأ رواه فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء في بعض الروايات ان ابن صوريا

سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها عن اعلام نبوته فاجابه عنها فلما تحققها قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله ابن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا باربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها (٣٧٦) مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضي الله عنهما فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونورا الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما فرجمتهما معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف في الانس والجن دون غيرها وقد ذكر غير واحد ان احبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا ان تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان في كتابهم انه صلى الله عليه وسلم اكحل

والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اى وبقيت ام حبيبة رضي الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها قالت رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي باسوأ حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين أصبح يا ام حبيبة اني نظرت في هذا الدين فلم ار دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم خرجت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك واخبرته بما رأيته له فلم يحفل بذلك واكب على الخمر يشربه حتى مات فرأيت في المنام كأن آتيا يقول لي يا ام المؤمنين ففزعت واولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك اي وذكر ابن اسحق ان ابا موسى الاشعري هاجر الى الحبشة ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدي فاعترض عليه في ذلك فعن ابي موسى انه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفرا واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة واستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سياتي وبهذا يندفع قول بعضهم ماذكره ابن اسحق من ان أبا موسى الاشعري هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فاقاموا بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التي ارادت قريش دفعه لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقتلوه بهدية الى النجاشي والهدية فرس وجبة ديباج أى واهدوا لعظماء الحبشة هدايا ليرد من جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وفي كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا اى ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردوهم اليهم () قال واين هم قالوا بارضك فارسل في طلبهم اى وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهم اعرف بحالهم فقال لا والله حتى اعلم على أى شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك اى وفي لفظ لا يخرون لك ولا يحيونك بما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا قال لهم جعفر رضي الله تعالى عنه انا خطيبكم اليوم اى فانه لما جاءهم رسول النجاشي بطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر ماذكر وقال انما نقول ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك مالك لا تسجد وفي لفظ ان عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما اجابهم به وان عمرا قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيابها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عزوجل

عزوجل وقال لم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عزوجل وأخبرنا أن تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا أي وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل أي وامرنا بالصلاة أي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي أي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها وعلى ماتقدم والزكاة أي مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة * أي في السنة الثانية ومراده بالزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا قال فما تقولون في ابن مريم وأمه قال نقول كما قال الله عزوجل روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء أي البكر البتول أي المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها أي يشقها ويخرج منها ولد أي غير عيسي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ماتقولون أشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسي في الانجيل أي ومعني كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى انه قال له كن فكان أي حصل في حال القول وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسي وبين يوم القيامة نبيا مرسلا أي صفته ماذكر هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسي فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته فاكون أنا الذي أحمل نعله واوضئه أي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي أي آمنون بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي اربع دراهم وضعفها كما جاء في بعض الروايات وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما وفي لفظ ان النجاشي قال ما أحب ان يكون لي ديرا من ذهب اي جبلا وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله تعالى مني الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي اعلم النصارى بما أنزل على عيسي وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لتاخذ عنه العلم أي وقد بينت عائشة رضي الله تعالى عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا اخاه الذي هو عم النجاشي ونشا النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثني عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلمارات الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم لقتلهم لابيه فمشوا لعمه في قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلمارات الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية مايقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة وضاق عليهم ماهم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ماسياتي عنه انه عند وقعة بدر ارسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب

العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد ابن معاذ اليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله عنهم يقولون له صلي الله عليه وسلم اذا أتى عليهم شيا يارسول الله راعنا أي انظرنا وتان علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابّ بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلي الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له ألستم تقولونها أنتم فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم

جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يامحمد هل على اولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي نحلف به مانحن الا كهيئتهم مامن ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم الآية وجاء ان جماعة من احبار اليهود منهم ابن صوريا قبل ان يسلم على ماتقدم وشاس بن قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا ابعث لي محمد لعلنا نفتنه في دينه فجؤا

اليه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فابى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجل من اليهود من التجار وفي رواية من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله فقال أخزى الله الكاذب وفي رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال حيي ابن اخطب يستقرضنا ربنا وانما يستقرض للفقير الغني فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل في سبب نزولها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل في بيت المدارس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله واسلم فو الله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال يا ابا بكر ما لنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر رضي الله عنه ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزل لقد سمع الله الآية وقيل في سبب نزولها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد وحسن بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه يامرهم في ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده * وفي رواية قال ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان حقا ما تقول فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء

والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي ان بكاءه عندما تليت عليه سورة مريم أي كما سيأتي حتى اخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة قال وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية أي هيئوا له هدية ولا يخالف ما تقدم من أن الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على أتباعه ليعاونوهما على ما جاءا بصدده والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم مشوا لعمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبان من النجاشي أن يسلمنا لهم أي قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم لنا قبل ان يكلمهم أي موافقة لما وصت عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الى كل بطريق هدية قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم سألاه أن يسلمهم اليهما قبل ان يكلمهم فلما جاآ الى الملك قال له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت اي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم اعلم بهم فاسلمهم لهما ليرداهما الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله اي لا والله لا اسلمهم ولا يكاد قوم يجاورونني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من امرهم فان كان كما يقولون سلمتهم اليهما والا منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع اي نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد الله تعالى وحده وامرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة اي مطلق الصدقة والصيام اي ثلاثة ايام من كل شهر اي وهي البيض او اي ثلاثة على الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام

فضرب أبو بكر رضي الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن اضربه بالسيف وما منعني أن أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتت على شيء حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا أبو بكر رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وأنهم أغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت (٣٧٩) الآية تصديقا لابى بكر رضي الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم كافىء عليها فهو الغني الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم دخلوا في دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هو أهم مع اليهود في السر وفي الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد ابن الصامت وأنه قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله عنه من جلاس وكان عمير يتيما في حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقي على فراشه ثم قال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس الى واحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها اى امسكت عنها ليهلكن على ديني ولاحداهما ايسر على من الاخري فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فارسل رسول الله صلي

وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أي ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك يا أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شيء قلت نعم قال فاقرأ على فقرأت عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل أي بل لحيته وبكت اساقفته وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله تعالى شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسى أي وفي رواية ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة أي وهذا كما قيل يدل ان عيسى كان مقررا لما جاء به موسى وفي رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما في لفظ أنه قال ما زاد هذا على ما في الانجيل الا هذا العود لعود كان في يده أخذه من الارض وفي لفظ أن جعفر قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن ام أحرار فان كنا عبيدا ابقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما أهل أهرقنا دماء بغير حق فيقتص منا هل أخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهما دين قال لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما أبدا زاد في رواية ولو أعطيتموني ديرا من ذهب أي جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي أي أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسى قولا عظيما اى يقولون انه عبد الله اى وانه ليس ابن الله اى وفي لفظ ان عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه في كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم في الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فلينامل وروى الطبراني عن أبي موسى الاشعري بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أي للعداوة التي وقعت بينه وبينه في سفرهما أى من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فتنت امرأة عمرو وهوته فنزل هو وأباه في السفينة فقال له عمارة مر امرأتك فلتقبلني فقال له عمرو الا تستحي فاخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يصيح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى ادخله السفينة واضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فما أتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى أهدت اليه من عطرها اى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك أتى النجاشي وأخبره بذلك أي فقال له ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وهو عندها الآن فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا أنه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات على تلك الحال اه أي ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وماقلت ماقال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا ان ينزل القرآن فيجعلني معك ماقلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ماقال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته

اذ المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضي وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولازال عمار مع الوحوش الى أن كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد استاذنه في المسير اليه املا بجده فاذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبدالله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتى أخبر أنه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت يصدر معها اذا صدرت فجاء اليه ومسكه فجعل يقول له أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتى بعد غزوة بدر أنهم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضا وعبدالله بن أبي ربيعة وكان اسمه قبل ان يسلم بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلي الله عليه وسلم عبدالله وأبو ربيعة الذي هو أبو عبدالله كان يقال له ذوالرمحين وأم عبدالله هى أم أبى جهل بن هشام فهو أخو ابى جهل لامه أرسلوهما اليه ليدفع لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر ومن العجب ان صاحب المواهب ذكر ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبدالله بن ابي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد في الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وابن أبى ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبدالله ابن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين الا أنه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا ارسلت فى أمر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولي أرسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية ارسلت عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة فليتامل ومكث بنوهاشم في الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين في أشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبدالله بن عباس فى الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة أى من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر أحد ان يوصل اليهم طعاما ولا أدما حتي ان أباجهل لقى حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي ﷺ وهى معه في الشعب فتعلق به وقال اتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لاتذهب انت وطعامك حتى أفضحك بمكة فقال له أبو البخترى ابن هشام مالك وماله فقال ابوجهل انما يحمل الطعام لبني هاشم فقال ابو البخترى طعام كان لعمته عنده أفتمنعه ان ياتيها خل سبيل الرجل فابي أبو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البخترى لحي بعير أي العظم الذى تنبت عليه الاسنان فضربه فشجه ووطئه وطا شديدا وأبو البخترى بالحاء المهملة وفى مختصر أسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى أن هاشم بن عمرو بن الحرث العامرى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم في ليلة ثلاثة جمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه في ذلك فقال اني غير عائد لشئ خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته اى اغلظت له القول وهمت به فقال ابو سفيان بن حرب دعوه وصل رحمه أما اني احلف بالله لوفعلنا مثل مافعل كان احسن بنا وكان ابو طالب فى كل ليلة يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتى فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس اقامه وامر احد بنيه اوغيرهم اي من اخوته او بنى عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه ان يغتاله احد ممن يريد به السوء

وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل بن الحرث قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الي الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذى قال لهم انما محمد أذن من حدثه بشيء صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم الآية وجاء جبريل الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا يقال للحديث الذى تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار * وفى رواية ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبدالله بن ابي بن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم أشراف أهل المدينة وكانوا

قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من آل قحطان اى ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرزج الذى يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة انه عرج على عبدالله بن ابي بن سلول يريد النزول عنده فقال له وكان عبدالله جالسا محتبيا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد

اى وفى الشعب ولدعبدالله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم اطلع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ان الارضة اى وهى سوسة تاكل الخشب اذامضى عليها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهي التى دات الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام اكلت مافي الصحيفة من ميثاق وعهداي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته فيها وفي رواية ولم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عزوجل الالحسته وبقى مافيها من شرك اوظلم اوقطيعة رحم اي والرواية الاولى اثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين بانهم كتبوا نسخا فاكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالي وأكلت من بعض النسخ ماعدا اسم الله تعالي لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهي اى والتى علقت في الكعبة هى التي لحست تلك الدابة مافيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه مايأتى فذكر ذلك لعمه أبى طالب فقال له عمه والثواقب أى النجوم لانها تثقب الشياطين وقيل التي تضيء لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها أشد النجوم ضوأ ما كذبتني قط اي ماحدثتني كذبا وفي رواية انه قال له أربك أخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق في عصابة أى جماعة من قومه أى من بني هاشم وبنى المطلب () أى وفى رواية ان أباطالب لماذكر لاهله قالوا له فما ترى قال أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الي قريش فتذكروا ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلي الله عليه وسلم للقتل فتكلم معهم أبوطالب وقال جرت أمور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح أى يخرج يكون سببا للصلح وانما قال أبوطالب ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن ياتوا بها أى فلا ياتون بها فاتوا بصحيفتهم لايشكون ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يدفع اليهم أى لانه الذى وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب أى توبيخا له ولمن معه قدان لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم أي امر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن اخي اخبرني ان هذه الصحيفة التى فى ايديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك فيها اسما من اسماء الله تعالي الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم * اقول هذه على الرواية الثانية واما على الرواية الاولى التى هى اثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا اثبتته ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رأيت ابن الجوزي ذكر ذلك فقال ان أباطالب قال ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبنى قط ان الله تعالي قد سلط على صحيفتكم التى كتبتم الارضة فلحست كلما كان فيها من جور اوظلم اوقطيعة رحم وبقي فيها كلما ذكر به الله تعالى وفى الينبوع ان اباطالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن اخي اخبرني ان الله تعالى سلط عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله اعلم قال ابوطالب فان كان الحديث كما يقول فافيقوا اي وفي رواية نزعتم رجعتم من سوء رايكم اى وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذي يقول دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذى تقول اى وفى رواية انصفتنا ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبره

ابن عبادة يارسول الله لاتجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما رد بالحق الذي اعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله لوأتيت عبد الله بن أبى بن سلول أى متألفا له لكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ماعنده من النفاق فانطلق النبي صلي الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبدالله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخارى وفيه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على عبدالله بن أبي بن سلول فى جماعة فقال لقد آذانا ابن ابى كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبدالله رضي الله عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان عبدالله بن أبى جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالي واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم الآية وعن الزهرى قال أخبرني عروة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على أكاف وأردف أسامة خلفه يعود سعد بن عبادة رضى الله عنه فى بنى الحرث من الخزرج قبل وقعة بدر حتي مر بمجلس فيه عبدالله بن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبدالله بن رواحة رضي الله عنه فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن أبى وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلي الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الي الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال ابن

أبى أيها المرء انه ما أحسن مما تقول ان كان حقافلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الي رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلي الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد ألم تسمع ماقال أبو حباب يعني عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصلح والذي أنزل عليك الكتاب لقدجاء الله بالحق الذى أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي اعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبى ابوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا الاية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن ابى انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فاخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وختنه وسيد بنى هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على رضي الله عنه اتق الله ياعبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لى هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون

الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم فلما رايت قريش صدق ماجاء به ابو طالب قالوا اى قال اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا وظلم لهم اى وقدجاء ان اباطالب قال لهم اى بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم اولي بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل مايحرم عليه منا ثم انصرفوا الي الشعب وعند ذلك مشي طائفة منهم هم خمسة فى نقض الصحيفة أى ماتضمنه وهم هشام بن عمرو بن الحرث وزهير ابن امية ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم بعد ذلك كالذى قبله كما تقدم والمطعم ابن عدى مات كافرا كما تقدم وابو البختري بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف فى كاتب الصحيفة فعند ابن سعد انه بغيض بن عامر فشلت يده ولم يعرف له اسلام وعند ابن اسحق ان الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل ان الكاتب لها منصور بن عكرمة أي فشلت يده فيما يزعمون كذا في النور نقلا عن سيرة بن هشام وقيل النضر بن الحرث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه وممن قتل على كفره عند منصرفه صلي الله عليه وسلم من بدر وقيل للكاتب لها طلحة بن ابى طلحة العبدري قال ابن كثير رحمه الله والمشهور انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ أي فكل كتب نسخة انتهي أى وينبغي ان يكون الذى شلت يده هو كاتب الصحيفة التى علقة في الكعبة ولعلها هى التي كتبت اولا والي أكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذا كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء
يالامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وابو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء
اذ كرتنا باكلها اكل منسا * ة سليمان لارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخرج خباله الغيوب خباء

اي فديت خمسة الصحيفة اى الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية ثبتوا وتراودوا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير او نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل بالامر عظيم وهو نقض الصحيفة اتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه الكريم في قومه الاتاء اى المبالغ فى ايتاء الخير واتاه زهير واتاه المطعم بن عدي واتاه ابو البختري من المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحفية اى الامر الذى ابرمته اذ كرتنا الارضة الخرساء باكلها تلك الصحيفة منساة اي عصي سليمان وباكلها للصحيفة أخبر النبي صلي الله عليه وسلم ومرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم شيا مخبا الغيوب له ساترو المراد ان كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدى باولئك الخمسة المستهزئين من الاذى

الي النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الي آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفى اصحابه وهو الذى قال لئن رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه واصحابه منها الاذل يعنى النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستاتي القصة ان شاء الله تعالى و بالجملة فقد لاقي صلى الله عليه وسلم من شدة الاذي الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيا كثيرا ولكنه بالنسبة لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة فى غاية العزة والمنعة والقدرة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالي لن يضروكم الا أذى وكان جبريل ياتيه بغالب الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شئ يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها بمكة كلها يامره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذي ثم انجزله وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

﴿ باب مغازيه صلي الله عليه وسلم ﴾

وأذن الله لرسوله صلي الله عليه وسلم فى القتال لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة قال الزهرى أول آية نزلت فى الاذن بالقتال قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائي باسناد صحيح عن عائشة رضى الله عنها واخرج الامام احمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما خرج النبي صلي الله عليه وسلم من مكة قال ابو بكر رضى الله عنه اخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما فهي أول آية نزلت فى القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية

الاذى الذي اصابهم المتقدم ذكره فلا ينافي ان بعض هؤلاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا قال جاء ان هشام بن عمرو بن الحرث رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك كما تقدم مشي الي زهير بن أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم فقال له يازهير ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وأخوالك قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك ياهشام فماذا أصنع انما انا رجل واحد والله لوكان معي رجل اخر لقمت لانقضها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال أنا فقال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يامطعم أرضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعنى بني هشام و بنى المطلب وأنت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال وجدت ثانيا قال من هو قلت أنا قال ابغنا رجلا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن امية قال ابغنا رابعا وذهبت الى ابى البخترى بن هشام فقلت له نحوا مما قلت للمطعم فقال وهل معين على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير بن أمية والمطعم بن عدى وأنا معك قال ابغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من أحد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة حتي ينقضوها وقال زهير انا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم فلما اصبحوا اغدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يااهل مكة انا كل الطعام وتلبس الثياب و بنوهاشم اى والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البخترى صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله تعالى منها ومما كتتب فيها وقال هشام ابن عمرو نحوا من ذلك وقال ابوجهل هذا امر قضي بالليل فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها انتهى اى وهذا يدل للرواية الدالة على أن الارضة لحست اسم الله تعالي واثبتت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعد امحاء ذلك منها لا معنى لشقها وفي كلام بعضهم يحتمل ان أباطالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيثمي و بعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم و بني المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

﴿ باب ذكر خبر وفد نجران ﴾

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصاري ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحوا من عشرين رجلا حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به في كتابهم فلما قاموا

كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال وحكمة تاخير الاذن بالقتال انهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا ان يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضها من اصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج قولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو واصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وجاؤا بعد الفتح من اقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهي غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بني سليم غزوة بني قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر غزوة نجران بالحجاز غزوة أحد غزوة حمراء الاسد غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهي غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بني قريظة غزوة بني لحيان غزوة الحديبية غزوة ذي قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادي القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التي بعث فيها اصحابه

عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون أي تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وذكر في الوفاء وفود ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ضمادا قدم مكة وكان من أزدشنوأة وكان يرقى من الريح أي ولعل المراد به اللمة من الجن فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال فأتيته فقلت يا محمد اني ارقى من الريح فان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي

﴿ باب ذكر وفاة عمه ابي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها ﴾

لتعلم انهما ماتا في عام واحد بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوما والى موتهما في عام واحد أشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه ابو طالب والد * هر فيه السراء والضراء

ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم أي من مجيء جبريل عليه السلام بالوحي وهو يرد قول ابن اسحق ومن تبعه ان خديجة رضي الله تعالى عنها ماتت بعد الاسراء وأفاد صاحب كلام الهمزية ان موت خديجة كان بعد موت ابي طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ابي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها أي بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت * وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة لكن ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال وروي ان آدم عليه السلام لما توفي اتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه ثم اقبروه وألحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلاة والسلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم

هذا

فسبع وار بعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وسيأتي كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبي فى السيرة يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك اي بالانذار وبالصبر على الاذى والكف بقوله تعالى واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت اتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة ابائهم وابنائهم وازواجهم واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن له فى القتال وقد ذكروا فى سبب نزول قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن ابى وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يارسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا اهلة فاذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم فانى لم اومر بقتالهم فلما هاجر صلي الله عليه وسلم الى المدينة وامر بالقتال المشركين كرهة بعضهم وشق عليه فانزل الله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الآية وكانت الصحابة رضي الله عنهم بمكة وبعد ان هاجروا قبل ان يؤذن لهم بالقتال فى غاية من الحذر لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى انهم أعنى المسلمين كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فانزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ثم اذن فى القتال اى ابيح الا بتداء به

هذا كلامه أي ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما فى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل انت تقدم فصل على ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وقد اخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه تعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على ان المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن القول بان صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وسيأتي عنهم انهم لم يفعلوا ذلك ايضا ولو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنهما الذى هو زوجها وسيأتى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو واصحابه فصلى على قبره وانها اول صلاة صليت على الميت فى الاسلام ومعرور معناه في الاصل مقصود لا يقال يجوز ان يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء لانا نقول قد جاء انه كبر فى صلاته أربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلي وسيأتي عن الامتاع لم أجد فى شىء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على اسعد بن زرارة وقد مات فى السنة الاولى ولا على عثمان بن مظعون وقد مات فى السنة الثانية {وفي كلام بعضهم} صلاة الجنازة فرضت فى السنة الاولى من الهجرة واول من صلي عليه صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة فليتامل وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم ولى الميت بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن أى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذلك العام عام الحزن ولزم بيته وأقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح {ويذكر} انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضى الله تعالى عنها وهى مريضة فقال لها ياخديجة أتكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني وفى رواية اما علمت ان الله قد زوجني معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى وهي التى علمت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأة فرعون فقالت الله اعلمك بهذا يارسول الله وفي رواية الله فعل ذلك يارسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين هو دعاء كان يدعي به فى الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملاءمة ماخوذ من قولهم رفات الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهى عن ذلك هذا وفى الامتاع ان سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما تزوج ام كلثوم بنت على بن أبى طالب رضي الله عنه جاء الى مجلس المهاجرين الاولين فى الروضة فقال رفئونى فقالوا ماذا يا امير المؤمنين قال تزوجت ام كلثوم بنت على هذا كلامه ولعل النهى لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهم وفي الشهر الذى ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها

حق لمن لم يقاتل لكن فى غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم امر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر امر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بان صالحهم على ان يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل فى الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمر ان يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ مافيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال ولتقوى قلوب اصحابه على القتال شيأ فشيأ وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان اول بعوثه واسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه كان في رمضان وقيل في ربيع الاول فى السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين فخرجوا يعترضون عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة اى يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها ابو جهل لعنه الله فى ثلثمائة راكب وقيل في ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهني وكان معاهدا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى مجدى هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر او قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدى هذا على النبي صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدي لم يعلم له اسلام ولم يذكره احد فى الصحابة مع انه سعى فى هذا الصلح

وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها ولما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهم وقد كانت رأت في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطيء عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك اموت انا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة اخري ان قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك () ﴿ وعقد صلي الله عليه وسلم على عائشة ﴾ رضي الله تعالى عنها وهى بنت ست اوسبع سنين فى شوال فمن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت احب خلق الله اليك بنت ابي بكر رضى الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي على ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفؤ كريم قال ما تقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها قال أى بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفؤ كريم اتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه لى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم اخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على رأسه التراب ولما اسلم قال لقد كدني السفه يوم احثي على رأسى التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته وذهبت خولة الى ام رومان ام عائشة فقالت لها ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظرى ابا بكر حتى ياتي فجاء ابو بكر فقلت له يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قلت قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قال وهل تصلح أى تحل له انما هى بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولى له انا اخوك وانت اخى في الاسلام وابنتك تصلح لى أي تحل فرجعت فذكرت ذلك له قالت ام رومان رضى الله تعالى عنها ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فاخلفه تعنى ابا بكر فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امرأته أم ابنه المذكور فكلمت ابا بكر بما اوجب ذهاب ما كان فى نفسه من عدته لمطعم فان المطعم لما قال له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على ابو بكر وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصيبه وتدخله فى دينك الذي انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها لتقول ما تسمع فقام ابو بكر ليس فى نفسه من الوعد شيء فرجع فقال لخولة ادعى لى رسول الله ﷺ فدعته فزوجه اياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم ان العقد على سودة تقدم على

العقد

المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلربما ان المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر للحال وابقاء لشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدي انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم احدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو ومعهم لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم (سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله) وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية اشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلقى ابا سفيان بن حرب وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل عكرز بن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة ابن ابي جهل وقد اسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانوا في مائتي رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم فكان اول سهم رمي به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام اصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا او دابة ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية اشهر في شوال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه

العقد على عائشة لان العقد على سودة كان في رمضان الشهر الذي ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وعلى عائشة كان في شوال ومعلوم ان الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رأيت بعضهم ذكر ان خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل ذهابها الى سودة عقده عليها ولا يخفى المخالفة الا ان يراد بالعقد على سودة الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها الى سودة ولما اشتكى ابو طالب أي مرض وبلغ قريشا ثقله اي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابي طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه ولنعطه منا فانا والله ما نأمن ان يبتزونا أمرنا أي يسلبونه ومنه قولهم من عزبز أي من غلب أخذ السلب وهو الثياب التي هي البز ولفظ انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء أي قتل محمد كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب ويقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية ابن خلف وابو سفيان رضي الله تعالى عنه فانه اسلم ليلة الفتح كما سيأتي وارسلوا رجلا يدعى المطلب فاستأذن لهم على ابي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك قال ادخلهم عليه فقالوا يا أبا طالب أنت منا حيث قد علمت وفي لفظ قالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه صلى الله عليه وسلم ابو طالب فجاءه ولما دخل صلى الله عليه وسلم على ابي طالب وكان بين ابي طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشي ابو جهل ان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب ابو جهل فجلس فيها فلم يجد النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب أبي طالب فجلس عند الباب انتهى وفي الوفاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت باحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هؤلاء اشراف قومك وفي لفظ هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ سألوك النصف وفي لفظ اعطي سادات قومك ما سألوك فقد نصفوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان اعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم أي تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وأبيك عشر كلمات وفي لفظ لنعطيكها وعشر امثالها فما هي قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا يا محمد اتريد ان تجعل الآلهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر الى آخر الآيات وفي لفظ قالوا أيسع لحاجتنا جميعا اله واحد وفي لفظ قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان ابا طالب قال يا ابن اخي هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما انا بالذي يقول غيرها ثم قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفي لفظ قالوا اعندنا قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي

كانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة اشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عير القريش نخرجوا على اقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا واول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودان قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان ابي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فاول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من أضافها الى ودان ومنهم من اضافها الى الابواء لانهما متقاربان في وادي الفرع خرج صلى الله عليه وسلم اليها في صفر لاثنتي عشر مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد عير القريش وبني ضمرة اي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر ابن عبدمناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا الهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط فلما اتي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين لما ليس فيهم أحد من الانصار فلم يدرك العير التي اراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه اذا دعاهم لنصر اجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على اموالهم

يامرك بهذا أي وفي لفظ لنكف عن سب الهتنا اولسب الهك الذي امرك بهذا قال في الينبوع وهذه العبارة احسن من الاول لانهم كانوا يعرفون انه يعبد الله وما كانوا ليسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله امره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان تنهى محمدا عن سب آلهتنا والنقص منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الآية باق في هذه الامة فاذا كان الكافر في منعه وخيف ان يسب الاسلام او الرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي الى مفسدة خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهي عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال ابو طالب لرسول الله ﷺ والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شحطا اي بالحاء والطاء المهملتين امرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة أي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السبة اي العار عليك وعلى بني أبيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا اي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخاء المعجمة والراء اي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما ارى من شدة وجدك لكني اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الآية اي وعن مقاتل ان أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا او ترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن اخي قد علمت انك صادق لكني اكره ان يقال الحديث قال في الهدى وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تاملها اي وكذا أقرباؤه وبنو عمه تاخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الايمان به لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص منهم يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بقولها فقال رسول الله ﷺ لم اسمع وفيه ان لم يثبت ان العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وايضا نزول الآية حيث ثبت ان نزولها في حق ابي طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله تعالى عنه انه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحيطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته اي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح اي وفي لفظ آخر قال نعم هو اي يوم القيامة في ضحضاح من النار لولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سأل هذا السؤال ولا اداها بعد الاسلام اذ لو اداها لقبلت وقد يقال انما سأل هذا السؤال ولم يؤد الشهادة بعد الاسلام لانه

وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم أى قصدهم بسوء بشرط أن لا يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة وأن النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضى الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه وانصرف الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه اول غزواته صلى الله عليه وسلم ﴿ غزوة بواط ﴾ بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فى مائتين من اصحابه المهاجرين يعترض التجار قريش عدتها الفان وخمسمائة بعير فيها امية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا ى حربا وكان اللواء بيد سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه

﴿ غزوة العشيرة ﴾

بضم العين المهملة مصغرا وبالشين اوبالسين آخرها هاء بخلاف غزوة العسره فهى غزوة تبوك واما هذه فمنسوبة لموضع لبنى مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة فى خمسين ومائة رجل وقيل فى مائتى رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التى صدرت من مكة الى الشام بالتجارة وكانت قريش جمعت أموالها فى تلك العير ويقال ان فيها خمسين الف دينار والف بعير وكان قائد تلك العير ابو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بايام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومى رضى الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم فى

لما قال له صلى الله عليه وسلم أولا لم اسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لم يعتد بها سال هذا السؤال وفهم ان اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيأ ويرده أيضا ما جاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر على ابى طالب ان يقول كلمة الشهادة وهو يابى الى ان قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك مالم انه عن ذلك اى عن الاستغفار لك فانزل الله عز وجل ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى القربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم أي وتقدم ان سبب نزول هذه الآية طلب استغفاره لامه عند زيادة قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب نزولها الجواز انه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين امه وعمه لان أمه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفى منع استغفاره لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم أحد اللهم اغفر لقومي لان ذلك أى غفران الذنوب مشروط بالتوبة اى الاسلام فكانه صلى الله عليه وسلم دعاهم بالتوبة التى هى الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي اى للاسلام قال وايضا جاء فى صحيح ابن حبان عن على رضى الله تعالى عنه قال لما مات ابو طالب اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فوراه قال علي رضى الله تعالى عنه فلما واريته جئت اليه فقال لى اغتسل اقول لانه غسله وبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل ائمتنا على ان من غسل ميتا مسلما أو كافرا استحب له ان يغتسل وروى البيهقي خبر ان عليا رضى الله تعالى عنه غسله بامر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفى رواية عن على رضي الله تعالى عنه لما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت ابى طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله ورحمه واما ماروى عنه انه ﷺ عارض جنازة عمه ابي طالب فقال وصلت رحم وجزيت خيرا ياعم فقال الذهبي انه خبر منكر والله اعلم وجاء ايضا انه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال امه ستنفعه شفاعتي وفى رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار اى مقدار ما يغطي بطن قدميه وفي رواية فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ اذا كان يوم القيامة شفعت لابى وامى وعمي أبي طالب واخ كان لى فى الجاهلية يعني اخاه من الرضاعة من حليمة كما فى رواية تاتى اقول يجوز ان يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما قدمناه جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله اعلم وفى لفظ آخر شفعت فى ابى وعمي ابى طالب واخى من الرضاعه يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء ومما يستانس به لايمان ابيه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار فى ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى بالدال المهملة او الكرى بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدي ما رأيت الجنة حتى يراها جد ابيك يعني عبد المطلب ولم يقل جدك يعني اباه الذى هو عبد الله وتقدم القول بان حليمة واولادها اسلموا وعليه فيجوز ان يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم اخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك فى ابيه وامه وفى رواة الحديث الاول هو منكر الحديث وفى الثانى من هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزى انه موضوع بلاشك اى وهذا اى قبول

هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة قال الواقدي ان هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها لتلقي تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا ﴿ غزوة بدر الاولى ﴾ قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي حتي اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة اى الابل والمواشي التي تسرح المرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وامر على سرية واستشهد في فتح مكة ثم خرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمي بدر الاولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد على بن أبي طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنه

﴿ سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش رضى الله عنه ﴾

الاسدي احد السابقين الى الاسلام واستشهد باحد رضي الله عنه روى ابو القاسم البغوى عن سعد بن أبي وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال لابعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضى الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين فهو اول من تسمي في الاسلام به ولا ينافيه القول بان عمر رضي الله عنه اول من تسمي بامير المؤمنين لان المراد اول من اى تسمي بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وامره ان لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما امر به ولا يستكره من اصحابه احدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا

شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه ابي طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اولا تنفعهم شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية أي وفي هذا الثاني انه لا يناسب ان شفاعته لهم ان يكونوا من بعد البعث هباء اى في صيرورتهم هباء الا ان يقال انه لم يستحب له في ذلك قال وجاء ايضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهون أهل النار اى وهم الكفار عذابا ابو طالب وهو ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه اى وفي رواية كما يغلى المرجل اي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية كما يغلى المرجل بالقمقم قيل والقمقم بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك اهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان اباطالب اسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اى وقد قال وقفت على جزء جمعه بعض اهل الرفض اكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام ابى طالب ولم يثبت من ذلك شيء وروي ابوطالب عن النبي ﷺ قال حدثني محمد ان الله أمره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره قال سمعت ابن اخي الامين يقول أشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهى وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي ان اباطالب ممن آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول اني لاعلم ان مايقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان يعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه ان الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد ﷺ وان لم يقر بالشهادتين مع التمكين من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وابوطالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبراني عن أم سلمة ان الحرث بن هشام اى اخا ابي جهل بن هشام اتي النبي ﷺ يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وإيواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا انما يفعله هشام يعني والده فما ظنك به يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه ان لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي اباطالب في طمطام من النار فاخرجه الله لمكانه مني واحسانه الى فجعله الله في ضحضاح من النار وذكر أن أباطالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجهاء قريش فاوصاهم وكان من وصيته ان قال يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة اوصيكم بتعظيم هذه البنية اى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منساة اي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما أهلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش

أى وهو الصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان أى البغض وهو لغة فى الشنآن وأيم الله كانى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاضوا بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد وفى لفظ آخر انه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا ولما مات ابو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله تعالى مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ اكرهه اي اشد الكراهة حتى مات ابو طالب وتقدم وسيأتي بعض ما اوذي به قال ولما رأى قريشا تهجموا قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابو لهب ذلك قام ابو لهب بنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك احد حتى اموت واتفق ان ابن الغيطلة اى وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبي ﷺ فاقبل عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على ابي لهب وقالوا أفارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفى لفظ قالوا له اصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الا ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابى معيط الى ابى لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اى المحل الذى يكون فيه يزعم انه فى النار فقال له ابو لهب يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت لك عدوا وانت تزعم ان عبد المطلب فى النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهي وفي لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه فى النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل الفترة وتقدم الكلام عليهم والله اعلم

﴿ باب ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ﴾

سميت بذلك لان رجلان من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته

فيه أذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم فقال سمعا وطاعة واخبر اصحابه انه نهاه ان يستكره أحدا منهم ولم يتخلف منهم احد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله بأصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عير لهم تحمل زبيبا وادما اي جلودا وتجارة من تجارات (٣٩١) قريش فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبا منهم فهابوهم فارشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض اصحابه رأسه واشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمار اى معتمرون لا باس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب اوفي اول يوم من شعبان اي شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا انفسهم عليهم واجمعوا على قتالهم اى قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله ابن واقد بسهم فقتله واستاسروا عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم ابن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة فى الاسلام وكان القتل اول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضى الله عنه بين اصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى ايدي القوم وظنوا انهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا سفك الدماء واخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله

واقد بن عبد الله عمرو وعمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبي صلى الله عليه وسلم بفعل اصحاب السرية فانزل الله تعالى بعد ان اكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة يعني الكفر اكبر من القتل فكان في ذلك تاييد لما صدر من تلك السرية (٣٩٢) وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش رضي الله عنه تعدون قتلا في الحرام عظيمة * واعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد

واخراجكم من مسجد الله اهله * لئلا يرى لله في البيت ساجد

فانا وان عيرتمونا بقتله * وارجف بالاسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا * بنخلة لما اوقد الحرب واقد

دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاقد

وبعث قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين في طلب بعيرهما لشجر فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بايام فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادي له وفي شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفي شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر واما زكاة المال فقيل فرضت في هذا الشهر ايضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله اعلم

منه في حياته كما تقدم خرج الى الطائف أي وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش وقرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال بعد موت ابي طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا ابو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان ينصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في الامتاع لانهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم اى من اجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا على من ضاق صدره من اهل مكة كذا قال وفي كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهي راحة الامة ومتنفس كل ذي ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتأمل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد يا ليل اى واسمه كنانة ( ) لم يعرف له اسلام واخوه مسعود اى وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام أيضا وحبيب قال الذهبي في صحبته نظر اى وهم اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به أي من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اى ينتفها ويقطعها اى وقيل يسرقها ان كان الله ارسلك وقال له آخر ما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا كلمك ابدا لئن كنت رسول الله كما تقول لانت اعظم خطرا اى قدرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا علي وكره صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الارض واغروا به اى سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما اي دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا ازلقته الحجارة اى وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة اي بناء على انه كان معه صلى الله عليه وسلم يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اى بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة اى بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل ان يطيب قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه احد في تاويل الحديث فجاء الى ذلك المحل وهو مكروب موجع اى وقد جاء النهي عن ان يقال

﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾ ويقال العظمى ويوم وقعة بدر وهو يوم الفرقان المذكور في قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور في قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو يوم أعز الله فيه الاسلام وقوي أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدد فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة سوابغ الحديد والعدد الكاملة والخيل المسومة (٣٩٣) والخيلاء لزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل ان هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان خروجهم يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكانت عدة البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التي

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها اي رجوعها من الشام فعند قفولها ندب المسلمين اي دعاهم وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب ناس اي اجابوا وثقل آخرون لظنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لم يهتم بها وقال

الشجر العنب الكرم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم الكرم فالكرم قلب المؤمن ولكن قولوا حدائق العنب قال وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمرة تتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي لفظ ان هؤلاء الثلاثة أي عبد ياليل واخوته أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء منه اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني وان لم يكن بك غضب على فلا أبالي اهـ واذا في الحائط أى البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة اى وقد رأيا ما لقى من سفهاء أهل الطائف فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الي بدر فقالا خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقال له يأكل منه أى وهذا لا ينافي كون زيد بن حارثة كان معه كما لا يخفى ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال بسم الله ثم أكل اى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله ويأمر الآكل بالتسمية وأمر من نسى التسمية أوله أن يقول بسم الله اوله وآخره فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك يا عداس قال نصراني وأنا من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطىء دجلة في ارض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرية أى وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم ابيه اى كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفي تاريخ حماة انه اسم امه قال ولم يشتهر باسم امه غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام اى وفي مزيل الخفاء فان قيل قد ورد في الصحيح لا تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى ابيه وهو يقتضي ان متى أبوه لا امه اجيب بان متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى ابيه لا الى امه هذا كلامه وعند ذلك قال عداس له صلى الله عليه وسلم وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفت ابن متى وانت امي وفي امة امية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي امي وفي رواية انا رسول الله والله اخبرني خبره وما وقع له مع قومه اى حيث وعدهم العذاب بعد اربعين ليلة لما دعاهم فأبوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة اى الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما في الكشاف انه قال لهم يونس انا اوجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السماء غيما اسود يدخن

من كان ظهره أى مايركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه وكان ابو سفيان لقى رجلا فاخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لغيره فى بدايته وانه ينتظر رجوع العير فما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الاخبار ويبحث عنها ويسال من اتي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان انه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك فخف خوفا شديدا فاستاجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا لياتي مكة وان يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم هو واصحابه وكانت تلك العير فيها أموال قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى ويقال ان في تلك العير خمسين الف دينار وألف بعير وتقدم ان قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل انها تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل ان يقدم بثلاث ايام رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختلف في اسلامها رؤيا افزعتها فبعثت الى اخيها العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه فقالت له يا اخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا افظعتني اى اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما احدثك وفي رواية قالت له من ان احدثك حتى تعاهدني ان لا تذكرها فانهم ان سمعوه تعني كفار قريش آذونا واسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث اى بعد ثلاثة ايام وقوله يا آل غدر معناه يا اصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد

دخانا شديدا ثم هبط حتى غشي مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح وأخرجوا المواشي وفرقوا بين النساء وأولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما أقبل عليهم العذاب جاروا الى الله تعالى وبكي الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا ياحي حيث لاحي وياحي يحيي الموتى وياحي لا اله الا انت * وعن الفضيل انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وفي الكشاف أنهم عجوا أربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد أن صار بينه وبينهم قدر ميل فمر رجل على يونس فقال له مافعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا ارجع الى قوم قد كذبتهم قيل وكان في شرعهم أن من كذب قتل فانطلق غاضبا لقومه وظن أن لن نقضى عليه بما قضى به عليه أى من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى لن نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة أى وفي كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشوراء وأخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بانه نبذ من يومه وهو قول الشعبي التقمه ضحوة ونبذه عشية اى بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وذكر ان الحوت لم يأكل ولم يشرب مدة بقاء يونس في بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدى مكث أربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة أيام وقال قتادة ثلاثة أيام وذلك بعد أن نزل السفينة فلم تسر فقال لهم إن معكم عبدا آبقا من ربه انها لا تسير حتى تلقوه في البحر وأشار الى نفسه فقالوا لا نلقيك يا نبي الله أبدا فقال فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا ألقى نفسه في البحر وهذا السياق يدل على ان رسالته كانت قبل أن يلتقمه الحوت وقيل انما أرسل بعد نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فالقاها عنه وخرج هاربا أي فقد تقدم أن للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أما نوح فلقوله ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله الآية وأما هود فلقوله اني اشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه الآية وأما ابراهيم فلقوله هو والذين آمنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه وسلم فعند ذلك أكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما أى عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد أفسده عليه فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما في الارض شيء خير من هذا لقد أعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قال ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك * أقول وفي رواية قالا له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شان رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير

والناس يتبعونه فبينماهم حوله قالت رأيت بعيره مثل به اي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت أى تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا أي عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني ابو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم وفي رواية مارضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال ابو جهل وقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان كبير أمرمني اليه الا اني جحدت ذلك وانكرت أن تكون رأت شيأ وفي رواية ان العباس قال لابي جهل هل أنت منته يا مصفر استه أى يا مأبون او يا جبان فان الكذب فيك وفي أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقي من اخته عاتكة أذى شديدا حين أفشي من حديثها قال العباس فلما امسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني تقول لي اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت فقلت لهن وايم الله لا تعرضن له وان عاد

من دينه وقد تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضى الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام وتقدم انه غير هذا لاختلاف ما اشتملا عليه * وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر والله اعلم * وفي الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتي عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال أي والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية أي فيقال عبد ياليل وكلال أي وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر دون أخيهما حبيب لانهما كانا أشرف وأعظم أو لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان ثبت ان في آباء هؤلاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رأيته في النور ذكر ما يفيد ان لفظ ابن ثابت في الصحيح والذي في كلام ابن اسحق وابي عبيد وغيرهما اسقاطه ثم رأيت الشمس الشامي قال الذى ذكره أهل المغازى أن الذي كلمه رسول الله ﷺ عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند أهل السير أن عبد كلال اخوه لا ابوه اي أبو أبيه كما لا يخفي فلم يجبني الى ما ردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اي ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز واليمن بينه وبين مكة يوم وليلة وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراء قرن بسكون الراء ووهم الجوهري في تحريكها وفي قوله ان اويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب الي قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع قول قومك لك اى اهل ثقيف كما هو المتبادر وماردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتامره بما شئت فيهم فناداه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت اي وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى فمن الاول قوله وهما ابو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذى يقابل اباقبيس المشرف على قعيقعان ومن الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وفيه ان ثقيفا ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض او دمدمت عليهم الجبال اى التي بتلك الناحية ثم رايت الحافظ ابن حجر قال المراد بقوم عائشة في قوله لقد لقيت من قومك قريش اى لا اهل الطائف الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولان ثقيفا ليسوا قوم عائشة رضى الله تعالى عنها وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدي فارسل ربه تبارك وتعالى اليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال يستامره ان يطبق على اهل مكة الاخشبين وهما جبلاها اللذين هي بينهما وعبارة الهدى في محل آخر وفي طريقه صلى الله عليه وسلم ارسل الله تعالى اليه ملك الجبال فامره بطاعته صلى الله عليه وسلم وان يطبق على

قومه اخشبي مكة. هما جبلان ان ر د هذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي الى آخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك به ظاهر في ان المراد بهم ثقيف لا قريش و يوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنه في شرح منظومة جده بعد ان ساق دعاءه صلى الله عليه وسلم المتقدم بعضه فارسل الله عزوجل جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلها من محلهما الى محل ثقيف الذي هو الطائف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجوا أن يخرج الله تعالى وفي رواية استأني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيأ وعند ذلك قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فاغضى * واخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

اى جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فآذوه اذية لا تطاق فاغضى عنهم حلما واخو الحلم اى وصاحب عدم الانتقام شأنه الاغضاء فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع للعلم والحلم لم تعيه الاعباء أي لم تتعبه الاثقال لكن تقييده بقومه السياق يدل على ان المراد به ثقيف وقد علمت ما فيه فليتأمل وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم المذكور من الطائف نزل نخلة وهى محلة بين مكة والطائف فمر به نفر سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين اي وهي مدينة بالشام وقيل باليمن اثنى عليها صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها و ينضر شجرها و يكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل اى وسطه يصلى *وفي رواية يصلى صلاة الفجر وفي رواية هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلعله كان يقرأ في الصلاة والمراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر وذلك ملحق بالليل وفي قوله جوف الليل تجوز من الراوى او صلى صلاتين صلاة في جوف الليل وصلاة بعد الفجر وقرأ فيهما اوجمع بين القراءة والصلاة وان الجن استمعوا للقراءتين واطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سائغ وبهذا يندفع قول بعضهم صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان ﷺ يقرأ سورة الجن وفيه اي في الصحيحين ان سورة الجن انما نزلت بعد استماعهم وقد يقال سيأتى ما يعلم منه انه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور في رواية ابن عباس رضي الله تعالي عنهما الآية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كا نقله والاقالروايات التي وقفت عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت في ابتداء البعث في بطن نخلة عند ذهابه واصحابه الى سوق عكاظ كما سيأتى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فامنوا به وكانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى

قتلته فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا مغضب أرى انى قد فاتني منه امر احب ان ادركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشي نحوه اتعرضه ليعود الى بعض ما قال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو الباب يشتد أى يعدو فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا الفرق اى الخوف مني فاذا هو يسمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أي ادركوا

اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز اموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه لااري ان تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلني عنه وشغله عنى ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة و يروى انهم قالوا أيظن محمد واصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا واما ان قومهم ضعيفهم وقام اشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو اتاركون انتم محمدا والصباة من اهل يثرب ياخذون اموالكم من اراد مالا فهذا مالي ومن اراد قوة فهذي قوتي ولم يتخلف من اشراف قريش الا ابو لهب خوفا من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كاخذ بيد اي صادقة لا تتخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استاجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا فافلس بها فقال له اخرج ودينك لك وهشام هذا قتل كافرا في هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه واراد التخلف امية بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاءه اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن ابى معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له ياابا على استجمر فانما انت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ماجئت به وكان عقبة سفيها وكان ابو جهل هو الذي سلط عقبة على ذلك وجاء ابو جهل امية بن خلف فقال

له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي وفي رواية من اشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوما أو يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية لان أمية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشام في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لامية انظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت فقال امية لسعد اذا انتصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد

بن معاذ فقال له أبو جهل تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم اما والله لولا انك مع أبي صفوان ما رجعت الى اهلك سالما فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعل يسكته فقال سعد لامية اليك عني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال سعد لا أدري قال أمية والله ما كذب محمد فكاد يحدث اي يبول في ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال اخي اليثربي يعني سعد بن معاذ قالت وما ذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلي قالت والله ما كذب محمد فلما جاء الصريخ واراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك اخوك اليثربي قال فاني لا اخرج فلما صمم على عدم الخروج بل اقسم بالله لا يخرج من مكة اتاه عقبة بن ابي معيط بالمجمرة وقال له ابو جهل ما قال كما تقدم فخرج ناويا ان يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان صلى الله عليه وسلم سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخي امية وهو ابي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومن ثم جاء في رواية ان سعد بن معاذ قال لامية ان أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون منهم امية بن خلف وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم

عيسى الآن يكون ذلك بناء على ان شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا ينافي انهم قالوا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله نزل لا يقال ما ذكر انكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن اي باحد منهم ففي الصحيحين عنه قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ورآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ اي وكان بين الطائف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جماعة اخذوا نحو تهامة فاذا هم النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي اي قل اخبرت بالوحي من الله تعالى انه استمع لقراءتي نفر من الجن اي جن نصيبين * تقدم ان اطلاق الفجر على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سائغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفترضة ليلة الاسراء وقوله باصحابه يجوز ان تكون الباء بمعنى مع ويجوز ان يكون صلى بهم اماما لان الجماعة في ذلك جائزة ولا يخفى ان هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف يدل لذلك قوله انطلق في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وانه قرأ في تلك القصة التي هي قصة الطائف كان وحده او معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيئه صلى الله عليه وسلم من الطائف قاصدا لمكة وفي هذه كان ذاهبا من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرأ في تلك أي مجيئه من الطائف سورة الجن وفي هذه قرأ غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت في ابتداء الوحي لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب كانت في ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل على انه لم يجتمع الجن به صلى الله عليه وسلم ولا قرأ عليهم وانما استمعوا اقراءته من غير ان يشعر بهم وقد صرح به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه وصرح به الحافظ الدمياطي في تلك حيث قال في سيرته فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلي من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من اهل نصيبين فاستمعوا له صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن هذا كلامه ونزول ما ذكر كان بعد انصرافهم فقد قال ابن اسحق فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا به واجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم ما في سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه وسلم في رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما في المواهب من قوله ولما انصرف

ابن حزام فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل أجمعوا على المقام وعدم الخروج فجاءهم أبو جهل وازعجهم وحثهم على الخروج واعانه على ذلك عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث يروى ان عداس الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بالطائف واسلم على يديه كما تقدم قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة بابي وامي أنتما والله ماتساقان الا لمصارعكما فارادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتي خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة ايام وقيل في يومين واجمعوا السير أي عزموا عليه وكانوا تسعمائة وخمسين وقيل كانوا الفا وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضي الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعي رضي الله عنه خرجوا على الصعب والذلول لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلا كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر وفيهم انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنى عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البختري وزمعة بن الاسود وابى بن خلف وامية بن خلف والنضر بن الحرث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الاية المذكورة نزلت في الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل في هؤلاء ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم و بين كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شيخا من كنانة فرشاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان اخا المقتول ظفر بعامر

صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ونزل بنخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين الى ان قال وفي الصحيح ان الذي اذن به صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم الى اخره لان سؤالهم له ﷺ الزاد فرع اجتماعهم وقد ذكر هوانهم لم يؤذنه صلي الله عليه وسلم بهم الاشجرة هناك وعلى جواز ان شجرة آذنته بهم قبل انصرافهم اى علمته بوجودهم وان ذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم وان دعوى ذلك لا ينافى انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر باستماعهم للقرآن الا بما نزل عليه من القرآن فسؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد كان فى قصة أخرى غيرها تين القصتين كانت بمكة سياتى الكلام عليها ثم رايت من ابن جرير انه تبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قرءة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة واسلموا فارسلهم صلي الله عليه وسلم الى قومهم منذرين اذ لا جائز ان يكون ذلك في اول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحينئذ يؤيد الاحتمال الثاني الذي ذكرناه من انه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد ان آذنته بهم الشجرة وقوله فارسلهم الي قومهم منذرين لم اقف فى شيء من الروايات على ماهو صريح في ذلك اى ان ارساله لهم كان بنخلة عند رجوعه من الطائف ولعل قائله فهم ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وغاية مارأيت ان ابن جرير والطبرانى رويا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الي قومهم وهذا ليس صريحا في انه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه من الطائف لا يقال معنى ذلك انكار ابن عباس من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولي التى كانت عند البعث لاحتمال انه صلي الله عليه وسلم كان في بطن نخلة في مرة أخرى ثالثة ثم رأيت فى النور مايخالف ماتقدم عن ابن عباس من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بهم بالجن حين خروجه الى سوق عكاظ حيث قال الذي في الصحيح وغيره انه اجتمع بهم وهو خارج من مكة الي سوق عكاظ ومعه اصحابه فليتامل قال وذكرا انه صلى الله عليه وسلم أقام بنخلة أياما بعد ان أقام بالطائف عشرة أيام وشهرا لا يدع احدا من أشرافهم أي زيادة على عبد يا ليل وأخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد فلما أراد الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم قد أخرجوك اي كانوا سببا لخروجك وخرجت تستنصر فلم تنصر فقال يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فصار صلي الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الي الاخنس بن شريق اى رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك () ليجيره اي ليدخل صلي الله عليه وسلم مكة فى جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير اى في قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم فبعث صلى الله عليه وسلم الي سهيل ابن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك أيضا (فقال ان بني عامر لا تجير على بنى كعب وفيه انه لو كان كذلك لما سألهما صلى الله عليه وسلم وكونه صلي الله عليه وسلم لم يكن يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا ان يقال جوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدى اى وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة اشهر يقول له اني داخل

مكة

مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي واهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى يامعشر قريش اني قد أجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله اى والمطعم بن عدى وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم قال وذكر أنه ﷺ بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وأقبل ابو سفيان على المطعم فقال أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا تزل خفارتك أي جوارك قد أجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه اه أي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في امان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى . وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله اي ولهذا المعروف الذى فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في اساري بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له * ورايت في اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضى الله تعالى عنه قد اسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في اسارى بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه فيهم كما سياتي اى لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه لما انصرف السبعة من اهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا قومهم منذرين ثم جاؤا مع قومهم وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجاء واحد من اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون اه وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى امرت ان اقرأ على اخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه اى بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه احد منهم ولعلهم فهموا ان من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع في نحو الملبوس الذى لا يكاد يخلو منه احد وقد بين صلى الله عليه وسلم الكبر في الحديث بطر الحق وغمص الناس أى استصغارهم وعدم رؤيتهم شيا بعد ان قالوا له يارسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما في رواية ابي داود وجاء لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال الخطابي المراد بالكبر هنا اى في هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي مكة اى باعلاها بالحجون فلما برز خط لي خطا اى برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترني ولم أرك الى يوم القيامة * وفي رواية لا تحدث شيا

سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكان ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم وخافوا ان يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم أنا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه وخرج معهم ابليس ويعدهم أن بني كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم ويحسن لهم الامر ويقربه لهم ويهونه عليهم كما قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ثم بعد ان خرج ضمضم الى اهل مكة اشتد حذر أبي سفيان فاخذ طريق الساحل وجد في السير حتى فات المسلمين .فلما امن ارسل الى قريش يامرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف اي بالملاهي وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذى أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ولما بلغ أبا سفيان كلام أبي جهل قال هذا بغي والبغي منقصة وشؤم لان القوم انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل ثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بني زهرة الاخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لهم فقال لهم يا بني زهرة قد نجى الله اموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل فانه كان في العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم ان تخرجوا في غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعني ابا جهل ثم خلا بابي جهل وقال له اترى محمدا يكذب اصدقني ليس بيني وبينك أحد فقال له ابو جهل ما كذب

محمد قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فاي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرسي رهان فرجع الاخنس ببني زهرة والاخنس هذا اختلف في اسلامه والاكثرون على أنه اسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قيل ان الاخنس جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الاسلام وقال الله يعلم اني لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين

فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الى قوله وبئس المهاد قال الحلبي نقلا عن الاصابة ولا مانع من أنه أسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بني هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم ابو جهل وقال لقريش لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسيأتي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها واليا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسي رضي الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدي رضي الله عنه على قباء واهل العالية لشيء بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضي الله عنه وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع علي ابن ابي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر ابي عتبة على ميل من المدينة فعرض اصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة اصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر او واربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوي وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم وكان معهم خمسة افراس فرس النبي صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم ان قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة

حتى آتيك لا يرعنك أي لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك أي لا يعظم عليك شيء تراه ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كانهم رجال الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطي وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا أي لازدحامهم أي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم فاردت أن أقوم فاذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا أي أرضنا التي نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا أي لانفسنا ودوابنا ولعله كان تقدم زادهم وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحما رواه مسلم * وفي رواية لا يجد عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل وكل بعر علف دوابكم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق بضم العين وفتح الراء جمع عرق بفتح العين وسكون الراء العظم الذي أخذ عنه اللحم وقيل الذي أخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم أي عن انفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت * وفي رواية وجدوه أي الروث والبعر شعيرا فهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جاء ان الشعير يعود خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا يوم أكل وبين كونه يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا وفي رواية لابي نعيم ان الروث يعود لهم تمرا وهي تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع وجمع ابن حجر الهيتمي بان الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة يكون طعاما لهم أنفسهم أي وفي لفظ سألوني المتاع فمتعتهم كل عظم حائل وكل روثة وبعر والحائل البالي بمرور الزمن لانه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم كما لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل الاشارة الى ان زادهم العظم ولو كان حائلا لانه لم يمنعهم الا الحائل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر اسم الله تعالى عليه فلا يأكلون ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من عظم أي وكذا من طعام الانس سرقة كما جاء في بعض الاخبار هذا ولكن في رواية ابي داود كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه قال السهيلي وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية أبي داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه في الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله تعالى عليه في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه أي التي من تلك الاحاديث ان ابليس قال يا رب ليس أحد من خلقك الا وقد جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه اسمي ومعلوم أن ابليس أبو الجن وان ما لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين تدل على ان المراد بهم فسقتهم الا الكفار منهم لان في كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وان كلا من الفريقين سأله الزاد وانه خاطب كلا بما يليق به فيه بعد لاسيما مع ما تقدم عن ابن مسعود وما يأتي من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فليتأمل ولما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم والروث قالوا يا رسول الله ان

الناس

ولما عد صلى الله عليه وسلم اصحابه فوجدهم ثلثمائة عشر فرح وقال عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ولما نظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع منهم احد الا وله البعير والبعيران واكتسي من كان عاريا واصابوا طعاما من أزواد قريش واصابوا فداء الاسارى فاغنى به كل عائل وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان اخبار عير ابي سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب من الماء واخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداها لصاحبتها ان اتاني العير غدا أو بعد غد أعمل لهم اى اخدمهم ثم اقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وفى حرب النفير اى القوم النافرين للحرب يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم خير اصحابه بين ان يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير واخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم ليستعينوا بما فيها من الاموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفي رواية استشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول اى مسرعين فما تقولون العير احب اليكم من النفير قالوا نعم اى قالت طائفة منهم العير احب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب انا خرجنا للعير وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع

الناس يقذرونهما عليها فنهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم أو بثروة بقوله فلا يستبقن احدكم اذا خرج من الخلاء بعضهم ولا بعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن وفى رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم انه امتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعر أى وحرمة نحو البول أو التغوط عليهما تعلم من ذلك بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتقذير التنجيس لا ما يشمل التقذير بالطاهر كالبصاق والمخاط * وعن جابر ابن عبد الله رضى تعالى عنهما قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه صلى الله عليه وسلم وادنت فاها من اذنه وكانها تناجيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسالته فاخبرني انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة أي العظم لان الله تعالى جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهي عن ذلك ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضى ان ذلك لم يكن زادهم وزادوا بهم قبل ذلك وحينئذ يسئل ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام الادميين وحينئذ يكون ما تقدم فى خبر ابليس المراد بما لم يذكر اسم الله عليه غير العظم فليتامل والنهى عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وابدا وقصة جابر هذه سياتي فى غزوة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلق عارضتهم فى الطريق فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتي اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا احد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن قال فى المواهب وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب أى وانما يتغذون بالشم اقول ذكرت فى كتابي عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان فى اكل الجن ثلاثة اقوال قيل ياكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثانى لا ياكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف ياكل ويشرب وصنف لا ياكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله اعلم قال ابن مسعود فلما ولوا قلت من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين وفي رواية فتوارى عنى حتى لم اره فلما سطع الفجر أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى اراك قائما فقلت ماقعدت فقال ماعليك لو فعلت أى قعدت قلت خشيت ان اخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم ترني ولم ارك الى يو القيامة أى وفى رواية لم آمن عليك ان يخطفك بعضهم وفيه ان الخروج لا ينشا عن القعود حتى يخشى منه الخروج وفي رواية قال لى أنمت فقلت والله يارسول الله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس اي لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت عليك الى ان سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وساله عن سبب اللغط الشديد الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فحكمت بينهم بالحق وفى رواية عن سعيد ابن جبير انه أى ابن مسعود قال له اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك أي ولا ينافى ذلك ماجاء عن ابن مسعود رضي الله

العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو ايوب وفي ذلك انزل الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية وروى ابو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اقبلت عير لاهل مكة من الشام فخرج النبي صلي الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدي الطائفتين وكانوا ان يلقوا العير احب اليهم وايسر شوكة

وأحضر مغنما من ان يلقوا النفير وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس فتكلم المهاجرون فاحسنوا ثم استشارهم فقام ابو بكر فقال فاحسن اى جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فاحسن روى ابن عقبة انه قال يارسول الله انها قريش وغزها والله ماذلت منذ عزت ولا اسلمت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتاهب لذلك اهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وفي رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا اى ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلي الله عليه وسلم خيرا اودعا له بخير قال ابن مسعود رضى الله عنه فى آخر قصة المقداد فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره يعني قوله وروى ابن ابي حاتم عن ابى ايوب الانصارى رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى اخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم ان تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما او يومين قال قد اخبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم فاعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسي انا ههنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو انا قلنا كما قال المقداد وانزل الله فى ذلك كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه الصلاة والسلام

تعالى عنه انه فتح القرآن لان المراد بالقرآن القراءة زاد ابن مسعود على مافى بعض الروايات ثم شبك اصابعه فى اصابعى وقال انى وعدت أن تؤمن بي الجن والانس اما الانس فقد آمنت واما الجن فقد رأيت اقول وفى هذا ان ابن مسعود لم يخرج من الدائرة التي اختطها له صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الهشامية ما يقتضى انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود فجئتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه صلى الله عليه وسلم من الجبال فازدحموا عليه الى آخره فليتامل فعلم ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف فان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في اول البعث وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدهما بمكة والله اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء اى ماء نتوضا به قلت لا فقال ماهذه الاداوة أى وهى اناء من جلد قلت فيها نبيذ قال ثمرة طيبة وماء طهور وصب على فصببت عليه فتوضا واقام الصلاة وصلى اقول وهو محمول عند ائمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الماء ومن ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيها نبيذ أي منبوذ الذى هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى انى ارانى اعصر خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفى كلام الشيخ محيي الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه الذى اقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو ان الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور أى قليل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ماشرع الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فامره بالتطهر ايضا به تشريفا له وعند احمد ومسلم والترمذى عن علقمه قلت لابن مسعود هل صحب النبى ﷺ ليلة الجن منكم أحد فقال وصحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير أو اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذ هو جاء من قبل الحجون وفي لفظ من قبل حراء فقلنا يارسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال انه اتانى داعى الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان تكون هى المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهى سابقة على القصة التى كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها وهى المرادة بقول عكرمة انهم كانوا اثنى عشر الفا جاؤا من جزيرة الموصل لان المتقدم فى تلك عن كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه انهم كانوا ثلثمائة من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة سابقة على القصة التي كان بها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متاخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم فى مكة ثلاث مرات مرة كان فيها معه ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما قال فى الاصل ويكفي فى امر الجن مافى سورة الرحمن وسورة قل اوحى الى وسورة الاحقاف اقول فعلم ان الجن سمعوا قراءته ﷺ ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم فى المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ فى ابتداء البعث المتقدمة عن ابن عباس على ما تقدم ولا

فى المرة الثانية عندمنصرفه من الطائف بنخلة على ماقدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم اقراءته صلي الله عليه وسلم فى المرتين وبه يعلم مافى المواهب عن الحافظ ابن كثيران كون الجن اجتمعوا له صلى الله عليه وسلم فى نخلة عند منصرفه من الطائف فيه نظر وانما استماعهم له كان فى ابتداء البعث كمايدل عليه حديث ابن عباس أى من ان ذلك كان عند ذهابه الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرأعليهم وآمنوا به فى مكة مرتين او ثلاثة بعد ذلك والله اعلم وقداخرج البيهقى فى شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال اي رب قد لعنته فما علمه قال السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه أى من طعام الانس ياخذه سرقة قال فما شرابه قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام قال فاين محله قال فى الاسواق قال فما صوته قال المزمار قال فما مصايده قال النساء بالحمام محل اكثر اقامته والسوق محل تردده فى بعض الاوقات والظاهر ان مثل ابليس فيماذكر كل من لم يؤمن من الجن

﴿ باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه ﴾

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا فى قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشي اليه رجال من قريش فقالوا ياأبا الطفيل كنوه بذلك تعظيماله فلم يقولوا ياطفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره بنا اى اشتد وفرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوم كالسحر يفرق به بين المرأ واخيه أي وبين الرجل وزوجته وانا نخشي عليك وعلى قومك مادخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه () قال الطفيل فوالله مازالوا بي حتى اجمعت أى قصدت وعزمت على ان لا اسمع منه شيأ ولا اكلمه أى حتى حشوت فى اذنى غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء أي قطنا فرقا أي خوفا من ان يبلغني شىء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فابي الله الا أن سمع بعض قوله اى فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى انا مايخفي على الحسن من القبيح فما يمنعني من ان اسمع من هذا الرجل مايقول فان كان الذي ياتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الي بيته فقلت يامحمد ان قومك قالوا الى كذوكذا حتى سددت اذنى بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض على امرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أي قرأ عليه قل هو أحد الى آخرها وقل اعوذ برب الفلق الى آخرها وقل اعوذ برب الناس الى آخرها وفيه انه سياتى ان نزول قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كان بالمدينة عندما سحر رسول الله ﷺ الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله فقال والله ماسمعت قط قولا احسن من هذا ولا امرا أعدل منه فاسلمت فقلت يا نبى الله اني امرؤ مطاع في قومى وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لى عونا عليهم قال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذ كنت بثنية تطلعني على الحاضر اى وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهي فاني اخشى

ثالث مرة ايها الناس اشيروا على وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك اى من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه انفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشي ان تكون الانصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه اى جاءه نجاة من العدو بالمدينة فقط وان ليس عليهم ان يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما قال ذلك اى كرر قوله اشيروا على قال له سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال الزرقانى كان فيهم كالصديق رضى الله عنه فى المهاجرين قال والله لكانك تريدنا يارسول الله قال اجل اى نعم قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت وفى رواية ولعلك تخشي ان تكون الانصار ترى ان لا ينصروك الا فى ديارهم وانى اقول عن الانصار واجيب عنهم واملك يارسول الله خرجت لامر فاحدث الله غير فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من اموالنا ماشئت واعطنا ماشئت وماأخذت منا كان احب الينا مما تركت وما امرت به من امرنا فامرنا نتبع امرك ولئن سرت بنا حتى تاتى برك الغماد لنسيرن معك وفى رواية فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره ان نلقي عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله ان يريك منا ماتقر به عينك فسر على بركة الله زاد فى رواية ابن مردويه فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ ابن حجر ان المحفوظ ان هذا الكلام للمقداد وان سعدا انما قال ماذكر عنه أولا وروي مسلم ان سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله عنه قال مثل ماقال سعد بن

ان يظنوا انه مثله فتحول فى راس سوطى فجعل الحاضرين يتراؤن ذلك النور كالقنديل المعلق أى ومن ثم عرف بذى النور والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وفى جبهة الدوسي ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس منيرة

قال فاتانى أبى فقلت له اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى دينى دينك فاسلم أي بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام ثم اتتنى صاحبتى فذكرت لها مثل ذلك اي قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله قد غلبني دوس وفى رواية قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا قال زاد في رواية وأت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم ازل بارض قومي ادعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق اه فاسلموا قال فقدمت بمن اسلم من قومى عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر سبعين اوثمانين بيتا من دوس أي ومنهم ابو هريرة فاسهم لنا مع المسلمين أى مع عدم حضورهم القتال اه اقول قال فى النور وفى الصحيح ما ينفى هذا وانه لم يعط احدا لم يشهد القتال الا اهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفرا ومن معه أي ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعرى وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤا الى المدينة وفيه انه سيأتى انه صلى الله عليه وسلم سال اصحابه ان يشركوهم معهم فى الغنيمة ففعلوا وسيأتى انه انما اعطى أهل السفينة أى والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد اعطاهم مما افاءه الله عليه لا من الغنيمة وسؤال اصحابه فى اعطائهم من المشورة العامة المأمور بها في قوله تعالى وشاورهم فى الامر لا ستئذالهم عن شىء من حقوقهم والله اعلم

﴿باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس﴾

اعلم انه لا خلاف فى الاسراء به ﷺ اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين أي ومن ثم ذهب الحاتمى الصوفى الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسراء واتفق العلماء على ان الاسراء كان بعد البعثة اه اي الاسراء الذي كان فى اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافى حديث البخارى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان الاسراء كان قبل ان يوحي اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان فى نومه بروحه فكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفى كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كانت اربعا وثلاثين واحد بجسمه ﷺ والباقي بروحه وتلك الليلة اي التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان أى وقيل سبع وعشرين خلت ربيع الآخر

رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه اقبال ابى سفيان فتكلم ابو بكر فاعرض عنه ثم عمر تكلم فاعرض عنه فقام سعد ابن عبادة فقال ايانا تريد يارسول الله والذي نفسي بيده لو امرتنا أن نخيضها البحر لاخضناها ولو امرتنا ان نضرب اكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال فى المواهب وانما يعرف ذلك عن سعد ابن معاذ قال الحافظ ابن حجر ويمكن الجمع بانه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة اول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بما ذكر والثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال الطبراني ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية واختلف فى شهوده بدرا والله اعلم قال الزرقانى ان سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتى الانصار ويحضهم على الخروج فنهش اى لدغته حية قبل ان يخرج فاقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له بسهمه واجره كما كان عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف لتمريض زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فانها كانت مريضة وجعل النبي له أجر رجل وسهمه فيها معدود ان من البدريين وان لم يحضرا ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين اما العير واما النفير اى وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف ويشير الى هذا قوله والله لكأني انظر الآن الى مصارع القوم أى الذين يقتلون ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع مصارعهم روى مسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع اهل بدر ويقول ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى ويضع يده على الارض ههنا وههنا فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من المكان الذى كان فيه وسار حتى نزل قريبا من

بدر وبعث عليا والزبير ابن أبي وقاص رضى الله عنهم يتجسسون الاخبار فاصابوا راوية لقريش معها غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالوا لمن أنتما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما لما أوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما اخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أي التل من الرمل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد باسهم قال ما عددتهم قالا لا ندرى قال كم تنحرون أى من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحرث وسهيل بن عمرو فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها أى قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادى وحافته والمكان المرتفع والقصوى البعدى من المدينة أي التى هي أبعد من الاخرى من المدينة ونزل المسلمون على كثيب اعفر قيل المراد او ابيض بالتشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لا نفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف والقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لانهم لما ناموا احتلم اكثرهم وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء

وقيل من رجب () واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل فى شوال وقيل في ذي الحجة وفى كلام الشيخ عبد الوهاب ما يفيد أن اسراءاته صلى الله عليه وسلم كلها كانت فى تلك الليلة التى وقع فيها هذا الخلاف فليتامل وذلك قبل الهجرة قيل بسنة وبه جزم ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسراء والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق وعن ابن اسحق ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وفيه نظر ظاهر واختلف فى اليوم الذي يسفر عن ليلتها قبل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة اى لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين فليتامل * وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضى الله تعالى عنها اى واسمها على الاشهر فاختة وسياتى فى فتح مكة أنها أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره قالت دخل على رسول الله ﷺ بغلس اى فى الظلام بعيد الفجر وانا على فراشى فقال اشعرت اى علمت انى نمت الليلة فى المسجد الحرام اى عند البيت اوفى الحجر وهو المراد بالحطيم الذى وقع فى بعض الروايات وفى رواية فرج سقف بيتي قال الحافظ بن حجر يحتمل ان يكون السر فى ذلك اى فى انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكان الملك اراه بانفراج السقف والتئامه فى الحال كيفية ما سيصنع به لطفا وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم اى زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم غير مرة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت ام هانىء قالت فقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة ان يكون عرض له بعض قريش اي وحكى ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس الى ذى طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن أخى عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل اصابك الا خير قال ما اصابنى الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق فى ذلك المحل وعن ام هانىء رضي الله تعالى عنها قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيتي نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اقامنا من نومنا ومن ثم جاء فى رواية نبهنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانىء لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت الى بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين الحديث والمراد انه ﷺ صلى صلاته التى كان يصليها وهي الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلاة العشاء وصلاة الصبح التى هي صلاة الغداة لم يكونا فرضا وفى قولها وصلينا معه نظر لما تقدم ويأتى أنها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رأيت فى مزيل الخفاء واما قولها يعنى ام هانىء وصلينا فاردت به وهيأ ناله ما يحتاج اليه فى الصلاة كذا أجاب واقرب منه أنها تكلمت على لسان غيرها اوانها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتامل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني وفى رواية اسرى به من شعب ابي طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع

سبق المشركين اليه ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر واعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادى واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفا المطر الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد الله كيده فى نحره وطابت انفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة واصابهم مالم يقدروا معه على الارتحال وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم أى بالصبر على مجالدة العدو وبالوثوق على لطف الله ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ فى الرمل وعن على رضي الله تعالى عنه أصابنا من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وفى رواية يصلى تحت شجرة ويكثر فى سجوده ياحي ياقيوم يكرر ذلك حتي اصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر ويوم احد وكان كله أمنة لكنه فى بدر كان ليلا قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس فى مصاف القتال من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق لانه فى الاول يدل على ثبات الجنان وفى الثاني يدل على عدم الاهتمام لصلاة قال على رضى الله عنه فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال فى خطبته فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه أما بعد فاني أحثكم على ماحثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر فى مواطن الباس مما

بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت أم هانىء وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج عن سقف بيته الذي هو بيت أم هاني لانه صلى الله عليه وسلم كان نائما به فنزل الملك وأخرجه الى المسجد وكان به أثر النعاس أى فاضطجع فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم بت الليلة فى المسجد الحرام الى آخره وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر أى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله تعالى عنهما فقال أحدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين () فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغره نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى أسفل بطنه أي وفى رواية الى مراق بطنه وفى رواية الى شعرته اى أشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرات كلها بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما تقدم التصريح به في بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل ائتني بطشت من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح صدره فاستخرج قلبه اي فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذي وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التى نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع فى بني سعد بناء على تجزئتها كما تقدم فى المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند المبعث ولا يخالف ان العلقة السوداء نزعت منه صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو مسترضع فى بني سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقائها والذى ينبغى ان يكون نزع تلك العلقة انما هو فى المرة الاولى والواقع فى غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون فى الجبليات البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استئصالا له ومبالغة فيه وذكر العلقة فى المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف اليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم ثم أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا اى نفس الحكمة والايمان لان المعاني قد تمثل بالاجسام او فيه ماهو سبب لحصول ذلك والمراد كمالها فلا ينافى ماتقدم في قصة الرضاع انه ملىء حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم فى قصة الرضاع ان فى رواية ان الختم كان فى قلبه وفى أخرى انه كان فى صدره وفى اخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك وانكر القاضى عياض شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صلى الله عليه وسلم صبي فى بني سعد وهو يتضمن انكار شقه عند البعثة ايضا اى والتي قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين ورده الحافظ بن حجر بان الروايات تواردت بشق صدره صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة وعند البعثة اى زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم فى بني سعد وابدى لكل من الثلاثة حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلي الله عليه وسلم شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم مافيه * اقول ويمكن ان يكون انكار القاضي عياض لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذى جاء فى بعض الروايات انه اخرج من قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة وحمل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السوداء كما قدمناه ينافى قول الملك هذا حظ

الشيطان

يفرج الله به الهم وينجى به من الغم الحديث *قال ابن اسحق فى حكاية وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتي جاء ادنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضى الله عنه يارسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتي تاتى أدنى ماء من القوم فانى أعرف غزارة مائة فننزل به ثم نغور ماوراءه من القلب أي ندفنها ونفسدها

عليهم ثم نبني عليه أى على ذلك الماء الذى ننزل عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي وفى رواية فنزل جبريل فقال الرأى ماشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتي أدني ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الانية وفى رواية ثم نهض المسلمون الى اعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا القلب التي كانت تلى العدو فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله انما حصل بعد اشارة الحباب رضى الله عنه وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضى الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم ببدر فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال وقف على فارس وقال قتل أبوجهل وعتبة وشيبة وزمعه وابو البحترى وامية بن خلف وفلان وفلان وعدرجالا من اشراف قريش ممن قتل يوم بدر وقال اسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعدرجالا ممن أسر قال ثم رايت ذلك الفارس ضرب في لبه بعيره اى نحره ثم ارسله في العسكر فما من خباء من اخبية العسكر الا اصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أباجهل قال جئتم بكذب بنى المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ آخر قال ابوجهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن ام محمد

الشيطان منك الا ان يقال المراد أنه من حظ الشيطان أي بعض حظ الشيطان فليتامل ذلك والاولى ماقدمناه فى ذلك ثم لايخفى انه ورد غسل صدرى وفى رواية قلبي وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فاخبر صلى الله عليه وسلم باحدهما مرة وبالاخرى اخرى أي وتقدم فى مبحث الرضاع فى رواية شق بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفى أخرى شق صدره ثم قلبه وفى اخرى الاقتصار على شق صدره وفي اخري الاقتصار على شق قلبه وتقدم أن المراد بالبطن الصدر وليس المراد باحدهما القلب وفي غير واحد مايقتضى أن المراد بالصدر القلب ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره من الانبياء وأجيب بانه جاء في قصة تابوت بني اسرائيل الذى أنزله الله تعالى على آدم حين اهبطه الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل آخر البيوت بيت محمد صلي الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء ثلاثة أذرع فى ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان وصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم كان عند اسمعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحق ثم امر من السماء ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى ان أوصله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هرون ورضاض الالواح التى تكسرت لما ألقاها وانه كان فيه الطشت طشت من ذهب الجنة الذي غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتض لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا في شيء سمعوا منه مايفصل بينهم وماقدموه امامهم فى حرب الا نصروا وكان كل من تقدم عليه من الجنس لا بد ان يقتل او ينهزم الجيش *وفي الخصائص للسيوطى ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبياء ولم يؤتها نبي قبله شق صدره فى احد القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت فى الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما اخذ من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السوداء مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب فى قصة التابوت الصدر وبالصدر فى كلام الخصائص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس فى قصة التابوت مايدل على ان تلك العلقة السوداء اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم أقف على اثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج وقد احلنا على هذا الجمع في باب الرضاع وبهذا يرد ماقدمناه من قول الشمس الشامى الراجح المشاركة ولم أر لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتامل ثم رأيته ذكر انه جمع جزأ سماه نور البدر فيما جاء في شق الصدر ولم أقف عليه والله اعلم قال فاتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فذهب بي الى باب المسجد اى وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه الصلاة والسلام فهمزني بقدمه فجلست فلم أرشيا فعدت لمضجعى فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيا فعدت لمضجعى فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فلم ارشيا فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج

واصحابه ولما خرجوا من مكة كان اول من نحر لهم ابو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك المحل رجع بنو عدي تفاؤلا بذلك وبعد ان استقر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم بالموضع الذي أشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضي الله عنه يارسول الله الا نبني لك عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقي عدونا فان اعزنا الله واظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فاثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال يقضي الله خيرا من ذلك ياسعد أي وهو نصرهم وظهورهم ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه انه قال أخبروني من اشجع الناس قالوا انت قال اشجع الناس ابو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي اليه احد من المشركين فكان ابو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله مادنا منا احد الا وابو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي احد اليه الا اهوى اليه اي ابو بكر رضي الله عنه وجاء انه لما التحم القتال وقف ايضا على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه ايضا ثبوته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله اهل الردة وغير ذلك والعريش شيء يشبه الخيمة يستظل به فبني له صلى الله عليه وسلم قال السيد السمهودي ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه ثم

بي الى باب المسجد وفيه أنه اذا لم يجد شيا من أخذ بعضديه الا ان يقال ثم رآه عندا اخذه بعضديه فاذا دابة أبيض أي ومن ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته أي فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين أبيض واسود اي يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سوداء اي وهي العفراء ومن ثم جاء في الحديث أبرقوا فان دم عفراء عند الله ازكى من دم سوداوين أي ضحوا بالبرقاء وهي العفراء لكن في الصحاح الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولغلبة بياض شعره على سواده او حمرته قيل ابيض ولعل سواد شعره لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة فوصف بانه أحمر وهذا لا يتم الا لو كان البراق كذلك اي شعره ابيض داخله طاقات سود او حمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم انه ذو لونين اي بياض وسواد والسواد كما علمت اذا صفا شبه بالاحمر وهذه الرواية طوي فيها ذكر انه كان بين حمزة وجعفر وانه جاءه جبريل وميكائيل وملك آخر وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى آخر ما تقدم وذاك البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين اي طويلهما أي وكان مسرجا ملجما كما في بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره مد بصره اي حيث ينتهي بصره وفي رواية ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها اذا اخذ في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه واذا أخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اي وقد ذكر هذا الوصف في فرس فرعون موسى فقد قيل كان لفرعون أربع عجائب فذكر منها ان لحيته كانت خضراء ثمانية أشبار وقامته سبعة اشبار فكانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون اذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر كان على ضد ذلك وفي رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذى في الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات انتهى اي لان بصر من يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا وهذا بناء على انه عرج به ﷺ على المعراج راكب البراق وسياتي مافيه قال صلى الله عليه وسلم فلما دنوت منه اشمأز اي نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره ان يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله من محمد وفي رواية في فخذيها اي تلك الدابة التي هي البراق جناحان تحفز بهما اي تدفع رجليها ففي اللغة الحفز الحث والاعجال فلما دنوت لاركبها شمست أي نفرت ومنعت ظهرها وفي رواية شمس وفي رواية صرت اذنيها أي جمعتها وذلك شان الدابة اذا نفرت فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال الا تستحيين يابراق مما تصنعين والله ماركب عليك احد وفي رواية عبد الله قبل محمد ﷺ اكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقا اي كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبها اي وفي رواية فقال جبريل مه يابراق فوالله ماركبك مثله من الانبياء اي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم ففي البيهقي وكانت الانبياء تركبها قبلي وعند النسائي وكانت تسخر للانبياء قبلي وبعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كما ذكره ابن بطال وهو يقتضي انه لم يركبه احد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجاء التصريح بذلك في بعض الروايات

لما أصبحوا عدل النبي صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني ولما اطمأنت قريش ارسلوا عمير بن وهب الجمحي وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقالوا أحزر لنا أصحاب محمد أي انظر عدتهم فجال بفرسه حول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون او ينقصون قليلا ولكن امهلوني حتى أنظر

للقوم كمين أو مدد فذهب في الوادي حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيا ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع تروهم خرسا لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون أن يقبلوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصي تحت الحجف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم ابن حزام ذلك مشى في الناس فاتي عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك أن تذكر بخير الي آخر الدهر فقال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس * وفي رواية قال له حكيم تجسر بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمي أي الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وتتحمل ما أصاب

أي والمتبادر منها انها التي بينة وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام فيكون عيسي ممن ركبها دون من بعده من الانبياء عليها الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود أنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد عيسي وتقدم عن النهر انه كان بينهما ألف نبي وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء اي عيسي ومن قبله ركبوه قال الامام النووي القول باشتراك جميع الانبياء في ركوبها يحتاج الي نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما سيأتي في بعض الروايات فربطه بالحلقة التي توثق بها الانبياء وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق من دوابهم بها ثم رأيت في رواية البيهقي فاوثقت دابتي يعني البراق التي كانت الانبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله مامن رسول الا وقد أسري به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدها بني اسمعيل على البراق الي مكة وفي تاريخ الازرقي وكان ابراهيم يحج كل سنة على البراق فعن سعيد بن المسيب وغيره ان البراق هو دابة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق احد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام النووي فقول جبريل عليه الصلاة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق في أحد القولين اى وقيل ان الذي خص به هو ركوبه مسرجا ملجما وفي المنتقى ان البراق وان كان يركبه الانبياء الا انه لم يكن يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي ﷺ وجاء في غريب التفسير ان البراق لما شمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفر اليوم وهو صنم كان بعضه من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلي الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل وما شمس الا لذلك اي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام احمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي ان يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال فرس شموس اي صعبة ولا يقال شموسة وذكر لاستصعاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره * قال وعن الثعلبي بسند ضعيف فى صفة البراق عن ابن عباس له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل وأظلاف وذنب كالبقر أي وحينئذ يكون اطلاق الخف على ذلك فى الرواية السابقة ينتهي خفها حيث ينتهى طرفها مجازا لان مع كونها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر * وفي كلام بعضهم فى صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى اه ومن ثم وصف بوصف الذكر تارة وبوصف المؤنث أخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كما خرجت من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا وذكر بعضهم ان أذنيها كاذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كأنه من ياقوت أحمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب

محمد من تلك العير فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد حلفت هو حليفي فعلي عقله اى ديته وعلى ما اصيب من المال ونعم ماقلت يا حكيم ونعم مادعوت اليه فركب عتبة جملا له احمر وصار يجيله فى قريش يقول ياقوم اطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما اخذ فى العير وقد تحملت ذلك ثم قال أنشدكم الله في الوجوه التى تضيء ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها انداد لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في القوم

وهو على جمله فقال ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر أن يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيبا فقال والله يامعشر قريش ماتصنعون شيأ أن تلقوا محمدا وأصحابه والله لئن اصبتموه لايزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ماتريدون ياقوم اعصبوها اليوم برأسي أى اجعلوا عارها متعلقا بي وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون انى است باجبنكم ثم قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعنى اباجهل قال حكيم فانطلق فوجدت ابا جهل قد نثل درعاله من جرابها أى أخرجها فقلت ياأبا الحكم ان عتبة ارسلني اليك بكذا وكذا فقال انتفخ سحره وهى كلمة تقال للجبان ثم جاء ابو جهل لعتبة وقال له لوغيرك يقول هذا لاعضضته بطرامه والله لا نرجع حتي يحكم الله بيننا وبين محمد وفى رواية وأرسل بذلك حكيم ابن حزام الى ابى جهل فاخبره فقال والله مابعتبة ماقال ولكنه رأى ان محمدا واصحابه اكلة جزور وفيهم ابنه يعني اباحذيفة ابن عتبة رضى الله عنه فانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن السابقين فى الاسلام فيخوفكم عليه ثم أفسد ابوجهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر ابن الحضرمى وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقدرأيت ثارك بعينك فقم فانشد مقتل اخيك فقام عامر وكشف استه وحثي التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه فخشيت بابه الحرب وتهيئوا للقتال والشيطان معهم لايفارقهم فى صورة سراقة يقول لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فخرج الاسود المخزومي وكان شرسا سيء الخلق وقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم اولاهدمنه اولاموتن دونه فلما اقبل قصده حمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض

البعير ويحتاج الي الجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلاة والسلام لايفارقني أى وفى رواية انه ركب معه البراق وفي الشفاء مازايلا ظهر البراق حتي رجعا وفى رواية ركبت البراق خلف جبريل أى وفى صحيح ابن حيان وحمله جبريل على البراق رديفاله قال وفي الشرف كان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره اه * أقول ولامنافاة لجواز أن يكون جبريل تارة ركب مردفاله صلى الله عليه وسلم وتارة أخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة أخذ بالزمام وتارة لم ياخذه وكان جهة يساره أوكان آخذ بالزمام من جهة اليسار ولايخالف هذا الجمع قول الشفاء مازايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفى حياة الحيوان الظاهر عندي ان جبريل لم يركب مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسراء لانه المخصوص بشرف الاسراء هذا كلامه فليتامل والله أعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهت الي بيت المقدس فاوثقته بالحلقة التى بالباب أي باب المسجد التى كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام توثق أي تربط بها أى تربطها على ماتقدم عن رواية البيهقى وفى روايه ان جبريل خرق باصبعه الحجر أي الذى هو الصخرة وفي كلام بعضهم فادخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد به البراق * أقول لامنافاه لجواز أن يكون المراد وسع الخرق اصبعه أوفتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التى في الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفى الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابته فيها والناس يلتمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تادبا فاخذه جبريل فربطه فى زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخره التى خرقها باصبعه وجعله داخلا عن باب المسجد فكانه يقول له انك است ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا وفى حديث ابي سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر يحط من قدره صلي الله عليه وسلم ألا أخبرك أيها الملك عنه خبرا تعلم منه انه يكذب قال وماهو قال انه يزعم انه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق أنا أعرف تلك الليلة فقال له قيصر ماعلمك بها قال اني كنت لاأبيت ليلة حتي اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد أى وهو الباب الذى غلبني فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى ياتي بعض النجارين فيصلحه فتركته مفتوحا فلما أصبحت غدوت فاذا الحجر الذى من زاوية الباب مثقوب أى زيادة على ما كان عليه على ماتقدم واذا فيه أثر مربط الدابة أى التى هى البراق أى ولم أجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت أجده فى العلم القديم ان نبيا يصعد من بيت المقدس الي السماء وعند ذلك قلت لاصحابى ماحبس هذا الباب الليلة الاهذا الامر وسياتى ذلك عند الكلام على كتابه صلي الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى ان المراد بالصخرة الحجر الذى بالباب لاالصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات وهي فاتى جبريل الصخرة التي في بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذى في

والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومي أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج أم سلمة رضي الله عنها والاسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسود فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أي خوذة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له أي تعمم به ثم خرج بين اخيه شيبة بن ربيعة

باب به يقال اما فيه ولا يخفى ان عدم اغلاق الباب انما كان آية والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وفي رواية عن شداد بن أوس انه قال ثم انطلق بي اي جبريل حتى دخلنا المدينة يعني مدينة بيت المقدس من بابها اليماني فأتي قبلة المسجد فربط فيه دابته قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس والقمر وفي رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثال الشمس والقمر أي مثالهما فيه والله اعلم * وانكر حذيفة رضي الله عنه رواية ربط البراق وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة فرد عليه بل الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل فمن وهب به منبه رضي الله عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين من كتب الله عز وجل القديمة اي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم يتزود في اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة أحد * قال وفي رواية فلما استوى النبي ﷺ في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال جبريل فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن فلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا اه * أقول في كلام بعضهم انه لم يختلف احد انه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة وقد جاء صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وفي لفظ سيدة الصخر صخرة بيت المقدس وجاء صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ان ينظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام ابو بكر بن العربي في شرحه لموطا مالك صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة شعثاء في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم وفي الجهة الاخرى أصابع الملائكة التي امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة اي فهي مطلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من ان أدخل تحتها لاني كنت أخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدمه صلى الله عليه وسلم أثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملائكة امسكتها لما مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقي حيث قال في معراجه المسجع ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها فصعد من جهة الشرق أعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملائكة لما تحركت ومالت وقول ابن العربي حين ركب البراق يقتضي انه عرج به على البراق وسيأتي الكلام فيه وتقدم ان الجلال السيوطي سال عن غوص قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر هل له اصل في كتب الحديث فاجاب بانه لم يقف في ذلك على اصل ولا

وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحرث الانصاريان النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد ابن ثعلبة الانصارية وعبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة اكفاء كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فنادا هم ان ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم قال ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم المسلمين عتبة وكان أسن الثلاثة وبارز

حمزة شيبة هذه رواية ابن اسحق وأما رواية موسى بن عتبة فقال حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على أن عليا برز للوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما اثخن صاحبه فكر حمزة وعلي باسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل واضجعوه الى جانب موقفه

صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد انك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيد وفي رواية أنه قال أنا شهيد يا رسول الله قال نعم قال وددت والله ان أبا طالب كان حيا ليعلم أنا أحق منه بقوله ونسلمه حتي نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل ثم أنشا يقول فان يقطعوا ارجلي فاني مسلم * ارجو به عيشا من الله عاليا والبسني الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا وفي هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلى رضي الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف قال أبو ذر رضي الله عنه ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وعن على رضى الله عنه قال انا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذا خصمان اختصموا فى ربهم وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال في أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لقد قالوا فى اعيننا يوم بدر حتي قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وانزل الله تعالي واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ومن يقتضى ثم قال تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ان يري اولئك الكفار المؤمنين مثليهم راى العين وقد ذكروا ان قباب بن أشيم كان مع المشركين ثم اسلم رضى الله عنه قال فى نفسه يوم بدر ولو خرجت نساء مكة باكتها ردت محمدا واصحابه وعنه رضي الله عنه قال لما اسلمت بعد الخندق فسالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

رأى من خرجه في شئ من كتب الحديث وتقدم ما فيه وفي العرائس قال أبي ابن كعب ما من ماء عذب الا و ينبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم يتفرق فى الارض والله سبحانه وتعالى أعلم قال صلى الله عليه وسلم فنشر لى بضم النون وكسر الشين المعجمة أى احيي لى بعد الموت رهط من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نشر الميت احياؤه والرهط ما دون العشرة من الرجال فيهم ابراهيم وموسي وعيسي عليهم الصلاة والسلام أى وحكمة تخصيص هؤلاء بالذكر لا تخفي فصليت بهم وكلمتهم أي فالمراد نشروا عند دخوله ﷺ وصلى بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه الصلاة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاحياء بعد الموت سيأتى في قصة بدر في الكلام على أصحاب القليب ما يعلم منه ان المراد باحياء الانبياء بعد الموت شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتي أنهم فى البرزخ بسبب ذلك احياء كحياتهم فى الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفى رواية ثم صلي الله عليه وسلم هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير أي مع أولئك الرهط فلا مخالفة بين الروايتين فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة * أقول ذكر ابن حبيب ان آية وأسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية نزلت ببيت المقدس ليلة الاسراء ويجوز ان يكون قوله وأقيمت الصلاة من عطف التفسير فالمراد بالآذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة الآن لما سيذكر في الكلام على مشروعية الآذان والاقامة بالمدينة وعلى أنه من عطف المغاير ويدل له ما فى بعض الروايات فلما استووا فى المسجد اذن مؤذن ثم اقام الصلاة فليس من لازم ذلك ان يكون كل من التاذين والاقامة باللفظين المعروفين الآن لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة أى في السنة الاولي من الهجرة وقيل في الثانية كما سيأتي وحديث لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء أوحي الله تعالى اليه بالآذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة أسرى به فى اسناده منهم وفي الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسراء فقد جاء لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان اى الاقامة عرج به الى ان انتهى الي الحجاب الذى يلى الرحمن أى يلى عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك أشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا اله الا انا فقال الملك أشهد ان محمدا رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا فقال الملك حي على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله أكبر لا اله الا الله فاخذ الملك يد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه يؤم باهل السموات قال في الشفاء والحجاب انما هو فى حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون قال فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتي رآه وجاء انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رأيته قبل ساعتي هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا

هوذاك في المسجد مع ملامن أصحابه فاتيته وانا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال ياقباب أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش باكتها ردت محمدا واصحابه قال قباب والذى بعثك بالحق ماتحدث به لساني ولا ترفرفت به شفتاى ولا سمعه مني أحد وماهو الاشيء هجس فى قلبي أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان ماجئت به هو الحق وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنت القائل أى في نفسك فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم

يقتضي ان جبريل عليه السلام كان معه صلى الله عليه وسلم في هذا المكان وسيأتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتامل والله اعلم ولما اقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فاخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين اي واما حديث لما اسرى بى اذن جبريل فظنت الملائكة انه يصلى بهم فقدمني فصليت بالملائكة قال الذهبي منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلاة والاعلام بعلو مقامه ﷺ وانه المقدم لا سيما في الامامة وفي رواية ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا اى دفعوحتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم * وفي رواية فاذن جبريل أي اقام الصلاة ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين أى جميعهم وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبياء أى جميعهم بدليل مافي بعض الروايات بعث له آدم فمن دونه فهو نعيم بعد تخصيص بناء على ان الرسول خص من النبي لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم احياء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم وبالملائكة لان الانبياء أحياء وفيه اذا كان الانبياء احياء فما معنى احيائهم له ليصلى بهم وقد علمت معنى احيائهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد اتدري من صلى خلفك قال لا قال كل نبى بعثه الله تعالى أي والنبي غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه * اقول ولا يخالف ماسبق من انه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز أن يكون المراد عرف معظمهم اوانه عرفهم بعد هذا القول وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الي بيت المقدس جمع الله له الانبياء آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء المرسلين واربعة من سائر الانبياء وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسمعيل وعن يساره اسحق صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والله اعلم وفي رواية ثم دخل اي مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا ياجبريل من هذا الذى معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين قالوا وقد ارسل اليه أى للمعراج بناء على انه كان في ليلة الاسراء قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية قد يقال لا تخالف ماسبق من انه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لانه يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسؤالهم وفيه ان سؤالهم يدل على أن نزولهم من السماء لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض والاظهر أن صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعني الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في بيت المقدس كانت قبل العروج أى كما يدل على ذلك سياق القصة وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم فى بيت المقدس كانت العروج وبعده فان في الحديث مايدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه انما أمهم في السماء أى لا في بيت المقدس أي وهذا الزاعم هو حذيفة فانه انكر صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس قال بعضهم والذى تظافرت به الروايات صلاته صلى الله عليه

قال ابن اسحق لما قتل المبارزون خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده أي سهم لا نصل فيه ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استويا سواد فقال يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني أى مكني من القود أي القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أى خذ القود فاعتنق سواد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه فقال ماحملك على هذا ياسواد فقال يارسول الله حضر ماترى فاردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا منكم فانضحوهم اى ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أي لا ترموها على بعد فان الرمى مع البعد يخطىء غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمثابرة مثل التى قبل بحيث ثم الى محل القتال ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس أى مشي كل فريق جهة الآخر ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم وقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الاقتل الا حكيم بن حزام فانه اسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجاني يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم اصحابه أن لا يحملوا

على المشركين حتى يامرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله إياهم في منامه قليلا فاخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحا سيفه في نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه انجاز ما وعده من النصر قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ولما اصطف الناس للقتال رمى قطنة ابن عامر بحجر ابين الصفين وقال لا افر الا ان فر هذا الحجر وكان أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه فكان مهجع أول قتيل من المسلمين وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ان مهجعا سيد الشهداء أي من اهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو أول قتيل من الانصار ثم حارثة بن سراقة وقد جاءت أمه الى رسول الله ﷺ بعد ان قدم من بدر وهي عمة انس بن مالك رضي الله عنه فقالت يارسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن احزن وان يكن في النار بكيت ماعشت في الدنيا فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك ياحارثة وفي رواية قال لها او يحك أوهبلت اهي جنة واحدة انها الطويل جنان كثيرة فوالذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الاعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما ففعلتا فرجعنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان اقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة رضي الله عنه سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله له بالشهادة

وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه أي فلم يصل في بيت المقدس الا مرة واحدة وانها بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم أي ولو كان صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه صلى الله عليه وسلم عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي أي بناء على ان المعراج كان في ليلة الاسراء وحيث كان مطلوبا لذلك اللائق ان لا يشتغل بشيء عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم فقدمه في الامامة * هذا كلامه اقول بحث ان صلاته صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ولم تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحدا واحدا في السماء وان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه بحث مع وجود النقل بخلافه ومجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير انه ثبت في الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سال عن الانبياء في السماء لا ينافي صلاته بهم اولا وانه عرفهم بناء على تسليم أن معرفته لهم كانت عند صلاته بهم اولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على ماقدمناه لانه يجوز أن يكونوا في السماء على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما في قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في السماء محمولة على رؤيته ارواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل ان المراد أرواحهم ويحتمل أجسادهم ويدل للثاني وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي رواية فنشر لي الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم ﷺ وعليهم والاشتغال عن الجناب العلوي المدعو له بما فيه تانيس له وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله أعلم

واختلف في هذه الصلاة فقيل العشاء أي الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشاء بناء على أنه صلى ذلك قبل العروج وفيه انه صلى تينك الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة أي وهذا يدل على أن الفجر طلع وهو صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسياتي انه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذي يظهر والله أعلم انها كانت من النفل المطلق انتهى أي ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا أي الركعتان الى اخره يسقط ماقيل القول بانها العشاء أو الصبح ليس بشيء لان أول صلاة صلاها من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة أي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل أي دليل يدل على أن تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفي زين القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل أربع ساعات أي بقيت من تلك الليلة لكن في كلام السبكي ان ذلك كان في قدر لحظة حيث قال في تائيته * وعدت وكل الامر في قدر لحظة * أي ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي

فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال نظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني انظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني انظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه أي أنت عبد الخ فقال ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل

لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وسيأتي وقوع مثل ماقال أبو جهل وأصحابه من أبي سفيان في يوم احد وانه اجيب بمثل هذا الجواب وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر * عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يعني العريش يوم بدر اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد * وفي رواية ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض * وفي رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أي لانه صلى الله عليه وسلم علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفي لفظ اللهم لا تودع مني ولا تخذل لي انشدك ماوعدتني ومازال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رضي الله عنه رداءه والقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك تناشدك ربك فيستنجز لك ماوعدك * وفي رواية لينصرنك الله وليبيضن وجهك * وفي رواية الحجت على ربك وانما قال ابو بكر رضي الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه بالدعاء لانه رضي الله عنه رفيق القلب

الطويل لمن يشاء وقد فسح الله في الزمن القصير لبعض أولياء أمته ما يستغرق الازمنة الكثيرة وفي ذلك حكايات شهيرة قال ﷺ وأتيت باناءين احمر وابيض فشربت الابيض فقال لي جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لاتذت أمتك أي غوت وانهمكت في الشرب بدليل الرواية الاخرى وهي رواية البخاري أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة اي الاستقامة لو اخذت الخمرة غوت امتك ولم يتبعك منهم الا القليل اي يكونوا على ما أنت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو في المسجد بيت المقدس وسيأتي مايدل على أنه أتي له صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واستويت على ظهر البراق فما كان باسرع من ان أشرفت على مكة ومعي جبريل فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ بعد ان أخبرها بذلك انا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما رأيت قالت أم هانئ فعلقت بردائه ﷺ وقلت انشدك الله أي بفتح الهمزة اسالك بالله ابن عم اي يا ابن عم ان تحدث أي لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني اذكرك الله عز وجل انك تأتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من يدي فارتفع على بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم وكانه طي القراطيس اي الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي اذ هو قد خرج فقلت لجاريتي نبعة أي وكانت حبشية معدودة في الصحابة رضي الله عنها اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وفي كلام بعضهم بين الركن والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه من مواطن اجابة الدعاء قيل ومن حلف فيه اثما عجلت عقوبته وربما اطلق كما تقدم على الحجر بكسر الحاء وأولئك النفر الذين انتهى صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال ﷺ اني صليت الليلة العشاء اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت في هذا المسجد وصليت به الغداة أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم واتيت فيما بين ذلك بيت المقدس أي لا يقال كان المناسب لذلك ان يقول واتيت في لحظة او ساعات وعلى ما تقدم فيما بين ذلك ببيت المقدس ولم يوسع لهم لزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه نفرتها من تلك فليتأمل قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه أي وما أحب ان يكتم ماهو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شيء قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم

شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق رضي الله عنه كان في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف لان الله يفعل مايشاء وكلا المقامين في الفضل سواء ذكره السهيلي قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضي ان يجوز فيه ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا في تلك الوقعة وانما كان مجملا فبفرض تاخره لا ينافي أنه أعطاه ماوعده ربه والجواب الاول أولى أعني كونه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه ماسمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم انشدك ماوعدتني وروى النسائي والحاكم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيا من قتال ثم جئت لاستكشف حال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده ياحي ياقيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات وقال في الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه يحرسه * وفي رواية عن علي رضي الله عنه قام ابو بكر شاهر السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه أحد الا اهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو في سجوده اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلني قالت اللهم اني انشدك ماوعدتني وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار أي اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك انه لما التحم القتال وعج

قال فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم ماحدثتني قال نعم قال يامعشر بني كعب بن لؤي فانقضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس الحديث انتهى فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسي وعيسي عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لي فقال صلى الله عليه وسلم أما عيسي عليه الصلاة والسلام ففوق الربعة ودون الطويل أي لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم أي لونه احمر وفي رواية يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كانه خرج من ديماس أي حمام وأصله الكن الذي يخرج منه الانسان وهو عرقان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي وأول واضع له الجن وضعته لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فصار يستعمله حتى برىء وجاء من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما دخله ووجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان الحمام أشبه شيء بجهنم لان النار أسفله والسواد والظلمة اعلاه وقد قيل خير الحمام ماقدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم ويصير قديما بعد سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفه الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد أن فتحوا بلاد العجم وفيه ان في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون بيتا يقال له الحمام قالوا يارسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا وفي رواية انه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام فقالوا يارسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو صريح في أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا أن يقال جاز أن يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفي في كلام البعض معرفتهم له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات وأما ماجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على تقدير صحته فالمراد به انه محل الاغتسال فيه لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد مافي معجم الطبراني الكبير عن أبي رافع انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال نعم موضع الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز أن يكون بني ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فهو من أعلام نبوته قال بعضهم ولعله قال ذلك لقبح الموضع أي فقول بعضهم ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه ان هذا البعض لم يعول في الفضيلة على هذا فقط بل عليه وعلى مارواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي فيه انه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد أيضا مافي مسند أحمد عن ام الدرداء رضي الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أين يا أم الدرداء

النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء نزل الله الملائكة كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقيل ردفا لكم وقيل وراء كل ملك ملك اخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة وجاء ايضا الله امده بثلاثة الاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل وقيل وعدهم الله ان يمدهم بالف ثم زيدوا في الوعد بالفين

وقيل أمدهم الله بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين اي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل ان المدد يوم بدر كان بالف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد باكمالهم خمسة آلاف لو صبروا وجاء ان الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشي امام الصف في صورة رجل ويقول ابشروا فان الله نصركم عليهم ويظن المسلمون انه منهم وجاء انهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوكم قليل اى قليل في نظركم وان كثروا عددا قال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا حتى قال ابن

{٥٣ - حل - اول} مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة {وروى} البيهقي عن حكيم بن حزام ان يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا اى نازلا من السماء فوقع في نفسي ان هذا شيء ايد به صلى الله عليه وسلم او هو الملائكة وروي بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الاسود مبثوثا حتى امتلأ الوادي فلم اشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته والا فملك واحد

قالت من الحمام لان في سنده ضعيفا ومتروكا ولانه لا يجوز ان يكون المراد به انه محل الاغتسال لا انه المبني على الهيئة المخصوصة كما تقدم وبه يجاب ايضا عما في مسند الفردوس ان صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد خرجا من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما رآه بعينه هذا كلامه وعن فرقد السنجي انه ما دخل الحمام نبي قط ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما رأى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما رآها نعم لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دخل شيئا منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل بلاد الشام الا بصرى وجاز ان لا يكون بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله لا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه مقال وما احسن قول الامام الغزالي ورد نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر النار وبئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب الفائدة مع التحرز عن الآفة والحاصل ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جاء الحمام حرام على نساء أمتي واول من اتخذ الحمام في القاهرة العزيز بن المعز العبيدي أحد القواطم قال بعضهم ليس في شأن الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام كانما خرج من ديماس وقال غيره أصح حديث في هذا الباب حديث اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر في وصف عيسى عليه الصلاة والسلام انما هو آدم وحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل في عيسى انه احمر وانما قال آدم وانما اشتبه على الراوي واجاب الامام النووي بان الراوي لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها أي والحمرة المقاربة لها اى للادمة يقال ادمة اي كما يقال لها حمرة فلا منافاة قال صلى الله عليه وسلم جاعد الشعر أي في شعره تثن وتكسر اقول ينبغي حمل جعد الذي جاء في بعض الروايات واذا هو بعيسى جعد على هذا ثم رأيت النووي قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتأمل والله اعلم تعلوه صهبة أي يعلو شعره شقرة كانه عروة ابن مسعود الثقفي أي رضي الله تعالى عنه فانه بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف لحق به قبل ان يدخل المدينة واسلم ثم جاء الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ان مثله في قومه كصاحب يس كما سيأتي ذلك واما موسى عليه الصلاة والسلام فضخم آدم أي اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضاء مخالفا للونها السائر لون جسده آية طويل كانه من رجال شنوءة طائفة من اليمن اى ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله ابن

كجبريل عليه السلام قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم لوط واهلاك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى في اهلاك اهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فافاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ان انزال الجند من خواصه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين في بعض العمل ليكون العمل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وليهابهم العدو حيث يعلم ان الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر لمات اهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع اصواتهم وجاء في حديث مرسل ما رؤي الشيطان أحقر ولا ادحر ولا اصغر من يوم عرفة الا ما رؤي يوم بدر وجاء ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين اي مشركي الجن في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتقدم انه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بني كنانة وكان وحده ويجوز ان يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام المخزومي اخي ابي جهل لى انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحرث وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضرب بها ابليس في صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحرث ما علمت انه الشيطان الا بعد ان اسلمت وذكر السهيلي ان من بقي من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا

كعب من اولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين أهله وقيل لانه كان فيه شنوءة وهو التباعد من الادناس وفي رواية كانه من رجال ازدعمان هو ابو حي من اليمن وعمان هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم لمدة باليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان ابن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان بن لوط كان سكنها وكما يقال ازدعمان يقال ازدشنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غائر العينين متراكم الاسنان مقاص الشفتين خارج اللثة أي وهو اللحم الذي حول الاسنان عابس واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم ار رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فضجوا واعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا فقال المطعم بن عدي ان امرك قبل اليوم كان امما أي يسيرا غير قولك اليوم وانا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذي تقول قط وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن اخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أما أشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا اسلموا أي وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا ان يراد من ثبت على الاسلام وفي رواية سعى رجال من المشركين الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة أي وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة أي وهي اسم للوقت من الزوال الى الليل أي وهذا تفسير لهم بحسب الاصل والا فالمراد انه ليخبرني ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض في ساعة واحدة من ليل او نهار فاصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تعجبون منه أي وحينئذ يجوز ان يكون قول ابي بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول أي قاله بعد ان اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغته مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والى اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتحديثه قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

حظي المسجد الحرام بممشا * ه ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا * اذ اتته من ربه النعماء

أي جميع المسجد الحرام حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل سائر البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه ايضا ففضل على ما عدا المسجد أي مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له تعالى وقت او لاجل ان اتته من ربه النعماء في تلك الليلة ثم قال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وقيل القائل له ذلك ابو بكر قال له صفه

لى فاني قد جئته أراد بذلك اظهار صدقه صلى الله عليه وسلم لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فصوره في جناحه أي جاء بصورته ومثاله في جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضى الله عنه يقول صدقت اشهد انك رسول الله حتى أتى على اوصافه أي ومعلوم ان من ذهبت بيت المقدس من قريش يصدق على ذلك ايضا وفي رواية لما كذبتني قريش أي وسألتني عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها أي قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط قمت في الحجر فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس أي وجل بتشديد اللام وربما خففت كشفه لى أي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية فجيء بالمسجد أي بصورته وانا انظر اليه حتى وضع أي بوضع محله الذى هو جناح جبريل فلا مخالفة بين الروايات وهذا من باب التمثيل ومنه رؤية الجنة والنار في عرض الحائط لا من باب طي المسافة وروي الارض ورفع الحجب المانعة من الاستطراق الذى ادعى الجلال السيوطى انه احسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسراء اذ ذلك لا يجامع مجيء صورته في جناح جبريل وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان المعلوم ان اهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذى هو جناح جبريل ثم رأيت ابن حجر الهيتمي قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جيء بعرش بلقيس الى سليمان عليه الصلاة والسلام في اسرع من طرفه عين ولك ان تتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد بخلاف بيت المقدس وكان ذلك التجلى عند دار عقيل وتقدم انها عند الصفا وانها استمرت في يد اولاد عقيل الى ان آلت الى يوسف اخى الحجاج وان زبيدة والخيزران جعلتها مسجدا كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فطفقت أى جعلت اخبرهم عن آياته أى علاماته وانا انظر اليه أى وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر تلك الدار أي لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت في الحجر وهم يصدقونه ﷺ على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى ان قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع واما قول المواهب ولهذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى أى في السماء لانهم لا عهد لهم بذلك يقتضي سياقه انه أخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسراء وسيأتى ما يخالفه على انه سيأتي انه قيل المعراج كان بعد الاسراء في ليلة اخرى وقيل في حكمة ذلك ايضا ان باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فيحصل في العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود أن في كل سماء بيتا معمورا وان الذي في السماء الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب في تلك الجهة فان ثبت ان في السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله قالت نبعة جارية ام هانيء فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا ابا بكر ان الله تعالى قد سماك الصديق أى ومن ثم كان على رضى الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم ابا بكر من

سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من امركم وما شهدت فما صدقوه حتى اسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا انه ابليس يروي انه لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتني اللهم انى اسألك نظرتك اياى يعني قوله تعالى انك من المنظرين وخاف ان يخلص اليه القتل وفي قصة مجيء الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

ولاهم بغرور ثم اسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال ابو جهل لعنه الله يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فوالله والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون لكن لم يثبت انهم قاتلوا بل كانوا امددا فقط وجاء ان جبريل عليه السلام جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وأمرني ان لا أفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء وتخفيف الميم وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ وهي كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه اما بيني وبين ان أدخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله عنه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له لم تبخبخ اى لم تتعجب فقال رجاء ان أكون من اهلها وفي رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء

انا اكون من اهلها فاخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها الحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول
ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد * والصبر فى الله على الجهاد * وكل زاد عرضه النفاد * غير التقى والبر والرشاد
ولا زال يقاتل حتي قتل رضى الله عنه ثم اخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم حفنة من الحصى وفى رواية قبضة من تراب وفى روية
قال لعلى رضى الله عنه ناولني فاستقبل قريشا ثم قال شاهت اى قبحت الوجوه اللهم ارعب قلو بهم وزلزل

اقدامهم ثم نفحهم اى رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه وفى رواية وانفه وفمه لا يدرى اين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا ردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا اشار سبحانه وتعالى بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك فى غزوة احد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضي الله عنه وكما كانا في العريش مجتهدين فى الدعاء قائلا بابدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر وروى ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلي الله عليه وسلم في اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت

هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت اى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبرانى فى الاوسط والي رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى اشار صاحب الهمزية بقوله

ورمي بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

يا مطعم

وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من قتل قتيلا

السماء الصديق وانما رواه اسحق بن بشر بسنده الى أبي ليلى الغفارى قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا على ابن ابى طالب فانه أول من يرانى واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال فى الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة احاديثه هذا كلامه وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى ابن ابي طالب انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وفى رواية ان كفار قريش لما اخبرهم ﷺ بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أى ما العلامة الدالة على هذا الذى اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط أى هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان تكون حفظته عمن ذهب اليه قال صلى الله عليه وسلم آية ذلك اني مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فانفرهم أى انفر عيرهم حس الدابة يعني البراق وندلهم بعير أى شرد فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان أى وفى كلام بعضهم فعسرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذى كان يتوضا به صاحبه فى القافلة وشرب الماء الذى للغير جائز لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من ابناء السبيل على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ياخذ من يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله واما الجواب عن ذلك بانه مال حربى غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر فى شرح الهمزية لكن فى قطعة التفسير للجلال المحلي فى تفسير قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها ان امه ارضعته باجرة وساغ لها اخذها لانها مال حربى أى من مال فرعون الا ان يقال ذاك اخذ مال الكافر كان جائزا فى شريعتهم قال صلي الله عليه وسلم وآية ذلك أى علامته المصدقة لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ان عيرهم الآن تصوب من الثنية يقدمها جمل أورق وهو ما بياضه الى سواد وهو اطيب الابل لحما عند العرب واخسها عملا عندهم اى ليس بمحمود عندهم في عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى رقاء أى فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فاول ما القيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسالوهم عن الاناء وعن نفار البعير وعن ند البعير وعن الشخص الذى دلهم عليه فصدقوا قوله اقول قد علم ان العير التى نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها رسول صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الاناء التى بها الماء الذى شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهى التى صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال اهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلي الله عليه وسلم فيما اخبر الا ان يقال يجوز ان تكون هذه العير التى مر عليها صلى الله عليه وسلم فى العود اجتمعت فى عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام واخبروهم بما ذكر الله تعالى اعلم وفى رواية قالوا

فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانك ياسعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة اوقعها الله باهل الشرك فكان الاثخان فى القتل اي الاكثار منه والمبالغة فيه احب الى من استبقاء الرجل وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله أى بل يأسره وقال من لقى اباالبختري بن هشام فلا يقتله أى لانه ممن قام فى نقض الصحيفة ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا وتترك العباس لئن لقيته يعني العباس لالجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة واخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ياأبا حفص ايضرب وجه عم رسول صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه اول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى حفص ثم قال عمر يارسول الله دعني اضرب عنقه يعنى اباحذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابوحذيفة رضى الله عنه يقول ما انا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا ازال منها خائفا الا ان تكفرها عنى الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب واهل الردة فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم اربعمائة وخمسون وقيل سبعمائة رضى الله عنهم اجمعين ولقي المجذر اباالبخترى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلى اى رفيقي وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله

يامطعم دعنا نسأله عما هو أغني لنا عن بيت المقدس أى فقولهم ذلك كان بعد أن اخبرهم ببيت المقدس يامحمد اخبرنا عن عيرنا أى عيراتنا الذاهبة والآتية هل لقيت منها شيا فقال نعم أتيت على عير بني فلان بالروحاء أى وهو محل قريب من المدينة أى بينه وبين المدينة ليلتان قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم أحد واذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى آية اى علامة * اقول وهذه العير هى التي مر صلى الله عليه وسلم عليها فى العود وهى قادمة الى مكة وفى هذه الرواية زيادة انهم اضلوا ناقة وتقدم فى تلك الرواية انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفى هذه الرواية انه ليس بها منهم احد وقد يقال لامخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوي اسقط منها هذه الزيادة وهى اضلال الناقة وان قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم احد اى مستيقظ بل بعضهم ذهب فى طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن فى هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحاء وهو لا يناسب قوله فى تلك انها الآن تصوب من الثنية لان كونها تاتى من الروحاء الى مكة فى ليلة واحدة من ابعد البعيد الا ان يقال ان الروحاء مشتركة بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل آخر قريب من مكة والله اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بني فلان فنفرت منها اى من الدابة التى هى البراق الابل اى التى هى العير وبرك منها جمل احمر عليه جوالق مخطط ببياض لاادرى اكسر البعير ام لا وهذه الرواية يحتمل انها ثالثة ويمكن ان تكون هى الاولى اسقط من تلك قوله فى هذه وبرك منها جمل الى آخره كما أسقط من هذه قوله في تلك فند لهم بعير وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اى واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان اى بدلا اتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فاسألوهم عن ذلك فعلم ان هذه الرواية والتي قبلها هى الاولى غاية الامر انه زيد فى هذه قوله فسلمت عليهم فقالوا هذه واللات والعزي آية قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى عير بني فلان بالابواء اى وهو كما تقدم غير مرة انه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل اورق اي بياضه الى سواد كما تقدم هاهى تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا لينظروا فوجدوا الامر كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا صدق الوليد فيما قال اى فى قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على ان المراد رؤيا الاسراء وانها رؤيا العين وانه يقال مصدرها رؤيا بالالف كما يقال رؤية بالتاء خلافا لمن انكر ذلك اذ لو كان رؤيا الاسراء منا ما لما انكر عليه فى ذلك اى وقيل نزلت وقد راى النبي صلى الله عليه وسلم ولد الحكم بن ابى العاص ابى مروان وهم بنو امية على منبره كانهم القردة وقد ورد رأيت بنى مروان يتعاورون منبري وفى لفظ ينزون على منبري نزو القردة زاد فى رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتي مات وانزل الله تعالى فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا اعطيناك الكوثر وفى رواية فنزل انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال بعضهم اي خير من الف شهر يملكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بنى امية كانت اثنتين وثمانين سنة وهى الف شهر وكان جميع من ولى الخلافة

ما نحن بتاركي زميلك ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لا موتن انا وهو جميعا لا تتحدث عنا نساء مكة
اني تركت زميلي يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد ان قاتله ثم اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد
جهدت عليه ان يستاسر فآتيك به فابى الا ان يقاتلني فقاتلني فقتلته وكان من جملة من يخرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد

منهم أربعة عشر رجلا أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بني أمية مع كثرة العدد والعدد والاموال والموالي فقال أبعدوا اصدقاءهم ثقة بهم وقربوا أعداءهم جهلا منهم فصار الصديق بالا بعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب وحديث رأيت بني مروان الى آخره قال الترمذي هو حديث غريب وقال غيره منكر قال ﷺ ورأيت بني العباس يتعاورون منبري فسرني ذلك وقيل ان هذه الآية اى آية وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس انما نزلت في رؤيا الحديبية حيث رأى النبي ﷺ انه واصحابه يدخلون المسجد محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه السلام كما سيأتي ذلك في قصة الحديبية وقيل انما نزلت هذه الآية في رؤيا وقعة بدر حيث اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اي ولا مانع من تعدد نزول هذه الآية لهذه الامور فقد يتعدد نزول الآية لتعدد اسبابها قال ابن حجر الهيتمي ان اتحاد النزول لا ينافي تعدد اسبابه اى وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروى انه عين لهم اليوم الذى تقدم فيه العير اي قالوا له متى تجيء قال لهم يأتوكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل اورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب فدعا الله فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير اى كما وصف صلى الله عليه وسلم * اقول يجوز ان يكون هذا بالنسبة لبعض العيرات التي مر عليها فلا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض العيرات انها الآن تصوب من الثنية والى حبس الشمس عن المغيب اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

وجاء في بعض الروايات انها حبست له ﷺ عن الطلوع ففي رواية ان بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فاخبر بعدتها وعدة احمالها وعدة من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا لينظروا فاذا قائل يقول هذه الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد اقبلت فيها فلان وفلان له اخبر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى تقدير صحة هذه الروايات يجاب عنها بمثل ما تقدم والله اعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير اى عن الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا ذلك اليوم وما قيل انها حبست له ﷺ يوم الخندق عن الغروب ايضا حتى صلى العصر معارض بانه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد غروب الشمس وقالوا شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سيأتي ثم رأيت في كلام بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام الى الاحمرار والاصفرار وصلى حينئذ وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب قال ذلك

الرحمن وكان من أشجع قريش واشدهم رماية وكان اسن اولاد ابي بكر رضي الله عنه وكان فيه دعابة فلما اسلم قال لابيه ابي بكر رضي الله عنه لقد اهدفت لي اى ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك أى اعرضت فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم اعرض عنك المراد من كونه اهدف له أى ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما علمت انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم اين مالي ياخبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي

هي السلاح وفرس سريعة الجري نقاتل عليها شيوخ الضلال وروى ابن مسعود رضي الله عنه ان البعض
ان الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم احد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك اما علمت انك مني
بمنزلة سمعي وبصري فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى في نزول
الآية واستبعد بعضهم كون ابي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها اولا في بدر فلعل ذكر احد من الاشتباه على بعض الرواة وبه يرد ما ذكر

ان سببها ان أبا بكر رضى الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فاخبر ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني السيف لقتلته * وفي كلام الزمخشري ان عبد الرحمن اسلم رضى الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت اخته عائشة رضى الله عنها من المدينة فاتت قبره فصلت عليه واما أبو

قحافة والد أبي بكر رضى الله عنه فاسلم عام الفتح رضى الله عنه وعاش الى اول خلافة الصديق رضي الله عنه ثم توفى بالمدينة ولم يعرف خليفة ولى الخلافة في حياة ابيه غير ابي بكر رضي الله عنه * وفي هذا اليوم اعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح اباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده ليقتله فولى عنه ابو عبيدة لينكف ويرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وانزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم الآية *وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال لقيت امية بن خلف وكان صديقا لى في الجاهلية ومعه ابنه على آخذ بيده وكان معي ادراع استلبتها من القوم فانا أحملها فلما رآني امية ناداني باسمي الاول يا عبد عمرو فلم اجبه فناداني يا عبد الاله فاجبته وذلك انه كان قال لى لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن اترغب عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم فقال الرحمن لا اعرفه ولكني اسميك بعبد الاله فلما ناداني بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك في فانا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما رايت كاليوم قط ثم قال لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره اي كانت في درعه بحيال صدره قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل

البعض ويؤيده ان راوي التاخير الى الغروب غير راوى التاخير الى الحمرة والصفرة وجاء في رواية ضعيفة أن الشمس حبست عن الغروب لداود عليه الصلاة والسلام وذكر البغوى انها حبست كذلك لسليمان عليه الصلاة والسلام أى فعن على بن أبي طالب رضي الله عنه ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى العصر في وقتها وهذا ردلها لا حبس لها عن غروبها الذى الكلام فيه والذى في كلام بعضهم انما ضرب سيدنا سليمان سوق خيله واعناقها حيث ألهاه عرضها عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ولم يتصدق بها مبادرة لتعظيم امر الله تعالى بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الى صرف زمن في دفعها وأخذها وحبست كذلك ليوشع بن أخت موسى عليه الصلاة والسلام وهو ابن نون ابن ان يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام اي وهو الذي قام بالامر بعد موسى لان موسى عليه الصلاة والسلام لما وعده الله تعالى ان يورثه وقومه بني اسرائيل الارض المقدسة التى هى أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون وامر بمقاتلة اولئك الجبارين وهم العماليق سار بمن معه وهم ستمائة الف مقاتل حتى نزل قريبا من مدينتهم وهي اريحا فبعث اليهم اثني عشر رجلا من كل سبط واحدا ليأتوه بخبر القوم فدخلوا المدينة فرأوا امرا هائلا من عظم اجسادهم فقد ذكر بعضهم انه رأى في فجاج اى نقرة عين رجل منهم ضبعة رابضة اى جالسة هي وأولادها حولها والفجاج في الاصل الطريق الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف رجل منهم اى في عظم ام راسه وفى العرائس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة وان رجلا من العماليق اخذ الاثنى عشر ووضعهم في كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم فسالهم فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا واخبروه وفي العرائس انه عوج بن عنق احدي بنات آدم عليه السلام من صلبه ويقال انها اول بغى في الارض وفى العرائس انه لما لقيهم كان على راسه حزمة حطب واخذ الاثني عشر في حجره وانطلق بهم لامرأته وقال انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لها الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته لا ولكن خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسى عليه الصلاة والسلام فقال اكتموا خوفا من بني اسرائيل ان يفشلوا ويرتدوا عن موسى فلم يفعلوا واخبر كل واحد سبطه بشدة ما رآه من امرهم الهائل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطيهما وهما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فدعا عليهم وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي اى فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هرون وكالب ويوشع وهما المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده وانا قد اخبرناهم فوجدنا اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وحينئذ يكون مراد موسى بقوله واخى من واخاه ووافقه لا خصوص هرون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى باعد بيننا وبينهم فضرب عليهم التيه فتاهوا اى تحيروا في ستة فراسخ من

بنا الافاعيل قال عبد الرحمن ثم خرجت امشي بهما فوالله انى لا أقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام كما تقدم فقال بلال يا انصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت ان نجا فقلت يا بلال اباسيرى تفعل ذلك قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فاحاطوا بنا فاصلت بلال السيف اى سله من غمده وضرب رجل على بن أمية فوقع وصاح امية صيحة ما سمعت مثلها قط وفي رواية البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم اتونا حتى لحقونا وكان امية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فالقيت عليه نفسي لامنعه فتخللوه بالسيف من تحتي حتى قتلوه فاصاب احدهم رجلي بسيفه اى ظهر قدمه والذى باشر قتله مع بلال معاذ بن عفرا وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا في قتله قال ابن اسحق واما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعني باسيري وفي رواية فلا ادراعي ولا اسيرى وهنا ابو بكر رضي الله عنه بلالا حين قتل امية بابيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * فقد ادركت ثارك يا بلال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على رضى الله عنه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى اجاب دعوتي فيه فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد * وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي واذا انا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما فغمزني احدهما سرا من صاحبه فقال يا عم

الارض يمشون النهار كله ثم يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وانزل الله تعالى عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وأبقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ما بهم من التعب ندم على دعائه عليهم * وفى حياة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل العجل أربعين يوما عوقبوا بالتيه أربعين سنة لكل يوم سنة فاوحى الله تعالى له فلا تأس أى لا تحزن على القوم الفاسقين أى الذين فسقوا اى خرجوا عن امرك قال فى انس الجليل ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت فى زمن بني اسرائيل منزل الجبارين وفى زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الآن قرية من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهرون بالتيه مات هرون اولا ثم موسى بعده بسنتين وفى ذلك رد على من قال ان قبر هرون أخى موسى باحد كما سيأتي وفيه رد ايضا على من يقول موسى مات قبل هرون وانه دفنه وقيل ان هرون رأي سريرا في بعض الكهوف فقام عليه فمات وان بنى اسرائيل قالوا قتل موسى هرون حسده على محبته بنى اسرائيل له فقال لهم موسى ويحكم كان أخى ووزيري افترونى اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذى قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعلى الاول ان موسي انطلق ببني اسرائيل الى قبره ودعا الله ان يحييه فاحياه الله تعالى واخبرهم انه مات ولم يقتله موسي وبعد ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور اى فان موسي لما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم الجمعة ولما كادوا يفتحها كادت الشمس ان تغرب فقال للشمس أيتها الشمس انك مامورة وانا مامور بحرمتي عليك الا ركدت اى مكثت ساعة من النهار * وفى رواية قال اللهم احبسها على فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة اى وذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكى عن حبسها ليوشع بردها فى قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها * كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما اشكل وامكن ان يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير فى تاريخه ان فى حديث رواه الامام احمد وهو على شرط البخارى ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالي سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على ان الذى فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا فى فتح اريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق * وفى العرائس ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يمت في التيه بل سار ببني اسرائيل الى اريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم دخلها موسي عليه الصلاة والسلام ببنى اسرائيل فاقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق احد قال وهذا اولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق وذكر بعد ذلك ان موسى لما حضرته الوفاة قال يارب ادنني من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انى عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على ان هذا من خصائص يوشع عليه الصلاة والسلام فيدل على ضعف الحديث الذى رويناه ان الشمس رجعت اى بعد مغيبها اى فى خيبر كما سنذكره

هل تعرف أباجهل بن هشام فقلت نعم وماحاجتك به قال بلغني أنه كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزني الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك أي لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أي البث أن نظرت الى أبى جهل يزول في الناس أى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا ترين هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه أى أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتي ان ابن مسعود رضى الله عنه هو الذى تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته قال هل مسحتما سيفكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتي أنه قضى به لابن مسعود* قال ابن اسحق أن أباجهل لما نزل القتال أقبل يرتجز و يقول ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني لمثل هذا ولدتني أمي فاذاقه الله الهوان وقتله الله الهوان وقتله الله شر قتله وجعل ذلك حسرة عليه وجاء ان الملائكة شاركت قاتليه في قتله * وجاء في الحديث ان الله قتل أباجهل فالحمد لله الذى صدق وعده* ولما انقضى القتال وانهزل المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل ان يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم أي بان قطع رأسه وازيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت يوما انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت اشف منه اى اكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أي خدش على احداهما جحشا لم يزل أثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صارع أباجهل فصرعه فخرج الناس يلتمسونه في القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال عبد الله فرأيت أباجهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له قد اخزاك الله ياعدو الله قال و بم أخزاني اعار على رجل قتلتموه

سنذكره هنا حتى صلى على بن أبي طالب العصر بعدما فاتته بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو حديث منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعي على نقله وتفردت بنقلها امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسيأتي قريبا مافيه على ان قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر اي غيره صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الحبس لها يكون منعا لها عن مغيبها والرد لها يكون بعد مغيبها فليتامل وفى كلام سبط بن الجوزى ان قيل حبسها ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت او ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات وذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد انه قعد يعظ بعد العصر ثم اخذ في ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده ان الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه الى ناحية الغرب وقال

لا تغربي ياشمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمى عليه من الحلي والثياب هذا كلامه ولما افتتحوا المدينة التي هي اريحا اصابوا بها اموالا عظيمة وكانوا أي الامم السابقة اذا اصابوا الغنائم قربوها فتجيء النار تأكلها أي اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فمجيء النار واكلها دليل على قبولها ولم تحل الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي فلما اصابوا تلك الغنائم قربوها فلم تجيء اليها النار فقالوا له يانبي الله مالها لا تأكل قربانا قال فيكم الغلول فدعا رأس كل سبط وصافحه فلصق كف واحد منهم في كف يوشع عليه السلام فقال الغلول في سبطك فقال كيف أعلم ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال نعم رأيت رأس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت واسنانها من لؤلؤ فاعجبتني فغللتها فجاء بها ووضعها في الغنيمة فجاءت النار فاكلتها وذكر البغوى ان الشمس حبست عن الطلوع لموسى عليه الصلاة والسلام كما حبست كذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكذا القمر حبس لموسى عليه الصلاة والسلام عن الطلوع له فعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه قال ان الله تعالى حين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالمسير ببني اسرائيل الى بيت المقدس أمره ان يحمل معه عظام يوسف عليه الصلاة والسلام وان لا يخلفها بارض مصر وأن يسير بها حتى يضعها بالارض المقدسة أي وفاء بما أوصى به يوسف عليه الصلاة والسلام فقد ذكر ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما أدركته الوفاة اوصى ان يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر اولياءه من ذلك فسأل موسى عليه الصلاة والسلام عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد احدا يعرفه الا عجوزا من بنى اسرائيل فقالت له يانبي الله انا اعرف مكانه وادلك عليه ان انت اخرجتني معك ولم تخلفني بارض مصر قال افعل وفي لفظ انها قالت اكون

أي ليس بعار على رجل قتلتموه وفي رواية لا رجل أعمد من رجل قتلتموه اي أنا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم اي فلا عار علي في قتلكم اياي وفي رواية وهل أشرف من رجل قتله قومه ثم قال له لو غير اكار قتلني والاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا اصحاب زرع أي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان اعظم لشاني ولم يكن على نقص ثم قال لابن مسعود أخبرني لمن الدبرة اي النصرة والظفر اليوم لنا او علينا قلت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسال ابن مسعود عن اهل الاجسام الطوال الذين يقتلون و ياسرون فينا فقال له أولئك الملائكة فقال هم الذين غلبونا لا أنتم وهذا غاية في كفره وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان ابن مسعود رضي الله عنه وطيء على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز راسه فقال له لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعبا قال ابن مسعود رضي الله عنه فضربته بسيفي لا حز راسه فلم يغن عني شيئا فبصق في وجهي وقال خذ سيفي واحتز به رأسي من عرشي ليكون اهيب للرقبة والعرش عرق في أصلي الرقبة ففعلت كذلك وجاء انه قال لابن مسعود رضي الله عنه احتز من اصل العنق ليري عظيما مهابا في عين محمد وقل له ما زلت عدوا لي سائر الدهر واليوم اشد عداوة

في

ولما اتى النبي صلى الله عيه وسلم براسه واخبره بقوله قال كما

أني أكرم النبيين على الله وامتي اكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة اشد واغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفي رواية قال ابن مسعود رضي الله

معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها طلبتها فاعطاها وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل أن يسير بهم اذا طلع القمر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف عليه الصلاة والسلام ففعل فخرجت به العجوز حتى أرته أبلة في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء أي وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء أي ارفعوه عنها ففعلوا قالت احفروا فحفروا وأخرجوه وفي لفظ أنها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل أي في ناحية منه فلا يخالفه ما سبق في أصله سكة من حديد فيها سلسلة أي ويجوز ان يكون حفرهم الواقع في تلك الرواية كان على اظهار تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه في صندوق من حديد وسط النيل في الماء فاستخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وهو في صندوق من مرمر أي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله وفي انس الجليل ان موسى عليه الصلاة والسلام جاءه شيخ له ثمانمائة سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال له موسى قم معي الى والدتك فقام الرجل ودخل منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها موسى ألك علم بقبر يوسف قالت نعم ولا أدلك على قبره الا أن دعوت الله تعالى أن يرد علي شبابي الى سبع عشرة سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعمائة سنة فعاشت الفا وثمانمائة سنة فارته قبر يوسف وكان في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل الى جميع مصر فيكونون شركاء في بركته * وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وسلم في خيبر فعن اسماء بنت عميس أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحي اليه ورأسه في حجر علي ولم يسر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من اجل اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع أنه جاء عن اسماء من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بانه تفردت بنقله امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن الجوزي حيث قال فيه انه حديث موضوع بلا شك لكن في الامتاع ذكر في خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشب وذلك مخالف لسائر الطرق الا ان يدعى ان هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم خيبر ثم وضع رأسه

عنه ثم جئت برأسه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله ابي جهل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره ورددها ثلاثا قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله * وجاء انه سجد خمس سجدات شكرا وفي رواية صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون ابى جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له

خذ سيفي الي آخر ما تقدم ينافي كونه وصل الي حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن يكون في أول الامر حين ضربه الانصار وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ماذكر فذفف عليه ابن مسعود رضى الله عنه * قال ابن قتيبة ذكر أن أبا جهل قال لابن مسعود رضي الله عنه وهما بمكة لاقتلنك فقال والله لقد رأيت في النوم انى أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياى لاطأن على رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان فى تذفيف ابن مسعود رضى الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا وجاء فى رواية أن ابن مسعود وجده متقنعا في الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه وروى الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعي سيف ردىء فجعلت انقف راسه واذكر نقفا كان ينقف راسى بمكة فاخذت سيفه فرفع راسه فقال على من كانت الدبوة الست برويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح وانما هي اخدار واورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اى آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين اى في داخل بدنه فلا ينافي ماتقدم من قطع ابن الجموح لرجله ومن ضرب ابن عفراء له حتى اثبته فاتى ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلي الله عليه وسلم

فى حجر على ونام فما استيقظ حتي غابت الشمس فلا مخالفة * قال وجاء انه صلي الله عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس ساروا حتي بلغوا أرضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتي مافيه فى الكلام على الهجرة فانطلق البراق يهوى يضع حافره حيث أدرك طرفه حتي اذا بلغ ارضا فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل أتدرى اين صليت قال لا قال صليت بمدين أى وهى قرية تلقاء غزة عند شجرة موسي سميت باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوى به ثم قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له أتدرى اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم أي وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسي عليه الصلاة والسلام أي وفي الهدى يقول انه نزل ببيت لحم وصل فيه ولا يصح عنه ذلك ألبتة وبينا هو يسير على البراق اذ رأي عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال صلي الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ماذرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن اى فقال ذلك فانكب لفيه وطفئت شعلته ورأى حال المجاهدين في سبيل الله اى كشف له عن حالهم فى دار الجزاء بضرب مثال له فرأى قوما يزرعون فى يوم أى في وقت ويحصدونه في يوم أى في ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا اعاد كما كان فقال ياجبريل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثاني هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا أن يدعي انه صلي الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذى هو سبعمائة مرة على أن المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد جاء كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا أن يقال المراد تكرر الجزاء العدد المذكور للمجاهدين أمر مؤكد لا يكاد يتخلف وفي غيرهم بخلافه ووجد صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعى اليهود وداعي النصاري فاما الاول فقد رأى عن يمينه داعيا يقول يامحمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ماهذا ياجبريل فقال داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك اى لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الامة واما الثاني فقد رأى عن يساره داعيا يقول يامحمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ماهذا ياجبريل قال هذا داعى النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت امتك اي لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعى اليهود على اليمين وداعي النصارى على اليسار لا تخفى ورأي صلى الله عليه وسلم حال الدنيا اي كشف له عن حالتها بضرب مثال فرأي امرأة حاسرة عن ذراعيها كان ذلك شان المقتص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالي اي ومعلوم ان النوع الواحد من الزينة يجذب القلوب اليه فكيف بوجود سائر انواع الزينة فقالت يامحمد

فاخبره به أى بالضرب الذى كهيئة السياط فقال ذاك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال كنا ننظر الي المشرك أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع * وعن سهيل بن حنيف رضى الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الي المشرك أى يرفعه عليه فيقع راسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وقد جاء ان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أي مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار وفى رواية وصف ذلك الاثر بالخضرة ولا منافاة لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس او اليد يستدل بها على ان مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين وفي الوجه والانف واكثره فوق الاعناق والبنان وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس والضرب في الاعناق تارة بفصلها وتارة لا وفي الحالين يرى اثر ذلك اسود في العنق ليستدل به على انه من فعل الملائكة * وجاء ان النبي صلي الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس اباجهل فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجهه ثم قال اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعي له الرجال حتي وجده ابن مسعود الحديث وفى الصحيحين عن انس رضى الله عنه لما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوله من ينظر لنا ماصنع ابوجهل انطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد وفي رواية برك فاخذ بلحيته فقال انت ابوجهل الحديث ولما جاء ابن مسعود يخبر النبي صلي الله عليه وسلم بانه وجده فقتله اي تمم قتله قال له عقيل بن ابي طالب وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو اسير عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ماقتلته

انظرني أسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه ياجبريل قال تلك الدنيا أما انك لو اجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ورأى عجوزا على جانب الطريق فقالت يامحمد انظرني أسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه ياجبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز أى فزينتها لا ينبغي الالتفات اليها لانها على عجوز شوهاء لم يبق من عمرها الا القليل ولينظر لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الي آخره وفي كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانساني الى أيام ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ٢ بعدها تسمي الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الي بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا واعترض بان الائمة صرحوا بان الشباب ومقابله انما يكون في الحيوان ويجاب بان الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فاتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة في دار الجزاء فاتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ياجبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة أى المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم أتي على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف بشجر الدنيا وانما هو لشجرة من النار وهى المذكورة في قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اى منبتها في أصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المستهزئين ويأكلون رضف جهنم أي حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التي يكوى بها فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم المفروضة عليهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيء ايضا في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتي يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم أتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ماهذه ياجبريل قال هذا مثل اقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يأكل الربا أى حالته التى يكون عليها فى دار الجزاء فرأي رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال آكل الربا وقد شبهه الله تعالى فى القرآن

قال فقلت له بل أنت الكذاب الآثم ياعدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال نعم وهذا هو
أثر الجحش الذي جحشه اياه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين أخبار ابن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أبي
جهل ومجيئه برأسه لاحتمال أن يكون أخبر أولا ثم رجع وجاء برأسه وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل ان يكون في أصل قتل
أبي جهل وانه يعتقد انه ماقتل بل هو حي مع قومه أو التكذيب في ان ابن مسعود هو القاتل ويريد ان القاتل غيره

بقوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اي اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا آكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم لا مثل قيام الذي يصرعه الشيطان وفكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما ان المصروع حاله ذلك اي وهذه حالته في الذهاب الى المحشر زيادة على حالته المتقدمة التي تكون في دار الجزاء وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يعظ ولا يتعظ ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء امتك يقولون مالا يفعلون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم اظمار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش فضرب مثال فاتي على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ماهذا ياجبريل فقال هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال احوال أهل الجنة فاتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال ياجبريل ماهذا قال هذا صوت الجنة تقول يارب ائتني بما وعدتني أي لانه يجوز أن يكون محل الجنة من السماء السابعة مقابلا لذلك الوادي وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال النار فاتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا صوت جهنم تقول يارب ائتني بما وعدتني أي وليست جهنم بذلك الوادي كما سياتي ان الوادي التي هي به هو الذي ببيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي ان لا يكون هذا هو المراد بما في الخصائص الصغرى للسيوطي وخص صلى الله عليه وسلم باطلاعه على الجنة والنار بل المراد بذلك رؤيته ذلك في المعراج وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الوادي الذي ببيت المقدس بالنسبة للنار ورأى صلى الله عليه وسلم الدجال شبيها بعبد العزى بن قطن اي وهو ممن هلك في الجاهلية أي قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يامحمد قال جبريل سر يامحمد قال من هذا قال عدو الله ابليس أراد ان تميل اليه اه * وفي رواية لما وصلت بيت المقدس وصليت فيه ركعتين اي اماما بالانبياء والملائكة اخذني العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين في احدهما لبن وفي الاخرى عسل فهداني الله تعالى فاخذت اللبن فشربت وبين يدي شيخ متكئ على منبر له فقال أي مخاطبا لجبريل اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي فلما خرجت منه جاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي الاستقامة التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد على الفطرة أي على الاسلام * وفي رواية اخري فاتي بآنية ثلاثة مغطاة افواهها فاتي باناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا * وفي رواية انه لم يشرب منه شيا وانه قيل

كالانصار ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى أوقفه على أبي جهل فقال الحمد لله الذي أخزاك ياعدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس قاعدة الكفر قال ابن مسعود رضي الله عنه ونفلني سيفه اي أعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة وفي رواية قتله ابن عفراء أي وابن الجموح وقتلته الملائكة وأجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال رأيت ابا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لايخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه
فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أي أسرعت قطعه فوالله ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي وأجهضني القتال أي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فالصقت قال ابن اسحق وعاش رضي الله عنه الى خلافة

له لو شربت الماء اى جميعه او بعضه لغرقت امتك اي * وفي رواية انه سمع قائلا يقول ان اخذ الماء غرق وغرقت امته ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روى اى * وفي رواية سمع قائلا يقول ان اخذ اللبن هدى وهديت امته ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده فقد رويت فقال له جبريل انها ستحرم على امتك اى بعد اباحتها لهم * وفي رواية انه قيل له لو شربت الخمر لغوت امتك ولم تتبعك اى لا يكون على طريقتك منهم الا قليل اي * وفي رواية انه سمع قائلا يقول ان اخذ الخمر غوى وغويت امته * اقول وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله تعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض آنيتي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بان احداها كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بان احداها كان فيه خمر مع اللبن. لا بين الاخبار باناءين و لا اخبار باواني ثلاثة لانه يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر على اناءين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل أو ماء لانه يجوز ان يكون احدي الاواني الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الماء بدل العسل أو مزج العسل به وغلب الماء على العسل او تكون الاواني اربعة و بعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير مجموع الاواني اربعة فيها اربعة أشياء من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن وفي رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط وتارة ذكر معه الماء والخمر على الاحتمال الاول يسئل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل والله اعلم قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته اكرمته فضلته اه * وفي رواية سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة لحدة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هو موسي بن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال اويرفع صوته على ربه والعتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذى سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه * وفي رواية على من كان تذمره اى حدته قال على ربه قلت اعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله اعلم وجاء وليلة اسري بي مر بي جبريل على قبر ابي ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا ابوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذى معك يا جبريل فقال هذا ابنك احمد قال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة أي فموسى عرفه فلم يسال عنه وابراهيم لم يعرفه فسال عنه لكن في السيرة الهاشمية ان موسي سال عنه ايضا فقال من هذا يا جبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذى نصح امته ودعا له بالبركة وقال اسال لامتك اليسير والظاهر ان قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان تحت تلك

الشجرة

عثمان رضي الله عنه وهو صحيح سالم ثم بعد ضربه ابن الجموح لابي جهل جاءه وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته أي اثخنه وتركه وبه رمق حتى جاءه ابن مسعود فذفف عليه هكذا يجمع بين الروايات فان في بعضها قتله ابن الجموح وفي بعضها ابن مسعود رضى الله عنهم ومعوذ هذا لايزال يقاتل حتى قتل رضى الله عنه وجاء في بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذ ومعوذا ابنى عفراء اشتركوا في قتل أبي جهل فلعل معاذا أعان أخاه معوذا وكان معه في ذلك وقد جاء في الحديث رحم الله ابنى عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الامة قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم أمهما وابوهما اسمه الحرث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح أخوهما لامهما فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح أن يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافي بين الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابني عفراء قد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ورأس ائمة الكفر وقد كان أبو جهل أشد الناس عداوة وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم من أحد من الاذية مثل مالقي من أبي جهل لعنه الله وكان مقاربا بالنبي صلى الله عليه وسلم في السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه صلى الله عليه وسلم كان اشد الناس له حسدا وعداوة ولم يزل على ذلك حتى اهلكه الله يوم بدر وهو يوم البعثة الكبرى وكان اشد الناس اجتهادا في اخراج النفير ولما أرادوا الخروج من مكة اخذ باستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واجل الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا أي تطلبوا الفتح أي النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال

اللهم اقطعنا للرحم فاحنه أي أهلكه الغداة من كان أحب اليك وأرضي عنـدك فانصره وفي لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفي رواية أنه قال يوم بدر اللهم انصر افضل الدينين عندك وارضاهما لك وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام * وكانت سيما الملائكة يوم

بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر و بعضهم بعمائم بيض و بعضهم بعمائم سود و بعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين اكتافهم خضر وصفر وحمر أي و بيض وسود وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يوم بدر متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة اي بعضهم بسيما أبي عبد الله يعني الزبير وقد ذكر أن الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار أي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك اذا جاء الليل اووقع الاختلاط احد أحد وشعار المهاجرين يامنصور أمت و يقال أحد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسومة اي مزينة وكان ذلك بوضع الصوف في نواصي الخيل واذنابها وفي رواية العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة أي الغلبة

الشجرة أوقريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار صلى الله عليه وسلم حتى اتي الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي أي وهي النمارق أي الوسائد فقيل يارسول الله كيف وجدتها قال مثل الحممة أي الفحمة اه قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء أي من الصخرة كما تقدم أي على المعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج ارواح بني آدم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة و مرقاة من ذهب اي عشر مراقي وهو المراد بقول بعضهم كانت المعارج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الي سدرة المنتهى والتاسع الي المستوى والعاشر الى العرش والرفرف اي فاطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلائق احسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء اى بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذى نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا ان المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسيرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج اتي به من جنة الفردوس وانه منضد باللؤلؤ أي جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس أي ومنهم صاحب الهمزية كما سيأتي عنه حتى انتهى الى باب من أبواب سماء الدنيا اى ويقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسمعيل اي وهذا يسكن الهواء لم يصعد الي السماء ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنى عشر الف ملك أى * وفي رواية أي تحت يده سبعين الف ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من أنت * وفي رواية فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سماء الدنيا أي حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك أى فانهم رأوها ولم يعرفوها ولعل جبريل لم يكن على الصورة التي يعرفونه بها قال محمد * وفي رواية قال معك أحد يجوز ان يكون هذا القائل لم يرهما و يكون الرائي له معظم الحفظة قال نعم معي محمد قيل وقد بعث اليه أي للاسراء والعروج اى لانه كان عندهم علم بانه سيعرج به الى السموات بعد الاسراء به الى بيت المقدس والا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق و يبعد ان تخفى على أولئك الملائكة الى هذه المدة وايضا لو كان هذا مرادهم لقالوا أوقد بعث ولم يقولوا اليه فان قيل قد جاء في حديث أنس ان ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل اوقد بعث قلنا تقدم ان حديث أنس كان قبل ان يوحى اليه وانه كان مناما لا يقظة قال السهيلي ولم تجد في رواية من الروايات ان الملائكة قالوا وقد بعث الا في هذا الحديث * وفي رواية بدل بعث اليه ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا انا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير واختلف في لفظ ادم فقيل اعجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الادمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه أحسن الناس او هو مشتق من أديم الارض اى وجهها لانه مخلوق منه وعلى أنه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل

وقيل بمعنى الهزيمة والاول أوجه فتنهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل واذا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه أي غشاؤه فمات مكانه وأما انا فكدت اهلك ثم تماسكت وقوله أقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم قيل اسم فرس جبريل عليه السلام وفي أثر مرسل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل ما كل اهل السماء أعرف قال ابن كثير وهذا

الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد ان يقول احد من الملائكة لفرس جبريل اقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل وفي رواية جاءت سحابة فسمعنا اصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة اخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه وسلم فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمي واما انا فتماسكت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم واسلمت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظل بني اسرائيل في التيه هو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر وعنه ايضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السوط

* وفي رواية تعرض عليه ارواح بنيه فيسر بمؤمنها أي عند رؤيته ويعبس بوجهه عند رؤية كافرها قال وفي رواية فاذا فيها آدم كيوم خلقه الله تعالى على صورته أي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين * أقول وهذا وان اقتضى كون أرواح العصاة من المؤمنين في عليين كأرواح الطائعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى * وفي رواية تعرض عليه أعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف أي صحف اعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة أو التي ستقع منهم وهي ما في صحف الملائكة غير الحفظة أو تعرض عليه نفس أعمال تجسمت لما سيأتي أن المعاني تجسم في كل من الروايتين اقتصار والله اعلم * وفي رواية سندها ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه اي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اي الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هذا أبوك آدم أي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة اسم اي أرواح بنيه فاهل اليمين أهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى وزاد في الجواب ايضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته حزن وبكى اه أي اذا نظر الى ارواح من يدخلها وفيه ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون بابهما في السماء الدنيا وان أرواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما تقدم واجيب عن الثاني بان عرضها أي ارواح ذريته الكفار عليه نظره اليها وهي دون السماء لانها شفافة او من ذلك الباب اي وكونها عن يساره الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم اي في جهة يساره ويجاب عن الاول بان الباب الذي على يمينه يجوز ان يكون محاذيا لموضع الجنة من السماء السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تاتي لادنى ملابسة وبما اجبنا به عن كون ارواح ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب عن ذلك الى قول الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد أي الآن ومستقرها عن يمين آدم وشماله والله اعلم بما سيصيرون اليه بناء على ان الارواح مخلوقة قبل اجسادها على انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الى آخره ولا حاجة لما نقل عن القرطبي في الجواب عن ذلك من ان الكفار التي لا يفتح لها ابواب السماء المشركون دون الكفار من اهل الكتاب فيجوز ان تكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل الكتاب اذ هو يقتضي ان المراد بارواح بنيه

في فاخضر ذلك اجمع فجاء ذلك الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رايت مثلها قط ثم جاءت اخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل في الف من الملائكة امام النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى الروايتين السابقتين الارواح التي خرجت من اجسادها قال صلى الله عليه وسلم ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل أى كشفاه الابل أي وفى ايديهم قطع من نار كالافهار أى الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها فى افواههم تخرج من ادبارهم قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة اموال اليتامى ظلما وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض أى ولعل المراد بالرجال الاشخاص أو خصوا بذلك لانهم أولياء الايتام غالبا قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون لم ار مثلها قط أى فى رواية أمثال البيوت زاد فى رواية فيها حيات ترى من خارج البطون بسبيل أى طريق آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار ولا يقدرون على ان يتحولوا مكانهم ذلك أي فتطؤهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضى لشدة وطئهم لهم والمهيومة التى اصابها الهيام وهو داء ياخذ الابل فتهيم فى الارض ولا ترعى وفى كلام السهيلى الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش أى وفي رواية كلما نهض احدهم خر أى سقط قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة الربا وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد منهم يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة أى ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أي فيخرجون من ذلك النهر ويلقون فى طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائما قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث منتن يأكلون من الغث أى الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يتركون ماأحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ماحرم الله عليهم منهن أى وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم أى الرجال والنساء فى الارض بنحو هذا الوصف وفى رواية رأي اخوانة عليها لحم طيب ليس عليها احد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام أي من الاموال اعم مما قبله أي وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجال ماليس من اولادهم أى بسبب زناهن أى وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن فى الارض والذى تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهو ادخالهن على ازواجهن ماليس من اولادهم على انه يجوز أن يكون المراد مطلقا الزانيات لان الزنا سبب فى حصول ماذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن قال ثم مضى هنيهة فاذا هو باقوام يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له أى لكل واحد منهم كل كما كنت تاكل لحم اخيك قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون أى المغتابون للناس النمامون لهم اه أى وتقدمت رؤيته ﷺ للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف أي وروى انه صلى الله عليه وسلم رأى فى هذه السماء النيل والفرات يطردان أي يجريان وعنصرهما أى اصلهما وهو يخالف ماياتى انه صلى الله عليه وسلم

وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى مسلم عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب ابيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كاشد القتال يعني جبريل وميكال * وانكسر سيف عكاشة رضى الله عنه وهو بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن الاسدى رضى الله عنه وهو يقاتل به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب اى اصلا من أصول الحطب وقال قاتل بهذا ياعكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي قتل وهو عنده فى قتال اهل الردة فى زمن الصديق رضي الله عنه ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وسياتى مثل ذلك فى غزوة احد لعبد الله بن جحش رضى الله عنه وجاء فى فضل عكاشة رضى الله عنه انه ممن يدخل الجنة بغير حساب وانكسر سيف سلمة ابن اسلم رضي الله عنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان فى يده اى عرجونا من عراجين النحل وقال اضرب فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده وضرب حبيب رضى الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق ورمى رفاعة بن مالك رضى الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما اذاه شيء منها ورجعت كما كانت ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين ان ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا فى القليب فطرحوا فى القليب الا ماكان من امية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل اى تقطعت اوصاله فالقوا عليه ماغيبه من التراب والحجارة قال السهيلى وانما ألقوا فى القليب ...

عليـه الصلاة والسلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار أن يامرهم بدفنهم فكان جرهم الى القلب ايسر اليهم وفيه ايضا اشار الى ان الحربى لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما القى عتبة والد أبي حذيفة رضى الله عنه في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شان ابيك شيء فقال لا والله ولكني كنت اعرف من ابي رأيا وحلما وفضلا فكنت ارجو أن يهديه الله الاسلام فلما رأيت مامات عليـه احزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا وجاء ان اباحذيفة رضى الله عنه ارادان يبارز اباه ويقتله لما طلب المبارزة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم فى القليب بثلاثة ايام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القلب وجعل يناديهم باسمائهم ويقول يافلان ابن فلان ويافلان هل وجدتم ماوعدالله ورسوله حقا فانى وجدت ماوعدني الله حقا وجاء فى بعض الطرق ناداهم باسمائهم فقال ياعتبة بن ربيعـة ياشيبة بن ربيعة ويا أمية خلف ويا أباجهل بن هشام وانما ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من اهل القليب لانه كان قريبا من القلب وفى رواية قال لهم صلى الله عليـه وسلم بئس عشيرة كنتم كذبتمونى وصدقني النـاس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى النـاس فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله كيف تكلم اجسـادا لا أرواح فيها فقـال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا شيـا وفي رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة احياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى صـاروا كالاحياء فى الدنيا لان الروح بعد مفارقة الجسـد يصير لها تعلق به وبواسطة ذلك التعلق

رأى فى اصل سدرة المنتهى أربعة انها رنهران باطنان ونهران ظهران وان الظاهرين النيل والفرات واجيب بانه يجوزان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما وهو المراد بمنصرهما الذى هو اصلهما في السماء الدنيا أي بعد مرورهما فى الجنة ومن سماء الدنيا ينزلان الى الارض فقـد جاء فى تفسير قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض انهما النيل والفرات انزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام فاودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون وذكره السهيلى وفي زيادة الجامع الصغير ان النيل ليخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانيـة فاستفتح جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال نعم قد بعثت اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما أى شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا الى بخير وفى بعض الروايات التي حكم عليها بالشذوذ انهما في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي في اوائل الجامع الصغير وذكر بعضهم انها رواية الشيخين عن أنس والشذوذ لا ينافى الصحة المطلقه فقد قال شيخ الاسلام فى شرح الفية العراقى عند قوله من غير ما شذوذ خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوى من هو ارجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم لان التعريف للصحيح المجمع على صحته لا مطلقا هذا كلامه وفى كلام السخاوي نقلا عن شيخه ابن حجر ان من تامل الصحيحين وجد فيهما أمثلة من ذلك أى من الصحيح الموصوف بالشذوذ اقول وكونهما ابنى الخالة أي ان ام كل خالة الآخر هو المشهور عليه قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمه ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن فى عيون المعارف للقضاعى ان يحيى انما هو ابن خالة مريم ام عيسى لا ابن خالة عيسى لان ام يحيي أخت ام مريم لا اخت مريم وكذا فى كلام ابن اسحق ان عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وانهم تزوجا اختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسي بستة اشهر ثم ولدت مريم عيسي وزوجة عمران ولدت مريم فام يحيي أخت ام مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلي الله عليه وسلم فاذا انا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسى ليحيي يا ابن الخالة كما فى تفسير التستري على التجوز ففيه حكي عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام انهما خرجا يمشيان فصدم يحيى امرأة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد اخطات اليوم خطيئة ما أرى الله عزوجل يغفرها لك قال وما هى قال صدمت امرأة قال والله ما شعرت بها قال عيسى سبحان الله بدنك معى فاين قلبك قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمان الى جبريل صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت انى ما عرفت الله عزوجل ووجه التجوز انه اطلق على بنت الاخت لفظ

الاخت

يعرف الميت من يزوره ويانس به ويرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى في نحو الانبياء والشهداء
والصالحين حتى يصير كالحي في الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم باسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع
قبول وقد اشار الى ذلك الجلال السيوطي في قوله   سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدي * لا يقبلون ولا يصغون للادب   وجاء في بعض

الاخت قال بعضهم وهو كثير شائع في كلامهم ثم رأيت المولى أبا السعود ذكر ما يجمع به بين القولين وهو انه قيل ان ام يحيى اخت أم مريم من الام والاخت مريم من الاب فليتامل تصويره بناء على تحريم نكاح المحارم لان ام مريم حينئذ بنت موطوءة أبيها لانها ربيبته الا ان يكون في شريعتهم جواز ذلك ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد ان عمران تزوج أولا أم حنة فولدت أشياع أي التي هي ام يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التي هي ربيبته بنت موطوءة فجاء منها بمريم بناء على جواز ذلك في شريعتهم وفيه انه تقدم أن نوحا عليه الصلاة والسلام بعث بتحريم نكاح المحارم الا ان يقال المراد محارم النسب دون المصاهرة ولم يسم أحد يحيى بعد يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصاري جيء به للنبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما في الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعته الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء أي فدخل رسول الله ﷺ فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها أي ففي الحديث ما من احد الا ويلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية عملها الا يحيى ابن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها فليتامل ما في ذلك وقد ذكر ان والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكاء فقال له انت أمرتني بذلك يا أبت الست أنت القائل ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد وقد جاء في الحديث ان يحيى هو الذي يذبح الموت يوم القيامة بضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه أي فان الموت يكون في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلها اتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت أي يلقي الله عز وجل معرفته في قلوبهم وتجسيم المعاني جاء به الحديث الصحيح على انه جاء في تفسير قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت في صورة كبش لا يمر على احد الا مات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء الا حيي وهو يدل على ان الموت جسم وان الميت يشاهد حلول الموت به وقيل الذي يذبح الموت جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل ان في هذه السماء الثانية ادريس وهو قول شاذ وقيل يوسف جاءت به رواية ذكرها الجلال السيوطي في اوائل الجامع الصغير وذكر فيها ان ابني الخالة في السماء الثالثة كما تقدم وتقدم ان بعضهم ذكر انها رواية الشيخين عن انس قال ابو حيان وعيسى لفظ اعجمي والظاهر ان مثله يحيى هذا كلامه وفي كلام غيره ان يحيى عربي ومنع صرفه العلمية ووزن الفعل وقيل في عيسى انه عربي مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى انه اعجمي قيل عبراني وقيل سرياني ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال

الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى اهل القليب وقال لهم ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بان ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لان الاربعة المذكورين هم اعظم رؤساء قريش وبقية اصحاب القليب من بني عبد مناف ستة عبيدة والعاصي ولدا أبي احيحة سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن ابي سفيان والوليد بن عتبة والحرث ابن عامر وطعيمة بن عدي ومن سائر قريش اربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الاسود والعاص بن هشام أخو أبو جهل وابو قيس بن الوليد وبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي وعلى بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود بن ابي امية اخو ام سلمة وقيس
ابن الفاكه ابن المغيرة المخزومي والاسود بن عبد الاسد اخو ابي سلمة وابو العاص بن قيس عدي السهمي وامية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد احسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض اشعاره فقال   بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب في افق المواكب تنجلي   وجبريل في جند الملائك دونه * فلم تغن اعداد العدو والخذل   رمى بالحصى في اوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام بمجهل وجاولهم بالمشرفي فسلموا * فجادله بالنفس كل مجندل   عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع *

حديثهم فى ذلك اليوم من على * هم واعتبوا ابا السيف عتبة اذغدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولى وشيبة لما شاب خوفا نبادرت * اليه العوالى بالخضاب المعجل * وجال أبو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذال واضحي قليبا فى القليب وقومه * يؤمونه فيه الى شر منهل * وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل واخبر ما أنتم باسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول سلاعنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * (٤٣٦) فعاد بكاء ما جلالم يؤجل ألم يعلموا اعلم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لمعقل

فيا خير خلق الله جاهك ملجئي وحبك ذخري في الحساب وموئلي عليك صلاة يشمل الآل عرفها واصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه ياعبد الله قال ابن عمر رضى الله عنهما فلا أدرى اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقانى هو ابو جهل وقد رواه الطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما وفى رواية ابن منده عن ابن عمر رضى الله عنهما بينما انا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فناداني ياعبد الله اسقني فلا أدري اعرف اسمي اودعاني بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني ياعبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال لى قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى القيامة وروي ابن ابي الدنيا عن الشعبي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتي يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك

محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم أي ومعه نفر من قومه واذا هو أعطى شطر الحسن أي وفى رواية صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذى أعطيه الناس وفى الحديث اعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا واعطي الناس الثلثين ويحتاج للجمع بينها وبين ما جاء فى رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق وقسم بين سائر الخلق الثلث وعن وهب ابن منبه الحسن عشرة اجزاء تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفى كلام بعضهم كان فضل يوسف فى الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار فى ازقة مصر يري تلألؤ وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشارك فى شىء منه كما اشار اليه صاحب البردة بقوله * فجوهر الحسن فيه غير منقسم * خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف اعطى شطر الحسن الذى اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكى وعبارته فاذا هو اي يوسف عليه الصلاة والسلام أعطى شطر الحسن الذي اعطيه كله صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن من اسحق الذي هو جده واسحق ورث الحسن من سارة التى هى امه وسارة اعطيت سدس الحسن ورثت ذلك من حواء أي وفى رواية وصف يوسف وانه احسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب أى فضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب الليلة والمراد بخلق الله تعالى وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت انه اعطي شطر الحسن الذى لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل فى عموم خطابه على ما فيه وقد جاء ان يوسف أعطي نصف حسن آدم وفى رواية ثلث حسن آدم وقد جاء كان يوسف يشبه آدم يوم خلقه ربه وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وخص بانه صلى الله عليه وسلم اوتي كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد جاء ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها أحسنهم صوتا قال فرحب ودعا لى بخير وفى بعض الروايات ان فى هذه السماء الثالثة ابنى الخالة يحيى وعيسى كما مر ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لى بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهذا القياس لانه وجده الاعلى لانه من ولد شيث بينه وبين شيث أربعة آباء أرسل بعد موت آدم بمائتي سنة وهو اول من اعطى الرسالة من ولد آدم وهو يقتضى ان شيثا لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه ابنان فادريس فى عمود نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح فى تلك الرواية محمول على التواضع منه خلافا لمن تمسك بذلك على ان ادريس ليس جدا لنوح ولا هو من اباء النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا

ابو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة * وكان جملة من قتل من المشركين سبعين واسر منهم سبعون فمن القتلى أهل القليب المتقدم ذكرهم وهم اربعة وعشرون كلهم من رؤساهم والباقون من باقيهم وكان من فضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وعقيل بن ابي طالب و نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكل هؤلاء اسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم وهم من بني هاشم وممن اسلم من الاسرى من سائر قريش ابو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها اسلم

مكانا عليا أى حال حياته لانه رفع الى السماء قيل من مصر بعد أن خرج منها ودار الارض كلها وعاد عليها ودعا الخلائق الى الله تعالى باثنتين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أى علم الحوادث التي تكون في الارض باقتران الكواكب قال الشيخ محيي الدين بن العربي وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء لعدم استيفاء النظر ودعوى ادريس عليه السلام الخلائق يدل على انه كان رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين لم يجىء نص في القرآن برسالة ادريس بل قيل فيه صديقا نبيا واول شخص افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل معه في شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والآخرة لا يجتمعان في قلب أبدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عار الفضيحة هان عليه لذاتها خير الاخوان من نسي ذنبك ومعروفه عندك وقد قبضت روحه في هذه السماء الرابعة فصلت عليه الملائكة ومدفنه بها انه تصلي عليه الملائكة كلما هبطت وحينئذ لا يقال من كان في السماء الخامسة والسادسة والسابعة ارفع منه على انه قيل لما مات احياه الله تعالى وادخله الجنة وهو فيها الآن اي غالب احواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء المذكورة في تلك الليلة لان الجنة ارفع من السموات لانها فوق السماء السابعة ولا ماجاء في الحديث انه في السماء حي كعيسى عليهما الصلاة والسلام وفي بعض الروايات ان في هذه السماء الرابعة هرون ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون اى ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير اى وفي رواية فقال يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هرون بن عمران اى لانه كان ألين لهم من موسى عليهما الصلاة والسلام لان موسى عليه الصلاة والسلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذاء ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير * اي وفي رواية جعل يمر بالنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم فقيل من هذا قيل موسى وقومه والمناسب هذا قوم موسى كما لا يخفى لكن ارفع راسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هؤلاء أمتك هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب اي منهم بدليل ماجاء في رواية قيل لي هذه امتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتبون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن انا منهم قال نعم ثم قال رجل آخر انا منهم قال صلى

قبيل فتح مكة واثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في مصاهرته ورد عليه زينب رضي الله عنه وعنها وابو عزيز زرارة بن عمير اخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضى الله عنه والسائب بن عبيد كذلك اسلم رضى الله عنه بعد الفداء وعدى بن الخيار والسائب بن ابي حبيش وابو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو العامري اسلموا في فتح مكة وخالد بن هشام المخزومي وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن ابي بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل وعبد الله ابن زمعة اخو سودة ووهب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي وقسطاس مولى امية بن خلف والوليد بن الوليد قال في المواهب وكان العباس رضي الله عنه فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه على اسراره حين كان بمكة وكان يحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويحضرهم على مناصرته كما تقدم ذلك في حضوره بيعة العقبة التي كانت مع الانصار قبل الهجرة فهذا كله يدل على اسلامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره بالمقام بمكة ليكتب له اسرار قريش واخبارهم ولما ارادوا الخروج واستنفروا الناس ما امكنه التخلف عنهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر من اتى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ولا ينافي

الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلى الله عليه وسلم لست منهم لانك منافق بل أجابه بما فيه ستر عليه والقول بان ذلك الرجل هو سعد بن عبادة مردود وهذا تمثيل أى مثل له صلى الله عليه وسلم أمته اي وامة موسى أيضا اذ يبعد وجودها حقيقة في السماء السادسة وهذا السياق يدل على أن الذي مر بهم من النبي والنبيين في السماء السادسة فلما خلصا أي جاوزا ما ذكر من النبي والنبيين والسواد العظيم فاذا موسى بن عمران رجل آدم طوال كانه من رجال شنوءة كثير الشعر اى مع صلابته لو كان عليه قميصان انفذ الشعر منهما أى وكان اذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نار الشدة غضبه وفى كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعر رأسه من مدرعته كسل النخل واشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات او سبع مع انه لا ادراك له ووجه بانه لما فر صار كالدابة والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له ولامته بخير وقال يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك فقال ابكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي اى وبل من سائر الامم فقد ذكر الجلال السيوطى فى الخصائص الصغري ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى امته فى الآخرة ان اهل الجنة اى من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون وسائر الامم اربعون وجاء في المرفوع كل امة بعضها فى الجنة وبعضها فى النار الا هذه الامة فانها كلها فى الجنة وفى العرائس عن أبي هريرة رضى الله عنه لما كلم الله عز وجل موسي كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ وفى الحديث ليس احد يدخل الجنة الا جردا مردا الا موسى بن عمران فان لحيته الى سرته ثم عرج بنا السماء السابعة واسمها عريبا واسم الارض السابعة جريبا روى الخطيب باسناد صحيح ان وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له ثواب يملأ ما بين عريبا وجريبا فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا ابا ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اى رجل اشمط وفى لفظ كهل ولا ينافى ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم فى وصفه انه اشبه بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا خلقا جالس عند باب الجنة اى فى جهتها كما تقدم والا فالجنة فوق السماء السابعة على كرسى مسندا ظهره الى البيت المعمور اي وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفى آخره حاء مهملة من ضرح اذا بعد ومنه الضريح اي وفى كلام الحافظ ابن حجر يقال له الضراح والضريح وجاء انه مسجد بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها اي فهو فى تلك السماء فى محل يحاذي الكعبة اى وقيل فى السماء الرابعة وبه جزم فى القاموس وقيل فى السادسة وقيل فى الاولى وتقدم ان فى كل سماء بيتا معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو

ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له لما طلب منه الفداء ظاهر امرك انك كنت علينا لا كونه عليهم فى الظاهر لا ينافى كونه مكرها فى الباطن فعامله النبي صلى الله عليه وسلم بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضى الله عنهم حيث فعل مثل ذلك بآبائهم وابنائهم وعشائرهم وجاء ان العباس رضى الله عنه كان له مال وديون في قريش وكان يخشى ان اظهر اسلامه ضياعها عندهم فكان يخفى اسلامه باذن من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبى صلى الله عليه وسلم اسلامه للصحابة رفقا به وخوفا على ضياع ماله وللنبي صلى الله عليه وسلم غرض فى اخفاء اسلامه ليكون له عينا ينقل اخبار القوم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة اظهر اسلامه فهو لم يظهر اسلامه لهم الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافي اسبقية اسلامه وانه اظهره للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وبعد وقعة بدر كما يأتى لان الذى تاخر الى فتح مكة ظهوره لاهل مكة وكان العباس رضي الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبى صلي الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك وفى رواية استاذن العباس رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فكتب اليه يا عم اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين لانه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فرجع معه وكان الذى اسر العباس رضى الله عنه كعب بن عمرو الانصارى السلمي ويكني بابي اليسر رضي الله عنه فقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته فى كفك فقال ماهو الا ان لقيته فظهر فى عينه كالخندمة الاشم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفى رواية عن على رضى الله عنه فجاء رجل من الانصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما اسرني لقد أسرني رجل اجلح من

يدخله

أحسن الناس وجها على فرس ابلق ما اراه في القوم فقال الا نصاري انا اسرته يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد ايدك الله بملك كريم وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أسرته فقال قد اعانني الله عليه بملك كريم ولما اسر رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الاسرى فصار يئن فسمع النبي صلى الله عليه وسلم انينه فلم يأخذه نوم فقيل ما اسهرك يارسول الله قال انين العباس فقام رجل وارخى وثاقه وكان العباس رضي الله عنه رجلا طويلا فاراد النبي صلى

الله عليه وسلم بعد رجوعه الى المدينة بالاسري ان يلبسه قميصا وكان ذلك بعد ان حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجدوا له قميصا يكون على طوله فكساه عبد الله بن ابي ابن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه صلى الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاه صلى الله عليه وسلم قميصه تطييبا لقلب ابنه وتالفا لبقية المنافقين ومكافاة لما فعله مع عمه العباس رضي الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس رضي الله عنه اربعمائة أوقية وفي رواية مائة أوقية وفي رواية اربعين أوقية من ذهب وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل ابن ابي طالب ثمانين اوقية وجعل عليه فداء ابن اخيه نوفل بن الحرث كذلك وفي رواية قال له افد نفسك ياعباس وابني اخويك

يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون اليه * أقول عن بعضهم أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك * وفي رواية سبعون وجيها مع كل وجيه سبعون الف ملك والوجيه الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له في تلك الليلة لا تقتضي ذلك ثم رأيت الشيخ عبد الوهاب الشعراني أشار الى ذلك حيث قال ومال له البيت المعمور فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه أي جبريل انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها والظاهر أن دخول هؤلاء الملائكة خاص بالذي في السماء السابعة وقال السهيلي وقد ثبت في الصحيح ان اطفال المؤمنين والكافرين في كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال له واولاد الكافرين قال له واولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنائز وخرجه في موضع آخر فقال فيه اولاد الناس وقد روى في أطفال الكافرين أيضا أنهم خدم اهل الجنة هذا كلامه وجاء في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف أن في السماء الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم أي سحرا كما في بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا وفي لفظ يخلق الله عز وجل من كل قطرة كذا وكذا ألف ملك يؤمرون ان ياتوا البيت المعمور يصلون فيه فهم الذين يصلون في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه ابدا يولى عليهم احدهم يؤمر ان يقف بهم في السماء موقفا يسبحون الله عز وجل الى ان تقوم الساعة وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جبريل اخبره بذلك في تلك الليلة والله اعلم وفي رواية واذا انا بامتي شطرين شطرا عليهم ثياب بيض كانها القراطيس وشطرا عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي في البيت المعمور اي والظاهر انه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من امته بقدر الطائعين منهم وان الصلاة محتملة للدعاء ولذات الركوع والسجود ويناسبه ما تقدم من قوله ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يانبي الله انك لاقيت ربك الليلة وان امتك آخر الامم واضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك في امتك فافعل وفي السيرة الشامية ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصول بيت المقدس وقال له هنا مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال له وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اخري اقريء أمتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان

عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدي نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وقال للنبي صلي الله عليه وسلم تركتني فقير قريش مابقيت وفي لفظ تركتني اسال الناس في كفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذى دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان اصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم وفي رواية فللفضل كذا ولعبد الله كذا فقال والله اني اشهد انك رسول الله ان هذا شيء ماعلمه الا انا وام الفضل انا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده

ورسوله وفى رواية قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل وقلت لهـا ان قتلت فقد تركت غنية ما بقيت وفى رواية اين المال الذى دفنته انت وام الفضل فقال أشهد أن الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه أحد الا الله واني بالشهادتين اى نطق بهما بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا ينافى القول باسبقية اسلامه وانه كان يكتمه والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ومما يؤيد ذلك جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفى رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهوني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وقد انزل الله تعالى فى العباس رضى الله عنه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت منى اضعاف ما اخذت وقد صدق الله وعده له فاعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد في يد كل عبد مال يتجر فيه وكان يقول وانى لارجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل انه جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل ابن الحرث بن عبد المطلب افد نفسك أبا نوفل قال مالى شيء افدى به نفسى قال افد نفسك من مالك وفى رواية من رماحك فقال اشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لى بمكة رماحا غير الله السياق

أي وفدى نفسه ولم يفده العباس رضى الله عنه * وكان من الاسرى النضر بن الحرث العبدري بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى وكان من اشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن انه أساطير الاولين ويقول لو شئنا لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه محمد والله

يكون غراس الجنة بمجموع ماذكروان بعض الرواة اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعساء وقد اعجبتني فقلت لها يا جارية انت لمن قالت لزيد بن حارثة اى واهل تلك الجارية خرجت من الجنة فيكون استقبالهـا له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن فى رواية فرأيت فيها أي فى الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز ان يكون رآها مرتين خارج الجنة وداخلها فيكون سؤالها فى المرة الاولى واللعس لون [illegible] تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله فى الصحاح وفى رواية فلما انتهى الى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وصواعق أى وهذه الرواية ظاهرة فى انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك فى السماء السابعة محتملة لان يكون رآه قبل دخوله فيها وحينئذ يكون قوله ثم اتى باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل على الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاوانى عليه صلى الله عليه وسلم أخذ اللبن فقال جبريل اصبت الفطرة اى باخذك اللبن الذى هو الفطرة اصاب الله عز وجل بك امتك على الفطرة اي اوجدهم على الفطرة ببركتك وفى رواية هذه الفطرة التى انت عليها وامتك () اى وتقدم ان المراد بهـا الاسلام وورد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة وموسى فى السماء السابعة وهـذه الرواية في البخارى عن انس وتقدم ان ذلك كان فى الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم لا بجسده وفيه ان رؤيا الانبياء حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء نزل من محله الى ماتحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه لملاقاته ﷺ عند هبوطه فاخبر صلى الله عليه وسلم عنه تارة بانه في سماء كذا وتارة بانه فى سماء كذا والحافظ بن حجر لا يرى الجمع بل يحكم على ما خالف اصح الروايات بانه لا يعمل به قال والجمع انما هو مجرد استرواح لا ينبغي المصير اليه هذا كلامه وعندي فيه نظر ظاهر والجمع اولى من اثبات المعارضة لاسيما بين الاصح والصحيح وان كان الصحيح شاذا لانا لا نقدم الاصح او الصحيح على غيره الاحيث تعذر الجمع بالتأمل وعلى المشهور من الروايات الذي صدرنا به ابدى بعضهم لاختصاص هؤلاء الانبياء بملاقاته ﷺ واختصاص كل واحد منهم بالسماء الذى لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال ﷺ ثم ذهب بى اي جبريل الى سدرة المنتهى واذا اوراقها كآذان الفيلة وفى رواية مثل آذان الفيول وفى رواية الورقة منها تظل الخلق وفى رواية تكاد الورقة تغطى هذه الامة وفى رواية لو ان الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وحينئذ يكون المراد بكونها كآذان الفيلة فى الشكل وهـو الاستدارة لا في السعة () واذا ثمرها كالقلال وفى رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها تسع قربتين ونصفا من قرب الحجاز والقربة تسع من الماء مائة رطل بغدادى فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشيها تغيرت أي صار لها حالة من الحسن غير تلك الحالة التى كانت عليها فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها من حسنها اى لان رؤية الحسن تدهش الرائى وهـذا

قاتلي فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له الله ماهذا منك الارعب ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدري يامصعب أنت أقرب من هنا الي رحما فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين هو والله قاتلي فقال له مصعب أنت كنت تقول في كتاب الله ماتقول ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه وذكر بعضهم أن النضر هذا له أخ يسمي باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الي الحبشة والله أعلم * ولما ضربت عنق النضر * وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل انما هي بنته رثته ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها

يارا كبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية
ماان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة
جادت بوا كفها واخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولانت نجل نجيبة
في قومها والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لومننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق
او كنت قابل فدية فلينفقن
باعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
واحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
وفي رواية بدل قولها أمحمد البيت
أمحمد ياخير ضمن كريمة *
في قومها والفحل فحل معرق

وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم بكى وقال لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه اى لقبول شفاعتها عنده فلا ينافي ان مافعله حق * ومن الاسري أيضا عقبة بن أبي معيط بن ذكوان المكني بابي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلي الله عليه وسلم كما تقدم فامر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهي شجرة يتظلل بها وقال حين قدم للقتل من الصبية يامحمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضي

السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة اي وهو قول الاكثر وفي بعض الروايات ان اغصانها تحت الكرسي وعن وهب ان العرش والكرسي فوق السماء السابعة قال ويسئل هل ثمرة سدرة المنتهي كالثمار المأكولة في انه يزول ويعقبه غيره وهذا الزائل يؤكل أو يسقط أي فلا يؤكل انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اى المعجمة قباب اللؤلؤ وفي لفظ حبائل اللؤلؤ اى المعقود وقلائد واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم للجنة كان قبل عروجه للسحاب وفي الحديث مافي الدنيا ثمرة حلوة ولامرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل والذى نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتي يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى ان ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة * وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربي فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اى تؤكل من غير قطع اى يؤكل منها فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة غير مقطوعة في شتاء ولا صيف ويخلق مكان قطعها اخري على الفور كما فهمه بعضهم فعين ما يأكل العبد هو عين ما يشهد واطال في ذلك وكانه لم يقف على هذا الحديث أولم يثبت عنده فليتامل قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان اي يبطنان ويغيبان في الجنة بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة ونهران ظاهران أى يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه أي الانهار ياجبريل قال اما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات انتهي * أقول قول جبريل أما الباطنان ففي الجنة لايحسن أن يكون جوابا عن هذا السؤال أى الذى هو سؤال عن بيان الحقيقة ويحصل بذكر اسمها فكان المناسب بحسب الظاهر أن يقول وأما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على أن النيل والفرات يمران في الجنة ويجاوزانها وأن ماعداهما كسيحان وجيحان بناء على أنهما ينبعان من أصل شجرة المنتهي يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل أن النهرين اللذين هما ماعدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان في الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها لوجودهما في الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها وقد جاء في حديث مامن يوم الا وتنزل ماء من الجنة في الفرات قال بعضهم ومصداقه ان الفرات مد في بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال أنه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الاحاديث الواهية وفي حديث موقوف على ابن عباس اذا جاء خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالي جبريل فرفع من الارض هذه الانهار والقرآن والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بمافيه الى السماء هذا وفي بعض الروايات مايدل على أن سيحان وجيحان لاينبعان الا من أصل شجرة المنتهي فليسا هما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر اى ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة اصلا ومعني كون النيل والفرات

ا الله عنهما أن عقبة لما قدم للقتل نادى يامعشر قريش مالي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ببزاقك في وجهي وتقدم أن عقبة كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت

يا عقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له بالشهادة وليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه وصار أثر ذلك باقيا في وجهه الى موته وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان شديد السفه والفجور وأنزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بمكة لا القاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف وفي رواية لما قال مالي أقتل من بينكم صبرا قال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لست من قريش هل انت الا يهودي من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج فليتامل من صفورية وهو نسبة لموضع من ثغور الشام فولدت ذكوان وهو والد أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية واختلف في من باشر قتله فقيل عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لامه وقيل ان عاصم بن ثابت خاله لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هو الصحيح وقيل قتله علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

ظاهرين انهما يخرجان منها وفي السيرة الشامية لم يثبت في سيحان وجيحان انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان المذكوران اي في الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال القرطبي ولعل ترك ذكرهما اي سيحان وجيحان في حديث الاسراء كونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل ان يتفرعا من النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد انهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من اصل السدرة ولا يبطنان في الجنة أصلا قال واذا فيها في تلك الشجرة عين أي في أصلها ايضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر انتهى أي فهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذي يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة أربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان وفي جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله قسيما كما تقدم عن مقاتل فالباطنين الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التي تخرج من أصل سدرة المنتهى أربعة بناء على أن سيحان وجيحان لا يخرجان منها أو ستة بناء على انهما يخرجان منها وعلى الاول لا ينافي قول القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من أصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه او أصله الذي يتفرع منه بناء على ما تقدم من ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافي ما عند مسلم يخرج من أصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهي النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما عند الطبراني سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار من ماء غير آسن من لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل أي ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول بحر النيل في البحر الملح الذي يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان ولا غاية ذلك سكوتهما عن النهرين الاخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من أصل سدرة المنتهى من الجنة انه يحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من أصلها فصح انها من الجنة هكذا ذكره العارف بن أبي جمرة ولم اقف على ما يدل على ثبوت هذا الاحتمال أي ان سدرة المنتهى مغروسة في الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال في تصحيح هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من أصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة ثم لا يخفى ان في كلام القاضي عياض ان سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال فيه جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم انكر الامام النووي على القاضي عياض حيث قال الثاني أي من وجوه الانكار على القاضي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون

ويحتمل انهما اشتركا في مباشرة ذلك وقيل انه بعد ان قتله صلب على شجرة * وذكر ابن قتيبة أن طعيمة بن عدي أخا المطعم بن عدي كان من جملة الاسرى وان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط والصحيح عند أهل السير والمغازي ان طعيمة بن عدي قتل في معركة القتال قتله حمزة رضي الله عنه وسياتى ان شاء الله تعالى في غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور ثم استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم استشار ابا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين القتل أو أخذ الفداء فقال ابو بكر يارسول الله أهلك وقومك وفي رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى ان تستبقيهم وتاخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله ان يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب فقال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى رأى ابو بكر ولكني أرى ان تمكنني من فلان قريب لعمر وفي رواية نسيب له فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل اخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا وفي رواية ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة في حال ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه

فليتامل قال والذي غشي الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذي يلقي نفسه في السراج ليحترق وملائكة على كل ورقة ملك يسبح الله تعالى وملائكة أي آخرون يغشونها كأنهم الغربان ياوون اليها متشوقين اليها متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأي صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه الله عز وجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من أجنحته تهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله عز وجل وغشيت تلك السدرة سحابة فتاخر جبريل عليه الصلاة والسلام ثم عرج به صلى الله عليه وسلم أي في تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وفي رواية صريفها أي صوت حركتها حال الكتابة أي ما تكتب الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ما تقدم من أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة الى آخر ما تقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها على يمين العرش وفي رواية ثم انطلق بي أي جبريل الى ظهر السماء السابعة حتى انتهي الي نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير أخضر انعم الطير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضاض من الياقوت والزمرذ بالذال المعجمة كما تقدم وماؤه أشد بياضا من اللبن فاخذت من آنيته واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك * أقول وقد تقدم أن هذا النهر من العين التي تخرج من سدرة المنتهى التي يقال لها السلسبيل أي فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة ويستقر بها فلا ينافى كون الكوثر نهرا في الجنة وان السلسبيل عين في الجنة لان السلسبيل على ما تقدم أصل الكوثر والله أعلم وفي رواية انها أي سدرة المنتهى في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيفيض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيفيض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى وعن تفسير ابن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهي بها اليها فتصلي عليها هناك الملائكة المقربون وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى في السادسة وكونها في السابعة بان أصلها في السادسة واغصانها في السابعة أي فوق السابعة أي جاوزت السابعة فلا ينافي القول بانها فوق السابعة على ما تقدم وهذا الحمل المقتضى لكون أصلها في السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من أصلها الى آخر ما تقدم ويروي ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه فزج بي في النور أي لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو نظير المحفة عندنا وفي تاريخ الشيخ العيني شارح البخاري عن مقاتل بن حيان قال انطلق بي جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل تقدم يا محمد قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل من خلفي يا محمد ان الله يثني عليك فاسمع واطع

فقال يارسول الله أرى ان تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن على رضى الله عنه جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقاني لانه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلاف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا الماظهر لعبد الله بن رواحة رضى الله عنه الجواب قال انظر واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله عنه

وهو يسمع قطعت رحمك وفي رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم فقال أناس يأخذ بقول عمر وأناس يقول بقول ابي بكر وأناس يقول بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب اقوام فيه حتى تكون ألين من اللين وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك ياابا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك ياأبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك ياعمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والباس والنقمة على اعداء الله ومثلك في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على اموالهم الآية لو اتفقتما ماخالفتكما وأخذ ابى بكر رضى الله عنه وقال لا يفلتن احد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يارسول الله الا سهيل بن بيضاء فانه سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم اخاف أن تقع على الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء وانزل الله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على الله عز وجل الحديث أى وفي ذلك النور المستوى الذي يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وفي رواية انه لما وقف جبريل قال له صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل هل لك حاجة الى ربك قال يامحمد سل الله عز وجل لي أن أبسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بي في النور فخرق بي الى سبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة ابي بكر رضى الله عنه قف ان ربك يصلي فبينما أنا اتفكر في ذلك أي في وجود ابي بكر في هذا المحل وفي صلاة ربي فاقول هل سبقني ابو بكر وكيف يصلي ربي وهو غني عن أن يصلي كما يدل على ذلك ما يأتي فاذا النداء من العلي الاعلى ادن ياخير البرية ادن ياأحمد ادن يامحمد فادناني ربي حتى كنت كما قال عز وجل ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفي الخصائص الصغرى وخص بالاسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ماوطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية ككلام الخصائص تدل على ان فاعل دني وتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد في القرب وجعل بعض العلماء من جملة ما خالف شريك المشهور من الروايات انه جعل فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى أى دني الجبار رب العزة فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر عن البيهقي انه روي بسند حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلي الواقعين من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير وهو أي ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز ورأيت بعضهم ذكر أن فاعل دني جبريل وفاعل تدلي محمد صلى الله عليه وسلم أى سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما أعطى من الزلفي ورأيت بعضا آخر ذكر ان فاعل تدلى الرفرف وفاعل دني صلى الله عليه وسلم أى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه ثم دني محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى أى قرب قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان تعالى الله عز وجل عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسألني ربى فلم أستطع أن أجيبه عز وجل فوضع يده عز وجل بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد اى بقدرته تعالى لانه سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله غيرى وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي وهى الانس والجن أى وكذلك الملائكة على ما تقدم أقول هذا التفصيل يدل على ان العلوم الشتي هى هذه العلوم الثلاثة الا أن يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل

على

يبكيان فقال يارسول الله اخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم أبكي للذى عرض على أصحابك من الفداء وفي رواية قال ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ماافلت منه الا ابن الخطاب وفي رواية وسعد بن معاذ لانه أيضا كره الاسر واحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه أشار باضرام النار وليس بشرع قال بعضهم في هذه الآيات دليل على انه يجوز الاجتهاد للانبياء لان

العتاب لا يكون فيما صدر عن وحي وقال السبكي في قوله تعالي ما كان لنبي أي غيرك يامحمد ان يكون له أسرى الخ أى واما انت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم وعن الاعمش في قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق أى بانه سبحانه وتعالى لايعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم وأحسن ماقيل في الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الاولي وانه كان الاولى الاثخان بالقتل لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذى يقع وانهم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم لمقدر وقوعه قبل خلق السموات والارض وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتاييد لرأى عمر رضى الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقا لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف وروى الحاكم باسناد صحيح عن على رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا وفى رواية قالوا بل نفاديهم فنقوى عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففاداهم ثم لما استقر الامر على الفداء فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتي يرسل لهم أهلهم وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم بين اصحابه انما كان بعد وصولهم

على انواع من العلوم والله اعلم قال صلي الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يامحمد هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يامحمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك ياموسي قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يامحمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظم الهيبة * اقول لعل المراد خلقنا صورة على صورة صوته لانه ليس في الرواية انه راي ذلك الملك على صورة ابي بكر وانما سمع صورته والله اعلم ثم قال الله عزوجل يامحمد واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يامحمد قد أجبته فيما سال ولكن فيمن أحبك وصحبك * أقول لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك في دينك عاملا بسنتك أى وهو مراد جبريل بامته صلى الله عليه وسلم في قوله ان ابسط جناحي لامتك على الصراط والله اعلم وفي الرواية انه صلى الله عليه وسلم لما رأى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال ﷺ فاوحي الله عز وجل الى ما أوحى وقد ذكر الثعلبي والقشيري في تفسير قوله تعالى فاوحي الى عبده ما اوحى ان من جملة ما أوحى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتي تدخلها يامحمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك قال القشيري واوحي اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة * أقول تقدم ان من جملة ما أوحي اليه في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض الم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على أنواع الوحى وقدمنا انه يضم لذلك هو الذى يصلى عليكم وملائكته الآية على ماتقدم هذا وفى حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لى جبريل عليه السلام رويدا اى قف قليلا فان ربك يصلى قلت اهو يصلى في لفظ كيف يصلي وفي لفظ آخر قلت ياجبريل أيصلى ربك قال نعم قلت ومايقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولامانع من تكرر وقوع ذلك له صلي الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبها صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية ومابعدها وورد أن بنى اسرائيل سالوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فقال الله تعالى ياموسى ماقالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال أخبرهم انى اصلى وان صلاتى تطفيء غضبي والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى اى في رواية ثم انجلت تلك السحابة أى عند وصوله الى سدرة المنتهى الذي هو المحل الذى وقف فيه جبريل فاخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فاتى على ابراهيم فلم يقل شيا ثم اتي على موسى () وهذا يدل على ماهو

المدينة وقال لما فرقهم استوصوا بهم خيرا * قال ابن اسحق فكان ابن عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسارى فقال مر بي اخي ورجل من الانصار يأسرني فقال له شد يديك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط من الانصار حين اقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ولما قال أخوه الانصارى شد يدك به قال يا اخي هذه وصايتك بي ثم ارسلت أمه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم

رضي الله عنه وتواصت قريش على ان لا يعجلوا في طلب فداء الاسرى قالوا ائلا يتغالى محمد واصحابه في الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه باربعة آلاف درهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رأى أبا وداعة اسيرا ان له بمكة ابنا كيسا اجرا ذا مال وكانكم به قد جاء في طلب أبيه فجاء وفداه فكان أول أسير فدى واسم أبي وداعة الحرث ثم أسلم رضي الله عنه وقد عده بعضهم من الصحابة وعند ذلك بعثت قريش في فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى الف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه * وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر * وفي رواية في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة بدر وهو على كفره وأما جبير ابنه فاسلم رضي الله عنه * وكان من الاسرى أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه فانه اسلم

المشهور في الروايات ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في السابعة وموسى كان في السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم عليه السلام كان في السادسة وموسى كان في السابعة كما تقدم ولما اتى الى موسى عليه الصلاة والسلام قال له ما فرض ربك عليك اي وفي لفظ بم امرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم اي وفي البخاري أن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة أي فانه فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما أي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض ركعتان عند الزوال اي فما قاموا بذلك وفي تفسير البيضاوي ان الذي فرض على بني اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وسيأتي ذكر ذلك في بعض الروايات ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف انه استكثر الخمس التي هي المرة الاخيرة فهو انما يناسب ما تقدم ثم رأيت القاضي البيضاوى قال في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر الذي كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية أن كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة في اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك أي وانما كانت أمته مأمورة بما أمر به ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على امته والامر له صلى الله عليه وسلم امر لها لان الاصل ان ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية قال فرجعت الى ربي أي انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يارب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف قال فلم ازل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه أي وفي رواية انه وضع عنه عشر صلوات عشر صلوات الى أن أمر بخمس صلوات وجاء في الحديث أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت احدا من الانبياء احوط على امتي منه * اقول وفي الوفاء ان رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عنه عشر صلوات أصح لانه قد اتفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه فليتامل والمتبادر من قوله الى أن أمر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين وأثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ماعدا الخمس من الخمسين

الخمسين قيل وفي هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ فقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى رحمه الله تعالى وما قيل ان الخمس في ليلة الاسراء ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلي الله عليه وسلم لبلوغه له لافي حق الامة اى لعدم بلوغه لهم هذا كلامه واذا نسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق أمته كما هو الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما في الخصائص الصغرى للسيوطى رحمه الله تعالي من ان وجوب الخمسين لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق الامة ولعل مستنده فى ذلك رواية فرض الله على امتى ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة اى على الامة كما هو المتبادر وقوله موسي عليه الصلاة والسلام له صلي الله عليه وسلم ان امتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك قول الامام السبكى في تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا * بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فابقيت أجر الكل مااختل ذرة * وخففت الخمسون عنا بخمسة

وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بانه لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر من الخمسين التى فرضت اولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فمازاد على الخمس مساو لها ويحتمل ان تكون صلوات أخر مغايرة لتلك الخمس ولم اقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم لم اقف على مايدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم لها والي عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه اشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به الي قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسري * دونها ما وراءهن وراء
وتلقى من ربه كلمات * كل علم فى شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق في قطرتها العالمون والحكماء

أي وطوي الارض حالة كونه صلي الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلا لما كان له صلى الله عليه وسلم فوقها اسراء اى ليلة الاسراء الى ان جاوزها جميعها في اسرع وقت نصف تلك الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء واستقرار وصعد به ذلك البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم

بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضى الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكنيته أبو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم وقيل هشيم واشتهر بكنيته وأبوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزي بن عبد شمس بن عبد مناف فلما أسر أبو العاص بعثت زينب رضي الله عنها فى فدائه قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها أبو العاص فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم ان يخلي سبيل زينب أى أن تهاجر الى المدينة ولم يكن فى ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرما وانما حرم ذلك بعد لان الاحكام انما شرعت بالتدريج فلما بعث صلى الله عليه وسلم وأسلم أهله وبناته ولم يسلم أبو العاص زوج زينب لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم وقد كان كفار قريش مشوا الى أبي العاص وسالوه ان يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له نزوجك اي امرأة شئت من قريش فابى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب ان لي بامرأتى أفضل امرأة من قريش واثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما تكونان بمحل كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تاتيا بها فلما ارادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو اخو زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها في هودج لها وكانت حاملا فحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتي أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت والقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء

اليه أبو سفيان في رجال من قريش وقال كف عنا بنانك حتى نكلمك ثم قال له انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بزينب علانية على رؤس الناس من بين اظهرنا فيظن الناس ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمري مالنا بحبسها عن ابيها حاجة ولكن أرجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فالحقها بابيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه * وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يارسول الله قال فخذ خاتمي فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيا فقال لمن ترعى قال لابي العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له ان أعطيتك شيا تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فادخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي على بعيري قالت لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهرين من بدر وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها أي اخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان ان يكون معها حين خرجت ثم اسلم زوجها رضى الله عنه وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا آخر وولدت له امامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم على ظهره وهو يصلي ثم لما كبرت تزوجها علي رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها بوصية من فاطمة رضي الله عنها لعلي بذلك ولما حضرت عليا رضي الله عنه الوفاة قال لها اني لا آمن ان يخطبك معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب .

هي السعادة الثابتة التي لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الاماني حسري ذات اعياء وتعب ماقدامهن قدام أي ليس بعدها من رتبة ينالها أحد غيره صلى الله عليه وسلم وتأتي من ربه كلمات ماعداها بالنسبة اليها كالهباء وهو مايرى في ضوء الشمس وث سبحانه وتعالى اليه علو مايدرك العلماء والحكماء شذرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه مافي حياة الحيوان ان قيل لم عرج النبي صلى الله عليه وسلم الي السماء على البراق ولم ينزل عند منصرفه عليه فالجواب انه عرج به الى دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهارا لقدرة الله تعالى هذا كلامه فليتامل وتقدم عن الحافظ ابن كثير انكار صعوده صلى الله عليه وسلم على البراق وقد جاء كان موسى أشدهم على حين مررت عليه وخيرهم الى حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم أى فانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم لما جاوزه عند الصعود بكي فنودي مايبكيك قال رب هذا غلام أي لانه صلى الله عليه وسلم كان حديث السن بالنسبة لموسي صلى الله عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته اكثر ممن يدخل من أمتي وفي رواية تزعم بنو اسرائيل أي وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفي لفظ تزعم الناس انه أكرم على الله مني ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم أفضل الامم عند الله تعالى أي انضم الى شرفه شرف أمته على سائر الامم * أقول والغرض من هذا وماتقدم عنه عند مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة أمته بانه أفضل الانبياء وأمته افضل الامم وفي رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل مابال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا والراجح عند أئمتنا ان درهم الصدقة أفضل من درهم القرض وبيان كون درهم والقرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر * وعرضت له صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى أي نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي هذه الرواية زيادة على ماتقدم وهي فاذا قوم يأكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس أي وتقدم انه صلى الله عليه وسلم رأى هؤلاء في الارض وان لهم اظفارا من حديد يخمشون بها وجوههم وصدورهم ورآهم في السماء الدنيا وانهم يقطعون اللحم من جنوبهم فيلقمونه ولينظر ما الحكمة

في

فى تنكير رؤية هؤلاء دون غيرهم من لقيه اهل الكبائر الذين رآهم في الارض وفي السماء الدنيا ولعل الحكمة في ذلك المبالغة في الزجر عن المغيبة لكثرة وقوعها ورأى فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا ياجبريل فقال هذا عاقر الناقة اى وامل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة وزج به في النور ولا مانع من ان تعرض عليه النار وهو فوق السماء السابعة وهي فى الارض السابعة * اقول ونقل القرطبي فى تفسيره عن الثعلبي عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى الى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوآت من الملائكة يسبحون الله عزوجل ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اى صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة أي لصلاتها وهذا يفيد ان هذه التسمية اي تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملائكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ماقيل ان المسمي لها بذلك كعب بن لؤى كما تقدم ويخالف ماسيأتى من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عزوجل للمسلمين بالمدينة وانه لما ارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلوها فى ذلك اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذى يليه اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اى فى اكثر الروايات والا فقد رايت السهيلي ذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه سمي ذلك اليوم بيوم الجمعة ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير اما بعد فانظر اليوم الذى يليه اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وابناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله تعالى فيه بركعتين فعلى اكثر الروايات يجوز ان يكون اخباره صلي الله عليه وسلم بذلك هنا اى فى قصة المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون الذى سمعه من الملائكة مثلا يوم العروبة مثلا والله اعلم * قال ورأى صلي الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم اى بالسلام ثم اغلقت دونه انتهي وفي لاصل وفي حديث ابى هريرة رضي الله تعالى عنه وقد رايتني اى يخبر انه صلي الله عليه وسلم راى نفسه فى جماعة من الانبياء فحانت الصلاة اي حضرت ارادة الصلاة فاممتهم اى صليت بهم اماما قال قائل يامحمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدانى بالسلام وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لم آت لاهل سماء الارحبوا بى وضحكوا الاغير واحد سلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ودعالي ولم يضحك الى قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى * اقول هذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه من الملائكة في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر في شئ منها على ماعلمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجده فى السماء السابعة وانه

شيرا فلما توفي على رضى الله عنه وانقضت عدتها ارسل معاوية رضي الله عنه يخطبها وبذل لها من المهر مائة الف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل ارسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على رضي الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه الزبير بن العوام وصية من أبيها اليها او يمكن الجمع بينهما * وكان من جملة الاسرى عمرو بن أبى سفيان بن حرب أخو معاوية أسره على بن أبي طالب رضى الله عنه فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك فقال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأفدى عمرا دعوه فى ايديهم يمسكونه مابدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلي الله علية وسلم فاخبروه خبر سعد ابن النعمان وسالوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الي أبي سفيان فخلى سبيل سعد ولم نذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسرى والظاهر أنه مات على شركه * وكان من جملة الاسرى سهيل ابن عمرو العامرى وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى

انزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه أى يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان اعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا وعسى الله ان يقوم مقاما لاتذمه فكان كذلك فانه أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد اكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله واثني

عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتي بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة أبي بكر رضي الله عنه التي خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال سهيل في خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ثم قال والله اني لاعلم ان هذا الدين يمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر رضي الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان في قيامه ذلك المقام معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به قبل حصوله باعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضي الله عنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز بن حفص في فدائه فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا هات قال ليس عندي هنا شيء ولكن اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا في محله حتى جاءهم الفداء * وكان في الاسرى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد رضي الله عنه فافتكه أخواه هشام وخالد فلما سلموا فداءه وافتكوه ووصل الى مكة أسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت عز أن يظن بي اني جزعت من الاسر ثم لما أسلم أراد الهجرة فحبسه أخواه هشام وخالد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت ويقول اللهم انج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء * وكان في الاسرى وهب بن عمير الجمحي رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وأتى به المدينة مع الاسرى وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة فجلس عمير يوما مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي رضي الله عنه

مرة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام والمناسب أن يكون في المرة الاولى هو الذي بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رأيت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بدأ خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من أنه رأى رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلي من انه صلى الله عليه وسلم لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع ان ينظر اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لم آت أهل سماء الى اخره قد يعارضه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم ار ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافي ان ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم أي يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعد ما أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل اني لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ومما يدل على أن جبريل عليه الصلاة والسلام خلق قبل النار أيضا ما في مسند أحمد عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تأتني الا رأيتك صارا بين عينيك قال اني لم اضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وابي هاشم حيث زعموا أن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا موجودتين الآن وانما يخلقهما سبحانه وتعالى يوم الجزاء مستدلين بانه لا يحسن من الحكيم ان يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق أهلهما وبانهما لو كانا مخلوقتين في السماء والارض لفنيا بفنائهما واجيب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتأمل وأجيب عن الثاني بان الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وفيه ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذي الروح ولان الجنة كما قيل ليست في السماء السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بان الجنة في السماء السابعة والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله اعلم قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك الليلة فاكثر العلماء على وقوع ذلك أي انه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل بعين رأسه واستدل له بحديث رأيت ربي في احسن صورة ورد بان هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن * وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وانكرتها عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت من زعم ان محمدا رأى ربه أي بعين رأسه أي فقد اعظم الفرية على الله عز وجل أي أتى باعظم الافتراء والكذب على الله

فانه اسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا ما اصاب قريشا يوم بدر وذكرا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما في العيش خير بعدهم لانه قتل ابوه امية واخوه علي فقال له عمير صدقت اما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال اخشى عليهم الضيعة بعدي لكنت آتي محمدا حتى اقتله فان لي فيهم علة اني اسير في ايديهم فاغتنمها صفوان وقال له علي دينك انا اقضيه عنك وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا فقال عمير فاكتم عني شاني وشانك وتعاقدوا وتعاهدوا على ذلك ثم ان عميرا اخذ سيفه

عز وجل ووافقها على ذلك من الصحابة ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما وجمع من العلماء ونقل عن الدارمي الحافظ انه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية أي المذكورة وأكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية له بعين رأسه الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

ورآه وما رآه سواه * رؤية العين يقظة لا مرائي

واحتجت عائشة رضي الله تعالى عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار قال وروي ان مسروقا قال لها ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى أي مرة أخرى أي بناء على ان الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت أنا أول هذه الامة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال انما رأيت جبريل منهبطا أي فالضمير البارز انما هو لجبريل وفي رواية قال لها ذاك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها الا مرتين أي مرة في الارض ومرة في السماء في هذه الليلة كما تقدم وعلى ظاهر الآية أي من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت عن عائشة رضي الله تعالى عنها يلزم أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة في قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم رؤيته للباري عز وجل مرتين وفيها جمع له بين الكلام والرؤية وكلمه عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز انه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة رضي الله تعالى عنها بما ذكر أي بقوله انما رأيت جبريل الى آخره على قدر عقلها أي في ذلك الوقت انتهى وأيد قولها بما روى عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا أي حجبني ومنعني عن رؤيته عز وجل ومن ثم جاء في روايته نوراني اراه أي كيف أراه مع وجود النور لان النور اذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراءه أي وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئي له خلافا لمن فهم ذلك وأيده بما روى نوراني أي لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض لم أرها في اصل من الاصول ومحال أن تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض أي لانه كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى يتعالى عن ذلك أي فحجابه تعالى النور كما رواه مسلم أي ومن ثم قيل في قوله تعالى الله نور السموات والارض أي ذو نور أو هو على المبالغة أي وجاء رأيته في صورة شاب امرد عليه حلة خضراء دونه ستر من لؤلؤ وجاء رأيت ربي في احسن صورة قال الكمال بن الهمام ان كان المراد به رؤية اليقظة فهو حجاب الصورة قال وقيل رآه بفؤاده مرتين لا بعيني راسه فعن بعض الصحابة قالوا يا رسول الله هل رايت ربك قال لم اره بعيني رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى الآية وهذا السياق يدل على ان

فشحذه اي سنه وسمه اي جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضي الله عنه هذا الكلب عدو الله عمير ابن وهب ما جاء الا بشر فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا بسيفه قال فادخله علي فاقبل عمر حتى اخذ بحمالة سيفه في عنقه فامسكه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مامون ثم دخل به عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير

انعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية اهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم يعني ولده وهبا فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبح الله السيوف وهل اغنت عنا شيئا قال اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فتذاكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لخرجت حتى اقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك

فاءن دنافتدلى الحق سبحانه وتعالى والمراد بالفؤاد القلب أى خلقت الرؤية في القلب أو خلق الله لفؤاده بصرا رأي به انتهى * أقول وكون الفؤاد له بصر واضح لقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى وأجيب عما احتجت به عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى لا تدركه الابصار بانه لا يلزم من الرؤية الادراك أى الذى هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من اصل الرؤية وقد قال بعضهم للامام أحمد باى معني تدفع قول عائشة رضى الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي ﷺ اكبر من قولها هذا وقد قال أبو العباس بن تيمية الامام احمد انما يعني رؤية المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه يقظة ومن حكي عنه ذلك فقد وهم وهذا نصوصه موجودة ليس فيها ذلك * أقول وفيه انه يبعد أن يكون الامام احمد يفهم عن عائشة رضى الله عنها انها تنكر رؤيا المنام حتى يرد عليها وقد ضعف حديث ابى ذر المتقدم وهو قلت يارسول الله رأيت ربك فقال نور أني أراه وهو من جملة الاحاديث التي في مسلم التي نظر فيها والله اعلم قال ابو العباس بن تيمية وأهل السنة متفقون على ان الله عز وجل لا يراه أحد بعينه فى الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في نبينا صلي الله عليه وسلم خاصة مع ان حديث المعراج المعروفة ليس فى شيء منها انه رآه انما روى ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث وفى صحيح مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتي يموت وقد سأله موسي الرؤية فمنعها وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعي هذا كلامه ونازع فيه السبكي انه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعى وهى التي تكلف باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التى يكتفي فيها بخبر الآحاد الصحيح وهى التى تكلف باعتقادها كما نحن فيه وفى الخصائص الصغري وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته من آيات ربه الكبرى وحفظه حتي مازاغ البصر وماطغى وبرؤيته للباري مرتين وفى كلام بعضهم قال العلماء في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة وفي كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بالف خصلة منها الرؤية والدنو والقرب قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى اثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يجترئ أحد ان يظن في ابن عباس ان يتكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد قال الامام النووى والراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه اى واما رؤيته عز وجل يوم القيامة في الموقف فعامة لكل أحد من الخلق الانس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة جبريل وغيره وأما رؤيته عز وجل فى الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه جبريل منهم خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم رؤية

الملائكة

حتي تقتلني له والله حائل بيني وبين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك فيما تاتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه واقرئوه القرآن واطلقوا له أسيره ففعلوا ذلك وأسلم ابنه ايضا رضي الله عنه ثم قال عمير يارسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فانا أحب ان تاذن لى فاقدم مكة فادعوهم الي الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى اصحابك في دينهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لاهل مكة أبشروا بوقعة تاتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسال عن عمير الركبان حتى قدم راكب فاخبره باسلامه فحلف أن لا يكلمه ابدا وان لا ينفعه ولا يواسيه ابدا فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته واظهر الاسلام ودعا اليه فلما بلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بي قبل منزله انه انتكس وصبا ولا اكلمه ابدا ولا انفعه ولا عياله بنافعة ابدا ثم ان عميرا رضى الله عنه وقف على صفوان وناداه انت سيد من ساداتنا ارأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له اهذا دين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استامن النبي صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم اسلم صفوان رضي الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين اعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوآ من النعم فقال اشهد ان الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضى الله

وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش * ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يارسول الله اني فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليه وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال له اني لي خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بي عليهن ففعل وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل الي مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فاسر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقال اعتقني واطلقني فاني تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه الي المدينة وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرح أهل القليب في قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضى الله عنه بشيرا لاهل السافلة بما فتح الله على رسوله والمسلمين واركب صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل العضباء فجعل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينادي في اهل العالية يامعشر الانصار ابشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة في اهل السافلة بذلك و يقولان قتل فلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش فصار عدو الله كعب بن الاشرف اليهودي يكذبهما و يقول ان محمد قتل هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فاتانا الخبر بالمدينة حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها زوج عثمان رضى الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوجه صلى الله عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا رضي الله عنها فقال

الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك واختلف في رؤية النساء من هذه الامة له تعالى في الجنة فقيل لا يرينه لانهن مقصورات اى محبوسات في الخيام وقيل يرينه في ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه في كل يوم جمعة فقد جاء انه تعالى يتجلي في مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة مؤمنو الجن على الراجح وجاء كل يوم كان للمسلمين عيدا في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيادة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة في الجنة يوم المزيد قال بعضهم هذا العموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا واما رؤية الله عز وجل في النوم ففي الخصائص الصغري ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل في المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم في أحد القولين وهو اختياري وعليه أبو منصور الماتريدي وفي كلام الامام النووي قال القاضي عياض اتفق العلماء على رؤية الله تعالى في المنام وصحتها أي وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجساد لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالي والله أعلم ثم لا يخفى أن أكثر العلماء على أن الاسراء الى بيت المقدس ثم المعراج الى السماء كانا في ليلة واحدة اي وقيل كانا الاسراء واحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخري قال وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو برهج ودخان وأصوات فقال ماهذا ياجبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون أى وذلك مانع لهم من التفكر في ملكوت السموات والارض اي لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لرأوا العجائب أى أدركوها ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا أى بناء على أنه لم يعرج على البراق فمر بعير لقريش الي آخر ما تقدم انتهى أقول ذكر بعضهم أن مما نزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض أى عند نزوله من السماء قوله تعالى ومامنا الا له مقام معلوم الآيات الثلاث وقوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من ارسلنا الاية والا آيتان من آخر سورة البقرة وتقدم انهما نزلتا بقاب قوسين والله أعلم واستدل على أن كلا من الاسراء والمعراج كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقال وأنه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسراء مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التي منها البراق لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد واستدل على أن الرؤية كانت بعين بصره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغي لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضي ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال مازاغ قلبه () * اقول فيه أن القائل أن يقول يجوز أن يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم أن الله تعالي خلق لقلبه بصرا والله أعلم وقيل كان الاسراء بجسده والمعراج بروحه الشريفة أي بذاتها عرج بها حقيقة من غير امانة للجسد وكان حالها في ذلك ارقى منه كحالها بعد مفارقتها لجسدها بموته في صعودها في السموات حتي

صلي الله عليه وسلم زوجوا عثمان لوكان لي ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحي من الله وفي رواية لو ان لي اربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتي لا تبقى منهن واحدة قال العلامة الحلبي وام عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم اروى بنت عبد المطلب توامة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من المنافقين لابى لبابة رضي الله عنه قد تفرق اصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده ابدا قد قتل محمد وغالب اصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب قال

بين يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال ذات روحه الصعود الا بعد الموت لجسد ها قيل ومن ثم بشنع كفارقريش الامر الاسراء دون المعراج * اقول الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسراء بل تاخر عن اخباره بالاسراء بناء على انهما كانا في ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن ليلة الاسراء الذى اخبر به كفار قريش وقال اذ لو كان أى في تلك الليلة لاخبر به حين أخبرهم بالاسراء أي ولم يخبر به حينئذ اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى مع الاسراء لان المعراج أبلغ في المدح والكرامة وخرق العادة من الاسراء الى المسجد الاقصي وأجيب عنه بانه على تسليم انه كان في ليلة الاسراء الذي أخبر به قريشا صلي الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء اولا فلما ظهرت لهم امارات صدقه على تلك الآية الخارقة التى هي الاسراء اخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج بعد ذلك أى وحيث أخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك أى لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسراء وتقدم عن المواهب انهم لم يسالوه عن علامات تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم شئ في السماء والحق سبحانه وتعالي ارشده الى ذلك أى الي ان يخبرهم بالاسراء أولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسراء بل نزل ذلك في سورة النجم ومما يؤيد انهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء لان من المعلوم ان فرض الصلاة اى الصلوات الخمس انما هو في المعراج واما افراده كلا من الاسراء والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطي في سيرته فذكر ان المعراج كان في رمضان والاسراء كان في ربيع الاول والله اعلم وقيل الاسراء وقع له ﷺ أى بعد البعثة مرتين مناما أولا ويقظة ثانيا أى فكانت مره المنام توطئة وتبشيرا لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع في الاحاديث أي فبعض الرواة خلط الواقع له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى هذا لا يشكل قول شريك فلما استيقظت لكنه قال أن مرة المنام كانت قبل البعثة في رواية وذلك قبل أن يوحي الى وقد انكر الخطابي عليه ذلك وعده من جملة اوهامه الواقعة في حديث الاسراء والمعراج ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يسال ربه عز وجل أن يريه الجنة والنار فلما كان نا ثمانظهرا اتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى ماسالت الله تعالى فانطلقا بي الى ما بين المقام وزمزم فاتى بالمعراج فاذا هو أحسن شئ منظر فعرجا بي الى السموات سماء سماء الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على أن ذلك كان مناما فلا يحسن أن يكون دليلا على قوله يقظة وقد جاء عن أبي ذر رضى الله تعالى عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم

أسامة فبلغني ذلك فجئت حتي خلوت بابي وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت أحق ما تقول قال أى والله انه لحق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ثم اقبل صلي الله عليه وسلم راجعا الي المدينة ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهوله وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه واسهم لجماعة قد تخلفوا بامر منه صلي الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهو معدود من أهل بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وجعل له سهما في الغنيمة ومنهم أبو لبابة رضي الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم أهل المدينة على غسله

وعاصم بن عدي خلفه على أهل قباء والعالية ومنهم من أرسله لكشف أمر العدو وتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد ومنهم الحرث بن حاطب أمره النبي صلى الله عليه وسلم على بنى عمرو بن عوف * ولما قارب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخول المدينة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي   وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد لله الذي اظفرك واقر عينيك * واما اهل مكة فاول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهدوه يقول قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وأمية وفلان وفلان من اشراف قريش وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان جالسا في الحجر والله ما يعقل هذا اسلوه

عنى فسالوه قالوا والله ما فعل صفوان بن أمية فقال هو ذاك جالس في الحجر وقد رأيت أباه واخاه حين قتلا ثم قدم ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضي الله عنها وكان مشركا من اشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى فتح مكة فلما قدم ابو سفيان بن الحرث على اهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه ابو لهب عن خبر قريش فقال هلم الي عندي الخبر والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شيء اي لا يقاومها شيء فقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الوقت مولي للعباس رضي الله عنه ثم وهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فقلت له والله تلك الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب بها في وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك على يضربني فقامت ام الفضل زوج العباس رضي الله عنها وهي لبابة بنت الحرث الهلالية اخت ميمونة ام المؤمنين رضى الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم الى عمود فضربت به رأس ابي لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت استضعفته ان غاب سيده قال ابو رافع فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش بعدها

غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم أخذ بيدي فعرج الى السماء الحديث وقد يدعى ان في رواية أبي ذر اختصارا او ليس فيها ان ذلك كان مناما أو يقظة أي واما دعاء بعضهم ان المعراج تكرر يقظة فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سؤال أهل كل باب من أبواب السماء هل بعث اليه وكيف يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس والمراجعة واما مناما فلا يبعد في تكرر ذلك توطئة لوقوعه يقظة * أي وهذا منشأ اختلاف الروايات ادخل بعض الرواة ما وقع في المنام ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسراء وتعدد روايات الاسراء لا يقتضي تعدده في اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد أبعد وأغرب أي فالحق انه اسراء واحد بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت اربعة وعشرون مرة وقيل ثلاثون مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رؤيا رآها اى ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضى الله تعالى عنها ما فقدت جسده الشريف وفي صبيحة ليلة المعراج حين زالت الشمس من اليوم الذي يلي الليل التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام وامامته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اى وكيفيتها اى لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بان الرباعية انها فرضت ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به صلى الله عليه وسلم جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة الظهر لانها اول صلاة ظهرت او لانها فعلت عند قيام الظهيرة اى شدة الحر او عند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بان صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم صلى الله عليه وسلم الظهر اربع ركعات لا يقرأ فيهن علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم يصلي كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرأ في الركعتين علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفي كلام الامام النووي قوله ان جبريل نزل فصلى امام رسول الله ﷺ هو بكسر الهمزة ويوضحه قوله في الحديث نزل جبريل فامني واستدل

الأسبع ليال حتي رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويقولون انها تعدى أشد العدوى فتباعد منه اهله وبنوه حتي قتله الله وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفنوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتي واروه وأما اولاده فاسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضى الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم واسلمت ايضا اختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضى الله عنها واما عتيبة بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد في طريق الشام في حياة أبيه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وسفه عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك كما تقدم ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند اهل مكة ماصاروا اليه من القتل والاسر ناحت قريش على قتلاهم اكثر النوح واستداموه شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو رواحله وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الي الازقة ثم أشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكوا قتلانا حتى ناخذ بثارهم وتواصوا على ذلك * ولما بلغ النجاشي الخبر اي خبر نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا وطلب جعفر بن ابى طالب رضي الله عنه ومن كان معه بارض الحبشة من الصحابة رضى الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال لهم انى ابشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو ارضكم عين لى فاخبرني الله نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وأهلك عدوه وفلان بن فلان وفلان بن فلان وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه غنما لسيدى من بني ضمرة فقال له جعفر رضى الله عنه مالك جالسا على التراب وعليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله ان يحدثوا الله عزوجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفي رواية كان عيسى صلوات الله

قبلة

بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو مقتد بغيره لا كما يقوله أئمتنا من منع ذلك وأجيب عنه من جانب أئمتنا بان معنى كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل انه متابع له في الافعال من غير نية اقتداء ولا ايقاف فعله على فعل جبريل فلا يشكل على أئمتنا نعم هذا حينئذ يشكل على أئمتنا القائلين بانه لا بد من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفي علمها بالمشاهدة وقد يجاب بانه يجوز أن يكون جبريل عليه الصلاة والسلام علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم اتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك وأجيب بانها كانت واجبة على جبريل لانه مأمور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند البيت أي الكعبة مستقبلا بيت المقدس أي صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس قيل كان باجتهاد منه وقيل كان بامر من الله تعالى له قيل بقرآن وقيل بغيره أى وعلى انه بقرآن يكون مما نسخت تلاوته وقد قال أئمتنا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الي بيت المقدس كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي بين الركن اليماني وركن الحجر الاسود أى كما صلي به جبريل الركعتين أول البعث كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلي الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتي خرج منها أى من مكة أى لم يستدبرها ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس أى تمحض استقباله واستدبر الكعبة وظاهر اطلاقهم ان هذا أي استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شانه صلى الله عليه وسلم غالبا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر أنه ﷺ كان يفعل ذلك أدبالا وجوبا والافقد جاء ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه مالك والشافعي رضي الله تعالى عنه في الام وروى الطحاوى عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المنخفض الذى تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلاته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة بل تكون على يساره لانه لا يتصور أن يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة أيضا الا اذا صلي بين اليمانيين كما تقدم وأيضا ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة أى في بعض الاوقات حتي لا يخالف ماسبق انه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس ولا ينافي ذلك مافي زيد الاعمال أقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلي الي بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها أي الكعبة بين يديه ولا يستدبرها لامكان حمل مدة اقامته على غالبها ومما يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الي بيت المقدس وهم بمكة ماسيأتى عن البراء بن معرور انه لما عدل عن استقبال بيت المقدس الي استقبال الكعبة قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك قال له قد كنت على

الله وسلامه عليه اذا احدثت له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما احدث الله نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم احدثت هذا التواضع لما اوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر استاصل رؤسهم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فانرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضى الله عنهما فانهما اسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وارسلوا معهما هدايا للنجاشي واصحابه فردهما خائبين (٤٥٧) وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر

قبلة لو صبرت عليها وأم به صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة أول الوقت ومرة آخر الوقت لكن الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والصبح لا الآخر الحقيقي ليعلمه الوقت اى ولما جاءه ﷺ جبريل أمر فصيح باصحابه الصلاة جامعة كما تقدم أي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ما تقدم وسياتي قال فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم وصلى به في اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم أى عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله اى زيادة ظل الاستواء او على الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين افطر الصائم أى دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به اى في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم أى حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر أي بان قيل صلاة جبريل به ﷺ حينئذ لم يكن الصوم الذي هو رمضان فرض أجيب بانه على تسليم انه لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر على ما سياتي جار ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به الظهر حين كان ظل الشيء مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشيء مثليه وصلى به المغرب حين افطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث فاسفر ثم التفت وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين اه وأما رواية صلى بي الظهر الى ان قال وصلى بي الفجر فلما كان الغد صلى بي الظهر المقتضى ذلك لان يكون الفجر ليس من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله ففيه دليل على ان اليوم من طلوع الشمس كما يقول الفلكيون اي ولا يخفى ان قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا الشافعي رضى الله عنه على الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء لا يخرج الا بطلوع الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري حيث ذهب الى خروج وقت العصر بمصير ظل الشيء مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار متمسكا بظاهر الحديث والبداءة بالظهر هو ما عليه أكثر الروايات وروي ان البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع انها أول صلاة تحضر بعد ليلة الاسراء لان الاتيان بها يتوقف على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كانه قيل اوجبت عليه حيثما تبين كيفيته في وقته والصبح لم يتبين كيفيتها في وقتها فلم تجب فلا يقال هذا من تاخير البيان عن وقت الحاجة واجاب الامام النووي بانه حصل التصريح فان اول وجوب الخمس من الظهر كانه قيل اوجبت ما عدا صلاة الصبح يوم هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها فهي غير واجبة وان فرض علم كيفيتها وفيه انه يلزم حينئذ ان الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم وليلته قال ابو بكر بن العربي ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك ان هذه الصلوات

الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضى الله عنه على النجاشي مرة ثانية ستاتي ان شاء الله وفيها قصة اسلامه ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا اخافه كل عدو بها وحولها وأسلم كثير من اهل المدينة ودخل عبد الله بن أبي في الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا انه النبي الذى نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة وبقي على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادى له وكان جملة من استشهد يوم بدر اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث بن المطلب قطعت رجله فى المبارزة مع عتبة بن ربيعة واخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل انه اول قتيل وأول

 من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم ارسله عامر بن الحضرمي وعمير بن ابى وقاص اخو سعد بن ابى وقاص رضى الله عنهما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما رأى بكاءه اذن له في الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل ابن بكير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين عمير وقيل الحرث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى والثمانية الانصاريون الخزرجي منهم عوف بن عفراء واخوه شقيقه معوذ بن عفراء وحارثة بن سراقة

ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح الاوسي منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم اجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتاخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الذين قتلوا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله ارواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذا طلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد ارواحنا في اجسادنا فنقتل كما قتلنا قال في المواهب ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ولم يعدهم انه لا يقتل منهم احد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوهم كما وعد الله فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما وفي المواهب وشرحها قال ابن مرزوق في شرح البردة ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير من واحد الحجاج أنهم اذا اجتازوا بذلك الموضع اي بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع صلب أي شديد على لا سهولة فيه فتجيب فيه حوافر الدواب أي تكون بصوت يشبه تصويتها في الارض الصدى فيقولون لي ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرق بالنور نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمي بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وانا سائر

في هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه ان وقتك هذا الحدود الطرفين مثل وقت الانبياء قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها أي فقد جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان آدم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحق عند الظهر أي على القول بانه الذبيح فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما رأى الشمس قريبة من الغروب قال او بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب أي الغروب فقام يصلي اربع ركعات فجهد اى تعب فجلس في الثالثة أي سلم منها فصار المغرب ثلاثا واول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاتها من خصائصه وفي شرح مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه للامام الرافعي رحمه الله تعالى كانت الصبح صلاة آدم والظهر صلاة داود اى فقد اشترك داود واسحق في صلاة الظهر والعصر صلاة سليمان اي فقد اشترك سليمان وعزير في صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب اى فقد اشترك يعقوب وداود في صلاة المغرب والعشاء صلاة يونس واورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشاء من خصائص نبينا ﷺ والاصل ان ما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصائص هذه الامة وذكر بعضهم ان المغرب كانت صلاة عيسى اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن امه اى فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب وفي كلام بعضهم اول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم اى وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحق وداود في صلاة الظهر واول من صلى العصر يونس اى وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس في صلاة العصر واول من صلى المغرب عيسى واول من صلى العتمة التي هي العشاء موسى اى وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله عليه وسلم عليهم في صلاة العشاء وفي الخصائص الكبرى خص ﷺ بانه اول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله ومن لازمه انه لم يصلها احد من الامم وقد جاء التصريح به في بعض الروايات انكم فضلتم بها أي العشاء على سائر الامم وعليه فهي من خصائصنا ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بناء الكعبة ان جبريل صلى بابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتامل قال قيل فرضت الصلوات في المعراج ركعتين ركعتين اى حتى المغرب ثم زيدت في صلاة الحضر فاكملت اربعا في الظهر اي في غير يوم الجمعة واربعا في العصر والعشاء وثلاثا في المغرب وأقرت صلاة السفر على ركعتين اى حتى في المغرب فعن عائشة رضي الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان اى في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اي بعد شهر وقيل وعشرة ايام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر اى لم يزد عليها شيء لطول القراءة اى فانها يطلب فيها زيادة القراءة

في الهاجرة الا واحدا من عبيد الاعراب الجالسين يقول اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح والهيبة فشككت وقلت اهل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فجلست على الارض او ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا و سمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت اسمع ذلك الصوت

على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراءة طوال المفصل وصلاة المغرب اي تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار اى كما في الحديث فتعود عليه بركة الوترية ان الله وتر يحب الوتر والمراد انها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر فلم يزد فيها شيء اي غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها وهو يفيد ان صلاة السفر استمرت على ركعتين اى في غير المغرب اي وحينئذ يلزم ان يكون القصر في الظهر والعصر والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة وفي كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فاقرب صلاة السفر باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف اى لانه لما استقر فرض الرباعية خفف منها اي في السفر لانه استقر امرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر واربعين يوما ثم نزلت آية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية الا انها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك ان القصر عزيمة وقيل فرضت اى الصلوات الخمس في المعراج اربعا الا المغرب فقرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين أي والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت لاربع في السفر اى وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذى يقتضيه ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن ان يكون المراد من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها انها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا ياتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم يبعد هذا الحمل ما روى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اى الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة اى واقام شهرا او وعشرة ايام فرضت الصلاة اربعا او ثلاثا وتركت الركعتان تماما اى تامة للمسافر وعن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد امن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اى فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان سال قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك غزا النبي ﷺ فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها فانزل الله عز وجل بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر قال ابن جرير هذا تاويل في الآية حسن لولم يكن في الاية اذا قال ابن الفرس يصح مع اذا على جعل الواو زائدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط واحسن منه ان يجعل اذا زائدة بناء على قول من يجوز زيادتها هذا كلامه فليتامل وقيل فرضت اي الرباعية اربعا في الحضر وركعتان

يومى أجمع المرة بعد المرة ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اه كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقاني قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء اوائل شعبان واقمنا يوما فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالى بدر فطلعت اعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيا فنزلت اسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلاشك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعنا سماعا محققا وكان الوقت صحوا رائقا لا ريح فيه اه وقد جاء في فضل اهل

بدر احاديث وآثار فمنها ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون اهل بدر فيكم قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفي رواية ان الملائكة الذين شهدوا بدرا في السماء لفضلا على من تخلف منهم وروي الطبراني بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم او فقد وجبت لكم الجنة اي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من

في السفر فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة الفذ ركعتان غير قصر أي تامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرضت في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أي وفيه في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة أي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة فلا يقال ان في كلام ابن عباس ما يفيد ان صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبي ﷺ متاخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل ان يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان أي من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ولم اقف على الوقت الذي فرض فيه التشهد والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ولا على ان قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا أو مندوبا قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي أي بسبب تلك الحواس وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله أرأيتم لو كان بباب احدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيأ قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق أجنحة الملائكة كأنها جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي اي من المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

م

﴿ تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله باب عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق ﴾

فرض حصول شيء منها يلهمون توبة عنها لتغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من اصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من اهل بدر من الجالسين قم يافلان قم يافلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك ويجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة اسمائهم والتوسل بهم او كتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد افردت بالتأليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزو بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتأليف وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم